فوات الوفيات

والذيل عليها

تأليف

محمد بن شاكر الكتبي

(-٧٦٤ هـ)

المجلد الثاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

دار صادر

بيروت

حَرْفُ الرَّاء

١٥١
[راجح الحلي]

راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الحلّي الأسدي ؛ دخل الشام وجال في بلادها ومدح ملوكها ونادمهم ، وكان فاضلاً جيد النظم عذب الألفاظ حسن المعاني ، وتوفي بدمشق سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة تسعين وخمسمائة ؛ ومن شعره :

ألا هبوا فقد أرجَ الخزامى ... وغنى الطيرُ وانتشتِ[1] النُّعامى
أتَتْنا من جبالِ الثلجِ سكرى ... تنفّضُ عن معاطفها الغماما
كأن مطارحَ الحانات باتَتْ ... تثجُّ[2] على معاطفها المداما
وربَّ معقربِ الأصداغِ ألمى ... سقيم الجسمِ ألبسني السّقاما
تفرَّد بالملاحة فاستمدت ... سوالفُ خدِّه ألفاً ولاما
وخطَّ البدرُ هالتَهُ عليه ... فأطلعهُ بها بدراً تماما
يفتِّتُ قلبَ عاشقه إذا ما ... زوى جفنَيْه أو هزَّ القواما
بروحي من تملّكني هواهُ ... وأسهرني على ولهي وناما
فيا لله ليلتُنا بسلعٍ ... وقد أرَّقتْ بالنّوح الحماما
تجلّى بالخيام الزرقِ وهْناً ... فبتُّ لأجلِه أرعى الخياما

---

١٥١ – بغية الطلب ٧ : ٢ وابن خلكان ٤ : ١٠ (في ترجمة ممدوحه الملك الظاهر) والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ والشذرات ٥ : ١٢٣ وعبر الذهبي ٥ : ١٠٨ والزركشي : ١١٤ ؛ وقد أخلت المطبوعة بالقسم الاعظم من هذه الترجمة .

١ ص : وانتشب ؛ والنعامى : ريح الجنوب ، وقد فسر انتشاءها في البيت التالي .

٢ ص : تبيخ .

سَقـاني الراحَ من يده وفيـه ... فما بردَ الغليلَ ولا الأُواما
عقدت على ذوائبِهِ يميني ... ومِلْتُ إليه ضماً والتزاما

ومن شعره يمدح الملك الناصر داود رحمه الله :

أمنكمُ خطرت مسكيّةُ النّفَسِ ... صَبّاً تلقيتُ منها بُرْءَ منتكسِ
نمّتْ بما استودعت والفجر جمرته[1] ... ما دبّ إيقادها في فحمة الغلس
ردّتْ على مقلتي طيبَ الرقادِ فها[2] ... إنسانُها بلذيذِ النومِ في أنس
فيا لها نفحةً خالستُ نسمتها ... لما تيقنتُ أن العيشَ في الخُلس
وللنّسيمِ إشاراتٌ إذا التبستْ ... فسرُّها عند مثلي غيرُ ملتبس
فما قعودك بي عن بنت دَسْكَرَة ... يغنيك لألاؤها في الليل عن قبس
يديرها ثملُ الأعطافِ قامتُهُ ... لو مُثِّلتْ لغصون البانِ لم تمس
سعى بها والدجى من حَلْيِ أنجمه ... عارٍ ولكن بأنوار الكؤوس كُسي
والسحب تُضحك ثغرَ النَّوْرِ أدمعها ... والجو في مأتمٍ والأرض في عُرُس
ظبيٌ وقائع طرفي في محبّته ... بين اللمى وفتورِ الجفنِ واللَّعس
نبّهتُهُ ونجومُ اللّيلِ تسبحُ في ... بحر الظلام فمن طافٍ ومنغمس
فقام يمسحُ ما في الجفن من سِنَة ... وقد تمشّى الكرى في الأعين النّعس
فسكّنتْ سَوْرَةُ الصّهباء شِرّته ... واستودعت بعضما في الخلق من شرس
فما ضممت الذي في العطف من هيفٍ ... حتى استكنّ الذي في الوُطف[3] من شوس
فلا عدمتُ طلا صادته كأس طلى ... فما ثنى عطفه عن نيلِ ملتمس
هذا وركب عفاة قد عدلتُ بهم ... إلى مغاني الغنى عن أربُعٍ دُرُس
عافوا ورودَ وعودِ الباخلين فما ... أجْرَوا مطالبهم منها على يبَس

---

١ ص : حمرته .
٢ ص : بها .
٣ ص : العطف .

فقلت نصّوا ركاب الحمد واخدةً   إلى مقرّ العلى في أرض نابلس
إلى مقَرٍّ تنــاجيني جَلالتهُ   كأنني واقفٌ في حضرة القُدُس

وقال أيضاً :

صاحِ قد أسفر الصباح المنيرُ   وتغنّتْ على الغصونِ الطيورُ
وأعادَ النّسيمُ أنفاسَ روضٍ   كسدَ المسكُ عنده والعبير
وبرودُ الربيع تضفو[1] فتصفو   غدر[2] في خلالها ونهور
وعلى الأرضِ للرياضِ سماء   مثل زُهرِ النجوم فيها الزهور
وكأن الغمامَ والبرق نَقْعٌ   شهرت فيهِ مرهفات ذكور
أو ستورٌ تُرخى على الأرض دُكنٌ   كتبتْ بالنضار فيها سطور
زمن صحَّ للنّديمِ سرورٌ   فيهِ واعتلَّ للنّسيمِ مرور
فأجبْ داعيَ الصبوحِ فديكُ ال   صبح يدعو إليه والصع[ ][3]
وشموسُ المدامِ في شهبِ الكا   سات يسعى بها علينا بدور
كلٌّ بدرٍ سماؤه من قبـاء   وعليهِ من فرعه ديجور
رشأ للعيون منـــهُ نَعيمٌ   حين يبدو وللقلوبِ سَعير
حاكمٌ جائرُ الكؤوس عسوفٌ   مستطيلٌ على النّدامى أمير
جاءنا بالكبار منهــا ونادى   إنما يشربُ الصغار الصغير
فتناولتُ من يـديهِ عقــاراً   تتركُ الهمَّ وهو منها عقير
بنت دنٍّ شمطاء من عهد عيسى   أُودِعتْها كنائسٌ وديور
أكل الدهرُ ما تكاثفَ منهــا   فهي من لطفها تكاد تطير
قد خلعتُ العذارَ فيهـا وإنّي   في هواهــا بخلعــهِ لجدير

---

١ ص : تصفوا .

٢ ص : عذر .

٣ سقط من ص ، ولعل الصواب « والعصفور » .

وأزلتُ الوقارَ والنسك حتى ... لا أبـالي بمـا إليه أصير
ودعاني داعي التّصابي فلبّيـ ... ـت ونادى فلَمْ أُجِبْهُ النذير
وحداني على الخلاعة علمي ... أن ربي لكل ذنبٍ غفور
فلذا كلّ حانةٍ أنا ثاوٍ ... يزدهيني بمٌ هنـاك وزير
راكعاً ساجداً إلى بيت حانٍ ... لا صلاةٌ فيـه ولا تكبير
هاتفاً في الصباحِ حيَّ على الرا ... حِ وقد قام للفلاحِ بشير
قهوةٌ كالحياةِ في كلّ يومٍ ... ليَ موتٌ بكـاسها ونشور
كم نعتني القيانُ بين رياضٍ ... أنـا فيهنَّ مُلْحَدٌ مقبور
أنستني الولدانُ فيها إذا مـا ... أوحَشَ المَيْتَ منكرٌ ونكير
وإذا أرهَقَ الزّمـانُ بَنيـهِ ... وغدا الخطبُ وهو صعبٌ عسير
فبغازي ابن يوسف الملك[1] الظا ... هر من جور صَرْفه أستجير[2]

وقال أيضاً :

ماء الجمالِ بوجههِ مذ أشرقا ... كم ناظرٍ بدموعه قد أشرقا
رشأ يفوّق عن قِسيّ حواجب ... نَبْلاً بغير مقـاتلي لا يُتّقى
ثملُ المعاطفِ لم يُزَرَّ قبـاؤه ... إلاّ على مثل القضيب وأرشقا
أنا من تمادي هجرهِ في مأتمٍ ... فاعجبْ لخدّي بالدموع تخلقا[3]
كالبدرِ يسري في نجوم قلائد ... متبلجاً من فوق غصنٍ في نقا
لم يكفِ ضعفُ الخصر عن أردافه ... حتّى اغتدى بعيوننـا متمنطقا
أجرى على عاداتـهِ دمعي ولو ... كشف الظلامةَ ردَّ ذاك المطلقا

---

١ ص : المال .

٢ هو صاحب حلب أبو الفتح وأبو منصور غازى بن السلطان صلاح الدين ؛ كان ملكاً مهيباً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته ، توفي سنة ٦٢٣ (ابن خلكان ٤ : ٦ وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته وذكر لمصادر أخرى في الملحقات ٧ : ٣٢٥) .

٣ يشير إلى أن الذي يكون في مأتم لا يستعمل خلوقاً ، لأن الخلوق للزينة .

ورأى دليلَ جنونِ قلبي إنّهُ ... بسلاسل الأصداغ أضحى موثقا[1]
جعل الغرامَ قِرَى ملاحته فكم ... ثارٍ أثارَ وكم دمٍ قد أهرقا
عَبَثَتْ ثناياه بخمر رُضابِهِ ... حتى صفا في كأس فيه مروّقا
وبدت لنا آيات حسنٍ لم يقم ... برهانُها إلاّ وكنتُ مصدقا
فبلحظه وبوجنتيــهِ وثَغْرِهِ ... راحٌ سكرتُ بنشرها مستنشقا
كتب العذارُ على صحيفة خده ... بالمسك في الكافور سطراً ملحقا
« أمعنفَ العشاقِ وهو من الهوى ... خالي الحشا لا مُتَّ حتى تعشقا »
فزها بنفسجه الجنيّ وقد غـــدا ... بالورد في روضِ الملاحة محدقا
إني لأظمأ ما أكونُ إذا جرى ... مـاء الحياةِ بوجهه وترقرقا
قمرٌ سقيمُ الطرفِ عقربُ صدغه ... يثني عزائمنا ويهزأ بالرُّقى
يا مثريــاً من حسنه عطفاً على ... قلبٍ يبيتُ من التصبرِ مملقا
ها قد رأيت خضوع سائل أدمعي ... أفكانَ عاراً[2] أن تُرى متصدّقا
سل عن سوى جَلَدي فإني لم أدع ... تعليله حتى قضى ، فلك البَقا
ما بات قلبي للصبابة ممسكاً ... حتى غدا جفني لدمعي منفقا
سكن الضنى جسمي سكونَ مقيّدٍ ... ومشى الغرامُ إلى فؤادي مطلقا
ففداك قلبٌ قد ملكت قيادَهُ ... لم يرجُ من رق الصبابة معتقا
لو كان قلبك مثلَ عطفك لينــا ... لرثى ورَقّ لفيض دمعٍ ما رَقا
ماذا تعــدّ لِمَنْ تعاديهِ إذا ... ما طرفك اغتال المحب المشفقا

وقال أيضاً :

لمن رسومٌ ما كدتُ أعرفها ... أوحش محتلُّهــا ومألفهــا
قضت علينا آثارُ ساكنهـــا ... أن المطايا يطولُ موقفهــا

---

[1] كان من عادتهم ربط المجنون بالسلاسل .
[2] ص : عار .

أنفقت فيها الدموعَ عن ثقةٍ أن دواعي الحنين تُخْلِفها
أعبـاءُ شوقٍ أعيا تحملها فابتدرت أدمعي تخففهـا
سقيـاً لهـا والظباءُ سانحةٌ بجوّهـا والرمـاح تكنفها
حيثُ القدودُ الرشاقُ أقتلهـا لأنفس[1] العاشقين أهيفهـا
منعّماتُ الأعطـافِ ميّدُها مختصرات الخصور نُحَّفها
تلك خصورٌ ما زال مختطفاً لبَّ فؤادِ الحليمِ مُخْطَفها
فمنْ مُعيني على غَرِيمٍ هوًى يلوي ديوني ولا يسوّفهـا
نهيتُ قلْبي عن حبّهِ فأبَتْ أن ترعوي صبوةٌ أُعنّفها
يظما إلى خمر عذبِ ريقتهِ فمي وعود الأراكِ يرشفها
فآهِ من زفرةٍ أردّدُهـا فيهِ ومن عَبْرَةٍ أكفكفها
مرهف قضب العُيونِ أكحلها مُضعفُ نبلِ الجفونِ أوطفها
يا مُشرقي بالدموعِ بُلَّ صدى حشاشة لا يُبلُّ مُدْنَفها
دمي على وجنَتَيْكَ تُثْبِتُهُ شهود دمعٍ ما زلتُ أقذفها
فكيف ترجى النّجاة من مُقَلٍ أفتكها بالقلوب أضعفهـا
والنفسُ مذ كابدتْ هواك أبتْ عنه انحرافاً فكيف أصرفها
فهات قلْ لي يا مَنْ لواحظـه تشقي قلوباً[2] منـا وتشغفها
أهـذهِ قامَةٌ يرنّحهـا تيهك أم صَعْدَةٌ يُثَقّفها
وأعينٌ أم قواضب الملك الظاهر يومَ الهيـاج يُرْهفها

وقال من أبيات :

لي الله قلباً لا تزال تشوقـه طلائعُ أحلامٍ تغرُّ وتخدعُ
إذا صبوة عنها أمالته سلوة تعرّض زورٌ من خيالٍ فترجع

---

١ ص : الأنفس .
٢ ص : تشفي قلوب .

خليليّ هبّا فانظرا ليَ جذوةً ... سما نحوها طرفي أم البرقُ يلمع
فإن كان برقاً فاستميحاه وقفةً ... لعلّ شآبيبَ الحيا منهُ تَهمَع
فإن جاد قبلَ الدمع مدرجةَ اللوى ... فتلك لعمري منّةٌ لا تضيّع
ولا تبخلا أن تتبعا الظعنَ نظرةً ... فلي خلف تلك العيسِ قلب مروّع
وما أخذوهُ عنوةً غيرَ أنّهُ ... تأخّر عني حين راح يودّع
وأرقني بالأبرقِ الفردِ بارقٌ ... وورقٌ غدت في مورق البان تسجع[1]
ترخّم صوتاً أعجمياً ومقلتي ... تترجم عنها حين تدمي وتدمع
وعن أيمن السعديّ يا سعدُ أربُعٌ ... لقلبي إليها لفتةٌ وتطلّع
يرنّحني تذكارُهـا فكأنما ... يدارُ عليَّ البابليُّ المشعشع
فيا حبّذا ظلّ النخيلِ وجرعة ... تبلّ غليلي لا كثيبٌ وأجرع
لياليَ أغصانُ المعاطفِ تنثني ... عليّ ومن لُعْس المراشف أكرع

وقال من قصيدة :

ولربَّ ليلةِ موعـدٍ كصدوده ... لا تهتدي فيها النجومُ لمطلعِ
نازلتها بالأبْلَجَيْنِ : جبينِـه ... وسلافِ كاسِ يمينه المتشعشع
ودعوت حيَّ على الشّمولِ فلم يكن ... متأبّياً عن شربـهِ لمّا دعي
فسقَيْتُهُ كاساً توَهّمَ أنهـا ... معصورةٌ من خدّهِ أو أدمعي
وأخذتُ في شكوى الغرام مردّداً ... حُرَقي فرقّ لأنّتي وتوجّعي
واستنزعت منهُ الكؤوس نزاقة ... ما كان لولا نزعُها بالطيّع
لو كنتَ شاهدَ ما نبثُّ من الجوى ... لعجبت من مرأىً هناك ومسمع
راضت شمائلـه الشمول وطالما ... قد بتُّ ألقى عزّهُ بتخضعي
فسخا بقبلتـه[2] وجاد بجيده ... لمّا انتشى وأباح كلَّ ممنّع

١ ص : تشجع .
٢ ص : بقللته .

وقال يعارض قصيدة ابن زريق :

أخفى الغرامَ فأبـــداهُ توجّعهُ وترجمتْ عن مصون الحبّ أدمعه
صبٌّ بعيد مرامي الصبرِ ما برحتْ تُحْنَى على بُرحاء الشوقِ أضلعه
به لواعجُ شوق لو تحمّلهـــا رضوى لهدّته أو كادت تضعضعه
ما بات أخيبَ خلقِ الله منه سوى مفنّدٍ ظنَّ أن العذلَ يخدعه
يا عذّب الله قلبي كم يُجنّ هوًى يجني عليه ويرعى من يروّعه
وشيٌ عليه بما أخفاه من شَجَنٍ فرطُ الحنين الذي أمسى يرجّعه
وما أعادَ الهوى إلاّ ليخجلـــهُ لمّا توهّم أن الصبرَ ينفعـــه
واهـــاً لِغِرٍّ خـــلا ممّا يكابـــده مسهّدُ الطرف صبُّ القلب موجعه
ظبيٌ توهّمَ نومي حيلةً نُصِبَتْ لصيده فهو بالهجرانِ يقطعه
أجرى دماً دمع عينيَّ وهو مورده وأسكن النارَ قلبي وهو مرتعه
ويلاه من شرس الأخلاق يعذب لي فيهِ العذابُ ويحلو لي تمنّعـــه
وليلةٍ بتُّ أُسقى من مراشفـــه سلافَ خمرٍ ثناياه تشعشعـــه
يرنو ويعلم أن الطرف يصرعني وقد تيقنتُ أن السكر يصرعه
حتّى إذا أخذت منه الكؤوسُ ثنى إليّ جيداً يغير الظبيَ أتلعه
وبات قلبي الذي ما زالَ يؤيسه[1] يسمو إلى غاية الآمال مطمعه
ولان بعد شماسٍ كنت أعهـــده منه وأصغى إلى شكواي مسمعه
ولا تسل[2] كيف بت الليل من سهري لمّا اطمأنّ بعيد النّومِ مضجعه

ولما تسلّم الكامل دمياط وجاءوا الملوك إلى خدمته وهو بالمنصورة ، فجلس مجلساً عظيماً ، ومدَّ سماطاً عظيماً ، وأحضر ملوك الفرنج ، ووقف المعظم عيسى والأشرف موسى والملوك في خدمته ، فقام راجح الحلي بين السماطين وأنشد :

---

١ ص : يؤسيسه .

٢ ص : تسال .

هَنيئــاً فإنّ السعد راح مخلّداً وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله العرش فتحــاً بَدا لنا مبيناً وإنعاماً وعزّاً مؤيـــدا
تَهلَّلَ وجهُ الدهرِ بعدَ قُطوبه وأصبح وجهُ الشرك بالظلم أسودا
ولمّا طغى البحر الخضمُّ بأهله الـ طغاة وأضحى بالمراكبِ مزبدا
أقام لهذا الدّين مَنْ سلَّ سيفه صقيلاً كما سَلّ الحسام مجردا
فلم ينجُ إلاّ كلّ شلوٍ مجدّل ثوى منهم أو من تراه مقيّدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرتَهُ في الخافقين ومنشدا
أعبادَ عيسى إن عيسى وحزبــه وموسى جميعاً يخدمون محمدا

وله غير ذلك ، وشعره كله جيد ، وكانت وفاته بدمشق في شهور سنة سبع وعشرين وستمائة ــ كما ذكرنا ــ ودفن خارج باب الصغير جوار قبة القلندرية [١]، رحمه الله تعالى .

١٥٢

أبو حكيمة الكاتب

١

راشد بن إسحاق بن راشد أبو محمد الكاتب الأنباري ، يلقب أبا حُكَيمة ــ بضم الحاء ــ شاعر أديب أفنى عامة شعره في مراثي متاعه .

قال ابن المرزبان: يقال إنما كان يقول ذلك لتهمة لحقته من عبد الله بن طاهر أيام خدمته له في خادم لعبد الله ؛ ومن شعره :

ولي خادمٌ يرنو بطرفِ غزال يدلُّ بحسنٍ فائقٍ وجمالِ

١ ص : القلقندرية ؛ والقلندرية : طائفة من الصوفية .

١٥٢ ــ معجم الأدباء ١١ : ١٢٢ والزركشي : ١١٧ وطبقات ابن المعتز : ٣٨٩ .

دعاني إلى ما يستحلُّ ابن أكثم   وقد يستحل الشيخُ غيرَ حلال
ولمّا بدا لي ما يريد اجتنَبْتُهُ   وقلت لهُ إنّني لذلك قالي
وقلت له: حاولتَ ما لستُ قادراً   عليه ولو غاليتُ فيه بمالي
بليتُ بأير لا يخف إلى الوغى   إذا ما التقى الزحفان يوم قتال
ويجبن عن حلّ الإزار وتحته   مواضع مستنٍّ له ومجالي[1]
فأصبح لا تسمو إلى اللهو نفسه   ولا تخطر اللذات منهُ ببال
تدلدل فوق الخصيتين كأنّهُ   رِشاء على رأس الركية بالي
ولو قام لم أسعفك فيما طلبتـه   أحقّ بأيري منك أمٌّ عيـالي

وقال أيضاً في المعنى :

أيا أير قد صرتَ أحدوثةً   لمن في البلاد من العالم
ألم تكُ فيما مضى منعظاً   تُشبّهُ بالوَتـدِ القائم
وقد كنت تملأ كف الفتاة   فأصبحت تدخل في خاتم

وقال في المعنى :

دعيتَ إلى شادنٍ أدعجِ   يُشبّه بالقمَر الأبلَجِ
فألفيتَ أيرك مستخدراً   وقد يحرَمُ المرء ما يرتجي
ترى تركه أيمـا حسرة   وأنت به مستهام شَجي
وصرت تحرج[2] من نيكه   ولو قام أيرك لم تحرج[1]
سواء عليك إذا ما رنَوْت   إلى مثله جئت أو لم تجي

وقال أيضاً :

نام أيري والنومُ ذلٌّ وهُونُ   واعتراه بعد الحَراك سكونُ

---

١ ص : ومجال .
٢ ص : تخرج . . . تخرج .

باتَ نِضواً وبت أبكي عليهِ إنّ هَمّي بهمهِ مقرون
كيف يَلْتَذُّ عَيشهُ آدميٌّ بين رجليهِ صــاحبٌ محزون
دَبَّ فيهِ البِلى فماتت قُواه وهو حيٌّ لم تخترمهُ المنون
أيها الأير لم تخني ولكن غالني فيكَ ريبُ دهرٍ خؤون
طالما قمتَ كالمنارةِ تهتز اهتزازاً تسمو إليـــهِ العيون
ربّ يومٍ رفعْتَ فيهِ قميصي فكأني في مشيتي مجنون
سلبتكَ الأيامُ لذةَ عيشٍ يقصرُ الوصف دونها والظنون
كانت الحادثات تنكل منهُ وخطوبُ الزمانِ فيهــا تهون
فتخليتَ من مجون التصابي وتخلّى منكَ الصبا والمجون
أين إقدامُكَ الشديدُ إذا ما شمَّرت بالكماة حرب زبون
فقتَ أبطالهـــا طعاناً وضرباً ولكلّ الأشياء فوقٌ ودُون
كم صدوقِ اللقاء دارتْ عليه في غمار الوغى رحاك الطحون
وحصون لما وردْتَ عليهــــا أيقنتْ بالبلاء تلكَ الحصون
وصريع أبحت منـــهُ مكاناً كان يحميهِ مرةً ويصون
وشديد المِراس أنفذت فيـــه طعنةً يستلذهـــا المطعون
تركتهُ بعـــد المخافةِ منهـــا وهو صَبٌّ بحسنهـــا مفتون
فحنى قوسكَ الزمـــان وأفْنتَ لكَ خطوب تفنى عليها القرون
لم يدَعْ منك حادث الدهر إلاّ جلدةً كالرشاء فيها غضون
يتثنى كأنّـــهُ صوبجـــان أو كما عوّجت من الخطّ نون
فإذا أبصرت خزاياكَ عيني شرِقتْ بالدموع مني الجفون
فمتى أنت مفلح بعد هـــذا أترى ذاك في حيـــاتي يكون

وقال أيضاً في المعنى :

إذا وُصِفَتْ من كلّ أير شجاعةٌ أبى جبنُ أيري أن يحيطَ به وصفُ

يفرّ حذارَ الزحفِ من رأس فرسخٍ — فكيف تراه حين يقربُ بي[1] الزحف
ويكسلُ بين الغانيات عن الذي — يتمُّ لإخوانِ السرورِ بهِ القَصف
ينامُ على كفّ الفتاةِ وتارةً — له حركاتٌ ما تحسّ به الكف
كما يرفع الفرخُ ابنُ يومين رأسَهُ — إلى أبويهِ ثم يدركه الضعف
تطوّقَ فوقَ الخصيتينِ كأنّه — رشاءٌ على رأس الرَّكيّةِ ملتف
تقولُ سليمى حين غيّره البِلى — وأعقبهُ من صرف أيامه صرف
لئن دقّ واسترخى لقد كان مرةً — له مقبضٌ في كفّ لامسه يجفو[2]
صبيحةَ يغدو للنطاح بهامةٍ — من الصخر لا قرنان فيها ولا قحف
إذا شئتُ لاقاني بمتنٍ مقوّمٍ — ومشحوذة مثل السنان لها حرف
فمالي أراهُ ضارباً بجرانه — كذي سكرة مالت به الخمرة الصرف
يعزّ عليهِ أن يقومَ لحاجة — ولو قام لم يتبعهُ عضو ولا عطف
تكدّر عَيشي مُذْ رأيت انحناءهُ — وللدهرِ أحداثٌ تكدّرُ ما يصفو

وقال :

ومنتبهٍ بين النّدامى رأيتُهُ — وقد رقد الندمانُ دبَّ إلى الساقي
فأولج فيهِ مثلَ أسودَ سالخٍ — أصمَّ من الحياتِ ليس له راقي
فلما انتحى فيهِ تحرك واتكا — وأطرق عند الرهز أحسنَ إطراق
فقلتُ لهُ لا تلفَيَنّ مقصراً — ولا مشفقاً في غير موضع إشفاق
أجد تحت[3] خصييهِ فإن سكوتَهُ — سكوتُ فتًى صبّ إلى النيكِ مشتاق
فلو لم يكن يقظانَ ما قام أيرُه — ولا لف عند النيك ساقاً إلى ساق

وقال :

---

١ ص : في .
٢ ص : تخفو .
٣ ص : نحت .

كأنَّ أيري من رخو مفصله خريطةٌ قد خلت من الكتبِ
أو حيّـــة أرقم مطوّقـــة قد جعلَتْ رأسَها إلى الذنب

وقال في مرضه الذي مات فيه وهو بطريق مكة :

أطبقتَ للنومِ جفناً ليس ينطبقُ وبتَّ والدمعُ في خديك يستبقُ
لم يسترح مَنْ لهُ عين مؤرقةٌ وكيف يعرف طعم الراحة الأرق
وددت لو تمّ لي حجي ففزتُ به ما كلُّ ما تشتهيه النفسُ يتفق

وكانت وفاته بطريق مكة بعد الأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

١٥٣
الأقطع أمير العرب

رافع بن الحسين ابن حماد بن مقّن — بالقاف المفتوحة — أبو المسيب ، الأقطع المعروف بظاهر الدولة أمير العرب بنواحي بغداد ؛ كان فيه فروسية وأدب ، ويقول الشعر ؛ وأمه علوية ابنة المقلد بن جعفر بن عمرو ، كانت فاضلة كريمة معمرة ، وكان فيه شح وإمساك ، وكانت تعيبه بذلك ، وإذا جرى في ضيافاته تقصير تممته من بيوتها ، وكانت تقول : واغوثاه ، ما عرفت العشرات والخمسات إلاّ منكم في هذا الزمان ، وما كنا نعرف إلاّ الألوف والمئات ، وكان لها رأي جيد في الحروب وغيرها .

وكان سبب قطع يده أنه كان يشرب ومعه بعض أولاد بني عمه ، فجرت بين اثنين منهم خصومة ، وتجالدا بالسيوف ، فخلص بينهما ، فضرب أحدهما يده بالسيف قطعها غلطاً فذهبت هدراً ، وكان يلبس كفاً يمسك به العنان ويقاتل

١٥٣ — الزركشي : ١١٧ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٤٥١ .

فلا يثبت له أحد . وكان عظيم الغيرة على حرمه وإمائه . وكانت مملكته البوازيج والسن [1] وتكريت والقادسية . وتوفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره [2] :

لها ريقَــةٌ أستَغْفِرُ اللهَ إنها ... ألذُّ وأشهى في النفوس من الخمرِ
وصارمُ طرفٍ لا يزايلُ جفنه ... ولم أرَ سيفاً قبلُ في جفنه يبري

منها :

فقلتُ لها والعيسُ تُحدَجُ للنّوى ... أعدّي لفقدي ما استطعت من الصبر
سأنفقُ ريعانَ الشبيبةِ آنفــاً ... على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليسَ من الخسران أن لياليــاً ... تمرُّ بلا نفع وتحسب من عمري ؟

ومنه :

إن ابنَ حربٍ ما يحاربُ مهجةً ... إلاّ انتضى من مقلتيهِ سلاحا
يا دهرُ إنكَ أنتَ نابذ ريقــه ... خمراً وغارسُ خدّهِ تفاحا
وغزلتَ من غزَلِ شِباك جفونهِ ... ونصبتَهــا فتقنَّصَتْ أرواحا

---

١ البوازيج : بلد قرب تكريت ، والسن على دجلة فوق تكريت (ياقوت) .
٢ وردت الأبيات (٣ – ٥) في ابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي ، وكذلك هي في معجم الأدباء ٩ : ٨٨ .

١٥٤

رتن الهندي

قال الشيخ علاء الدين علي بن المظفر الكندي ، حدثنا القاضي الأجل العالم جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن إبراهيم الكاتب من لفظه بدمشق بدار السعادة سنة إحدى عشرة[١] وسبعمائة قال ، أخبرنا قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد الحسين الحسيني الأثري الحنفي من لفظه عام إحدى وسبعمائة بالقاهرة ، قال ، أخبرني جدي الحسين بن محمد قال : كنت في زمن الصبا — وأنا ابن سبع عشرة سنة[١] أو ثمان عشرة[١] — قد سافرتُ مع عمي من خراسان إلى بلد الهند في تجارة ، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند ، فعرَّج أهل القَفْل نحو الضَّيعة ونزلوا بها وضج أهل القافلة ، فسألنا عن الخبر فقالوا : هذه ضيعة الشيخ رتّن المعمر ، فلما نزلنا الضيعة رأينا شجرةً عظيمة تُظِل خلقاً كثيراً[٢] ، وتحتها جمع عظيم من أهل الضيعة ، فتبادروا الكل نحو الشجرة ونحن معهم ، فرأينا زنبيلاً عظيماً معلقاً في بعض أغصان الشجرة ، فسألنا عن ذلك فقالوا : هذا الزنبيل فيه الشيخ رتّن الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وما يروى عنه ، فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى الزنبيل ، وكان ببَكرة ، فأنزله وإذا هو مملوء[٣] قطناً ، والشيخ في وسط القطن ، ففتح رأس الزنبيل ، وإذا بالشيخ فيه كالفرخ ، فوضع فمه على أذنه وقال : يا جداه ، هؤلاء قوم قدموا من خراسان ، وفيهم شرفا من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سألوا أن

---

١٥٤ — الاصابة ٢ : ٢٢٥ – ٢٣٢ ولسان الميزان ٢ : ٤٥٠ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٥ .

١ ص : أحد عشر ؛ سبع عشر ؛ ثمان عشر .

٢ ص : خلق كثير .

٣ ص : مملواً .

تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذا قال لك ؛ فعندها تنفّس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ، ونحن نسمع ونفهم كلامه ، فقال : سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة ، فلما بلغنا بعض أودية مكة ، وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل ، فرأيت غلاماً أسمر اللون حسن الكون رائع الجمال وهو يرعى إبلاً في تلك الأودية ، وقد حال السيل بينه وبين إبله ، وهو يخشى من خوض السيل لقوته ، فعلمت حاله فأتيت إليه وحملته وخُضتُ به السيل إلى عند إبله ، فلما وضعته عند إبله نظر إلي وقال لي بالعربية: بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك، بارك الله في عمرك ، فتركته ومضيت إلى سبيلي ، إلى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنا أتينا له من أمر التجارة وعُدنا إلى الوطن ، فلما تطاولت المدّة على ذلك كنا جلوساً في فناء ضيعتنا هذه ، وكانت ليلة البدر ، فنظرنا إليه وقد انشقّ نصفين ، فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب ، ساعة زمانية ، وأظلم الليل ، ثم طلع النصف من المشرق والنصف الآخر من المغرب ، [وسارا] إلى أن التقيا في وسط السماء كما كان أول مرة ، فعجبنا من ذلك غايةَ العجب ، ولم نعرف لذلك سبباً ، وسألنا الركبان عن خبر ذلك ، فأخبرونا أن رجلاً هاشمياً ظهر بمكة ، وادعى أنه رسول الله تعالى إلى كافة الخلق ، وأن أهل مكة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء ، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في الغرب ونصفه في الشرق ثم يعود إلى ما كان عليه ، ففعل ذلك بقدرة الله تعالى ، فلما سمعنا ذلك من السفار اشتقت إلى أن أراه ، فتجهزت في تجارة وسافرت إلى أن دخلتُ مكة، وسألت عن الرجل الموصوف فدلّوني عليه، فأتيت إلى منزله واستأذنت عليه ، فأذن لي فدخلت عليه ، فوجدته جالساً في صدر المنزل ، والأنوار تتلألأ في وجهه ، وقد استنارت محاسنه وتغيرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأولى ، فلم أعرفه ، فلما سلّمت عليه ردّ عليّ السلام وتبسم في وجهي وقال : ادْنُ مني ، وكان بين يديه طبق فيه رُطَب ، وحوله جماعة من أصحابه

كالنجوم يعظمونه ويبجلونه ، فقال : كل من هذا الرطب ، فجلست وأكلت معه من الرطب ، وناولني بيده المباركة ستَّ رُطَبات من سوى ما أكلت بيدي ، ثم نظر إلي وتبسم وقال لي : ألم تعرفني ؟ فقلت : كأني غير أني ما أتحقق ، فقال : ألم تحملني في عام كذا وجاوزت بي السيل حين حال السيل بيني وبين إبلي ؟ قال : فعند ذلك عرفته بالعلامة وقلت : بلى والله يا صبيح الوجه ، فقال : امْدد إلي يدك ، فمددت يدي اليمنى فصافحني وقال لي : قل أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقلت كذلك كما علمني ، فسرَّ بذلك وقال لي عند خروجي من عنده : بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك ، فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالإسلام ، فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة ، وها عمري اليوم نيف وستمائة سنة ، وجميع مَن في هذه الضيعة العظيمة أولاد أولادي وأولادهم ، وفتح الله عليَّ وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وذكر عبد الرحمن القارىء الصوفي أنه توفي في حدود سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

وذكر النجيب عبد الوهاب أنه سمع من الشيخ محمود خادم رتن وأنه بقي إلى سنة تسع وسبعمائة وأنه قدم عليهم شيراز ، وذكر أنه ابن مائة وست [1] وسبعين سنة ، وأنه تأهل ورزق أولاداً [2] .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى : مَن صدّق بهذه الأعجوبة وآمن ببقاء رتن فما لنا فيه طب ، وليعلم أني أولُ من كذّب بذلك ، وهذا شيخ مفترٍ [3] دجّال ، كذب كذبة ضخمة لكي تنصلح خابية الصباغ وأتى بفضيحة كبيرة ، قاتله الله تعالى أنّى يؤفك ؛ وقد أفردت جزءاً فيه أخبار هذا الضال ، وسميته « كسرُ وَثَنِ رَتَن » .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي : هو من أحاديث الطّرقية [4] .

---

١ ص : وستة .   ٢ ص : أولاد .   ٣ ص : معثر .

٤ الطرقية : المشعوذون المحتالون الذين يبيعون الأدوية في الأماكن العامة (ملحق دوزي) .

حَرْفُ الزّايْ

١٥٥
قتيل الريم

زاكي بن كامل بن علي القطيعي ، أبو الفضائل الهيتي ، يلقب بالمهذب ويعرف بأسير الهوى قتيل الريم ؛ كان أديباً فاضلاً ، وكانت وفاته في سنة ست وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله ؛ ومن شعره :

لي مهجةٌ كادتْ بحرّ كلومها ... للناس من فرطِ الجوى تتكلمُ
لم يبقَ منها غيرُ أرسمِ أعظمٍ ... متجردات[1] للهوى تتظلم

ومنه :

عيناك لحظهما أمضى من القَدَرِ ... ومهجتي منهما أضحت على خطرِ
يا أحسنَ الناسِ لولا أنت أبخلهم ... ماذا يضرك لو متّعتَ بالنّظر
جدْ بالخيال وإن ضنّتْ يداك به ... لا تبتلي مقلتي بالدمع والسهر
يا منْ تملّكَ نفسي في محبته[2] ... كم قد حذرت فما وقّيتُ من حذر
زودْ بتَقْبيلةٍ أو وقفةٍ فعسى ... تحيي بها نضوَ أشواق على سَفَرَ

ومنه :

سيدي ما عنكَ لي عوضُ ... طال بي في حبّكَ المرضُ
كمْ بلا ذنبٍ تهـــددني ... فجفوني ليس تغتمض
أبغيرِ الهَجْرِ تَقْتلــني ... لا أُبالي ، هجرُكَ الغرضِ

١٥٥ — الزركشي : ١٢٠ والشذرات ٤ : ١٤٠ ومعجم الأدباء ١١ : ١٥١ .

١ ص والزركشي : متجددات .

٢ ياقوت : يا من تمكن في قلبـي الغرام له .

ورضائي في رضاك فقــلْ   ما تشاءُ لست أعترضُ
أنت لي داء أموتُ بــه   كم أداويــهِ وينتقضُ

١٥٦

أبو عمرو بن العلاء

زبّان بن العلاء بن عمرو بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني المقرىء النحوي ، أحد القراء السبعة ، وقيل اسمه العريان ، وقيل غير ذلك .

اختلف في اسمه على عشرين [١] قولاً : الزبـان ، العريان ، يحيى ، محبوب ، جنيد، عيينة ، عتيبة ، عثمان ، غنار ، جبر ، خير ، جزء، حميد ، حماد ، عقبة، عمار ، فايد ، محمد ، أبو عمرو ، قبيصة ، والصحيح زبان – بالزاي – .

قرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد وقيل على أبي العالية الرياحي وعلى جماعة سواهم ، وكان لجلالته لا يسأل عن اسمه ، وكان نقش خاتمه :

وإنّ امرءاً دنياهُ أكبرُ همه   لمستمسك منها بحبل غـُرورِ

ولا يروى له من الشعر إلاّ قوله [٢] :

وأنكرَتْني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلاّ الشّيبَ والصّلعا

---

١٥٦ – طبقات الزبيدي : ٢٨ ، ١٧٦ والمعارف : ٥٣١ ، ٥٤٠ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٢ ومراتب النحويين : ١٣ ونور القبس : ٢٥ ونزهة الألباء : ١٥ ومعجم الأدباء : ١١ ١٥٦ وابن خلكان ٣ : ٤٦٦ وغاية النهاية ١ : ٢٨٨ وعبر الذهبي ١ : ٢٢٣ والشذرات ١ : ٢٣٧ وبغية الوعاة : ٣٦٧ وورود ترجمته في ابن خلكان يجعل هذه الترجمة خارجة عن باب المستدرك .

١ ياقوت : أحد وعشرين .

٢ هذا مما زاده في شعر الأعشى .

وحدث عن أنس بن مالك وأبي صالح السمان وعطاء بن أبي رباح وطائفة سواهم ، وكان رأساً في العلم في أيام الحسن البصري .

قال أبو عبيدة : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ، ثم تَنَسَّكَ فأحرقها ، وكان من أشراف العرب ووجوهها ، مدحه الفرزدق وغيره .

وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ليس به بأس .

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي : أبو عمرو قليل الرواية للحديث ، وهو صدوق حجة في القراءة ، وقد استوفيت أخباره في « طبقات القراء » ، انتهى .

قال الأصمعي : كان لأبي عمرو كل يوم فَلْسان : فلس يشتري به ريحاناً وفلس يشتري به كوزاً ، فيشم الريحان يومه ويشرب من الكوز يومه ، فإذا أمسى تصدّق بالكوز ، وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه في الأشنان ، ثم يستجدُّ غير ذلك .

وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

١٥٧
زياد الأعجم

أبو أمامة زياد الأعجم ، مولى عبد القيس ، ولقب الأعجم لعجمة كانت في لسانه ، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص ، وشهد معهما فتح اصطخر وحدّث عنهما ، ووفد على هشام وشهد وفاته بالرصافة . وعدّه ابن

١٥٧ ــ الأغاني ١٥ : ٣٠٧ والشعر والشعراء : ٣٤٣ ومعجم الأدباء ١١ : ١٦٨ والمؤتلف : ١٣١ والخزانة ٤ : ١٩٢ والكامل ٢ : ٢٢٦ ، وانظر معاهد التنصيص ٢ : ١٧٣ وقد أخلت المطبوعة بمعظم هذه الترجمة .

سلاّم في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام ، وطال عمره ، ودخل على عبد الله ابن جعفر يسأله في خمس دِياتٍ ، فأعطاه ، ثم عاد فسأله في عشر ديات فأعطاه ، فقال :

سألناهُ الجزيلَ فما تلكّا ... وأعطى فوقَ منيتنا وزادا
وأحسنَ ثمّ أحسن ثمّ عدنا ... فأحسن ثمّ عدتُ له فعادا
مراراً ما أعودُ إليهِ إلاّ ... تبسمَ ضاحكاً وثنى الوسادا

وكان المغيرة بن المهلب أبرع ولده وأوفاهم وأعفّهم وأسخاهم، فلما مات رثاه زياد[1] الأعجم بقصيدته التي يقول فيها[2] :

مات المغيرةُ بعد طولِ تعرّضٍ ... للموت بين أسنّةٍ وصفائحِ
إن السماحةَ والمروءةَ ضُمّنا ... قبراً بمروَ على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعْقرْ بــهِ ... كومَ الهجان وكل طِرْفٍ سابح
وانضحْ جوانب قَبرهِ بدمائه ... فلقد يكون أخــا دمٍ وذبائح

قال محمد بن عباد المهلبي ، قال لي المأمون : أي قصيدة أرق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، قال : قصيدة زيادِ الأعجم التي قالها في المغيرة بن المهلب ؛ ثم قال : أتحفظها ؟ فقلت : نعم ، فقال : خذها عليَّ ، فأنشدنيها حتى أتى على آخرها وترك منها بيتاً ، قلت : يا أمير المؤمنين تركت منها بيتاً ، قال : وما هو ؟ قلت :

هلاّ أتتهُ وفوقــهُ بزاتــــه ... يغشى الأسنّةَ فوق نهدٍ قارح

فقال : هاه هاه ، يتهدد المنية ، ألا أتته ذلك الوقت ، هذا أجود بيت فيها ،

---

١ ص : زيادة .
٢ راجع هذه القصيدة في ذيل الأمالي : ٨ وانظر كذلك ترجمة زياد في الأغاني ، وفي أمالي اليزيدي : ١ – ٧ وابن العديم ٨ : ٣٨ وابنْ خلكان ٥ : ٣٥٤ .

ثم استعاده حتى حفظه .

وكان يلبس قباء ديباج [تشبهاً] بالعجم فأنكر ذلك عليه المغيرة بن المهلب ومزّق عليه ثيابه ، فقال زياد[1] :

لعمرك ما الديباج مزقتَ وحده ولكنّما مزّقتَ جلدَ المهلبِ

ومن شعره :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادتُهُ أو نقصُهُ في التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلمْ تبقَ إلاّ صورة اللّحم والدمِ

وكانت وفاته في حدود المائة للهجرة النبوية ، رحمه الله تعالى .

١٥٨

زياد بن أبيه

زياد ابن أبيه ، واسم أبيه عبيد ، وادعاه معاوية أنه أخوه والتحق به فعرف زياد بن أبي سفيان ، واستشهد معاوية بجماعة فشهدوا على إقرار أبي سفيان بذلك . وكانت أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي ، فزوجها الحارث غلاماً له رومياً اسمه عبيد ، وجاء أبو سفيان إلى الطائف في الجاهلية فوقع على سمية ، فولدت له زياداً[2] على فراش عبيد ، وأقرّ أبو سفيان أنه من نطفته ، فلهذا قيل

---

١ انظر ابن خلكان ٥ : ٣٥٦ .

١٥٨ – أخباره في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي ، والعقد لابن عبد ربه ، وتاريخ اليعقوبي وابن خلدون ، وانظر ابن خلكان ٦ : ٣٥٦ والكتب الأدبية كالأغاني والكامل والبيان والتبيين . . . الخ . ولم ترد هذه الترجمة في ا[illegible] .

٢ ص : زياد .

ما قيل . ويقال له زياد بن أبيه لما وقع في أبيه من الشك ، ويقال له أيضاً زياد بن سمية ، ويكنى أبا المغيرة ؛ ولد هو والمختار سنة إحدى من الهجرة فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وأسلم في عهد أبي بكر ، وسمع عمر بن الخطاب ، واستكتبه أبو موسى الأشعري في إمرته على البصرة ، وكتب لعبد الله بن عامر ولابن عباس وللمغيرة بن شعبة ، وولاه معاوية المصرين وهو أول من وليهما جميعاً. وقدم دمشق ، وروى عنه ابن سيرين والشعبي وأبو عثمان النهدي وغيرهم ، وأبو بكرة أخوه لأمه .

وكان زياد أولاً من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان عامله على فارس ، ثم إنه بعد موت علي صالح معاوية ، وادعاه وصار من شيعته ، واشتد على شيعة علي ، وهو الذي أشار على معاوية بقتل حجر بن عدي وأصحابه ، وأغلظ للحسن ابن علي رضي الله عنهما في كتاب كتبه له ، فردّ عليه معاوية أقبح ردّ .

وكان قتّالاً سفّاكاً للدماء من جنس ابنه والحجاج ، ولكنه كان خطيباً فصيحاً . وبعثه أبو موسى رسولاً ، ففتشه عمر فرآه عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه ، وسأله ما صنعت بأول عطائك ؟ فأخبر أنه اشترى به أمّه فأعتقها ، فسرّ عمر منه بذلك . وتكلّم عند عمر بوصف فتح جلولاء فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ، ثم ردّه إلى أبي موسى ووصّاه به .

ولم يشهد الجمل واعتذر من شكوى كانت به .

وكان يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة ؛ وقال الأصمعي : مكث زياد على العراق تسع سنين ما وضع لبنة على لبنة .

وهو أول من جلس على المنبر في العيدين وأذن فيهما ، وأول من أحدث الفتح على الإمام .

وعن أبي مليكة قال : كنت أطوف مع الحسن بن علي ، فقيل له : قتل زياد ، فساءه ذلك ، فقلت : وما يسوءك ؟ قال : القتل كفارة لكل مؤمن .

وبلغ ابن عمر أن زياداً[1] كتب إلى معاوية : إني قد ضبطت العراق بشمالي ، ويميني فارغة ، يسأله أن يوليه الحجاز واليمامة والبحرين ، فكره ابن عمر أن يكون في ولايته فقال : اللهم إنك تجعل القتل كفارة لمن شئت من خلقك ، فموتاً لابن سمية لا قتلاً ، قال : فخرج في إبهامه طاعونة ، فما أتت عليه جمعة حتى مات سنة ثلاث وخمسين ، وبلغ ابن عمر موته فقال : إليك يا ابن سمية ، لا الدنيا بقيت[2] عليك ولا الآخرة أدركت .

وهو معدود من دهاة العرب ؛ قال ابن حزم في « الفصل » : وقد امتنع زياد — وهو فقعة القاع لا عشيرة له ولا نسب ولا سابقة ولا قدم — فما أطاقه معاوية إلاّ بالمداراة حتّى أرضاه وولاّه .

١٥٩

زيادة الله بن الأغلب

زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الأغلب أبو منصور ابن أبي العباس التميمي صاحب القيروان ، وكان أبوه وجده ومحمد أخو جده وجد أبيه كلهم قد ولي افريقية ، وكان هذا قد دخل في طاعة المكتفي ، وأهدى إليه هدايا من جملتها عشرة آلاف درهم ، في كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار في كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدرهم في أحد[3] وجهيه :

١ ص : زياد .

٢ ص : بقت .

١٥٩ — بغية الطلب ٨ : ٢٦ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٩٥ والحلة السيراء ١ : ١٧٥ وابن خلكان ٢ : ١٩٣ والبيان المغرب ١ : ١٣٤ — ١٤٩ وصفحات متفرقة من رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان وأعمال الاعلام ٣ : ٣٧ . وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

٣ ص : إحدى .

يا سائراً نحو الخليفة قل له ... ها قد كفاك الله أمرك كُلّهُ
بزيادة الله بن عبد الله سيف[1] ... الله من دونِ الخليفةِ سلّهُ

وعلى الجانب الآخر :

ما ينبري[2] لك بالشقاق مخالفٌ ... إلاّ استَباحَ حريمَهُ وأذلّه
من لا يرَى لكَ طاعةً فاللهُ قد ... أعماه عن طرقِ الهدى وأضَلّه

قال الصولي : وابن الأغلب هذا من ولد الأغلب بن عمرو المازني ، وكان من أهل البصرة ، ولاه الرشيد الغرب بعد أن مات ادريس بن عبد الله بن حسن ، فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلفه ابنه ثم أولاده ، إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا ، وذكر انه أقام بمصر شهوراً ثم توفي .

قال الحافظ ابن عساكر : بلغني انه توفي بالرملة في جمادى الأولى سنة أربع وثلثمائة . ودفن بالرملة فساخ به قبره فسقف عليه وتركه مكانه . وكان له غلام يدعى خطاباً فسخط عليه وقيّده بقيد ذهب ، فدخل عليه صاحبه على البريد عبد الله بن الصايغ ، فلما رأى الغلام مقيداً تأخر وعمل بيتين ، وكتب بهما إلى زيادة الله وهما :

يا أيها الملك الميمون طـائره ... رفقاً فان يدَ المعشوقِ فوق يدك
كم ذا التجلّد والأحشاء راجفـة ... أعيذ[3] قلبك أن يسطو على كبدك

فأطلق الغلام ورضي عنه ، وأعطى عبد الله بن الصايغ القيد .

ولزيادة الله هذا أخبار حسان في الجود ، ولكنه أكثر من شرب الخمر والمجون والفساد ، واتخذ ندامى يتصافعون قدامه ويتخذون مثانات الغنم منفوخة

---

١ ص : بن سيف .
٢ ص : ينبغي ، والتصويب عن الحلة السيراء .
٣ ص : أعيذك .

تحت البسط ، فإذا دخل عليه الرجل الجليل وجلس قدامه انشقت ، ويظهر لها صوت[1] فيخجل الرجل ويضحك أصحابه ، ففسدت حاله واختل ملكه ومال الناس إلى السعي عليه ، وآل أمره إلى أن أجلي عن مدينة رقادة ، وانقرضت دولة بني الأغلب على يده ، وكان لها مائة سنة واثنتا عشرة[2] سنة ، وهرب من مدينة رقادة في شهر رجب سنة ست وتسعين ومائتين .

١٦٠

زيد بن زين العابدين

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسين الهاشمي ؛ روى عن أبيه وأخيه محمد بن علي وأبان بن عثمان، وروى عنه جعفر الصادق والزهري وشعبة وغيرهم ، ووفد على هشام بن عبد الملك ، فرأى منه جَفوة ، فكانت سبب خروجه وطلبه الخلافة ، وسار إلى الكوفة فقام إليه منها شيعة ، فظفر به يوسف بن عمر الثقفي فقتله وصلبه وحرّقه ، وعدّه ابنُ سعدٍ في الطبقة الثالثة .

وعن حذيفة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم نظر إلى زيدِ بن حارثة وبكى وقال : « إن المظلوم من أهل بيتي سمي هذا ، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سميّ هذا » .

---

١ ص : صوتاً .

٢ ص : واثني عشر .

١٦٠ – أخباره في المصادر التاريخية كتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير ومروج الذهب وتاريخ اليعقوبي وتاريخ ابن خلدون والأخبار الطوال للدينوري وفتوح ابن أعثم . . . الخ ؛ وانظر طبقات المعتزلة : ١٧ وابن خلكان ٥ : ١٢٢ ، ٦ : ١١٠ وتهذيب التهذيب ٣ : ٤١٩ والحور العين : ١٨٨ والشهرستاني ١ : ١٣٨ . والفرق بين الفرق : ٣٠ – ٣٧ ومختصره : ٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ١٥ .

وذكره جعفر الصادق يوماً فقال : يرحم الله عمي ، كان والله سيداً ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله .

وسأل زيد بن عليبعضُ أصحابه عن قوله تعالى ﴿ والسّابقون السّابقون . أولئك المقرّبون ﴾ (الواقعة : ١٠) قال : أبو بكر وعمر ، ثم قال : لا أنالني الله شفاعة جدّي إن لم أُوالهما . وقال : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمتُ مثل ما حكم به أبو بكر في فدك .

وقال أيضاً : الرافضة حربي وحربُ أبي في الدنيا والآخرة .

وسئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية فقال : أما الرافضة فأول ما ترفّضَت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج وقالوا له : تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك ، قال : بل أتولاّهما ، قالوا : إذن نرفضُكَ ، فسميت الرافضة. والزيدية قالوا : نتولاهما ونتبرأ ممّن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسميت الزيدية.

وقال الزبير بن بكار ، حدثني عبدُ الرحمن ابن عبد الله الزهري قال : دخل زيد بن علي مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم في يوم حارّ من باب السوق ، فرأى سعد بن إبراهيم في جماعة من القرشيين قد حانَ قيامُهم فقاموا ، فأشار إليهم وقال : يا قوم ، أنتم أضعف من أهل الحرّة ؟ قالوا : لا ، قال : وأنا أشهد أن يزيد ليس شراً من هشام[1] ، فمالكم ؟ فقال سعد لأصحابه : مدة هذا قصيرة، فلم يلبث أن خرج فقتل .

وقال الوليد بن محمد : كنا على باب الزهري ، فسمع جَلَبة فقال : ما هذا يا وليد ؟ فنظرت فإذا رأس زيد بن علي يُطاف به ، فأخبرته فبكى ثم قال : أهْلَكَ أهلَ هذا البيت العجَلةُ .

وصلبوه بالكناسة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وله أربع وأربعون سنة ، ثم أحرقوه بالنار ، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين ثم أنزل بعد أربع سنين .

---

١ ص : هاشم .

وقيل كانوا يوجهون[1] وجهه إلى ناحية العراق ، فيصبح وقد دار إلى القبلة ، مراواً . ونسجت العنكبوت على عورته ، وكان قد صلب عُرياناً .

وقال الموكل بخشبته : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقف على الخشبة وقال : « هكذا يصنعون بولدي من بعدي ؟ يا بني ، يا زيد ، قتلوك قتلهم الله ، صلبوك صلبهم الله » ، فخرج هذا في الناس ، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام : أن عَجّل إلى العراق فقد فتنوا ، فكتب إليه هشام : أن أحرقه بالنار .

قال جرير بن حازم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى خشبة زيد بن علي وهو يبكي ، ويقول : هكذا يفعلون بولدي . ذكر هذا كله الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

وقال ابن أبي الدم في « الفرق الإسلامية » : الزيدية أصحاب زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان زيد قد آثر تحصيل علم الأصول ، فتتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، فقرأ عليه واقتبس منه علم الاعتزال ، وصار زيد وجميعُ أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد ، وكان أخوه محمد الباقر يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتتلمذ له واقتبس منه ، مع كونه يجوّز الخطأ على جدّه علي بن أبي طالب بسبب خروجه إلى حرب الجمل والنّهروان ، ولأن واصلاً[2] كان يتكلم في القضاء والقدر على خلاف مذهب أهل البيت .

وكان زيد يقول : علي أفضل من أبي بكر الصديق ومن بقية الصحابة ، إلا أن أبا بكر فوّضت إليه الخلافة لمصلحة رآها الصحابة وقاعدة دينية راعوها من تسكين الفتنة وتطييب قلوب الرعية ، وكان يجوز إمامة المفضول مع قيام الأفضل للمصلحة .

فلما قتل زيد في خلافة هشام قام بالأمر بعده ولده يحيى ومضى إلى

١ ص : يوجهوا .

٢ ص : واصل .

خراسان ، فاجتمع بها عليه خلق كثير وبايعوه ، ووعدوه بالقيام معه ومقابلة [1] أعدائه، وبذلوا له الطاعة، فبلغ ذلك جعفر بن محمد الصادق فكتب إليه ينهاه عن ذلك، وعرفه أنه مقتول كما قُتل أبوه، وكان كما أخبر الصادق، فإن أمير خراسان قتله بجوزجان .

ثم تفرقت الزيدية ثلاث فرق : جارودية وسليمانية وبترية ، أما الجارودية فأصحاب أبي الجارود ، وكان من أصحاب زيد بن علي ، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على علي بن أبي طالب بالنص دون التسمية ، وأن الناس كفروا بنصب أبي بكر إماماً ، ثم ساقوا الإمامة بعد علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين ثم إلى زيد بن علي .

وأما السليمانية فيأتي ذكرهم في ترجمة سليمان بن جرير .

وأما البترية فيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى في ترجمة كثير الأبتر .

ومن شعر زيد :

ومن فَضَّلَ الأقوامَ يوماً برأيه ... فإنّ علياً فَضَّلَتْهُ المناقبُ
وقولُ رسول الله والحقُّ قوله ... وإن رغمتْ منه الأنوفُ الكواذب
بأنّك منّي يا علي معالناً ... كهارون من موسى أخٌ لي وصاحب
دعاهُ ببَدْرٍ فاستَجاب لأمْرِهِ ... فبادر في ذات الإلهِ يضارب

---

١ كذا في ص ، ولعلها : ومقاتلة .

حرف السين

١٦١
أبو العباس الشاعر الأعمى

السائب أبو العباس الأعمى الشاعر المكي ، وهو والد العلاء ، سمع عبد الله بن عمر ، وأخذ عنه عطاء وعمرو بن دينار وحبيب بن أبي ثابت ، وثقه أحمد ، وروى له الجماعة ، وتوفي في حدود المائة .

قال المرزباني في معجمه في حقه : هو ابن فروخ مولى لبني حذيفة بن عدي ، وكان هجّاء خبيثاً فاسقاً مبغضاً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، مائلاً إلى بني أمية مدّاحاً لهم ، وهو القائل لأبي طفيل عامر بن واثلة وكان شيعيّاً :

لعمرك إنني وأبا طفيل ... لمختلفان واللهُ الشهيدُ
لقد ضلوا ببغض أبي تراب ... كما ضلّت عن الحقّ اليهودُ

وقال مسلم بن الوليد ، سمعت يزيد بن مزيد يقول ، سمعت هارون الرشيد يقول ، سمعت المهدي يقول ، سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام في أيام مروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده فقال : إني أريد مروان بشعر أمتدحه به ، فاستنشدته إياه فأنشدني :

ليت شعري أفاح رائحة المسـ ... ـك وما إن إخال بالخيف إنسي
حين غابت بنو أميةَ عنــهُ ... والبهاليلُ من بني عبد شمس
خطباء على المنابرِ فرســا ... ن عليها وقالةٌ غيرُ خُرْس
لا يعابون صامتين وإن قــا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

---

١٦١ – الأغاني ١٦ : ٢٢٨ ، والزركشي : ١٢٠ ومعجم الأدباء ١١ : ١٧٩ ونكت الهميان : ١٥٣ ، وقد أخلت المطبوعة بمعظم هذه الترجمة .

بحلومٍ إذا الحلوم استخفّت ووجوهٍ مثل الدنانير ملس

قال المنصور : فوالله ما فرغ من إنشاده حتّى توهمت أن العمى أدركني ؛ وافترقنا ، فلما أفضت إليّ الخلافة خرجت حاجّاً ، فنزلت أمشي بجبلي زرود ، فبصرت بالأعمى ففرقت من كان حولي ثم دنوت منه وقلت : أتعرفني ؟ فقال : لا ، فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان ، فقال : أوه :

آمَتْ نساء بَني أُميّةَ منهمُ وبنـاتهم بمضيعةٍ أيتامُ
نامت جدودهمُ وأسقط نجمهم والنجم يسقطُ والجدود تنَام
خلتِ المنابرُ والأسرةُ منهمُ فعليهمُ حتّى المماتِ سلام

فقلت : ما كان مروان أعطاك ، بأبي أنت ؟ فقال : أغناني أن أسأل أحداً بعده ، فهممت بقتله ، فذكرت الاسترسال والصحبة فأمسكت ، وغاب عن عيني ، ثم بدا لي فأمرت بطلبه ، فكأنما الأرض ابتلعته .

١٦٢

[عبد بني الحسحاس]

سحيم عبد بني الحسحاس ابن هند بن سفيان بن نوفل بن عصاب بن كعب بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن مروان بن أسد بن خزيمة ، يكنى أبا عبد الله . وهو زنجي أسود فصيح ، توفي في حدود الأربعين للهجرة ، وهو القائل [١] :

١٦٢ – الأغاني ٢٢ : ٣٢٦ والاصابة ٣ : ١٦٣ والشعر والشعراء : ٣٢٠ وطبقات ابن سلام : ١٥٦ والسمط : ٧٢٠ وأسماء المغتالين : ٢٧٢ والخزانة ١ : ٢٧١ وشرح شواهد المغني : ١١٢ والزركشي : ١٢١ ، وقد نشر ديوانه بتحقيق الميمني (القاهرة : ١٩٥٠) .

١ ديوانه : ٥٥ .

أشعار عبد بني الحسحاس قُمْنَ له عند الفخار مقامَ الأصلِ والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرة كرماً أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ

عن ابن سلام قال : أتي عثمان بن عفان رضي الله عنه بسُحيم فأعجب به ، فقيل له : إنه شاعر ، وأرادوا يرغبوه فيه فقال : لا حاجة لي به ، إن[1] الشاعر لا حريم له ، إن شَبِع شَبّب بنساء أهله وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيره ، فلما رحل به قال في طريقه، وكان الذي اشتراه رجلاً[2] من نجد والذي باعه مالك الحسحاسي[3] :

وما كان ظني مالكي أن يبيعني بمال ولو أضحتْ أناملهُ صِفرا[4]
أشوقاً ولم تمضِ[5] لنا غير ليلةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشرا
أخوكم ومولى ما لكم وربيبكم ومن قد ربي معكم[6] وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره رقّوا له واشتروه ، فأخذ حينئذ يُشبّبُ بنسائهم ويذكر أخت مولاه ، فمن قوله فيها وكانت مريضة[7] :

ماذا يريدُ السّقامُ من قمَرٍ كلُّ جَمالٍ لوجههِ تَبَعُ
ما يرتجي — خاب — من محاسنها أمـا له في القِباح متّسع
غيّر من لونها وصفرتها فارتدَّ فيهِ الجمالُ والبدع
لو كان يبغي الفداء قلتُ لـهُ ها أنا دونَ الحبيب يا وجع

وعن المدائني قال : كان سُحيم يسمى حَيّة ، وكانت لسيده بنت بكر ،

١ ص : اذن . ٢ ص : رجل .
٣ ديوانه : ٥٦ .
٤ الديوان : وما خفت سلاماً على أن يبيعني بشيء . . .
٥ ص : يمضي تنا .
٦ الديوان : أخوكم ومولى خيركم وحليفكم ، ومن قد ثوى فيكم . . .
٧ ديوانه : ٥٤ .

فأعجبه جمالها وأعجبته ، فأمرته أن يتمارض ففعل ، وعصب رأسه ، فقالت للشيخ : اسرح أيها الشيخ بإبلك لا تَكِلْها إلى العبد، فكان فيها أياماً، ويجتمعان، ثم إن سيده قال له : كيف أنت ؟ قال : صالح ، قال : فاخرج [1] في إبلك العشية، فراح فيها ، فقالت الجارية لأبيها : ما أحسبك إلاّ قد ضيعت إبلك إذ وكلتها إلى حية ! فخرج في آثار إبله ، فوجده مستلقياً على قفاه في ظل شجرة ، وهو يقول [2] :

يا رُبَّ شجوٍ لك في الحاضرِ تذكرها وأنت في الصادرِ
من كلِّ بيضاء لها كعثبٌ [3] مثلُ سنامِ البكرة المائرِ

فقال الشيخ : إن لهذا شأناً ، وانصرف فقال لقومه : اعلموا أن هذا قد فضحكم ، وأنشدهم شعره فقالوا : اقتله فنحن طَوْعك ، فلما جاء وثَبُوا عليه فقالوا له : قلت وفعلت ، فقال لهم : يا أهل الماء والله ما فيكم امرأة إلاّ أصبتها إلاّ فلانة فإني على موعد منها ، فلما قدّموه ليقتل قال [4] :

شدّوا وثاقَ العبد لا يفلتكمُ إنّ الحياةَ من الممات قريبُ
فلقد تحدّر من جبين فتاتكم عَرَقٌ على جنبِ الفراشِ وطيبُ

فقتلوه . وكان سحيم في لسانه عجمة .

---

١ ص : صالحاً . . . فخرج .
٢ الديوان : ٣٤ .
٣ ص : كثعب .
٤ الديوان : ٦٠ .

١٦٣

الظاهر الجزري

سداد بن إبراهيم ، أبو النجيب الجزري الملقب بالظاهر ؛ شاعر مدح المهلبي وزير معز الدولة ومدح عضد الدولة ، وكانت وفاته في حدود الأربعمائة . روى عنه علي بن المحسن التنوخي .

قال محب الدين ابن النجار : رأيت اسمه بالسين بخط أبي الحسين هلال ابن المحسن ابن الصابي ، وأورد له :

قلتُ للقلبِ ما دهاك أبِنْ لي ... قال لي بائع الفراني فراني
ناظراهُ فيما جَنَتْ ناظراهُ ... أو دعاني أمت بما أو دعاني

وأورد له :

أفسدتُمُ نظري عليّ فما أرى ... مذ غبتمُ حسناً إلى أن تَقدموا
فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى ... عينُ الرّضى والسخط أحسن منكم

وأورد له :

أرى جيلَ التصوّفِ شرَّ جيلِ ... فقلْ لهمُ وأهْوِنْ بالحلولِ
أقالَ الله حين عشقْتُموهُ ... كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لي

---

١٦٣ – هو بالظاء المعجمة « الظاهر » كما ورد بخط المؤلف من قبل (انظر الترجمة رقم ١٢٧ في الجزء الأول) ولكنه كتبه هنا بالطاء المهملة ؛ وقد ورد بالمعجمة بخط ابن العديم (بغية الطلب ٨ : ٢٢١) وضبطه ابن ماكولا كذلك (الاكمال ٥ : ٤٢٠) ، ولكنه ورد بالمهملة عند ابن خلكان (٥ : ٢٦٥) وتتمة اليتيمة ١ : ٤٦ ودمية القصر ١ : ١٢٦ ، وقال ابن العديم اسمه سداد بن إبراهيم ، وقيل أبو السداد ، وقيل في اسمه شداد ، وكذلك ضبطه السلفي ، وورد بالشين المعجمة في معجم الأدباء ١١ : ٢٧٠ (وانظر ملحقات وفيات الاعيان ٧ : ٣٤١) .

١٦٤
ابن الدجاجي الواعظ

سعد الله بن نصر بن سعيد بن أبي علي ابن الدجاجي ، أبو الحسن الواعظ ؛ قرأ بالروايات على محمد بن أحمد الخياط وأبي الخطاب علي بن عبد الرحمن ابن الجراح ، وقرأ « الفقه » لأحمد بن حنبل على أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني وبرع فيه ، وكان من أعيان الفقهاء الفضلاء وشيوخ الوعاظ النبلاء[١] وكان يخالط الصوفية ويحضر معهم السّماعات . وتوفي سنة أربع وستين وخمسمائة ، رحمه الله ؛ ومن شعره :

ملكتمُ مهجتي بيعاً ومقدرةً   فأنتم اليوم أغلالي وأغلى لي
علوت فخراً ولكني ضنيت هوًى   فحبكم هو اعلالي وأعلى لي
أوصى ليَ البينُ أن أشقى بحبكمُ   فقطّع البين أوصالي وأوصى لي

ومن شعره :

لي لذة في ذلّتي وخضوعي   وأحبُّ بين يديكَ سفكَ دموعي
وتضرعي في رأي عينك راحة   لي من جوًى قد كنَّ بين ضلوعي
ما الذل للمحبوب في شرع الهوى   عار ولا جور الهوى ببديع
هبني أسأتُ فأين عفوك سيدي   عمّن رجاكَ لقلبهِ الموجوع
جد بالرضى من عطف لطفك واغنه   بجمال وجهكَ عن سؤال شفيع

---

١٥٤ - الزركشي : ١٢١ والشذرات ٤ : ٢١٢ .

١ قرأ بالروايات . . . الوعاظ النبلاء : لم يرد في المطبوعة .

١٦٥

[سعد الدين الفارقي]

سعد الله بن مروان بن عبد الله بن خير ، الصدر الأديب سعد الدين الفارقي الموقّع ؛ كان بليغاً منشئاً شاعراً محسناً ، سمع من ابن كريمة وابن رواحة وابن خليل وجماعة ، وحدّث بمصر ودمشق ، وبها توفي كهلاً في سنة إحدى وتسعين وستمائة ، ودفن في سفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . ومن شعره :

قفْ بي على نجد فإن قبضَ الهوى — روحي فطالبْ خدّ ليلى بالدمِ
وإذا دجا ليلُ الوصالِ فنـاده — يا كافراً حلّلتَ قتلَ المسلمِ

ومنه :

تاه على عشّاقه واستطالْ — مذ قصر الحسن عليه وطالْ
كأنّ شمسَ[1] حُسنهِ أشرقت — فليتَهـا ما أشرفت للزوال
قد فصّلَ الشّعْرُ على خدّه — ثوبَ حدادٍ حين مات الجمال

ومنه أيضاً :

يقولون قد وافى البشيرُ بقربهم — فعفّرتُ خدي في ثرى الأرض لاثما
فلا أخّروا عن منزل فخره بهِ — ولا قدموا إلاّ على السّعْدِ قادما

وكتب إلى ولده عز الدين من طريق الحجاز :

من بعد بعدكَ يا محمّد شاقنَي — برْقٌ إلى أسرار وجهك ساقني
وحياةِ وجهك ما تجلى في الدجى — قَمرٌ حكى معناكَ إلاّ شاقني

---

١٦٥ – الزركشي : ١٢١ وعبر الذهبي ٥ : ٣٧٢ والشذرات ٥ : ٤١٨ .

١ ص : سما .

كلا ولا سامرتُ ذكرك في الدجى   إلاّ طربتُ بظاهري وبباطني
لو كنتُ أحسب أنّ بينك صانع   بي ما وجدتُ لمّا تحرك ساكني
فعليك مني ما حييتَ تحيــــةٌ   تلهي المقيمَ بطيبِ ذكر الظاعن

وكتب إلى الصاحب بهاء الدين بن حنا :

يمّمْ عَلِيّاً فهو بحر النّدى   وناده في المضلع المعضلِ
فرِفْدُه مُجْدٍ على مجدبٍ   ووفدهُ مفضٍ إلى مفضِلِ

١٦٦

سعدون المجنون

سعدون المجنون ؛ يقال إن اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون ، من أهل البصرة ؛ كان من عقلاء المجانين وحكمائهم ، له أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن ، وطوّف البلاد ، ودُوّنت أخباره .

استقدمه المتوكل وسمع كلامه ، وكان من المحبين لله عز وجل ، صام ستين سنة فجفّ دماغُهُ ، فسماه الناس مجنوناً .

قال عطاء السلمي : احتبس علينا القَطر بالبصرة فخرجنا نستسقي ، وإذا بسعدون المجنون ، فلما أبصرني قال : يا عطاء إلى أين ؟ قلت : خرجنا نستسقي ، قال : بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية ؟ قلت : بقلوب سماوية ، قال : لا تبهْرِج فإن الناقد بصير ، قلت : ما هو إلاّ ما حكيت لك ، فاستسق لنا ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : أقسمت عليك إلاّ سقيتنا الغيث ، ثم أنشأ يقول :

أيا من كلما نودي أجابـا   ومن بجلاله ينشي السحابا

١٦٦ – طبقات الشعراني ١ : ٧٩ (ط . بولاق) .

ويا من كلّم الصديقَ موسى كلاماً ثمّ ألهمه الصوابا
ويا من ردّ يوسف بعد ضرٍّ على من كان ينتحب انتحابا
ويا من خصّ أحمد واصطفاه وأعطاهُ الرسالةَ والكتابا

اسقنا ؛ فأرسلت السماء شآبيب كأفواه القرب ، فقلت : زدني ، قال : ليس ذا الكيل من ذا البيدر ، ثم أنشأ يقول[1] :

سبحان مَن لم يزل له حججٌ قـامَتْ على خلقهِ بمعرفته
قـد علموا أنـهُ مليكهمُ يعجز وصف الأنام عن صفته

وقال عطاء : رأيت سعدون المجنون ذات يوم يتفلّى[2] في الشمس ، فانكشفت عورته ، فقلت له : استرها يا أخا الجهل ، فقال : من لك مثلها فاستر . ثمّ مرّ بي يوماً وأنا آكل رمّاناً في السوق ، فحرّك أذني وقال[3] :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويَعْمى عن العيب الذي هو فيه
وما خيرُ من تخفى عليه عيوبه ويبدو [له] العيب الذي لأخيه
وكيف أرى عيباً وعيبيَ ظاهر وما يعرف السوءات غيرُ سفيه

وقال عبد الله بن سويد : رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب :

يا خاطبَ الدنيـا إلى نفسه إن لها في كلّ يوم خليلْ
ما أقبحَ الدنيا بخُطّـابها تقتلهم عَمداً قتيلاً[4] قتيل
تستنكح البعل وقد وطّنَتْ في موضعٍ آخرَ منه البديل

---

١ من أول الابيات البائية حتّى هذا الموضع سقط من المطبوعة .
٢ ص : يتقلى .
٣ ورد البيتان الأولان في الاشارات الالهية للتوحيدي : ٣٨٤ (دون نسبة) .
٤ ص : قتيل .

إني لمغترٌّ وإن البـلى يعمل في نفسي قليلاً قليل
تزودوا للموت زاداً فقد نادى مناديه الرحيلَ الرحيل

وقال الفتح بن سالم : كان سعدون سيّاحاً لهجاً بالقول ، فرأيته يوماً بالفسطاط قائماً على حلقة ذي النون المصري وهو يقول : يا ذا النون ، متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً ؟ فقال ذو النون : إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يرَ في الضمير إلاّ الخبير ، قال : فصرخ سعدون ، ثم خر مغشياً عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال : أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : يا أبا الفيض ، إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذنب ، قال : نعم ، تلك قلوب تُثاب قبل أن تُطيع ، أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين .

وكانت وفاة سعدون بعد الخمسين والمائتين ، رحمه الله تعالى .

١٦٧
ابن مكي النيلي المؤدب

سعيد بن أحمد بن مكي النيلي المؤدب ؛ له شعر ، وأكثره مديح في أهل البيت ، رضي الله عنهم . قال العماد الكاتب : كان غالياً في التشيع ، حالياً بالتورع ، عالماً بالأدب ، معلماً في المكتب ، مقدماً في التعصب ، ثم أسنّ حتى جاوز حد الهرم ، وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم ، وأناف على التسعين ، وآخر

١٦٧ – الزركشي : ١٢٢ ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٠ وفيه (سعد) . والشذرات ٤ : ٣٠٩ والخريدة ١/٤ : ٢٠٣ .

عهدي به في درب صالح ببغداد سنة اثنتين وتسعين[1] وخمسمائة ؛ ومن شعره :

قمر أقام قيامتي بقَوامــهِ ... لم لا يجودُ لمهجتي بذِمامــه
ملّكته كبدي فأتلف مهجتي ... بجمال بهجته وحسن كلامه
وبمبسمٍ عَذْبٍ كأنّ رُضابه ... شهدٌ مذابٌ[2] في عبير مدامه
وبناظر غَنِجٍ وطرفٍ أحورٍ ... يصمي القلوبَ إذا رنا بسهامه
وكأنّ خطَّ عذاره في حُسنهِ ... شمسٌ تجلت وهي تحت لثامه
فالصبحُ يُسفِرُ من ضياء جبينه ... والليلُ يُقبلُ من أثيث ظلامه
والظبيُ ليس لحاظه كلحاظه ... والغصن ليس قوامه كقوامه
قمر كأن الحسن يعشق بعضُهُ ... بعضاً فساعده على قَسّامه
فالحسن عن تلقائه وورائه ... ويمينِه وشمالــه وأمامــه
ويكاد من تَرَفٍ لدقّة خصره ... ينقدُّ بالأرداف عند قيامه

١٦٨

الناجم الشاعر

سعيد بن الحسن بن شداد المسمعي ، أبو عثمان المعروف بالناجم ؛ كان يصحب ابن الرومي ويروي أكثر شعره وله معه أخبار ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً روى عنه أبو علي الحسن بن محمد بن الأعرابي وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي ؛ وتوفي سنة أربع عشرة وثلثمائة .

---

١ الخريدة : اثنتين وستين .   ٢ ص : شهداً مذاباً .

١٦٨ — الزركشي : ١٢٣ ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٣ باسم « سعد » ؛ وقد خلط البكري (السمط : ٥٢٥) بين هذا الناجم صديق ابن الرومي وبين الناجم المصري (المحمدون من الشعراء : ٣٥٣) واسمه محمد بن سعيد المصري .

قال له ابن الرومي يخاطبه في علته التي مات فيها :

أبا عثمان أنت عميد قومك   وجودك للعشيرة دون لومِكْ
تمتعْ من أخيكَ فما أراهُ   يراك ولا تراه بعد يومك

ومن شعر الناجم :

يأتيكَ في جبّةٍ مخرّقةٍ   أطول أعمار مثلها يومُ
وطَيْلَسانٍ كالآلِ يلبسه   على قميص كأنه غيـم

وله أيضاً :

قالوا اشتكت نرجستا وجهه   قلت لهم أحسن ما كانا
حمرة وردِ الخدِّ أعدتهما   والصبغ قد ينفذ أحيانا

وله أيضاً :

لئن كان عن عينيَّ أحمدُ غائباً   لما هو عن عين الضمير بغائبِ
له صورة في القلب لم يقصها النوى   ولم تتخطفها أكفُّ النوائب
إذا ساءني منهُ نزوحُ زيارةٍ   وضاقت عليَّ في نواه مذاهبي
عطفتُ على شخص له غير نازح   محلّته بين الحشا والترائب

١٦٩

أبو عثمان الخالدي

سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبد الله، ينتهي إلى عبد القيس،

١٦٩ — اليتيمة ٢ : ١٨٣ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٠٨ وفيه سعد بن هاشم ، والزركشي : ١٢٣ ؛ وانظر مقدمة التحف والهدايا ، ومقدمة الاشباه والنظائر (حماسة الخالديين) ؛ وقد نشر ديوان الخالديين بتحقيق الدكتور سامي الدهان (دمشق ١٩٦٩) .

أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين ، وستأتي ترجمة أخيه أبي بكر محمد في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق النديم : قال لي الخالدي ، وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف سمر ، كل سمر مائة ورقة ، وكان [1] هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً ، لا عَجْزاً منهما عن قول الشعر ، ولكن كذا كان طبعهما ، وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته ، ولهما تصانيف منها « حماسة شعر المحدثين » . كتاب « أخبار الموصل » . كتاب « أخبار أبي تمام ومحاسن شعره » . « اختيار شعر ابن الرومي » . « اختيار شعر البحتري » . « اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره » . « الأشباه والنظائر » وهو جيد . « الهدايا والتحف » . « الديارات » .

ومن شعره [2] :

ومن نكد الدنيا إذا ما تعذرت ... أمورٌ وإن عدّت صغاراً [3] عظائمُ
إذا رمت بالمنقاشِ نتف أشاهبي ... أتيحت له من بينهنّ الأداهم
فأنتفُ ما أهوى بغير إرادتي ... وأترك ما أقلي وأنفيَ راغم

وله أيضاً [4] :

دموعي فيكَ أنواء غزار ... وجنبي ما يقرُّ له قرارُ
وكلُّ فتىً علاه ثوب سقمٍ ... فذاكَ الثّوب مني مستعــــار

وله أيضاً [5] :

---

١ ص : وكانا .

٢ الديوان : ١٤٧ .

٣ ص : صغار .

٤ ديوانه : ١٢٥ ولم يردا في المطبوعة .

٥ ديوانه : ١٢٦ وسقطا من المطبوعة .

يا هذه إن رحتُ في سَمَلٍ فما في ذاك عارُ
هذي المدام هي الحيـا ةُ قميصها خَزَفٌ وقارُ

وله أيضاً[1] :

هتف الصبحُ بالدجى فاسقنيها قهوةً تتركُ الحليمَ سفيهـا
لست أدري من رقةٍ وصفاء هيَ في كاسها أم الكاسُ فيها

وقال أيضاً[2] :

بنفسي حبيبٌ بان صبري لبَيْنه وأودعني الأشجان ساعة ودعا
وأنحلَني بالهجر حتى لو انني قَذًى بين جَفْنَي أرْمَدٍ ما توجعا

وقال يصف غلامه رشأ ، وهي بديعة في الحسن[3] :

ما هو عبدٌ لكنهُ ولـد خوّلنيـه المهيمن الصمدُ
وشدّ أزري بحسن خدمته فهو يدي والذراعُ والعضد
صغيرُ سنٍّ كبيرُ معرفةٍ تمازج الضعف فيه والجلد
في سنّ بدر الدّجى وصورته فمثله يُصطَفَى ويعتقد
معشقُ الطرفِ كحله كحل مُغزَّلُ الجيدِ حَليه الجيَد
وورد خدّيه والشقائق والـ تفّاح والجلّنار منتضد
رياض حسْن زواهرٌ أبـدا فيهنّ ماء النّعيم مُطّرد
وغصن بانٍ إذا بـدا وإذا شدا فقمريٌّ بانةٍ غَرِد
أنسي ولهوي وكلٌّ مأربتي مجتمعٌ فيـهِ لي ومنفرد
ظريفٌ مزح مليحُ نادرة جوهرُ حسنٍ شرارةٌ تَقِد
ومنفقٌ مشفقٌ إذا أنا أسـ ـرفْتُ وبذرت فهو مقتصد

---

١ ديوانه : ١٥٠ وسقطا من المطبوعة .
٢ ديوانه : ١٣٩ .
٣ ديوانه : ١٢٠ .

مبارك الوجه مذ حظيتُ به　　حالي رخيّ وعيشتي رَغَد
مسامري إن دجا الظلام فلي　　منهُ حديث كأنه الشهد
خازن ما في يدي وحافظه　　فليس شيء لدي يفتقد
يصونُ كتبي فكلّها حسنٌ　　يطوي ثيابي فكلّها جُدُد
وأبصرُ الناس بالطبيخ فكالـ　　مسك القَلايا والعَنبر الثرد
وهو يدير المدامَ إن جليت　　عروسُ دَنّ نقابها الزبد
يمنح كأسي يَداً أناملُها　　تنحلّ من لينها وتنعقد
ثَقّفَهُ كيسُهُ فلا عوج　　في بعض أخلاقه ولا أوَد
وصيرفيّ القريض وزّان دِيـ　　نارِ المعاني الجياد منتقد
ويعرفُ الشعرَ مثلَ معرفتي　　وهو على أن يزيد مجتهد
وكاتب توجد البلاغة في　　ألفاظه[1] والصوابُ والرشَد
وواجدٌ بي من المحبة والـ　　رأفة أضعافَ ما به أجد
إذا تبسمتُ فهو مبتَهِجٌ　　وإن تنمرتُ فهو مرتعد
ذا بعضُ أوصافه وقد بقيت　　له صفات لم يحوها أحد

وللشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى في غلام له عكساً في هذا المعنى ، وأبدع :

ما هو عبدٌ كلا ولا ولد　　إلاّ عناء تضْنَى به الكبد
وفرط سقم أعيا الأساةَ فلا　　جلد عليه يبقى ولا جلد
أقبحُ ما فيه كلّه فلقد　　تساوت الروحُ منه والجسد
أشبه شيء بالقرد فهو له　　إن كان للقرد في الورى ولد
وجنتهُ مثلُ صبغةِ الورس ولكن ذلك صاف ولونها كمد
يقطر سَما فضحكهُ أبدا　　شرّ بُكاء وبشره حَرَد

---

١ ص : ألفاظها .

ذو مقلة حشوُ جفنها عمَصٌ[1] تسيلُ دمعاً وما بها رمــد
كأنما الخدّ في نظافتــه[2] قد أكلتْ فوق صحنه غدد
يجمع كتفيه من مهانتــه كأنّهُ في الهجيرِ مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل كأنّهُ للتراب مُنتَقَد
ألكن إلاّ في الشتم ينبحُ كالـ كلب ولو كان خصمه الأسد
يشتمني الناس حين يشتمهم إذ ليس يرضى بسبّه أحد
كسلان إلاّ في الأكل فهو إذا ما حضر الأكل جمرةٌ تَقِد
كالنار يومَ الرياحِ في الحطب اليابسِ يأتي على الذي يجد
يَرْفُلُ في حلّة منبتة من قمله رقْم طَرْزها طرد
أجمل أوصافه النميمةُ والكذ ب ونقل الحديث والحسد
كلّ عيوبِ الورى به اجتمعت وهو بأضعاف ذاك منفرد
إن قلتُ لم يدر ما أقولُ وإن قال كلانا في الفهم متحد
كأنّ مالي إذا تَسَلّمَهُ مني ماء وكفّه سرَد
حَمّلته لي دُويّةً حسُنَتْ كنتُ عليها في الظرف أعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت عيني لها شِبْهَها ولا أجد
فمرّ يوماً بها على رجل لديهِ علم اللصوص ينتقد
أودعها عندهُ ففرّ بهـا وما حواه من بعدها بلـد
فجاء يبكي فظلت أضحك من فعلي وقلبي بالغيظ متقد
وقال لي لا تخفْ فحليتهُ مشهورة الوصف حين يفتقد
عليهِ ثوب وعمــة ولهُ وجهٌ وذقنٌ وساعد ويد
وقائلٍ بعهُ قلتُ خذه ولا وزنٌ تجازى به ولا عــدد

---

[1] ص : غمص .
[2] ص : نضافته .

ففي [الذي] قد أضاعه عوض　　وهو على أن يزيد مجتهد

وكانت وفاة الخالدي في حدود الأربعمائة .

١٧٠
[أبو الربيع الاربلي]

سليمان بن بنيمان بن أبي الجيش بن عبد الجبار الأديب شرف الدين ، أبو الربيع الهمذاني ثم الإربلي ؛ شاعر محسن سائر القول ، له شعر ونوادر وزوائد ومزاح حلو ؛ كان أبوه صائغاً وكذلك هو ، جاء إليه مملوك من مماليك الأشرف موسى وقال له : عندك خاتم مليح على قدر إصبعي ؟ قال : لا ، إلا عندي إصبع مليح على قدر خاتمك ؛ ذكره أبو البركات مستوفي إربل في تاريخه ؛ وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة ، وله تسعون سنة أو أزيد .

ولما قامر الشهاب التّلّعفَري[١] بثيابه وخفافه قال ابن بنيمان ، وأنشدها للملك الناصر بن العزيز :

يا مليكاً فاقَ الأنامَ جميعاً　　منه جودٌ كالعارضِ الوكّافِ
والذي راش بالعطايا جناحي　　وتلافى بعد الإلهِ تلافي
ما رأينا ولا سمعنا بشيخٍ　　قبلَ هــذا مقامر بالخفاف
وبها كم يُدَقّ في كلّ يوم　　في قفاه والرأس والأكتاف
أسود الوجه أبيض الشعر [لكن]　　في سحيم وقبحهِ وخفــاف

١٧٠ — الزركشي : ١٢٤ وابن الشعار ٣ : ٨٠ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٢ وفيه « سليمان ابن بليمان » وشذرات الذهب ٥ : ٣٩٥ (وهو باللام أيضاً) .

١ محمد بن يوسف بن مسعود ، وسيترجم له المؤلف في حرف الميم .

يَدَّعي نسبة إلى آل شيبـا ... ن وتلك القبائلِ الأشراف
مثل نجد لو استطاعت لقالت ... ليس هذا الدَّعيُّ من أكنافي
فابسُط العذرَ في هجاء رقيع ... عادل عن طرائق الإنصاف

فلما سمع التلّعفري هذه الأبيات قال : أنا ما أنا جندي أقامر بخفافي ، قال : بخفاف امرأتك ، فقال : مالي امرأة ، فقال : لك مقامرة من بين الحجرين إمّا بالخفاف وإما بالثقال .

ولما وقع ابن بنيمان من على بغلته انكسرت رجله ومشى بين خشبتين ، سمع بعض الناس يقول : ما يضرب الله بعصاتين ، فقال : بلى لابن بنيمان .

ورؤي راكباً على حمارة ، فسألوه عن ذلك فقال : نزلت عن البغلة وأصبحت أقدّم على الجحشة .

ونظم فيه الشهاب التلّعفري :

سمعت لابن بنيمانٍ وبغلته ... عجيبةَ خلتها إحدى قصائده
قالوا رمته وداست بالنعال على ... قفاه قلت لهم ذا من عوائده
لأنها فعلت في حقّ والدها ... ما كان يفعله في حق والده

ومن شعر ابن بنيمان :

اشرب فشربكَ هذا اليومَ تحليلُ ... وانفِ الهمومَ فقد وافاكَ أيلولُ
أما ترى الشمسَ وسطَ الكاس طالعةً ... منيرةً ونطاقُ البدرِ محـلولُ
والأرضُ قد كسيت بالغيث حلّتها ... وناظرُ الروضِ بالأزهار مكحولُ

وله أيضاً :

أتاني كتابٌ منكَ لما فضضتُهُ ... مروّىً من الإحسان صادٍ من الحنا
فخيل لي ما أنت أنت لكثرةِ الـ ... تواضع والإحسانِ أو ما أنا أنا

---

١ سقطت من ص .

وقال :

خليليَّ كم أشكو إلى غير راحمٍ · وأجعلُ عرضي عرضةً للوائمِ
وأسحب ذيل الذلّ بين بيوتكم · وأقرعُ في ناديكمُ سنَّ نادم
هبونيَ ما استوجبتُ حقاً عليكم · أما تعتريكم هزةٌ للمكارم
كأن المعالي ما حللنَ لديكمُ · وقد أصبحتْ معدودةً في المحارم

١٧١
[سليمان القرمطي]

سليمان بن الحسن بن بهرام ، القرمطي – بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة – الجنابي رئيس القرامطة ؛ ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ، قال[١] : في هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ، ثم بسط القول في مبدأ أمرهم وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف وكان يسفّ الخوص ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام [من][٢] أهل البيت . وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجرت له أحوال أوجبت حسن العقيدة فيه ، وانتشر بسواد الكوفة ذكره .

ثم قال في سنة ست وثمانين ومائتين[٣] : وفي هذه السنة ظهر رجل يعرف بالحسن

١٧١ – هو المعروف بأبي طاهر الجنابي ولد أبي سعيد (الحسن بن بهرام) الجنابي ؛ انظر أخباره في تاريخ ابن الأثير وتاريخ أخبار القرامطة ، والروض المعطار (مادة جنابا والزرادة) والمسالك والممالك للبكري (مخطوطة كوبريلي) وصلة عريب : ١١٠ – ١٦٤ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٥ ؛ وقد أورد ابن خلكان أكثر ما جاء به المؤلف هنا (الوفيات ٢ : ١٤٧ وما بعدها) .

١ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٤٤ .
٢ سقطت من ص .
٣ ابن الأثير ٧ : ٤٩٣ .

الجنابي بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي امره ، وان غلامه الصقلبي قتله سنة إحدى وثلثمائة ، وقام بعده أبو طاهر ابنه ؛ وفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة قصد أبو طاهر البصرة وملكها بغير قتال ، بل صعدوا إليها بسلالم شَعر ، فلما أحسوا بهم ثاروا إليهم ، فقتلوا والي البلد ووضعوا السيف في الناس ، فهرب منهم من هرب ، وأقاموا فيها سبعة عشر يوماً ، ونهب القرمطي جميع ما فيها وعاد إلى بلده ، ولم يزل يعيث في البلاد ويكثر فيها الفساد ، من القتل والسبي والحريق والنهب ، إلى سنة سبع عشرة[١] وثلثمائة ، فحج الناس ، وسلموا في طريقهم . ثم إن القرمطي وافاهم بمكة يوم التروية فنهب أموال الحاج وقتلهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ، وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر ، فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط ومات ، وألقى القتلى في بئر زمزم وترك الباقي في المسجد الحرام ، وأخذ كسوة البيت وقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ؛ فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب إفريقية ، كتب إليه ينكر عليه ويلومه ويلعنه ويقول : حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر واسم الإلحاد بما فعلت ، وإن لم تردّ على أهل مكة والحاج ما أخذت منهم ، وتردّ الحجر الأسود إلى مكانه ، وتردّ الكسوة ، وإلاّ فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب إليه أعاد الحجر الأسود وما أمكنه من أموال أهل مكة ، وقال : أخذناه بأمر ورددناه بأمر ، وكان بجكم التركي أمير العراق وبغداد قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يردوه[٢] .

قال ابن الأثير : ردّوه إلى الكعبة لخمس خلون من ذي القعدة سنة تسع

---

١ ص : سبعة عشر .

٢ استدرك ابن خلكان هنا على ابن الأثير ، بقوله : ان كتاب المهدي الى القرمطي لا يستقيم لأن المهدي توفي سنة ٣٢٢ وكان رد الحجر سنة ٣٣٩ .

وثلاثين وثلثمائة في خلافة المطيع ، وأنهم لما أخذوه تفسخ تحته ثلاثة[1] جمال قوية من ثقله ، ولما أعادوه حملوه على جمل واحد ووصل سالماً .

قال ابن أبي الدم في « الفرق الإسلامية » : إن الخليفة راسلَ أبا طاهر في ابتياعه ، فأجابه إلى ذلك ، فباعه من المسلمين بخمسين ألف دينار ، وجهز الخليفة إليهم عبد الله بن عكيم المحدّث ، وجماعة معه ، فأحضر أبو طاهر شهوداً ليشهدوا على نوّاب الخليفة بتسليمه ، ثم أخرج لهم أحد الحجرين المصنوعين ، فقال لهم عبد الله بن عكيم : إنّ لنا في حَجَرنا علامة : إنه لا يسخن بالنار ، وثانية أنه لا يغوص في الماء، فأحضروا ماء وناراً[2] ، فألقاه في الماء وغاص ، ثم ألقاه في النار فحمي وكاد يتشقق ، فقال : ليس هذا بحجرنا ، ثم أحضر الحجر الثاني المصنوع ، وقد ضمّخه بالطيب وغشاه بالديباج يظهر كرامته ، فصنع به عبد الله كما صنع بالأول وقال : ليس هذا بحجرنا ، فأحضر الحجر الأسود بعينه، فوضعه في الماء فطفا ولم يغص ، وجعله في النار فلم يسخن ، فقال : هذا حجرنا ، فعجب أبو طاهر ، وسأله عن معرفة طريقه ، فقال عبد الله بن عكيم : حدّثنا فلان عن فلان ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحجر الأسود يمين الله تعالى في أرضه ، خلقه الله تعالى من درّة بيضاء في الجنة ، وإنما اسودّ من ذنوب الناس ، يحشر يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان يتكلم به ، يشهد لكل مَن استلمه أو قبله بالإيمان ، وأنه حجر يطفو على الماء ولا يسخن بالنار إذا أوقدت عليه .» فقال أبو طاهر : هذا دين مضبوط بالنقل .

وقال صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى في تاريخه : قال بعضهم : إن القرامطة أخذوا الحجر الأسود مرّتين ، فيحتمل أن المرة الأولى ردّه بكتاب المهدي ، والثانية ردّه لما اشتري منه ، أو بالعكس ، والله أعلم .

وقصد القرامطة أطراف الشام ، وفتحوا سلمية وبعلبك ، وقتلوا غالب من

---

٣ ص : ثلاث .

١ ص : ماء ونار .

بهما من المسلمين ، وخرج المكتفي بنفسه في جيش عظيم لما عزموا على حصار دمشق ، وكثر الضجيج بمدينة السلام ، وسار حتّى نزل بالرقة ، وبثّ الجيوش بين حلب وحماة وحمص ، وعادت القرامطة تقصد حصار حلب ، فالتقى الجمعان بتمنع ، موضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين ومائتين أيام والده أبي سعيد ، فانهزم جميعُ القرامطة وتبعوهم المسلمون وأفنوا عامتهم .

ثم قام القرامطة أيضاً وكثر حربهم ، ولم يزالوا إلى أن مات أبو سعيد ، وقام أبو طاهر ابنه .

وقيل إنه ملك دمشق وقتل جعفر بن فلاح نائب المصريين ؛ ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم ، ولم يزل الناس معهم في شدة وبلاء إلى أن قتل أبو طاهر في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

١٧٢
المستعين الأموي

سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن الأموي ، الملقب بالمستعين ؛ خرج قبل الأربعمائة والتفّ عليه خلق كثير من جيوش البربر بالأندلس ، وحاصر قرطبة وأخذها ، ثم إن متولي سبتة خرج عليه وجهز لحربه جيشاً ، فالتقوا وانهزم جيش المستعين ، فدخل قرطبة وهجم على المستعين وذبحه صبراً وذبح أباه ، وذلك في سنة سبع وأربعمائة ؛ وملك قرطبة مرتين ، وكانت

---

١٧٢ – الذخيرة ١/١ : ٢٤ وجذوة المقتبس : ١٩ والبيان المغرب ٣ : ٩١ والمعجب : ٩٠ وصفحات متفرقة من النفح ؛ ولم يرد في المطبوعة من هذه الترجمة إلا القليل .

مدة ملكه في المرتين ست سنين وعشرة أشهر ، وكانت مشحونة بالشدائد ، معروفة بالمنكر والفساد ، نفرت القلوب عنه ، وبسبب ذلك تملك ملوك الطوائف .

ولما كانت سنة خمس وأربعمائة شاع الخبر ان مجاهد العامري أقام خليفة يعرف بالفقيه المعيطي ، فاستعظم ذلك إلى أن بلغه ظهور علي بن حمود الفاطمي بسبتة ، فسقط في يد المستعين ، فجاءه الفاطمي في جموعه فهزمه ، ونبش خيران العامري القبر الذي ذكر له أن هشاماً به ، فشهد أنه هشام ، وجعل المستعين يبرأ من دمه وهو الذي قتله بعد أن استولى على قرطبة في المرة الثانية ، فلم يفد ذلك ، وظهر منه جزع عظيم لما رأى السيف .

وكان المستعين من الشعراء المجيدين ، ومن شعره :

عجباً يهابُ الليثُ حَدَّ سناني وأهاب سحر فواترِ الأجفانِ
وأقارعُ الأهوالَ لا متهيّباً منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت روحي ثلاثٌ كالدُّمى زُهرُ الوجوهِ نواعمُ الأبدان
ككواكبِ الظلماء لحن لناظري من فوقِ أغصانٍ على كُثبان
حاكمتُ فيهنَّ السلوَّ إلى الصبا فقضى بسلطانٍ على سلطاني
فأبَحن من قلبي الحمى ، وتركنني في عزّ ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذَلّلَ للهوى ذل الهوى عزّ وملك ثان
ما ضرَّ أني عبدهنَّ صبـابةً وبنو الزمان وهُنَّ من عبْداني
إن لم أطع فيهنَّ سلطان الهوى كلفاً بهنَّ فلست من مَرْوان

١٧٣

أبو الوليد الباجي

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث، أبو الوليد الباجي الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف ؛ أصله من بطليوس ، وانتقل آباؤه إلى باجة ، ولد في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة . سمع ورحل . أخذ الفقه عن أبي الطيب الطبري وأبي إسحاق الشيرازي ، وأقام بالموصل سنة يأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمناني ، وبرع في الحديث وبرّز على أقرانه ، وتقدم في علم الكلام والنظم ، ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة[1] سنة بعلوم كثيرة ، وروى عنه الخطيب وابن عبد البر ، وهما أكبر منه .

وصنف « المنتقى في الفقه » و « المعاني في شرح الموطأ » عشرين مجلداً لم يؤلف مثله ، وكان قد صنف كتاباً كبيراً جامعاً بلغ فيه الغاية سمّاه « كتاب الاستيفاء وكتاب الإيماء » في الفقه و « السراج » في الخلاف ، لم يتم ، « مختصر المختصر في مسائل المدونة » و « اختلاف الموطآت » و « الجرح والتعديل » و « التسديد إلى معرفة التوحيد » و « الإشارة في أصول الفقه » . « أحكام الفصول في أحكام الأصول » و « الحدود » و « شرح المنهاج » و « سنن الصالحين وسنن العابدين وسبل المهتدين » و « فرق الفقهاء » و « تفسير القرآن » لم يتم . و « سنن المنهاج وترتيب الحجاج » .

---

١٧٤ — الذخيرة (القسم الثاني) : ٣٨ والقلائد : ١٨٨ والصلة : ١٩٧ وبغية الملتمس رقم : ٧٧٧ والمغرب ١ : ٤٠٤ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٤٦ والديباج المذهب : ١٢٠ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٨ والشذرات ٣ : ٣٣٤ وقضاة النباهي : ٩٥ والنفح ٢ : ٦٧ والزركشي : ١٢٥ ومرآة الجنان ٣ : ١٠٨ ووفيات الأعيان ٢ : ٤٠٨ وعلى هذا فليست مما فات ابن خلكان ؛ وقد أخلت المطبوعة بمعظمها .

١ ص : ثلاثة عشر .

وتوفي بالمرية من الأندلس .

ولما تكلم أبو الوليد في حديث البخاري ما تكلم من حديث المقاضاة يوم الحديبية، وقال بظاهر لفظه، أنكر عليه الفقيه أبو بكر ابن الصايغ وكفره باجازته الكتابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمّي وأنه تكذيب للقرآن ، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام ، حتّى أطلقوا عليه الفتنة وقبحوا عند العامة فعله ، وتكلم به خطباؤهم في الجمع ، ونظموا فيه القصائد التي منها :

برئتُ ممّن شرى دنيا بآخرةٍ وقال إن رسول الله قد كتبا

فصنف أبو الوليد رسالة فيها إن ذلك لا يقدح في المعجزة ، فرجع عنه بها جماعة .

ومن شعر أبي[1] الوليد :

إذا كنت أعلم علماً يقينا بأنّ جميع حياتي كساعه
فلِمْ لا أكونُ ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعه

وله أيضاً :

إذا كنت تعلم أنْ لا مَحيدَ لذي الذنب عن هول يوم الحسابِ
فأعص الإله بمقـــدار مـــا تحب لنفسك سوء العذاب

١٧٤

[أسد الدين ابن موسك]

سليمان بن داود بن موسك ، الأمير أسد الدين بن الأمير عماد الدين بن

---

١ ص : أبو .

١٧٤ – الزركشي : ١٢٥ .

الأمير الكبير عز الدين الهذباني ؛ ولد في حدود الستمائة بالقدس ، وتوفي سنة سبع وستين وستمائة ، وكانت له يد في النظم ، وعنده فضيلة ، وترك الخدم وتزهد ولبس الخشن ، وجالس العلماء ، وأذهب معظم نعمته واقتنع .

وكان أبوه أخص الأمراء بالأشرف ابن العادل ، وجده الأمير عز الدين موسك ابن خال السلطان صلاح الدين .

ومن شعر أسد الدين سليمان قوله :

ما الحبّ إلاّ لوعةٌ وغرامُ ... فحذارِ أن يَثنيكَ عنه ملامُ
العشق للعشاقِ نارٌ حرّهـا ... برد على أكبادهم وسلام
تلتذّ فيه جفونهم بسُهادهـا ... وجسومهم إذْ شَفّها الأسقام
ولهم مذاهب في الغرامِ وملة ... أنا في شريعتهـا الغَداةَ إمام
ولهم وللأحباب في لحظاتهم ... خوفَ الوشاة رسائلٌ وكلام
لطفت إشارتهم ودقّتْ في الهوى ... معنىً فحارت دونها الأفهام
وتحجبتْ أنوارها عن غيرهم ... وجلت لهم أسرارها الأوهام
فإليكَ عن عذلي فإنّ مسامعي ... ما للملامِ بطرْقِهـا إلمام
أنا من يرى حبَّ الحِسان حياته ... فإلامَ في حبِّ الحياةِ ألام

١٧٥

[عون الدين ابن العجمي]

سليمان بن عبد المجيد بن حسن بن عبد الله بن الحسن ، الأديب البارع عون الدين ابن العجمي الحلبي الكاتب ؛ ولد سنة ست وستمائة ، وتوفي سنة ست

---

١٧٥ — الزركشي : ١٢٧ وابن الشعار ٣ : ١١ وابن خلكان ٦ : ٢٥١ .

وخمسين وستمائة بدمشق ، وشيعه الأعيان والسلطان . سمع من الافتخار الهاشمي وجماعة، وسمع منه الدمياطي وفتح الدين ابن القيسراني ومجد الدين العقيلي، وكان كاتباً مترسلاً وشاعراً ، ولي الأوقاف بحلب وتقدم عند الملك الناصر وحظي عنده وولي نظر الجيوش بدمشق ، وكان متأهلاً للوزارة كامل الرياسة لطيف الشمائل ؛ ومن شعره :

لهيبُ الخدّ حين بَدا لعيني ... هوى قلبي عليهِ كالفَراشِ
فأحرقَهُ فصار عليهِ خالاً ... وها أثر الدخان على الحواشي

وحضر يوماً مجلس مخدومه الملك الناصر ، وأدار ظهره إلى الطراحة ، فقال له أستاذ الدار : السدّة وراءك ، فقال له الملك الناصر : سلمان[1] من أهل البيت ، فقال :

رعى الله مَلْكاً ما له من مشابهٍ ... يمنُّ على العاني ولم يكُ منّانا
لإحسانه أمسيتُ حَسّان مدحهِ ... وكنت سليماناً فأصبحت سلمانا

ومن شعر عون الدين :

يا سائقاً يقطعُ البيداء معتسفاً ... بضامر لم يكن[2] في سيره واني
إن جزت بالشام شِمِ تلك البروق ولا ... تعدل – بلغت المنى – عن دير مرّان
واقصد علالي قلاليه تُلاقِ بها ... ما تشتهي النفسُ من حور وولدان
من كلّ بيضاء هيفاء القوامِ إذا ... ماست فيا خجلة المرّان والبان
وكلّ أسمر قد دان الجمالُ له ... وكَمّل الحسنَ فيهِ فرطُ إحسان
ورب صُدغ بدا في الخدّ مرسله ... في فترة فتنت من سحر أجفان
فليتَ ريقتـه وِرديْ ووجنتـه ... وَرديْ ومن صُدغه آسي وريحاني

1 غير اسمه من سليمان إلى سلمان ليطابق في ذلك نص الحديث « سلمان منا أهل البيت » .
2 ص : لم يك .

وعُجْ على دير متّى ثمّ حيّ به الـ ربان بطرس ، فالربانُ ربّاني
فهمتُ منهُ إشاراتٍ فهمْتُ بها وصنتُ منشورها في طيّ كتمان
واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ لذات ما بين قِسّيسٍ ومطران
واستجل راحاً بها تحيا النفوس إذا دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت بشهبها من هُمومي كلّ شيطان
كم رحت في الليل أسقيها وأشربها حتى انقضى ونديمي غيرُ ندمان
سألت توماسَ عن من كان عاصرها أجاب رمزاً ولم يسمح بتبيان
وقال : أخبرني شمعونُ ينقله عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بأنها سَفَرَتْ بالطور مشرقةً أنوارها فكنوا عنهــا بنيران
وهْيَ المدامَ التي كانت معتقة من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهي التي عبدتهـا فارسٌ فكنى عنها بشمس الضحى في قومه ماني
سكرتُ منها فلا صحْوٌ وجُدت بها على الندامى وليس الشح من شاني
وسوف أمنحها أهلاً وأنشده ما قيل فيها بترجيع وألحان
حتى تميلَ لها أعطافهُ طرباً وينتشي الكون من أوصاف نشوان
خير الملوك صلاح الدين ليس له في الجود ثان ولا عن جوده ثاني

١٧٦

[سليمان] ابن عبد الملك الخليفة

سليمان بن عبد الملك بن مروان ؛ كان من خيار ملوك بني أمية ، ولي الخلافة في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بعد الوليد ، بالعهد من أبيه ، وكانت

١٧٦ — أخباره في المصادر التاريخية المشهورة ؛ وقد ترجم له ابن خلكان ٢ : ٤٢٠ وهي مما انفردت به إحدى النسخ ، وليست من شرط المؤلف .

داره موضع سقاية جيرون ، وكان فصيحاً مفوّهاً ، مؤثر العدل ، يحبّ الغزو ؛ ومولده سنة ستين ، وتوفي عاشر صفر سنة تسع وتسعين بمرج دابق ، عرضت عليه سعلة وهو يخطب ، فنزل وهو محموم ، فما جاءت الجمعة الأخرى حتّى مات ، وولي عمر بن عبد العزيز .

وكان جميل الوجه ، وعزل عمال الحجاج ، وأخرج مَن في سجون العراق ، وهمّ بالإقامة في القدس ، وحج سنة سبع وتسعين ، وقال لعمر بن عبد العزيز لما رأى الناس في الموسم : أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى ، ولا يسع رزقهم غيره ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء اليوم رعيتك وغداً خصماؤك ، فبكى بكاء شديداً ثم قال : بالله أستعين .

وكان من الأكلة ، قال ابنه : أكل أبي أربعين دجاجة تُشْوى على النار ، وأكل أربعاً وثمانين [1] كلوة بشحمها وثمانين جرذقة ، وأكل سبعين رُمانة وخروفاً وأتي بمكوك زبيب طائفي فأكله أجمع .

وقيل إنه جلس في بيت أخضر ، وتحته وطاء أخضر ، عليه ثياب خُضر ، ثم نظر في المرآة فأعجبته نفسه وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حيياً ، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر حتّى مات .

وقال سعيد بن عبد العزيز : إنّ سليمان ولي وهو إلى الشباب والترف ما هو ، فقال لعمر بن عبد العزيز : يا أبا حفص إنا قد ولينا ما ترى ، ولم يكن لنا بتدبيره علم ، فما رأيت من مصلحة العامة فمرْ به يكتب ، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج ، وإخراج مَن في سجون العراق ، وكان يسمع من عمر بن عبد العزيز جميع ما يأمره به .

---

١ ص : أربعة وثمانون .

وقَدِم عليه موسى بن نصير من ناحية المغرب ، ومسلمة بن عبد الملك ، فبينا هو على ذلك إذ جاءه الخبر أنّ الروم خرجت على ساحل حمص فسَبَت امرأةً وجماعةً ، فغضب سليمان وقال : والله لأغزونهم غزوة أفتح بها القسطنطينية أو أموت دون ذلك ، فأغزى جماعة أهل الشام والجزيرة والموصل في البر في نحو مائة وعشرين ألفاً ، وأغزى أهل مصر وإفريقية في البحر في ألف مركب ، وعلى جماعة الناس مسلمة بن عبد الملك ، وأغزى داود بن سليمان في جماعة من أهل بيته ، وقدم سليمان من القدس إلى دمشق ، ومضى حتى نزل مرج دابق ، فأمضى البعث وأقام بالمرج .

قال عبد الغني : وسمي سليمان بن عبد الملك « مفتاح الخير » لأنه استخلف عمر بن عبد العزيز .

وقال ابن سيرين : رحم الله سليمان بن عبد الملك ، افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتح خلافته بإحياء الصلاة لمواقيتها ، وختمها بأن استخلف عمر بن عبد العزيز ، رحمهما الله تعالى .

١٧٧

سليمان بن علي الهاشمي

سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي ، أحد أعمام السفاح والمنصور حدث عن أبيه وعكرمة ، وولي الموسم في خلافة السفاح وولي البصرة له وللمنصور ، ولد سنة اثنتين وثمانين ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائة . وكان سليمان كريماً جواداً ، مرّ برجل يسأل قد تحمل عشر ديات ، فحملها عنه ، وكان يعتق في

١٧٧ — صفحات متفرقة من تاريخ الطبري وأخبار الدولة العباسية وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٨١ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢١١ .

كل موسم عشية عرفة مائة نسمة ، وبلغ عطاؤه في الموسم على قريش والأنصار خمسة آلاف ألف درهم ، رحمه الله تعالى .

١٧٨

معين الدين البرواناه

سليمان بن علي ، الصاحب معين الدين ، البرواناه ؛ كان أبوه مهذب الدين علي بن محمد أعجمياً سكن الروم ، وكان يقرأ القرآن ، فتوصل حتى صار يقرىء أولاد مستوفي الروم . ثم ناب عنه ، ثم ولي موضعه في أيام السلطان علاء الدين ، وظهرت كفايته فاستوزره ، ثم وزر لولده غياث الدين إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين ، فعظم أمره إلى أن استولى على ممالك الروم ، وصانع التتار ، وعمرت البلاد به ، وكاتب الملك الظاهر ، ثم نقم عليه أبغا ، ونسبه إلى أنه هو الذي جسر الظاهر على بلاد الروم ، وحصل ما وقع من قبل أعيان المُغُل ، فبكت الخواتين وشقت الثياب بين يدي أبغا ، وقالوا : البرواناه هو الذي قتل رجالنا ولا بد من قتله ، فقتله .

وكان من دهاة العالم وشجعانهم ، له إقدام على الأهوال ، وخبرة بجمع الأموال ، قطعت أربعته وهو حي وألقي في مِرجَل وسلق وأكل المغل لحمه من غيظهم ، وقتلوا معه من الروم خلائق . وذلك سنة ست وسبعين وستمائة . رحمه الله تعالى .

....

١٧٨ – السلوك ١ : ٦٢١ – ٦٤٧ والشذرات ٥ : ٣١٢ .

١٧٩
[العفيف التلمساني]

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي ، الشيخ الأديب البارع عفيف الدين التلّمّساني ؛ كان كوفي[١] الأصل ، وكان يدّعي العرفان ويتكلم على اصطلاح القوم . قال قطب الدين اليونيني : رأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية . وكان حسن العشرة كريم الأخلاق ، له حرمة ووجاهة ، وخَدَم في عدة جهات .

وقال الجزري في تاريخه : إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة ، يخرج من واحدة ويدخل في أخرى ، وله في كل علم تصنيف ، وشرح الأسماء الحسنى وشرح « منازل السائرين » وشرح « مواقف » النفري .

وحكى بعضهم قال : طلعت يوم قبض فقلت له : كيف حالك ؟ قال : بخير ، مَنْ عرف الله كيف يخافه ؟ والله منذ عرفته ما خفته ، وأنا فرحان بلقائه .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : وحكى لي الشيخ ابن طي الحافي قال : كان عفيف الدين يباشر استيفاء الخزانة بدمشق ، فحضر الأسعد بن السديد الماعز إلى دمشق صحبة السلطان الملك المنصور ، فقال له يوماً : يا عفيف الدين ، أريد منك أن تعمل لي أوراقاً بمصروف الخزانة وحاصلها ، قال : نعم ، وطلبها منه مرّة أخرى ومرّة وهو يقول : نعم ، فقال له في الآخر : أراك كلما أطلب منك الأوراق

١٧٩ – الزركشي : ١٢٨ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢٩ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٢٦ والشذرات ٥ : ٤١٢ ؛ وبعض أجزاء هذه الترجمة سقطت من المطبوعة .

١ كذا هو أيضاً بخط المؤلف ؛ وعلق الأستاذ الزركلي في الاعلام (٣ : ١٩٣ الحاشية رقم : ٢) أنه خطأ ، وأن الصواب « كومي » – بالميم – نسبة إلى كومة ، وهي قبيلة صغيرة منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان .

تقول لي نعم ، وأغلظ له في القول ، فغضب الشيخ عفيف الدين وقال له: والك لمن تقول هذا الكلام ؟ يا كلب يا ابن الكلب يا خنزير ، وهذا من عجز المسلمين وإلا لو بصقوا عليك بصقة بصقة لأغرقوك ، ثم شقّ ثيابه وقام يهمُّ بالدخول على السلطان ، فقام الناس إليه وقالوا : هذا ما هو كاتب وهذا الشيخ عفيف الدين التلمساني ، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس ، ومتى دخل إلى السلطان آذاك ، فسألهم ردّه وقال له : يا مولانا ، ما بقيت أطلب منك لا أوراقاً ولا غيرها .

وقال الشيخ أثير الدين : المذكور أديبٌ ماهر جيد النظم، تارة يكون شيخ صوفية وتارة كاتب وتارة مجرد، قدم علينا القاهرة، ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه شيخها الشيخ شمس الدين الايكي ، وكان متنحلاً في أقواله وأفعاله طريقة ابن العربي ؛ انتهى قول أثير الدين .

وتوفي الشيخ عفيف الدين بدمشق في شهور سنة تسعين وستمائة، ودفن بمقابر الصوفية ؛ ومن نظمه :

وقفنا على المغنى قديماً فما أغنى ... ولا دلّتْ الألفاظ منهُ على معنى
وكم فيه أمسينا وبتنا بربعـــهِ ... حيَارى وأصبحنا حيارى كما بتنا
ثملنا وملنـــا والدمـــوع مدامنا ... ولولا التصابي ما ثملنا ولا ملنا
فلمْ نَرَ للغيدِ الحسان بهم سنـــا ... وهم من بدور التمّ في حسنها أسنى
نسائلُ باناتِ الحمى عن قدودهم ... ولا سيما في لينها البانةَ الغنّا
ونلثمُ تربَ الأرض أن قد مشت بها ... سليمى ولبنى لا سليمى ولا لُبنى
فوا أسفا فيه على يوسف الحمى ... ويعقوبهِ تبيضُّ أعينهُ حزنـــا
وليس الشّجي مثل الخليّ لأجل ذا ... بهِ نحن نُحنْا والحمام به غنّى
ينادي مناديهم ويصغي إلى الصدى ... فيسألنا عنهم بمثل الذي قلنـــا

وله أيضاً :

نَدًى في الأقحوانةِ أم شرابُ ... وطلٌّ في الشقيقة أم رضابُ
فتلكَ وهذه ثَغر وكاسٌ ... لذا ظَلْمٌ وفي هذي شراب
وخضر خمائل كجسوم غيدٍ ... قد انتقشت فراق بها الخضاب
يريك بها الشقيقُ سوادَ هدبٍ ... وحمرةَ وجنةٍ فيها التهـاب
وورق حمائم في كلِّ فنٍّ ... إذا نَطَقَتْ لها لحنٌ صواب
لهـا بالطلِّ أزرارٌ حسانٌ ... وأطواقٌ ومن ورقٍ ثياب
كأنَّ النَّهْرَ سيفٌ مشرفيٌّ ... له في كفِّ صيقلهِ اضطراب
تجردهُ يمينَ الشَّمسِ طوراً ... وطوراً بالظلالِ له قراب
يعاب السَّيفُ إذ في جانبيهِ ... فلولٌ وهو منها لا يعاب
فإن قلت الحبابُ انساب ذعراً ... ورمت الرقشَ صدقك الحساب
وللأغصان هَيْنمةٌ تحـاكي ... حبائب رقَّ بينهما العتـاب

وله من أبيات:

وفي الحي هيفاء المعاطف لو بدت ... مع البان كان الورقُ فيها تغنّتِ
عجبتُ لها في حسنها إذ تفردث ... لأيّة معنًى بعد ذاك تثنّتِ

وله أيضاً:

أفدي التي ابتسمت وهناً بكاظمة ... فكان منها هدى الساري بنعمانِ
وواجهتها ظباء الرمل فاكتسبت ... منها محاسنَ أجياد وأجفـان
يسري النّسيمُ بعطفيها فيصحبه ... لطفاً يميل غصونَ الرند والبان
مرت على جانب الوادي وليس به ... ماء ففاض بدمعي الجانب الثّـاني
موّهت عنها بسلمى واستعرتُ لها ... من وصفها فاهتدى الشاني إلى شاني
تجني عليَّ وما أحلى أليمَ هوًى ... في حبّها حين ألجاني إلى الجاني

وقال أيضاً:

إن كان قتلي في الهوى يتعينُ ... يا قاتلي فبسيف طَرفكَ أهونُ

حسبي وحسبك أن تكون مدامعي غُسلي وفي ثوب السَّقام أكَفَّنُ
عجبــاً لخدِّكَ وردةٌ في بانَةٍ والورد فوق البانِ ما لا يمكنُ
أدنته لي سنةُ الكرى فلثمتهُ حتى تبدل بالشقيق السوسن
ووردتُ كوثر ثغره فحسبتني في جنةٍ من وجنتيه أسكنُ
ما راعني إلاّ بلال الخال فو قَ الخدِّ في صبح الجبين يؤذن
فنشرت من خوف الصباح ذؤابة هيَ كالدجى وظللت فيها أكمن
يا نظرة كم رمتُ أسرق أختها من مقلةٍ هي للنعّاس معيدنْ

وقال أيضاً :

رياضٌ بكاها المزن فهي بواسمُ وناحتْ لغير الحزن فيها الحمائمُ
وأودعتِ الأنواء فيهنَّ سرَّها فنمّتْ عليهنَّ الرياحُ النواسم
يَبيتُ الندى في أفقها وهو ناثرٌ ويضحي على أجيادها وهو ناظم
كأن الأقاحي والشقيق تقابلا خدودٌ جلاهنَّ الصبا ومباسم
كأن بها للنرجس الغض أعيناً تنبه منها البعضُ والبعضُ نائم
كأن ظلالَ القضبِ فوق غديرها إذا اضطربت تحت الرياح أراقم
كأن غناء الوُرْقِ ألحانُ معبدٍ إذا رقصت تلكَ القدودُ النواعم
كأن نثار الشمس تحت غصونها دنانيرُ في وقتٍ ووقت دراهم
كأن ثماراً[1] في غصون توسوست لعــارضِ خفاق النسيم تمائم
كأن القطوف الدانيات مواهبٌ ففي كل غصن ماس في الدوح حاتم

وقال أيضاً :

أشتاقُ من ساكني ذاك الحمى سكنا عليه خفْقُ فؤادي قطُّ ما سكنا
ولي غرام وصبرٌ في محبتـــــه هذا أقام بأحشائي وذا ظَعَنا
أطلعتمُ يا أهَيلَ المنحنى قَمَراً بدا على الكون منهُ بهجةٌ وسنا

---

1 ص : ثمارا .

سَبى عيونَ محبّيهِ الكَرى فلــذا　　أجفانهُ لم تزلْ مملوءةً وسَنا
إن قلت غصنٌ تجلّى وجهه قمراً　　أو قلت بدر[1] تثنّى قدّه غُصُنا
نادى ضنى خصره مَن يشتري سَقماً　　مني ليفنى به في الحبّ قلت أنا
فيــا غنيَّ جمالٍ بات مفتقراً　　لحسنه البدر ما لي عن هواك غِنى

وقال أيضاً :

أسكرتِ بان الحمى يا نسمةَ السحر　　فهل أتيتِ عن الأحبـاب بالخبر
نعم مررت بذاك الحيّ فالتبست　　ذيول بردك ريّـا نشرِه العطر
يا نوقُ روحي بروحي للحمى وقفي　　بهِ فديتكِ بين الضالِ والسمر
ففي بيوت الحمى سمراء قد حُجبت　　بالسّمر عنّا وبالهنديّةِ البُتُر
شمسٌ ومطلعها ذاتي ومغربهــا　　بين السوادين من قلبي ومن بصري
تبدي معــالم مغناها محاسنهـــا　　فيكتسي الروضُ بالغدران والزهر

وقال :

لا تلم صبوتي فمن حبَّ يصبو　　إنـما يرحم المحبّ المحبُّ
كيف لا يوقد النسيم غرامي　　وله في ديار ليلى مَهَبُّ
ما اعتذاري إذا خبَتْ لي نار　　وحبيبي أنواره ليس تخبو

وشعره جيد إلى الغاية ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعنا وعن جميع المسلمين .

---

١ ص : وإن قلت بدراً .

١٨٠
الزين الحافظي

سليمان بن علي ، زين[١] الدين ابن المؤيد ، خطيب عقربا[٢] الحافظي ؛ قال ابن أبي أصيبعة : « اشتغل بالطبّ على الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار ، وحصل العلم والعمل ، وأتقن الفصول والجمل ، وخدم بالطبّ الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن أبي بكر بن أيوب ، وكان يومئذ صاحب قلعة جعبر . وأقام في خدمته وتميز عنده ، وأجزل رفده ، وخوّله في دولته واشتمل عليه » .

« وكان زين الدين يعاني الأدب والشعر والكتابة الحسنة ، وكان يعاني الجندية ، وداخل أولاد الملك الحافظ ، وصار حظياً مكيناً في دولتهم . ولما مات الملك الحافظ وتسلم الملك الناصر بن العزيز صاحب حلب قلعة جعبر بمراسلات، كان فيها الزين الحافظي ، وانتقل الزين إلى حلب وصارت له عند الملك الناصر يد ومنزلة رفيعة ، وتزوج زين الدين بابنة رئيس حلب ، واقتنى أموالاً كثيرة . ولما ملك الناصر دمشق وصل معه إلى دمشق ، وصار مكيناً في دولته » .

« ولما جاءت رسل التتار يطلبون البلاد ويشترطون ما يحمل إليهم من المال فبعث الملك الناصر زين الدين رسولاً إلى هولاكو ، فأحسن إليه واستماله ، فصار من جهته ، ومازج التتار ، وتردد في المراسلات مرات ، وأطمع التتار في البلاد ، وهوّل على الملك الناصر أمرهم وعظّم شأنهم ، ووصف عساكرهم

---

١٨٠ — عيون الانباء ٢ : ١٨٩ — ١٩٠ .

١ ص : بن زين .

٢ عقربا : اسم مدينة الجولان .

وصغر شأن الناصر ومن معه من العساكر حتى أوقفه على الحرب [1] ؛ فلما جاءت التتار إلى حلب ونازلها هولاكو ، هرب الناصر من دمشق إلى مصر ، وخرجت عساكر مصر وملكها قطز ، فانكسر الناصر وملكت التتار دمشق ، وصار زين الدين يأمر بها وينهى ، وبقي معه جماعة ، حتى كانوا يدعونه الملك زين الدين . ولما كسر التتار على عين جالوت وانهزم ملك التتار ومن معه من دمشق ، توجه زين الحافظي معهم خوفاً على نفسه من المسلمين » [2] .

قال الرشيد الفارقي : كنت أقابل معه « صحاح » الجوهري ، فلما أمّروه قلت :

قيل لي الحافظيّ قد أمّروه　　قلتُ ما زال بالعلاء جديرا
وسليمان من خصائصه المل　　كُ فلا غروَ أن يكونَ أميرا

أحضره هولاكو بين يديه وقال له : ثبت عندي خيانتك وتلاعبك بالدول : خدمت صاحب بعلبك ثم خدمت صاحب جعبر وصاحب دمشق وخنت الجميع ، وانتقلت إلي فأحسنت إليك ، فشرعت تكاتب صاحب مصر . وعدد ذنوبه ثم قتله ، وقتل أولاده وأقاربه وكانوا نحواً من خمسين نفراً [3] . وكان سببَ ذلك كتبٌ بعثها إلى الظاهر ، وذلك سنة اثنتين وستين وستمائة .

١ ابن أبي أصيبعة : ويصغر شأن الملك الناصر ومن عنده من العساكر ، وكان الملك الناصر مع ذلك جباناً متوقفاً عن الحرب .
٢ إلى هنا ينتهي النقل – بإيجاز وتصرف – عن عيون الانباء .
٣ ص : نحو . . . نفر .

١٨١

ابن الطراوة المالقي

سليمان بن محمد بن عبد الله، أبو الحسين ابن الطراوة المالقي النحوي ؛ أخذ عن أبي الحجاج الأعلم وأبي مروان بن سراج ، حمل عنهم كتاب سيبويه ، وكان عالم الأندلس بالنحو في زمانه ، وله كتاب « المقدمات على سيبويه » ، وأخذ عنه أئمة العربية بالأندلس ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

وقـــائلةٍ أتهْفو للغـــواني ... وقد أضحى بمفرقك النّهارُ
فقلتُ لها حثثت على التصابي ... أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعار

وقال في فقهاء مالقة :

إذا رأوا جملاً يأتي على بُعُدٍ ... مدُّوا إليهِ جميعاً كفَّ مقتنصِ
إن جئتهم فارغاً لزّوكَ في قَرَنٍ ... وإن رأوا رشوةً أفتوك بالرُّخَص

ومنه وقد خرجوا يستسقون[1] على آثار قحط في يوم غامت سماؤه ، فزال ذلك الغيم عند خروجهم[2] .

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت ... بحريّةٍ قَمِنٌ بهـا السحّ

....

١٨١ — المقتضب من تحفة القادم : ١١ وأدباء مالقة : ١٨٨ والمغرب ٢ : ٢٠٨ وبغية الملتمس : ٢٩٠ والتكملة (رقم ١٩٧٩) وبغية الوعاة : ٢٦٢ وصفحات متفرقة من أخبار وتراجم أندلسية ومن نفح الطيب والزركشي : ١٢٩ ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١ ص : يستسقوا .

٢ انظر ابن خلكان ٤ : ١٦٠ .

حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نضح
كُشِفَ الغمامُ إجابةً لهمُ فكأنما خرجوا ليستصحوا

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : وقد سبقه إلى معناها أبو علي المحسن ابن أبي القاسم التنوخي صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » في قوله :

خرجنا لنستسقي بيمنِ دعائه وقد كاد هدب الغيم أن يلحق الأرضا
فلما ابتدا يدعو تقشّعتِ السّما فما تمّ إلاّ والغمام قد ارفضا

١٨٢
أبو الربيع بن سالم

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي الأندلسي البلنسي الحافظ الكبير ؛ ولد في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وتوفي سنة أربع وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

كان بقية أعلام الحديث ببلنسية ، عني أتم عناية بالتقييد والرواية ، وكان إماماً حافظاً عارفاً بالجرح والتعديل ، ذاكراً للمواليد والوفيات ، يتقدم أهل زمانه في ذلك ؛ وكان الخط الذي يكتبه لا نظير له في الإتقان والضبط ، مع الاستبحار في الأدب والاشتهار في البلاغة ، فرداً في الرسائل مجيداً[١] في النظم ،

١٨٢ – التكملة رقم : ١٩٩١ والذيل والتكملة ٤ : ٨٣ وقضاة النباهي : ١١٩ وبرنامج الرعيني : ٦٦ والمقتضب من التحفة : ١٢٩ واعتاب الكتاب : ٢٤٩ والديباج : ١٢٢ وتذكرة الحفاظ ١٤١٧ والنفح (صفحات متفرقة) والمغرب ٢ : ٣١٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٩٨ والزركشي : ١٣٠ والشذرات ٥ : ١٦٤ وانظر مقدمة الاكتفاء ؛ وأخلت المطبوعة بالقسم الأكبر من هذه الترجمة .

١ ص : مجيد .

وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه في المحافل على المنابر.

وله تصانيف مفيدة في عدة فنون ، ألف « الاكتفا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة » في أربع مجلدات ، وله كتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله . وكتاب « مصباح الظلم » يشبه « الشهاب » و « كتاب في أخبار البخاري وسيرته » و « كتاب الأربعين » سوى ما صنف في الحديث والأدب والخطب . ومن شعره :

أشجاهُ ما فعل العذار بخدّه ... قلبي شجّا وهوايَ فيهِ هيجا
ما رابه والحسنُ يمزجُ ورده ... آساً ويخلطُ بالشّقيق بنفسجا
ولقد علمت بأن قلبي صائر[1] ... كرة لصدغيهِ غداةَ تَصَوْلجا

ومنه :

ولمّا تحلّى خدُّهُ بعــــذاره ... تسلوا وقالوا ذنبه غير مغفورِ
وهل تنكر العينُ اللجينَ منيّلاً ... أو المسك مذروراً على صحن كافورِ

[ومنه] :

قالوا اكتستْ بالعذار وجنتُهُ ... هل في الذي قلتموه مِنْ باس؟
أكْلَفُ بالورد وهو منفرد ... فكيف أسلو إذ شيب بالآس ؟

ومنه :

رياضٌ كالعروس إذا تجلّتْ ... وقلَّ لها مشابهة العروسِ
فمن زهرٍ ضحوكِ السنّ طلق ... لجهمٍ من سَحَائِبهِ عبوس
وقضب تحسب الأرواحَ سقّتْ ... معاطفَها سلافَــةَ خندريس
ونهر مثلِ هنديٍّ صقيـــلٍ ... تجرَّد فوق موشيٍّ نفيس
تولّتْ نسجهُ السحبُ الغوادي ... وحاكت وشْيَهُ أيدي الشموس

---

[1] ص : صائراً .

١٨٣
[أبو الفضل الحوراني]

سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح ، الشيخ الإمام الفقيه المفتّي القدوة الزاهد العابد القاضي الخطيب ، صدر الدين أبو الفضل القرشي الجعفري الحوراني الشافعي صاحب النواوي ؛ ولد سنة اثنتين وأربعين بقرية بصرى[١] من السواد[٢] ؛ توفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

قدم دمشق مراهقاً وحفظ القرآن بمدرسة أبي عمر على الشيخ نصر بن عبيد ، ورجع إلى البلاد . ثم قدم بعد سبع سنين وتفقه بالشيخ تاج الدين وبالشيخ محيي الدين ، وأتقن الفقه وأعاد بالناصرية ، وناب في القضاء لابن صصرى مدة ولم يغير ثوبه القطني ولا عمامته الصغيرة .

وتحكى عنه حكايات في رفقه بالخصوم ، يقال إنه كان إذا علم أن الغريم ضعيف يعجز عن أجرة رسول القاضي قام مع الغريم ، ومشى إلى بيت الغريم أو حانوته . وكان خيّراً متواضعاً ، وكان يمشي إلى بعض العُدول ليؤدي عنده الشهادة ، وولي خطابة العقيبة[٣] واكتفى بها . وعينه الأمير سيف الدين تنكز للاستسقاء بالناس سنة تسع عشرة فسقوا. وكان خطيباً بداريّا يدخل إلى دمشق على بهيم ضعيف . وكان لا يدخل حماماً ولا يتنعم ؛ وحدث عن أبي اليسر والمقداد القيسي ، وناب عن ابن الشريشي في دار الحديث ، وشيع جنازته خلق عظيم ، رحمه الله .

١٨٣ — الدرر الكامنة ٢ : ٢٦٠ وطبقات السبكي ٦ : ١٠٦ والدارس ١ : ٤٦٥ ومرآة الجنان ٤ : ٢٧٤ وذيل العبر : ١٤٢ والشذرات ٦ : ٦٧ .

١ ص : بسرى .

٢ يعني بالسواد هنا المنطقة القريبة من البلقاء .

٣ بالعقيبة جامع يسمى جامع التوبة (الدارس ٢ : ٤٢٦) وانظر في خبره ترجمة ابن الزويتينة الرحبي .

١٨٤

[تقي الدين المقدسي الجماعيلي]

سليمان بن حمزة بن أحمد بن الشيخ أبي عمر ، الإمام المفتّي شيخ المذهب مسند الشام تقي الدين ، أبو الفضل المقدسي الجماعيلي الأصل ، الدمشقي الصالحي الحنبلي ؛ ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة خمس عشرة وسبعمائة ؛ وسمع الصحيح حضوراً في الثالثة من ابن الزبيدي ، وسمع « صحيح مسلم » وما لا يوصف كثرة من الحافظ ضياء الدين، ربما عنده منه ستمائة جزء ، وسمع حضوراً من جدّه الجمال أبي حمزة وابن المقير وسمع من ابن اللتي وجعفر الهمداني وابن الجميزي وكريمة الميطوريّة ، وتفقه بالشيخ شمس الدين وصحبه مدة، وبرع في المذهب، وتخرج به الأصحاب، وله معرفة بتواليف الشيخ موفق الدين ، وأقرأ « المقنع »[1] وغيره ، ودرّس بالجوزية ؛ ولي القضاء عشرين سنة ، ومن تلامذته ولده قاضي القضاة عز الدين وقاضي القضاة ابن مسلم والإمام عز الدين محمد بن العزّ والإمام شرف الدين أحمد بن القاضي وطائفة . وسمع منه المزي والواني وابن تيمية وابن المحب والعلائي وابن رافع وعدد كثير .

وعُزل سنة تسع عن القضاء بالقاضي شهاب الدين ابن الحافظ ، عزله الجاشنكير ، ثم أعيد لما جاء الناصر من الكرك واجتمع به فولاّه ، وكان إذا أراد أن يحكم قال : صلوا على رسول الله ، فاذا صلوا حكم ؛ رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين .

---

١٨٤ — الدرر الكامنة ٢ : ٢٤١ والبداية والنهاية ١ : ٧٥ والدارس ١ : ٥٢ ودول الاسلام ٢ : ١٧١ وذيل العبر : ٨٥ وذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٦٤ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٣١ والشذرات ٦ : ٣٥ — ٣٦ ، وفي المطبوعة جزء يسير من هذه الترجمة .

١ المقنع في فروع الحنبلية لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (— ٦٢٠) .

١٨٥

سهل بن هارون

سهل بن هارون بن راهيون الدَّستميساني ، أبو عمر ؛ انتقل إلى البصرة واتصل بخدمة المأمون وتولى خزانة الحكمة له ، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً ، فارسي الأصل شُعوبي المذهب شديد التعصب على العرب ، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته ، مثل كتاب « ثعلة وعفرة » على مثال « كليلة ودمنة ، وغير ذلك من الكتب .

وكان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات ، قال دعبل : كنا عنده فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعاً ، ثم قال : ويحك يا غُلام ! غدّنا ، فأُتي بقصعة فيها ديك مطبوخ ، فتأمله ثم قال : اين الرأس ؟ قال : رميت به ، فقال : والله إني لأمقتُ من يرمي برجليه فكيف برأسه ، ولو لم أكره ما صنعت إلاّ للطيرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ، ومنه يصدح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم نرَ[١] عظماً أهشّ تحت الأسنان منه ، وهل ظننت أني لا آكله أنّ العيال [لا] يأكلونه،

١٨٥ — الفهرست: ١٢٠ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٦٦ وسرح العيون: ١٣٢ وله أخبار في البيان والتبيين ومروج الذهب والعقد ، وشرح البسامة: ١٥٢ ؛ وقد نشر الأستاذ عبد القاهر المهيري (حولية الجامعة التونسية، العدد الأول ١٩٦٤) مقتطفات من كتاب منسوب إليه بعنوان « النمر والثعلب » وهناك دراسات حديثة عنه في امراء البيان ، والفن ومذاهبه في النثر العربي . . . الخ ، ويميل الدارسون إلى أن يعدوا الرسالة في البخل التي اوردها الجاحظ في البخلاء من إنشاء سهل ، وهذا امر يصعب إثباته .

١ ص : ير .

وإن كان قد بلغ من نُبلْك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله ؛ أوما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، انظر لي أين هو ، فقال : والله ما أدري أين هو ، ولا أين رميت به ، فقال : أنا أدري أين رميت به ، في بطنك قاتلك الله !

وعمل كتاباً في البخل ومدحه ، وبعثه إلى الحسن بن سهل يستمنحه ، فوقع إليه الحسن بن سهل : لقد مَدَحتَ ما ذم الله وحسّنت ما قبح ، وما يقوم لفساد معناك صلاحُ لفظك ، وقد جعلنا ثوابك قبولَ قولك ، فما نعطيك شيئاً .

ومن شعره :

تَقاسَمني هَمّانِ قد كسفا بالي ... وقد تركا قلبي محلّةَ بلبالِ
هما أذريا دمعي ولم تذر عبرتي ... ربيبة خدرٍ ذات قرطٍ وخلخال
ولا قهوة لم يبقَ منها على المدى ... سوى أن تحاكي النورَ في رأس ذبال
ولكنني أبكي بعين سَخينةٍ ... على حدثٍ تبكي له عين أمثالي
فراق خليل مثله يبعث الأسى ... وخلّة خلٍّ لا يقوم بها مالي
فوا أسفا حتى متى القلبُ موجَعٌ ... بفقد خليلٍ أو تعذر إفضال
فما العمر إلاّ أن تجودَ بنائلٍ ... وإلاّ لقاء الأخ ذي[1] الخلق العالي

ومن تصانيفه : ديوان رسائله . كتاب « النمر والثعلب » كتاب « اسبايوس[2] في اتخاذ الاخوان » كتاب « أدب أسد[3] بن أسل » كتاب « شجرة العقل » كتاب « تدبير الملك والسياسة » . كتاب «إلى عيسى بن أبان في القضاء» كتاب« الضرس» كتاب « الغزالين » كتاب « بدود لدود ودود »[4] كتاب « الواص والعنة »[5] .

وكانت وفاته بعد المائتين[6] .

---

١ ص : ذا .
٢ وردت دون إعجام في ص ؛ الفهرست : اسباسيوس .
٣ الفهرست : أسل .
٤ الفهرست : ندود وودود ولدود .
٥ كذا ولعله المذكور في الفهرست باسم « الوامق والعذراء » .
٦ ومن تصانيفه . . . المائتين : لم يرد في المطبوعة .

١٨٦
[سلار الصالحي المنصوري]

سلاّر الأمير ، سيف الدين التتري[١] الصالحي المنصوري ؛ كان أولاً من مماليك الصالح علاء الدين علي بن المنصور قلاون ، فلما مات الصالح صار من خاصة المنصور ، ثم اتصل بخدمة الأشرف وحَظي عنده وتأمر ، وكان عاقلاً تاركاً للشر ، ينطوي على دهاء وخبرة بالأمور ، وفيه دين بالجملة ، وكان صديق السلطان حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر ، ندبوه الأمراء لإحضار السلطان الملك الناصر من الكرك ، فسار إليه وأحضره ، وركن إلى عقله وأيمانه فاستنابه وقدّمه على الجميع فخضعوا له ، ونال سلاّر من سعادة الدنيا ما لا يوصف ، وجمع من الذهب قناطير مقنطرة ، حتّى اشتهر على ألسنة الناس أنه كان يدخله كل يوم مائة ألف درهم ، واستمر في دست النيابة إحدى عشرة سنة وكان إقطاعه بضعة وثلاثون طبلخاناه[٢] .

ولما توجه الملك [الناصر] إلى الكرك وتملك الجاشنكير استمر به في النيابة، وازداد عظمة وسعادة ، وأقاما على ذلك تسعة أشهر ، فلما عاد السلطان من الكرك تلقاه سلاّر إلى أثناء الرمل ، ولما دخل مصر أعطاه الشوبَك ، فتوجه إليها هو

---

١٨٦ — الدرر الكامنة ٢ : ٢٧٦ والنجوم الزاهرة : (صفحات متفرقة من ج : ٩) والسلوك ١/٢ : ٩٧ والشذرات ٦ : ١٩ وذيل العبر : ٥٣ ؛ وسيجد القارىء أن بعض الالفاظ والتعبيرات في هذه الترجمة تخالف القواعد المعروفة في الاعراب .

١ ص : التشتري ؛ وسماه في ذيل العبر : « المغلي » .

٢ الطبلخاناه (= بيت الطبل) يحكم عليها أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم ، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه وله رجال تحت يده : ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين (صبح الأعشى ٤ : ١٣ ، ١٥) .

وجماعته ، وتشاغل السلطان عنه ، ونزح سلاّر عن الشوبك ودخل البرية ، وسيّر يطلب الأمان على أنه يقيم بالقدس يعبد الله عز وجل ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ودخل القاهرة بعد أن بقي أياماً في البرية متردداً بين العرب ينوبه كل يوم ألف درهم وأربعين غرارة شعير ، فلما جاء عاتبه السلطان واعتقله ومنعه الزاد حتى مات جوعاً .

قيل إنه أكل سرموزته [1] ، وقيل خفه ، وقيل إنهم دخلوا عليه وقالوا له : عفا السلطان عنك ، فقام من الفرح ومشى خطوات وسقط ميتاً .

وكان أسمر لطيف القد ، أسيل الخدّ لحيته في حنكه سودا ، وهو من التتار الأويراتية ، مات في أوائل الكهولة في سنة عشر وسبعمائة ، ولعله ما بلغ الكهولة ، رحمه الله تعالى ؛ وأذن السلطان للجاولي أن يتولى جنازته ودفنه ، فدفن بتربته [2] عند الكبش بالقاهرة .

وكان ظريفاً في لبسه ، اقترح أشياء في الملبس وهي إليه منسوبة [3] ، وكذلك في المناديل وفي قماش الخيل وفي آلة الحرب .

قال شمس الدين الجزري : قيل إنه أخذ له ثلثمائة ألف ألف دينار وشيء كثير من الجواهر والحلي والحلل والسلاح والغلال مما لا يكاد يحصر .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وهذا مستحيل ؛ لأن ذلك يجيء وقر عشرة آلاف [4] بغل .

قال الشيخ شمس الدين الجزري : نقلت من ورقة بخط علم الدين البرزالي قال : دفع إليّ المولى جمال الدين ابن الفويرة ورقة بتفصيل بعض أموال سلاّر وقت الحوطة عليه في أيام متعددة [5] :

---

١ سرموزته أو سرموجته (في النجوم : ١٨) نوع من الأحذية ؛ وفي ص قد تقرأ اللفظة رزموزته .
٢ تربة سنجر الجاولي بين القاهرة ومصر (الخطط ٢ : ٣٩٨) .
٣ ذكر ابن تغري بردي (٢٠) لباس السلاري ، نسبة إليه ، ولم يصفه .
٤ النجوم : خمسة آلاف .
٥ نقل هذا النص صاحب النجوم الزاهرة عن الجزري ، وفيه اختلاف عما ورد هنا .

يوم الأحد : تسعة عشر رطل بالمصري زمرد ، ياقوت رطلان ، بَلَخْش رطلان ونصف ، صناديق ستة ضمنها جواهر وفصوص ألماس وغيره ، لؤلؤ كبار مدور من زنة درهم إلى مثقال، ألف ومائة وخمسون حبة ذهب مائتا ألف وأربعون ألف مثقال ، دراهم أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم .

يوم الاثنين : ذهب مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وألف ألف درهم وخمسون ألف ، فصوص رطلان ونصف ، مصاغ عقود وأساور وزنود وحلق أربع قناطير بالمصري ، وفضيات أواني وطاسات وهواوين وأطباق وغير ذلك ستة قناطير .

يوم الثلاثا : خمسة وأربعون ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف، براجم وأهلة وسناجق ثلاث قناطير .

يوم الأربعاء : ذهب ألف ألف دينار ، وثمانمائة ألف درهم ، أقبية ملونة بفرو قاقم[1] ثلاثمائة قَباء ، أقبية سنجاب أربعمائة قَباء ، سروج مزركشة مائة سرج .

ووجد عند صهره الأمير موسى ثمان صناديق كان من جملة ما فيها عشر جواشن مجوهرة سلطانية ، وتركاش[2] ما يُقوَّم ، ومائة ثوب طرد وحش[3] ، وحضر صحبته من الشوبك خمسون ألف دينار وخمسمائة ألف درهم وثلثمائة خلعة وخركاه[4] أطلس معدني مبطنة بأزرق وبابها زركش ، وثلثمائة فرس ومائة وعشرين قطار بغال ومثلها جمال ، كل هذا سوى الغلال والأنعام والجواري والغلمان والأملاك والعدد والقماش .

ذكروا أنه عوقب كاتبه ، فأقر أنه كان يحمل إليه كل يوم ألف دينار ما يعلم

---

١ القاقم : حيوان كالسنجاب ، فروه يشبه الفنك

٢ التركاش : جعبة السهام .

٣ طرد وحش : نوع من القماش الحريري مزين بصور الصيد والطرد (ملحق دوزي) .

٤ الخركاه : الخيمة .

بها غيره ؛ وقيل إن مملوكاً دلهم على كنز له مبيي في داره . فوجد فيه أكياساً وفتحوا بركة فوجدوها مملوءة أكياساً ، ثم مات البائس يتحسر على الخبز اليابس .

قال الشيخ شمس الدين : وحدثني شيخنا فخر الدين أن إنساناً حدثه قال : دخل العام شونة[1] سلاّر ستمائة ألف أردب . والله أعلم .

---

١ الشونة وجمعها شون : مخزن الغلة .

حَرْفُ الشِّين

١٨٧

[سبط ابن عبد الظاهر]

شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكناني العسقلاني المصري ، سبط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، الإمام الأديب ناصر الدين ؛ ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

كان يباشر الإنشاء بمصر زماناً إلى أن أضرّ ، لأنه أصابه سهم في نوبة حمص الكبرى سنة ثمانين وستمائة في صدغه ، فعمي وبقي ملازم بيته إلى أن توفي ، رحمه الله .

روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره ، وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان والشيخ علم الدين البرزالي وغيره من الطلبة ، وله النظم الكثير والنثر الكثير ، وكتب المنسوب ، وكان جماعة للكتب ، خلف ثمانية عشر خزانة مملوءة كتباً نفيسة أدبية ، وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب ، وبقيت تبيع منها إلى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . وكان إذا لمس الكتاب وجسّه قال : هذا الكتاب الفلاني وملكتُهُ في الوقت الفلاني ، وكان إذا أراد أي مجلد كان قام إلى خزانته ، وتناوله كأنه الآن وضعه بيده .

ومن شعره :

قال لي مَنْ رأى صباحَ مشيبي عن شمالي من لِمتّي ويميني

---

١٨٧ – الزركشي : ١٣٠ والدرر الكامنة ٢ : ٢٨١ ونكت الهميان : ١٦٣ والسلوك ٢ : ٣٢٧ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٨٥ وحسن المحاضرة ١ : ٥٧١ وبحث لمصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢ : ١١٦ – ١٢٥ ؛ وقد أبقيت في هذه الترجمة كل ما هو مخالف للاعراب على حاله إلا أن يكون في الشعر .

أيّ شيء هذا ؟ فقلت مجيباً : ليل شكّ محاهُ صبحُ يقينِ

وقال :

تعجبتُ من أمر القرافة إذ غدت على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبّة كلّهم ومستوطن الأحباب يصبو له القلبُ

وقال :

شكا لي صديقي حُبَّ سوداء أغريَتْ بمصّ لسانٍ لا تملّ له وردا
فقلت له دعها تلازمُ مصّهُ فماء لسانِ الثور يصلح للسَّوْدا

وقال في مليح وسطه مشدود ببَندٍ [1] أحمر :

وبي قامةٌ كالغصنِ حين تمايلت وكالرمح في طعنٍ تقدّ وفي قدّ
جرى من دمي بحر [2] بسهمِ فراقهِ فخضَّب منه ما على الخصر من بند

أحسن منه قول ابن قرناص المعروف بالدوباش :

مَن مجيري من شادن بهواهُ ليَ شغْلٌ عن حاجرٍ والعقيقِ
خصره تحت أحمرِ البند يحكي خنصراً [3] فيه خاتم من عقيقِ

وقال شافع :

لقد فاز بالأموال قوم تحكموا وكان لهم مأمورها وأميرها
تقاسمَهم أكياسها شرَّ قسمةٍ ففينا غواشيها وفيهم صدورها

وقال في سجادة خضراء :

عجبوا إذ رأوا بديعَ اخضرارٍ ضمنَ سَجّادةٍ بظلّ مديدِ
ثم قالوا : من أي ماء تروّى ؟ قلت : ماء الوجوه عند السجود

---

١ البند . الشريط أو الزنار .

٢ ص : بحراً . ٣ س : خنصر .

وقال في ممسحة القلم :

وممسحة تَناهى الحسن فيها   فأضحت في الملاحة لا تُبارى
ولا نكرٌ على القلمِ الموافي   إذا في ضمنها[1] خلع العذارا

وكتب إليه السراج الوراق يستشفع به عند فتح الدين ابن عبد الظاهر :

أيا ناصرَ الدين انتصرْ لي فطالما   ظفرت بنصرٍ منك في الجاه والمالِ
وكن شافعي[2] فالله سماك شافعاً   وطابقت أسماء بأحسن أفعال
وقدرك لم نجهلهُ عند محمدٍ   لأنّ ابن عباس من الصحب والآل

وكتب إليه أيضاً في المعنى :

سيدي اليوم أنت ضيف كريم   فاق مَعناً[3] في جوده بمعانِ
لو رأى الفتح سؤدد الفتح هذا   ما انتمى بعده إلى خاقان
أو رآهُ فتحُ المغارب حَلّى   بعلاهُ قَلائدَ العقيان
وكأنّي أراكما في مجارا   ة المعاني بحرين يلتقيان
وتطارحتما مذاكرةً يفـ   ـتنّ منها أزاهر الأفنان
فإذا مرّ للصنائع ذكرٌ   «فاجعلاني من بعض من تذكران»[4]

---

[1] في المطبوعة « ضمها » وهي قراءة جيدة .
[2] ص : شافع .
[3] ص : معن .
[4] عجز بيت للمعري ، وصدره : « ان تذكرتما وداد أناس » .

١٨٨
أبو اليسر كاتب نور الدين

شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، الرئيس أبو اليسر التنوخي المعري الدمشقي كاتب الإنشاء ؛ كان أديباً فاضلاً جليلاً ذكياً شاعراً ، كتب الإنشاء لنور الدين الشهيد ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

قرأ الأدب على جده القاضي أبي المجد محمد بن عبد الله بحماة ، وسمع من أبي عبد الله الحسين ابن العجمي وغيره ، وحدث ؛ وولد سنة ست وتسعين وأربعمائة ؛ وسمع منه الحافظ أبو القاسم بن عساكر مع تقدمه ، وهو جد تقي الدين إسماعيل ، رحمهم الله تعالى وإيانا والمسلمين .

١٨٩
[شبل الطائي]

شبل بن الخضر بن هبة الله بن أبي الهجام الطائي ، الشاعر ابن الشاعر ؛ مدح الخليفة والوزراء والأعيان ، وذكره العماد الكاتب في « خريدة القصر » ، وتوفي سنة تسعين وخمسمائة ، وكان متديناً حسن الطريقة ، رحمه الله . ومن شعره :

أبغير حبكمُ يطيبُ غرامي كلا ، وأنتم صحتي وسقامي

---

١٨٨ – تعريف القدماء (الانصاف والتحري) : ٥٠٤ – ٥٠٥ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٥ وله ترجمة في تاريخ ابن عساكر والوافي للصفدي وتاريخ ابن العديم ؛ ولقبه « تقي الدين » ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١٨٩ – الزركشي : ١٣٢ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

أحبابنا هل وقفة نشكو بهـا ألـمَ الهوى ونفضّ كل ختام
ومن العجائب أن سمحت بمهجتي لغريرة بخلتْ بردّ سلامي
هيفاء حرّمتِ الوصالَ فلم رأت دميَ الحرامَ السفك غيرَ حرام

منها :

أصبو إليك وللوقار زواجرٌ تقتادني عن صبوةٍ بزمـام
وتقول لي ما المجدُ شرب مدامةٍ وسماع غانيةٍ ووصلُ غلام
واعلم بأن الفضلَ ليس بنافع حتى يناطَ بجرأةِ الإقدام
والشعر ما لم يأتِ فيه فصاحة فكأنّه ضربٌ من البِرْسام
والمدحُ في غير الوزير محمدٍ ذي الفضل مأثمةٌ من الآثام

وقال أيضاً :

أتانـا يرينا من مقبّله رصفا غزال سقانا الخمرَ من فمهِ صرفا
من الهيف خطّ الحسنُ في نور وجهه حروفَ جمالٍ لا أقيس بها حرفا
فعرّق نوني حاجبيهِ براعـــةً وصفّ بحذقٍ سين طرته صفـا
أنى يحتذي ليَّ القضيب قوامـهُ ولم يعتمد ليّـاً لوعدي ولا خلفا
تأوّد غصناً ناضر[1] العطف ناعماً فبتُّ أفدّيهِ وأسأله عطفـا
ولما[2] جنيت الوردَ من وجناتــه تغنمتها لثماً وأحللتها قطفـا
بدا بدرَ تمٍّ وانثنى خيزرانةً وماج كثيباً أهْيلاً ورنا خشفا
وعـــاطيتهُ مشمولَةً بـــابليةً يرى لسنا لألاء بارقها خطفا
فراح ولونُ الراح يصبغ كفّهُ ووجنته الحمراء من لونها أصفى

-----

١ ص : ناظر .
٢ ص : وما .

١٩٠
تقي الدين الطبيب

شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن شبيب بن محمود ، الأديب الفاضل الطبيب الكحال تقي الدين أبو عبد الرحمن ، نزيل القاهرة ، أخو الشيخ نجم الدين شيخ الحنابلة ؛ ولد بعد العشرين وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة .

سمع ابن روزبة وكتب عنه الدمياطي ، وكان فيه شهامة وقوة نفس ، وله أدب وفضائل ، وعارض « بانت سعاد » [بقصيدة] [١] منها :

إلى النّبيّ رسولِ الله إنّ له ... مجداً تسامى فلا عرضٌ ولا طولُ
مجداً كبا الوهم عن إدراكِ غايته ... وردّ عقلَ البرايا وهو معقول
مطهرٌ شرّفَ الله العبادَ به ... وساد فخراً به الأملاكَ جبريل
طوبى لطيبة بل طوبى لكلّ فتى ... له بطيب ثراها الجعد تقبيل

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : عرض عليّ ديوانه فانتخبتُ منه ما قرأته عليه ، فمن ذلك قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا مقــامُ محمّــدٍ والمنبرِ ... فاستَجلِ أنوارَ الهداية وانظرِ
والثم ثرى ذاكَ الجناب معفّراً ... في مسك تربته خدودكَ وافخرِ
واحللْ على حرَمِ النبوة واستجزْ ... بحماهُ من جورِ الزمان المنكر
فهناكَ من نور الإلهِ سريرة ... كشفت غطاء الحقّ للمستبصر
وجلت دجى ظلَم الضلال فأشرقت ... أفقُ الهداية بالصباح المسفر

---

١٩٠ – الزركشي : ١٣٢ والشذرات ٥ : ٤٢٨ وحسن المحاضرة ١ : ٥٤٣ وذكر أن صاحب العبر ترجم له ؛ ويبدو أنه سقط من المطبوع ، إذ لم يرد فيه وفيات ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

١ زيادة من المطبوعة .

نور تجشمَ فارتقى متجـاوزاً شرفاً على الفلك الأثير الأكبر

وقال أيضاً :

انهض فزَندُ الصباح قد قدحا وامزج لنا من رضابك القدحا
فالزهرُ كالزهر في حدائقـه والطيرُ فوق الغصون قد صدحا
في روضة نَقَّطَتْ عرائسها بدرّ قَطْرٍ نظمنه سبحـا
وصفّقَ الماء في جـداوله ورقّص الغصنُ طيرهُ فرحا
والزّقُ بين السقاةِ تحسبـهُ أسْودَ مستسقيـاً وقد ذبحا
فعاطني قَهْوةً معتّقَـةً تُذهِبُ كأسي وتُذهبُ الترحا
بكر إذا عَرَّسَ النّديمُ بها وافتضّها الماء تنتجُ الفرحـا
من كف رخص البنان معتدل لو لامس الماء خَدّهُ جرحا
يسعى بخمر الدلال مغتبقـاً ومن سلاف الشباب مصطبحا
قد تلِفَ القلبُ من سَوالِفهِ وجداً إذا جد بالهوى مزحا
كم لي بسفح العقيق من كلفي عقيق دمعٍ عليه قد سفحا

وقال في سوداء :

وبديعةِ الحركاتِ أسكنَ حبّها حَبَّ القلوب لواعجَ البرحاء
[سوداء بيضاء الفعال وهكذا حبُّ النواظر خُصَّ بالأضواء] [١]
أسرت محاسنها العقول فأطلقت أسرى المدامع ليلة الاسراء
فلئن جننت بحبّها لا بـدعة أصلُ الجنون يكون بالسوداء

وقال :

أقام عُذري العذارُ فيهِ واحتجَّ لي قدّهُ القويمُ
وصحَّ وجدي عليهِ لمّا أسْقَمَني طرفه السّقيم

---

١ سقط من ص .

فكم بنَعمانَ من كئيبٍ فارقهُ بعـده النعيم
يزيدُهُ لوعةً وشوقـاً حديثُ أيامه القديم

وقال[1] :

ولقد شهدت الراح يقدح نورها للمدلجين النار من قدحيهـا
في روضة ضحكت ثغور أقاحها من طول ما بكت العيون عليها
والطير تخطب في منابر دوحة شمخت فخرَّ الماء بين يديها

وقال :

ومهفهفٍ قسمَ الملاحةَ ربّها فيهِ وأبدعهُ بغيرِ مثـالِ
فلخدّهِ النّعمان روضُ شقائق ولثغره النّظّام عقد لآلي
ولطرفه الغزّال إحياء الهوى وكـذلك الإحيـاء للغزّالي

يشبه قول محيي الدين بن عبد الظاهر :

يا من رأى غزلان رامة هل رأى باللهِ فيهم مثل طرف غز الي
أحيا عيون العاشقين بلحظه الـ غزالِ والإحيـاء للغزالي

١٩١

ابن أسد المصري

شرف بن أسد المصري ؛ شيخ ماجن متهتك ظريف خليع ، يصحب الكتاب ويعاشر الندماء ، ويشبب في المجالس على القيان .

---

١ هذه القطعة لم ترد في المطبوعة .

١٩١ – الدرر الكامنة ٢ : ٢٨٦ ، والكتبي ينقل أيضاً عن الوافي للصفدي .

قال صلاح الدين : رأيته غير مرة بالقاهرة ، وأنشدني له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك ، وكان عاميـّاً مطبوعاً قليل اللحن ، يمتدح الأكابر ويستعطي الجوائز ، وصنف عدة مصنفات في مشاشاة الخليج والزوائد التي للمصريين والنوادر والأمثال، ويخلط ذلك بأشعاره ، وهي موجودة بالقاهرةعند من كان يتردد إليهم . وتوفي رحمه الله تعالى بعد ما تمرّض زماناً في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

قال وأنشدني لنفسه :

رمضانْ كلّك فتوّهْ · وصحيح دَيْنَك عليّهْ
وأنـــا ذا الوقْتِ معْسرْ · واشتهي الإرفـاق بيّهْ

حتى تروى الأرض بالنيل · ويبـــاع القُرْط بدري
واعطك الدرهم ثـــلاثهْ · وأصوم شهرين وما ادري
وإن طلبتـني في ذا الوقت · فأنــــا أثبتّ عسري

فامتهل واربـــحْ ثوابي · لا تربّحـني خطيّـــه
وتخلّيــــــني أسقّـــف · طول نهاري لا عشيّهْ

لك ثلاثين يوم عنـــدي · أصبر أعطي المثل مثلين
وإن عسفتني ذي الايّـام · ما اعترف لك قط بالدين
وأنكرك واحلف واقلْ لك · أنت من أين وأنا من إين

واهربْ أقعدْ في قمامه · أو قلالي بولشيّـــه[١]
وأجي في عيــــد شوال · واستريح من ذي القضيّهْ

---

١ اللام في ص قصيرة تلتبس بالياء أو النون (دون إعجام) ؛ والقمامة : هي الكنيسة التي ببيت المقدس ، وتسمى عند الجمهور « القيامة » ؛ والقلالي : الصوامع المتصلة بالدير ، والبولشية نسبة إلى بولش (بولس) — حسب تقديري للقراءة — .

والاّ خذْ منّي نقَيْدَهْ   في المعجل نصف رحلك
صومي من بكره إلى الظهر   وأقاسي الموتْ لأجلَك
وأصوم لك شهر طوبــه   ويكون من بعضِ فضلك

إيش أنــا في رحمةِ الله   مَنْ أنــا بين البريّهْ
أنّــا إلاّ عبد مقهور   تحت أحكــامِ المَشيّهْ

من زبونٍ نحسْ مثلي   رمضانْ خُــذْ ما تيسرْ
انت جيت في وقت لو كان   الجنيد في مثلُــهْ أفطرْ
هوّن الأمــور ومَشّي   بعَــلي ولا تعَسّرْ

وخذ ايش ما سهّل اللهْ   مــا الزبونات بالسويّه
المـلي خذ منّهْ عاجـلْ   وامهل المعسِرْ شويّــهْ

ذي حرور تذوّبْ القَلْب   ونهـــار أطول من العامْ
وانا عندي أيّ مَنْ صام   رمضان في هاذي الأيّــام
ذاك يكون الله في عونـه   ويكفّر عنّــو الآثـام

وجميع كــلامي هــذا   بطريــق المصخريــة[1]
والله يعلَم ما في قلبي   والذي لي في الطّويّـــه

قال الشيخ صلاح الدين حرسه الله تعالى: ووضع حكاية حكاها لي بالقاهرة المحروسة ونحن على الخليج بشق الثعبان سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وهي : اجتاز بعضُ النحاة ببعض الأساكفة فقال له : أبيت اللعن واللعن يأباك ، ورحم الله أمك وأباك ، وهذه تحية العرب في الجاهلية قبل الإسلام ، لكن عليك أفضل السلام والسلام والسلام ، ومثلك من يعز ويكرم ، قرأت القرآن ، و « التيسير »[2]

---

١ ص : المصخركيه .   ٢ كتاب في القراءات لأبي عمرو الداني .

و « العنوان » ، و « المقامات الحريرية » ، و « الدرة الألفية » ، و «كشاف » الزمخشري ، و « تاريخ الطبري » ، وشرح اللغة والعربية ، على سيبويه ونفطويه ، والحسن ابن خالويه ، والقاسم بن كميل ، والنضر بن شميل ، وقد دعتني الضرورة إليك ، وتمثلت بين يديك ، لعلك تتحفني من بعض حكمتك ، وحسن صنعتك ، بنعل يقيني الحر ، ويدفع عني الشر ، وأعرب لك عن اسمه حقيقا ؛ لأتخذك رفيقا ، فيه لغات مؤتلفة ، على لسان الجمهور مختلفة ، ففي الناس ، من كَنّاه بالمَداس ، وفي عامة الأمم ، من لقبه بالقدم ، وأهل شهرتوزه ، سموه بالسارموزة[1] ، وإني أخاطبك بلغات هؤلاء القوم ، ولا إثم عليّ في ذلك ولا لوم ، والثالثة به أولى ، وأسألك أيها المولى ، أن تتحفني بسارموزة ، أنعم من الموزة ، أقوى من الصوان ، وأطول عمراً من الزمان ، خالية البواشي ، مطبقة الحواشي ، لا يتغير عليّ وشيها ، ولا يرُوعني مشيها ، لا تنقلب إن وطئت بها جروفا ، ولا تنفلت إن طحتُ بها مكاناً مخسوفا ، لا تتلوّق من أجلي ، ولا يؤلمها ثقلي ، ولا تتمزق من زحلي ، ولا تتعوّج ولا تتلقْوَج ، ولا تنبعج ولا تنفلج ، ولا تقب تحت الرجل ، ولا تلزق بخبز الفجل ، ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النّعمان ، أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب ، عالية الأجناب ، لا يلحق بها التّراب ، ولا يغرقها ماء السحاب ، تصرّ صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب[2] ، جلدها من خالص جلود المعز ، ما لبسها ذليل إلاّ افتخر بها وعز ، مخروزة كخرز الخردفوش ، وهي أخف من المنفوش ، مسمّرة بالحديد منطقة ، ثابتة في الأرض الزلقة ، نعلها من جلد الأفيلة الحمير لا الفطير ، وتكون بالنزر الحقير .

فلما أمسك النحوي من كلامه ، وثب الإسكافي على أقدامه ، وتمشى وتبختر ، وأطرق ساعة وتفكر ، وتشدد وتشمر ، وتحرج وتنمر ،

---

١ كذا كتبها المؤلف ، ومرت من قبل دون ألف « سرموزة » .

٢ ص : حراب .

ودخل حانوته وخرج ، وقد داخله الحنق والحَرَج ، فقال له النحوي : جئت بما طلبته ؟ قال : لا بل بجواب ما قلته ، فقال : قل وأوجز ، وسجّعْ ورجز ، فقال[1] : أخبرك أيها النحوي أن البشر سابخرويّ شطبطاب المتفرقل ، والمتقبقب من جانب الشرشنكل ، والديوك تصهل كنهيق زقازيق الصوبلجانات ، والحرفرف الفرياح ببيض القرقنطق والزعربرجر احلبنبوا يا حيز من الطيز بجبج بشمردلو خاط الركبكو شاع الجبربر بجفر الترتاح بن يبسوشاح على لوي بن شمندوخ ، على لسان القروان مازلوخ ، أنك أكيت أرس برام المستلطخ بالشمر دكند مخلوط ، والزيبق بحبال الشمس مربوط ، علعل بشعلعل ، مات الكركندوس أدعوك في الوليمة ، يا تيس ، تش يا حمار يا بهمية ، أعيذك بالزحواح ، وأبخرك بحصى لبان المستراح ، وأرقيك برقوات مرقّات قرقرات البطون ، لتخلص من داء البرسام والجنون .

ونزل من دكانه ، مستغيثاً بجيرانه ، وقبض لحية النحوي بكفيه ، وخنقه باصبعيه ، حتّى خر مغشياً عليه ، وبربر في وجهه وزمجر ، ونأى بجانبه واستكبر ، وشخر ونخر ، وتقدم وتأخر ، فقال النحوي : الله أكبر الله أكبر ، ويلك ما هذا العُفان ، قال من ذلك الهذيان . والسلام .

١٩٢
[شعيب المغربي]

شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون ، المري المغربي الأصل ؛ قال الشيخ أثير الدين : نشأ المذكور بالقاهرة ، ومولده بساحل بر الحجاز بموضع يسمى

١ قد أثبت صورة ما جاء في ص ؛ وهو نوع من الهذيان ، وليس من اليسير ضبطه .
١٩٢ – الزركشي : ١٣٣ .

قبر عنبر ثاني عشر القعدة سنة ستين وستمائة . وأنشدنا من نظمه :

هزّوا الغصونَ معاطفاً وقدودا ... وجلَوْا من الوردِ الجنيّ خدودا
وتقلّدوا فترى النجومَ مباسماً ... وتبسّموا فترى الثغورَ عقودا
وغدا الجمالُ بأسره في أسرهمْ ... فتقاسموهُ طارفاً وتليدا
فإذا سفرنَ أهلّة وإذا سرحـ ... ـن جآذراً وإذا حمَلْنَ أسودا
وإذا لووا زَرَدَ العذار على النقا[1] ... جعلوا اللوى فوق العقيق زرودا
رحلوا عن الوادي فما لنسيمهِ ... أرجٌ ولم أرَ في رُباهُ الغيدا
وذوت غصون البان فيه فلم تمس ... طرباً ولم أسْمع بـهِ تغريدا
فكأنّما هم بانُهُ وغصونُهُ ... وظُبـا رباهُ وظلّهُ ممدودا
نصبوا على ماء العُذَيب خيامهمْ ... فلأجلهم عذُبَ العذيب ورودا
وتحمّلتْ ريحُ الصبا من عرفهم ... مسكاً يضوعُ به النسيم وعُودا

١٩٣

[شقيق البلخي]

شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي الزاهد ؛ أحد شيوخ التصوف ، صاحب إبراهيم بن أدهم ؛ توفي سنة أربع وتسعين ومائة . له كلام في التوكل معروف ، حدّث عن إبراهيم بن أدهم وأبي حنيفة وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم ، وروى عنه حاتم الأصم وابنه محمد بن شقيق ومحمد بن أبان البلخي مستملي وكيع وغيرهم ، وهو من أشهر شيوخ خراسان في التوكل ، ومنه وقع

١ ص : القنا .

١٩٣ – حلية الأولياء ٨ : ٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٢٧ وطبقات السلمي : ٦١ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٩ وابن خلكان ٢ : ٤٧٥ .

أهل خراسان إلى هذا الطريق .

قال له إبراهيم بن أدهم بمكة : ما بَدء أمرك الذي بلغك إلى هذا ؟ فذكر أنه رأى في بعض الفَلَوات طائراً[1] مكسور الجناحين ، أتاه طائر[2] صحيح الجناح ، في منقاره جرادة ، فتركتُ التكسب واشتغلت بالعبادة ، فقال له إبراهيم : ولِمَ لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم الطائر المكسور حتى تكون أفضل منه ؟ أما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . ومن علامة المؤمن : أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار ، فأخذ شقيقٌ يد إبراهيم فقبلها وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحاق .

وقال حاتم : كنا مع شقيق في مصافٍ نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس تطير ورماح تقصف وسيوف تقطع ، فقال لي : كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زُفّتْ إليك امرأتك ؟ قال : لا والله ، قال : لكني والله أرى نفسي هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ، ثم نام بين الصفين ، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه .

ومات في غزوة كوملان سنة أربع وتسعين ومائة .

قال أبو سعيد الخراز : رأيت شقيقاً[3] البلخي في النوم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي ، غير أننا لا نلحقكم ، قلت : ولم ذاك ؟ قال: لأنا توكلنا على الله بوجود الكفاية وتوكلتم بعدم[4] الكفاية ، قال : فسمعت الصراخ : صدَقَ صدق ، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ :

---

١ ص : طائر .
٢ ص : طائراً .
٣ ص : شقيق .
٤ ص : بعد .

١٩٤

[أبو الهيجاء بن أبي الفوارس]

شهفيروز بن سعد بن عبد السيد بن منصور، أبو الهيجاء ابن أبي الفوارس، الشاعر ابن بنت أبي علي بن الحمامية المستعمل ؛ ويسمى أحمد أيضاً ؛ كان أديباً فاضلاً شاعراً، أنشأ مقامات أدبية، وسمع من أبي جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وعبد الواحد بن محمد بن أحمد الحمامي ، وحدث باليسير ، توفي في سنة ثلاثين وخمسمائة ومن شعره :

وساقٍ بِتُّ أشرب من يديه مشعشعةً بلونٍ كالنجيعِ
فحمرتُها وحمرةُ وجنتيهِ ونورُ الكأسِ في نار الشموع
ضياءٌ حارت الأبصارُ فيهِ بديعٌ في بديعٍ في بديع

ومنه :

ولهلةَ بتنا والسّواعدُ بينَنا وسادٌ ومن خمرِ الثغور لنا عَلُّ
وقد نمّ في جنح الدجى جَرْسُ حليها ونادى بأعلى صوته القلب والحجل
فضضت ختاماً عن عقيق كأنّه على اللؤلؤ المنظوم من فمها قفل
فللنظم ما يجلو من الدرّ ثغرها وللظَّلم ما يجني من العسل النحل

وقال :

وأنتِ التي [١] زينت في عينيَ الهوى وحبَّبتِ يا سلمى إلى نفسيَ الحبّا
ولولاك لم يخطر على قلبيَ الجوى ولم أُدْعَ ما بين الورى الهائم الصبا

---

١٩٤ – معجم الأدباء ١١ : ٢٧٢ (شفهفيروز) وقد أخلت المطبوعة بقسم كبير من هذه الترجمة

١ ص : الذي .

١٩٥

[ضياء الدين القناوي]

شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة القناوي النحوي اللغوي العروضي ، أبو الحسن ضياء الدين .

قال شهاب الدين القوصي : أنشدنا ضياء الدين القناوي سنة تسعين وخمسمائة قصيدته اللغوية التي نظمها ووسمها بـ « اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة » في الأسماء المذكرة وهي :

وصفت الشعر من يفهم　　يخبِّرُني بمـــا يعلم
يخــــبرني بألفــــاظٍ　　من الإعراب ما الدهثم
وما الإقليـــد والتّقليـ　　ـدُ والتهنيدُ والأهتم
ومـــا النهاد والأهدا　　م والأسمـــال والعيهم
وما الالغـــاد والإخرا　　د والأقـــراد والمكدم
وما الدفراس والمردا　　س والقداس والأعلم
[وما الأوحاص والأدرا　　ص والقراص والأترم]
ومـــا اليعضيد واليعقيـ　　ـدِ والتّدمين والأرقم
وما الإنكالُ والأنكا　　ث والأعلام والأفضم
ومـــا الأوغال والأوغا　　دُ والأوغاب والأفصم

١٩٥ – معجم الأدباء ١١ : ٢٧٧ وانباه الرواة ٢ : ٧٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ والطالع السعيد : ٢٦٢ والديباج المذهب : ١٢٧ ونكت الهميان : ١٦٨ وحسن المحاضرة ١ : ٤٥٤ والبلغة للفيروزبادي : ٩٥ ؛ وقد نقلت هذه الترجمة من موضعها إلى حرف الضاد « ضياء الدين » في المطبوعة ؛ قلت : ولم أحقق ألفاظ قصيدته التي جاءت هنا ، فان عدم وجود أصل مضبوط لها يجعل تحقيق الألفاظ ضرباً من التقدير التحكمي .

وما المنهوسُ والملسو س والملهوس والأثلم
وما الأوقاش والأوشا ب والأوباش والضيهم
وما الإيهات والرّمي ت والضفنان والأورم
وما الجرفاس والدروا س والبرشاع والموصم
وما الأدمار والعوا ر والمسعاد والأدلم
وما الضَّربان والقِدْما ن والميدان والديلم
وما اليؤيؤ والضئضى ء والهلباجة الخوعم
وما المعرور والقدمو س والعترّاد والأرشم
وما الإذعان والإفرا ن والأفدان والمنهم
وما الذيفان والمأفو ن والذيال والأريم
وما الإعداق والاعذا ق والأوزام والضرغم
وما الشماذ واللوا ذ والملاذ والجهضم
وما الهدام والأسدا م والأرزام والأدسم
وما الأخطال والأكرا ز والأشراط والأدرم
وما الزعرور والمنزو ر والشعرور والأعصم
وما الدقرور والصعرو ر والقيدور والميّم
وما التعريس والتغوير ر والشنتير والأشرم
وما الإذعاف والإترا ف والقعدود والمصرم
وما الحيطان والبُدّا ن والصّيران والمرزم
وما الدّعداع والمِذيا ع والاقذاع والخلجم
وما الإصرام والأخلا م والأوخام والميلم
وما الصّردان والصّرفا ن والصرغان والأسحم
وما الأعشار والتّقصا ر والأشصار والأقرم
وما الأعفاج والأمرا ص والشريان والأطخم

وما الأرماس والأكرا س والعسقُدُ والمنجم
ومـا الصريع والتّـمرا د والشِّـملال والأرثم
وما الغضروف والشرسو ف والهليوف والغيلم
ومـا الأنداح والقلاّ ص والإكراء والمقرم
وما الدلفاء والقمْدا ء والحلفاء والأخطم
ومـا الساعور والصاقو ر والأشروع والأضجم
ومـا الإبداء والاعدا ء والأكناف والأهيم
وما الظنبوب والعلجو م والجعبوب والأشيم
ومـا الزعراء والطخيا ء والفوهاء والديسم
ومـا اللخصاء والخوصا ء والخيصاء والمرزم
ومـا الحوقاء والحلجا ء والعَضباء والأختم
ومـا الهلباء والسكا ء والكبساء والأصلم
ومـا المَرطاء والمِعْطا ء والحصّاء والأغتم
ومـا النزعاء والوطبا ء والهدباء والمخدم
ومـا الدعجاء والملجا ء والشجراء والميسم
ومـا اللّمياء والحوّا ء والقمّاء والقهقم
ومـا الجلهاء والجلا ء والجلحاء والشجعم
وقد أنبأت في شعري بألفاظي الذي تفحم
فعارضت السِّجِستْاني في قولي ولم أعلم
فضاعفتُ قوافيهِ على مثل الذي نظم
على أنّي امتطيت الصعـ ب في قولي ولم أحجم
رحلت العيس في البيدا أقول الشعر في القطلم
فإن كنت الذي في قو له يأتي بما يزعم
فأخبرني بأوصافي عساني منك أن أعلم

فهذا الشعر لا يدريه إلاّ عـــالم همهم
يرم الرث إن يُحببْ وإن شا ينقضُ المبرم

وختّم هذه الأبيات بأبيات غزلية على وزنها وهي :

رصّفْتُ الشعر في خلّ ٍ وحبلُ الودّ لم يُصرَمْ
وقلب الأسد مجروح بـــه ِ شوقاً ولم يكلم
له قـــدّ كقدّ الغصـ ـن ٍ في كل الورى يعدم
إذا ما رمت لثمَ الخـ ـدّ أو تقبيلَ ذاكَ الفمَ
غزالٌ يفـــتن النُّسّا كِ في حسن وما يعلم
وفي أحشاء من يهوا ه وهْجُ النار إذْ يضرم
له وَجـــهٌ شعاعيّ حكى في الحسن بدر التم
جنيت الورد من خدّ يـ ـه ذقت الشّهدَ إذ يبسم

وسرد القوصي في معجمه شرح هذه القصيدة عقيب كل بيت .

وتوفي ضياء الدين المذكور سنة تسع وتسعين وخمسمائة بعدما أضر رحمه الله.

وله تصانيف في العربية منها كتاب « الإشارة في تسهيل العبارة » و « المعتصر من المختصر » و « تهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي » صنفه للملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين .

حرف الضاد

١٩٦

[صاعد الطبيب]

صاعد بن هبة الله بن توما النصراني ، من أهل بغداد ، كان من الأطباء المتميزين ، وكان طبيب نجاح الشرابي ، وارتقت به الحال إلى أن صار وزيره وكاتبه ، ثم دخل على الخليفة الناصر ، وكان يشارك مَن يحضر من أطبائه أوقات أمراضه ، وحظي عنده ، وسلم إليه عدة جهات يخدم بها ، وقتل سنة [عشرين][١] وستمائة ، حضر إليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده ، فخاطبهم ببعض ما فيه مكروه ، فكمن له اثنان منهم ليلاً وقتلاه بالسكاكين . وأمر الناصر بحمل ما في خزانته من الأموال إلى الخزانة ، وبقاء القماش والأملاك لولده ، وكان الذي حمل من خزانته ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقي الأثاث والأملاك بما يقارب تتمة الألف ألف دينار .

وكان من ذوي المروّات ، حَسَن الوساطة جميل المحضر ، قضيت على يده حاجات .

وقال ابن القفطي : إن الإمام الناصر حصل له ضعف في بصره وسهو في بعض الأوقات ، لأحزان توالت على قلبه ، ولما عجز عن النظر في القصص استحضر امرأة من النساء تعرف بست نسيم ، وكان خطها قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة في الرقاع ، وشاركها في ذلك الخادم تاج الدين رشيق ، ثم تزايد الأمر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب بما تراه ، فمرّة تصيب ومرّة

---

١٩٦ — تاريخ الحكماء : ٢١٢ صاعد بن يحيى بن هبة الله، وكنيته أبو الكرم، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ١ : ٣٠٢ صاعد بن هبة الله بن توما أبو الفرج ؛ وابن العبري : ٢٤١ .

١ زيادة لا بد منها ؛ والا تناقض المؤلف ، فقد ذكر في نهاية الترجمة أن صاعداً قتل سنة ٦٢٠ .

تخطىء ، ويشاركها رشيق في ذلك ، فاتفق أن الوزير مؤيد الدين القمي كتب مطالعة ، فعاد جوابها وفيه اختلال بين ، فأنكر الوزير ذلك ، فعرفه صاعد المذكور ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارىء عليه في أكثر أوقاته وما تعتمده المرأة والخادم في الأجوبة ، فتوقف الوزير عن العمل بأكثر الأمر ، وتحقق المرأة والخادم ذلك ، وحُدّثا أن الطبيب هو الذي دل على ذلك ، فقرر الخادم مع رجلين من الجند[1] أن يغتالا الحكيم ويقتلاه ، وكانت قتلته سنة عشرين وستمائة ، وأمسك قاتلاه وصلبا .

١٩٧
صالح ابن عبد القدوس

صالح بن عبد القدوس ؛ استقدمه المهدي من دمشق . قال المرزباني : كان حكيم الشعر زنديقاً متكلماً يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم ، وقتله المهدي على الزندقة شيخاً كبيراً في شهور سنة [. . .] وهو القائل :

ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجـاهل من نفسه

قال أبو أحمد بن عدي : صالح ابن عبد القدُّوس بصري ، ممن كان يعظ الناس بالبصرة ويقص عليهم ، وله كلام حسن في الحكمة ، فأما في الحديث فليس بشيء ، كما قال ابن معين ، ولا أعرف له من الحديث إلاّ الشيء اليسير . ومن شعره :

---

١ هما رجلان يعرفان بولدي قمر الدولة من الأجناد الواسطية .

١٩٧ – تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٦ ونكت الهميان : ١٨١ والزركشي : ١٣٦ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٧١ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٧ وابن خلكان ٢ : ٤٩٢ وهي ترجمة انفردت بها إحدى النسخ ، وربما لم تكن من أصل ابن خلكان .

يا صاحِ لو كرهَتْ كفي منادمتي لقلت إذ كرهت كفي لها بِيني
لا أبتغي وصلَ من لا يبتغي صلتي ولا أبالي حبيباً لا يباليني

وله :

أنِستُ بوحدتي ولزمت بيتي فتم العزُّ لي ونما السرورُ
وأدبني الزمانُ فليت أني هُجرتُ فلا أُزار ولا أزور
ولست بقائل ما دمت حيّاً أقام الجند أم نزل الأمير

وقال :

لا يعجبنك مَن يصون ثيابه حذرَ الغبار وعرضُهُ مبذولُ
ولربما افتقر الفتى فرأيته دنسَ الثياب وعرضه مغسول

وضربه المهدي بيده بالسيف فجعله نصفين ، وعلق ببغداد .

وقال أحمد بن عبد الرحمن : رأيت ابن عبد القدوس في المنام ضاحكاً فقلت له : ما فعل الله بك ؟ وكيف نجوت مما كنت تُرْمى به ؟ قال : إني وردتُ على ربٍّ ليس تخفى عليه خافية ، وإنه استقبلني برحمته وقال : قد علمت براءتك مما كنت ترمى به ، رحمه الله .

١٩٨
[ابو البحر صفوان]

صفوان بن إدريس أبو بحر الكاتب البليغ ؛ كان من جلة الأدباء وأعيان

---

١٩٨ – التكملة رقم : ١٢٣١ والذيل والتكملة ٤ : ١٤٠ والمغرب ٢ : ٢٦٠ ومعجم الأدباء ١٢ : ١٠ والمقتضب من التحفة : ٨٢ وشرح مقصورة حازم ١ : ٥٧ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، ومقدمة زاد المسافر والزركشي : ١٣٧ ، وكانت وفاته سنة ٥٩٨ .

الرؤساء ، فصيحاً جليل القدر ، له رسائل بليغة، وكان من الفضل والدين بمكان، توفي وله سبع وثلاثون سنة ، رحمه الله تعالى .

ومن تصانيفه كتاب « بداهة المتحفز وعجالة المتوفز » وكتاب « زاد المسافر » الذي عارضه ابن الأبار بكتاب « تحفة القادم » ومات معتبطاً ولم يبلغ الأربعين ، وتولى أبوه الصلاة عليه[1] .

ومن شعره :

يا حسنه والحسنُ بعضُ صفاته ... والسحرُ مقصورٌ على حركاته
بدرٌ لو ان البدرَ قيل له اقترحْ ... أمَلاً لقال أكونُ من هالاته
والخالُ ينقُطُ في صحيفةِ خدّه ... ما خطّ حبرُ الصُّدغ من نوناته
وإذا هلال الأفق قابل وجهه ... أبصرته كالشكلِ في مرآته
عبثَتْ بقلب محبهِ لحظاته ... يا ربِّ لا تعتب على لحظاته
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا ... فالله يجعلهنَّ من حسَناته
ما زلت أخطب للزمان وصاله ... حتى دنا والبعد من عاداته
فغفرت ذنبَ الدّهر منه بليلةٍ ... غطّتْ على ما كان من زلاّته
غفل الرقيبُ فنلتُ منهُ نظرةً ... يا ليته لو دام في غفَلاته
ضاجعته والليلُ يُذكي تحته ... نارين من نَفَسي ومن وجناته
بتنا نشعشع والعفافُ نديمنا ... خمرين من غزَلي ومن كلماته
حتى إذا ولع الكرى بجفونه ... وامتدّ في عضُديّ طوع سناته
أوثقته في ساعِدَيَّ لأنّهُ ... ظبي خشيت عليه من فلتاته
فضممته ضمَّ البخيلِ لمالهِ ... يحنو عليه من جميع جهاته
عزم الغرام عليّ في تقبيله ... فنقضتُ أيدي الطوع من عزماته
وأبى عفافي أن يقبّل[2] ثغره ... والقلبُ مطويّ على جمراته

---

[1] ومن تصانيفه ... عليه : سقط من المطبوعة .
[2] التحفة : أقبل .

فاعجب لملتهبِ الجوانح غلةً يشكو الظما والماء في لهواته

وقال من قصيدة :

حكمتمُ[1] زمناً لولا اعتدالكُمُ في حكمكم لم يكن في الحكم يعتدلُ
فإنما أنتمُ في أنفـــهِ شممٌ وإنما أنتمُ في طرفه كَحَلُ

منها :

يرى اعتناقَ العوالي في الوغى غزلاً لأن خرصانها من فوقها مقلُ

وقال أيضاً :

أحمى الهوى قلبه وأوقد فهو على أن يموت أو قد
وقال عنه العذول سالٍ قلده الله مـــا تَقَلّــد
وباللوى شادنٌ عليـــهِ جيدُ غزالٍ ووجهُ فرقد
عَلّلهُ ريقـــهُ بخمـــر حتّى انثنى[2] طرفه وعربد
لا تعجبوا لانهزام صبري فجيشُ أجفــانه مؤيـــد
أنا لـــهُ كالذي تَمَنّى عبدٌ ، نَعَمْ عبده وأزيد
لـــهُ عليّ امتثـــالُ أمرٍ ولي عليهِ الجفاء والصدّ
إنْ بسملتْ عينـــهُ لقتلي صلّى فؤادي على محمد

وعارضها شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري – الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى – بقصيدة بديعة وهي :

ويلاهُ من غمضيَ المشرَّدْ فيك ومن دمعيَ المردّدْ
يا كامل الحسن ليس يُطفي ناري سوى ريقك المبرّد
يا بَدْرَ تمّ إذا تجلّـــى لم يُبْقِ عـــذراً لمن تجلد

---

١ ص : حليتم .
٢ التحفة : انتشى ؛ وهو أجود .

أبديت من حاليَ المورَّى ... لمّــا بَــدا خدّك المورد
رفقــاً بولهــان مستهــامٍ ... أقــامهُ وجدُهُ وأقعَــد
مجتهداً في رضاك عنـــهُ ... وأنت في إثمــهِ المقلّد
ليس لهُ مــنزلٌ بأرضٍ ... عنك ولا في السماء مَصعَد
قيدتــه في الهوى فتمم ... واكتب على قيده مخلّد
بان الصِّبا عنــهُ فالتصابي ... أنشأ أطرابــهُ فأنشَد
من لي بطفل حديث سحر ... بابــل عن ناظريهِ يُسنَد
شتت عَنّي نظــام عقلي ... تشتيتَ ثَغْرٍ لــهُ منَضَّد
لو اهتــدى لائمي عليــه ... ناح عــلى نفسهِ وعــدّد
أكسَبَني نَشْوَةً بطَرفٍ ... سكرتُ من خمرهِ فعربد
لا سهمَ لي في سديد رأيٍ ... يحرس من سهمهِ المسَدّد
غصن نقاً حلَّ عقدَ صبري ... بلين خصرٍ يَكــادُ يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الص ... ائمَ صلّى عــلى محمد
خير نبيّ نبيــهُ قَدْرٌ ... عَوْدي إلى المدح فيه أحمد

ومن هاهنا خلص إلى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شعر صفوان :

والسرحةُ الغنّاء قد قبضت بها ... كفٌّ النسيم على لواء أخضرِ
وكأنّ شكلَ الغيم مِنجلُ فضةٍ ... يرمي على الآفاق رطْبَ الجوهر

وقال :

وكأنّما أغصانهــا أجيادها ... قــد قلّدت بلآلىء الأنوارِ
ما جاءها نَفَسُ الصبا مستجدياً ... إلاّ رَمَتْ بدراهمِ الأزهار

وقال في مليح يرمي نارنجاً في بركة :

وشادنٍ ذي غَنَجٍ دَلُّهُ ... يروقنا طوراً وطوراً يرُوعْ

يقــذفُ بالنّارنجَ في بركَة كلاطخ بالدم سَرْد الدروع
كأنّهــا أكبـاد عـُشّاقه يقذفهـا في لج بحرِ الدموع

وقال :

أولع من طَرفِه بحَتْفي هل يعجب السيفُ للقتيلِ
تهيبوا بالحسام قتــلي فاخترعوا دِعْوَةَ الرحيل

حَرْفُ الضَّادِ

١٩٩

[وجيه الدين المناوي]

ضيا بن عبد الكريم ، وجيه الدين المناوي ؛ قال الشيخ العلاّمة أثير الدين أبو حيان إنه كان عنده علم بالطب والأدب ، وكان أصمّ ، رأيته بالقاهرة وجالسته بالمشهد ، وأنشدني من شعره مقطعات ، فمن ذلك قوله :

بروحي معبودُ الجمال فما له   شبيهٌ ولا في حبّه ِ ليَ لائمُ
تثنّى فمات الغصنُ من حسد ٍ به   ألم تره ناحتْ عليه الحمائمُ

وله :

من كان يشكو في الفؤاد حرارة   فعليه ِ بالعَطّار غير مقصّرِ
في ثَغْره ِ ماء اللسان ِ مروقٌ   عطرٌ وفي وجناته الورد الطري

وله :

لا غَرْوَ أن صادَ قلبي   هذا الغزالُ الربيبُ
أشراكُ جفنيه ِ هُدْبٌ   بها تُصادُ القُلوبُ
وفيه ِ أوصافُ حسن ٍ   يروقُ فيها النّسيبُ
فطَرْفُهُ المُتنبّي   بالسحرِ وهوَ حَبيبُ

وله أيضاً :

قربتُ كأسَ الراح من خدّه ِ   أزفُّ معطاراً لمعطارِ
قال ليَ الندمان هذا الذي   يسعى إلى الجنّة بالنار

---

١٩٩ – الزركشي : ١٣٨ .

وله أيضاً :

سألتُ الغصنَ لِمْ تَعْرَى شتاءً ... وتبدو في الربيعِ وأنتَ كاسي
فقال ليَ الربيعُ على قدوم ... خلعتُ على البشير بهِ لباسي

وقال :

قد دبق القلب بدبوقة ... وجُنَّ منها فهو مفتونُ
واعجبا للحبِّ من فعْلهِ ... بشعرةٍ قيــد مجنونُ

وقال :

جــاء من لحظهِ بسحرٍ مبينِ ... بفتور من جفنــهِ وفتونِ
وثنى قَــدَّه الصبا في تثنّيـ ... ـهِ فَوا خجلةَ القنا والغصونِ
قَمَرٌ بِعْتُ في هواهُ رشادي ... بضَــلالٍ ولستُ بالمَغبون
لا عجيبٌ أني ضللتُ بليل الشَّـ ... ـعر لكن تيهي بصبح الجبين
فيهِ ما تشتهي النفوسُ من الحسـ ... ـنِ وتلتذّهُ لحــاظُ العيون
سال دمعي إذ سال في خد من أهـ ... ـوى عذارٌ كالمسك للتزيين
فعجبنا من سائــلينِ غنيّ ... بنضار وسائــلٍ مسكــين
ويك يا سعد ذَرْ قديمَ حديثٍ ... عن أناسٍ وخذْ حديث شجون
كلُّ حسن الأنام دون الذي أهـ ... ـوى وكل العشاق في الحب دوني
قسماً بالقُدود مالتْ من التيـ ... ـهِ وما في أغصانها من لين
وسهام الألحاظ ترمي بها الأصـ ... ـداغُ عن قوس حاجبٍ كالنون
ودلالِ الحبيب والوصل والتيـ ... ـه وحكم الهوى بها من يمين
لا تناسيتُ بالمــلامِ عهوداً ... أحكمت عقْدها علَيَّ يميني
لو تناسيتها لَضاقَ مجالي ... في اعتذاري إلى وفاء ودين

حرف الطاء

٢٠٠

[أبو سعيد المستنجدي]

طاشتكين ، الأمير الكبير مجد الدين أبو سعيد المستنجدي ، ثم صار لولده المستضيء ؛ ولي إمرة ركب العراق سنين عديدة ، وولي الحلة المزيدية ، وولي تستر وخوزستان ، وكان سمحاً كريماً حسن السيرة وافر الحشمة شجاعاً حليماً ، وكان شيعياً ، وتوفي سنة اثنتين وستمائة .

وكان قليل الكلام يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلم ، استغاث إليه رجل يوماً فلم يكلمه ، فقال الرجل : الله كلم موسى ، فقال له : وأنت موسى ؟ فقال الرجل [وأنت الله ؟ فقضى حاجته ؛ والتقاه رجل فاستغاث إليه من بوابه فلم يجبه ، فقال له الرجل][1] : أحمار أنت ؟ فقال طاشتكين : لا ، قال ابن التعاويذي :

وأمير على البلاد مُوَلّى   لا يجيب الشاكي بغير السكوت
كلّما زاد رفعةً حطّنا الل   ه بتَغْفيلِهِ إلى اليهمـوت

وقام يوماً إلى الوضوء[2] فحلّ حياصته وتركها موضعه ، وكانت تساوي خمسة[3] آلاف دينار ، فسرقها فرّاش وهو يشاهده ، فقال أستاذ داره : اجمعوا الفراشين وهاتوا المعاصير ، فقال طاشتكين : لا تعاقب أحد[4] فإن الذي أخذها

---

٢٠٠ – النجوم الزاهرة ٦ : ١٩٠ والبداية والنهاية ١٣ : ٤٥ والشذرات ٥ : ٨ ومرآة الزمان : ٥٢٧ .

١ زيادة من مرآة الزمان ، لازمة للتمييز بين الحكايتين .

٢ ص : الضو .

٣ ص : خمس .

٤ كذا في ص ؛ وهو مطابق للغة الحوار حينئذ .

ما يردّها، والذي رآه ما يغمز عليه ، فلما كان بعد مدة رأى على ذلك الفراش ثياب [1] جميلة وبزّةً ظاهرة ، فاستدعاه سرّاً وقال : بحياتي هذا من تلك ؟ فخجل، فقال : لا بأس عليك ، فاعترف ، فلم يعارضه .

وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة ، فاستأجر أرضاً وقفاً مدة ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها داراً ، وكان في بغداد رجل محدّث [2] في الحلق يسمى فتيحة [3] ، فقال : يا أصحابنا نهنيكم ، مات ملك الموت ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ فقال : طاشتكين عمرهُ تسعين سنة ، وقد استأجر أرض ثلثمائة سنة ، فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا ، فتضاحكوا الناس .

وتوفي بتستر وأمر أن يحمل إلى مشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويدفن هناك .

٢٠١

[جمال الدين الاربلي]

طه بن إبراهيم بن أبي بكر ، الشيخ جمال الدين أبو محمد الإربلي الفقيه الشافعي ؛ ولد بإربل سنة بضع وتسعين وخمسمائة ، وقدم مصر شاباً ، وسمع محمد بن عمار وغيره ، وحمل الناس عنه ، وله شعر ، وروى عنه الدمياطي

---

١ كذا في ص .

٢ ص : رجلا محدثاً .

٣ مرآة الزمان : قبيح .

٢٠١ — الزركشي : ١٣٩ والشذرات ٥ : ٣٥٧ (وفيات ٦٧٧) ولقبه : كمال الدين ، والاسنوي ١ : ١٥٣ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٨٢ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٨١ والسلوك ١ : ٦٥١ وابن الفرات ٧ : ١٢٠ وحسن المحاضرة ١ : ٤١٧ ؛ والترجمة موجزة في المطبوعة .

والدواداري وغيرهم ، وتوفي سنة تسع وسبعين وستمائة ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

ومن شعره :

البيضُ أقتلُ في الحشا وبمهجتي منها الحسانُ
والسمرُ إنْ قتلتْ فمنْ بيضٍ يصاغُ لها السنانُ

وله أيضاً :

دع النجوم لطرقي يعيش بها وانهضْ بعزم صحيح أيها الملكُ
إن النبيّ وأصحاب النبيّ نهَوْا عن النجوم وقد عاينت ما ملكوا

٢٠٢

[البديع الدمشقي]

طراد بن علي بن عبد العزيز ، أبو فراس السلمي الدمشقي الكاتب المعروف بالبديع ؛ مات متولياً بمصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وكان آية في النظم والنثر . قال السلفي : علقت عنه شعراً ، ومدح تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، ومن شعره قصيدة مدح بها الوزير أبا الليث فأجازه ألف دينار ، أولها :

من كان يغرب في القريض ويبدع فلذا المكان من القوافي موضعُ[١]

ومن شعره :

يا نسيماً هبّ مسكاً عبَقِا هذه أنفاسُ ريّا جلّقا

---

٢٠٢ — الزركشي : ١٣٩ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ٥١ ومعجم الأدباء ١٢ : ١٩ وبغية الوعاة : ٢٧٣ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٠٥ وسماه « البديع بن علي » .

١ قال السلفي . . . موضع : سقط من المطبوعة .

كُفَّ عني والهوى ، ما زادني   بَرْدُ أنفاسك إلاّ حُرَقا
ليت شعري نقضوا أحبابنا   يا حبيبَ النفس ذاك الموثقا
يا رياحَ الشوق سوقي نحوهم   عارضاً من سُحْبِ عيني غدِقا
وانثري عقدَ دموع طالما   كان منظوماً بأيام اللقا

واشتهرت هذه الأبيات وغنى بها المغنون — قال بعضهم : مررت يوماً ببعض شوارع القاهرة ، وقد ظهرت جمال كثيرة حمولها تفاح فتحي من الشام ، فعبقت روائح تلك الحمول ، فأكثرت التلفت لها ، وكانت أمامي امرأة سائرة ، ففطنت لما داخلني من الاعجاب بتلك الرائحة ، فأومأت اليَّ وقالت :

* هذه أنفاس ريّا جلّقا *

ومن شعره :

هكذا في حبّكم أستوجبُ   كَبِدٌ حَرى وقلبٌ يجبُ
وجزا من سَهِرتْ أجفانه   حِجَّةٌ تمضي وأخرى تعقبُ
زَفَراتٌ في الحشا محرقةٌ   وجفونٌ دمعها ينسكب
قاتلَ الله عذولي ما درى   أن في الأعين أسداً تثِبُ
لا أرى لي عن حبيبي سَلْوةً   فدعوني وغرامي واذهَبوا

وقال وقد جلس في آخر مجلس :

قيل لي لِمْ جلسْتَ في آخر القو   مِ فأنتَ البديعُ ربّ القوافي
قلت : إخترْتـه لأنّ المناديـ   ـلَ يُرى طرزها على الأطراف

وقال من قصيدة يمدح بها [أبا] النصر بن النصر قاضي الصعيد :

هل البين أيضاً مغرمٌ يعشقُ البانا   فيأخذ قُضباناً ويدفع نيرانا
أيا عاذليَّ اللاّحين صدعتما   فؤاداً بأنواعِ الكآبةِ ملآنا
أيجملُ بالسالي يفنّدُ عاشقاً   أيحسنُ بالصاحي يعاتبُ سكرانا

فراق الفتى أحبابَهُ مثل موته فليت الردى من قبل فرقتهم كانا
[أيا دهر لا تسفك دمي إن ناصري أبو النصر فاعلم أنه دم عثمانا][1]

وقال فيه :

حاكِمُكم بهيمة ليست تساوي العلفا
وليس فيه مضغةٌ طيّبة إلاّ القفا

فأمر القاضي بسجنه فقال :

أصبحتُ بين مصائبٍ من كيد ذات حِرٍ سمينِ
أنا يوسف أمرت بسجـ ني زوجة القاضي المكين

٢٠٣
أبو المعالي الواعظ

طغرل شاه بن محمد بن الحسين بن هاشم الكاشغري ، أبو المعالي بن أبي جعفر الواعظ من أهل هراة ، سمع جماعة وكان له معرفة بالتفسير والأدب ، وكان حسن الوعظ كثير المحفوظ ، جوّالاً في البلاد ، ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وتوفي سنة ستين وخمسمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

خطرات ذكرك تستثير مودّتي فأحسُّ منها في الفؤاد دبيبـا
لا عضوَ لي إلاّ وفيه محبة فكأن أعضائي خلقنَ قلوبا

---

١ لم يرد في ص ، وزدته من المطبوعة .
٢٠٣ — الزركشي : ١٤٠ ؛ وقد اختلطت هذه الترجمة في المطبوعة بترجمة طلحة النعماني (رقم : ٢٠٥) فتنبه لذلك .

٢٠٤
طلحة الطلحات

طلحة بن عبد الله بن خلف ، أبو المطرف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات ؛ أحد الأجواد الأسخياء المفضلين المشهورين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه ؛ سمع عثمان بن عفان ، وكان أبوه مع عائشة يوم الجمل ، وكان أبوه كاتب عمر ابن الخطاب بالمدينة .

قال الأصمعي : المعروفون[1] بالكرم طلحة بن عبد الله بن عثمان التيمي وطلحة بن عمرو بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وهو طلحة الجود ، وطلحة بن عبد الله بن عوف وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وهو طلحة الندى ، وطلحة بن الحسين بن علي ، وهو طلحة الخير ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، وهو طلحة الطلحات ، وسمّي بذلك لأنه كان أجودهم .

وقال ابن دريد : إن أم طلحة ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العبدري ، فلذلك سمي طلحة الطلحات .

دخل كثير عزة عليه عائداً فقعد عند رأسه ، فلم يكلمه لشدة ما به ، فأكثر كثير الثناء عليه ، ففتح طلحة عينه وقال : ويحك يا كثير ما تقول ؟ فقال[2] :

يا ابن الذوائب من خزاعة والذي ... لبس المكارم واغتدى ببجاد
حلّتْ بساحتك الوفود من الورى ... فكأنما كانوا على ميعـــاد

---

٢٠٤ – المحبر : ١٥٦ ، ٣٥٦ وخزانة الأدب ٣ : ٣٩٤ وابن خلكان ٣ : ٨٨ وله أخبار مبثوثة في الكتب الأدبية الأخرى ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : المعروفين .

٢ انظر ديوان كثير : ٣١١ وقد ورد هنالك البيت الثالث من الأبيات الواردة هنا ، وأن كثيراً قال ذلك عندما دخل على عبد العزيز بن مروان وهو مريض .

لتعودَ سيدنا وسيّدَ غـيرنا   ليت التشكي كان بالعوّاد

فاستوى جالساً وأمر له بعطية سنية وقال : هي لك في كل سنة إن عشت .
وكان هذا طلحة الطلحات أموياً ، وكان بنو أمية يكرمونه ، وفي سنة ثلاث وستين بعث زياد بن مسلم طلحة الطلحات والياً على سجستان ، وبها توفي بعد قليل ، ولذلك قال الشاعر [1] :

رحم الله أعظماً دفنوهـــا   بسجستان طلحة الطلحات

٢٠٥
طلحة النعماني

طلحة بن محمد بن طلحة النعماني أبو محمد ، من أهل النعمانية [2] ؛ كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر ، ورد إلى بغداد وخرج منها إلى خراسان وأقام ببلادها مدة .

قال ياقوت في « معجم الأدباء » [3] : سمعت أبا عمرو عثمان ابن البقال بخوارزم يقول : كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق ، فاستقبلنا عجلة عليها حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده ، فقلت أنا :

---

١ هو عبيد الله بن قيس الرقيات ، ديوانه : ٢٠ .

٢٠٥ – الزركشي : ١٤٠ ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٦ وانباه الرواة ٢ : ٩٣ وبغية الوعاة : ٢٧٣ ونزهة الألباء : ٢٦٧ وخريدة القصر ٢ : ٣–٥١ وعيون التواريخ وطبقات ابن قاضي شهبة .

٢ بلدة بين بغداد وواسط .

٣ لم يرد هذا النص في الكتاب المذكور .

يا حاملاً صرت محمولاً على عجله   وافاك موتك مُنتاباً على عجله[1]

ومضت على ذلك أيام قلائل ، فلقيني السيد أبو القاسم الفخر ابن محمد الزيدي فحكيت له هذه القصة ، ففكر ساعة وقال :

والموتُ لا تتخطّى الحيّ رميته   ولو تباطأ عنه الحيُّ أزعجَ له

ومن شعر النعماني :

ألقت قناع الحسنِ بعد شماس   ورنتْ بناظرتيْ مهاةِ كناسِ
عبث الدلال بعطفها فتمايلت   عبث النّسيم بناعمٍ ميّاس
فرأيت غصن البان يثنيه الصبا   من فوق حقفِ الرملةِ الميعاس

منها في المديح :

الجاعلُ الأموالَ جُنّة عرضه   والمستعانُ به على الإفلاس
عُرفت فضائله بعرف نجاره   والزندُ يُعرفُ من سنا المقباس

وأورد له محب الدين ابن النجار في تاريخه :

صدّ بعد اللّقا وأبدى القطيعه   مَن غدا قلبُ كلّ صبٍ مطيعه
شادنٌ مقلتاه غرّبا حسامٍ   جفنه الجفر والحجاج القبيعه[2]
كلّ وقت تبدي اللواحظُ منهُ   غارةٌ في القلوب جدّ فظيعه[3]
كم أسالت من جفن صبّ محبّ   حين أصمته دمعَهُ ونجيعه
خُدعة حربه تراهُ إذا را   م قلوبَ العشاق أبدى الخديعه
أظمأ الخصر منهُ ردفٌ ثقيلٌ   ضامنٌ أن يذيبه ويجيعه
لفع الحسن وجههُ وكساهُ   حلةٌ زانَ وشْيُها تلفيعه

---

١ في انباه الرواة أن قائل الشطر الثاني هو طلحة النعماني صاحب الترجمة .

٢ ص : القميعة .

٣ ص : فضيعة .

كم نهيتُ الدموعَ في ساعة التو ... ديع أن تُظْهرَ الهوى وتذيعه
كان يدني الخيالُ والليلُ قد جـ ... ـرّ إلى الصبح قطعه وهزيعه
يا بديعَ الجمالِ في كلّ يومٍ ... فعلة منكَ بالقلوب بديعه
تنفثُ السحرَ إن نظرتَ بطرف ... لا يداوي الدرياق عجز[1] اللسيعه
أقسمت مُقلتاك[2] بالغُنْجِ منها ... أنها لا تقيل قَطُّ صريعَه
ربّ ليلٍ قطعتهُ بكَ لَهْواً ... آمناً من تفرقٍ وقطيعه
غـار بدرُ السّماء لمّا رآني ... لاثماً شبْهَ وجههِ وضجيعه

قال العماد الكاتب : ورد طلحة هذا إلى البصرة في زمان الحريري صاحب المقامات ، وكتب إليه رسالته السينية نظماً ونثراً ، وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٢٠٦
[طويس المغني]

طُوَيس بن عبد الله ، أبو المنعم[3] المدني المغني ؛ يضرب به المثل في الحذق بالغناء ، وكان أحول مفرطاً في الطول ، ويضرب به المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطم يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه ، وخُتّن يوم مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتزوج يوم مقتل عثمان

١ كذا في ص . ٢ ص : ناظراك .
٢٠٦ – الأغاني ٣ : ٢٧ والصحاح للجوهري : ٩٤٢ والمعارف : ٣٢٢ والميداني ١ : ١٧٣ وسرح العيون : ٢١٢ والشذرات ١ : ٩٩ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٦ وابن خلكان ٣ : ٥٠٦ تحت اسم « عيسى بن عبد الله » فهذه الترجمة ليست مما استدرك على الوفيات .
٣ ابن خلكان : أبو عبد المنعم .

ابن عفان رضي الله عنه ، وولد له يوم مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وكانت وفاة طويس سنة اثنتين وتسعين للهجرة .

وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة ، وأول من هزج الأهزاج ، ولم يكن يضرب بالعود ، بل كان ينقر بالدف المربع ، وكان يسمع الغناء من سبي فارس والروم فتعلم منهم ، وكان يُضحك الثكلى لحلاوة لسانه وظرفه ، وكان مخنثاً فأسقطه خنثه عن طبقة المغنين الفحول ، وأول صوت غنّي به في الإسلام صوتٌ غنى به طُويس على عهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو :

كيف يأتي من بعيد وهو يخفيه القريبُ
نازحٌ بالشّام عنّا وهو مكسال هَيوبُ
قد براني الحبُّ حتّى كدتُ من وجدي أذوبُ

وكان من شؤمه يقول : يا أهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدابة والدجال ، وإن متُّ فأنتم آمنون .

حكى أبو الحسن المدائني قال : صعد طُويس يوماً على جبل حِراء فأعيا وسقط كالمغشيّ عليه تعباً ، فقال : يا جبل ما أتحتج بيله ؟ أشتمك لا تبالي ، أضربك ما يوجعك ، ولكن يا شماتتي بك يوم تبقى كالعهن المنفوش .

حرف الظاء

٢٠٧

شرف الدين ابن هبيرة

ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو البدر بن الوزير أبي المظفر عون الدين ابن هبيرة ؛ كان يلقب شرف الدين ، ناب عن والده في الوزارة ، وكان شاباً ظريفاً نظيفاً أديباً فاضلاً ، ينظم الشعر . امتحن بالحبس أيام والده سنين بقلعة تكريت ثم خلص . ولما توفي الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفياً ، فقبض عليه وحبسه ، ولم يزل إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة[1] ، فخرج من الحبس ميتاً ودفن عند أبيه ، رحمه الله ؛ ومن شعره :

طُلَّ دمٌ بالعتــــابِ مطلوبُ   وطاح دمعٌ في الركب مسكوبُ
وذَلَّ قلبٌ أمسى الغرامُ به   وهو بأيدي الغواة منهوب
يركبُ في طاعة الهوى خَطَراً   تضرمُ من دونـه الأنابيب
إذا ادلهَمَّ الدُّجى أضــاء له   من زفراتِ الضلوع ألهوب
لا موعِدٌ مُطمِعٌ ولا أملٌ   ولا لقــاء في العمر محسوب
مقتنعـــاً منْ وصالهِ بمُنَى   أصدقُ ما عندها الأكاذيب
ما بعد دمعي دمع يُراق ولا   فوق عذابي لديكَ تعذيب
لم يبقَ للنّاصحين من أمَلٍ   فيّ ولا للعُــــذالِ تأنيب

---

٢٠٧ – الخريدة (قسم العراق) ١ : ١٠١ والمنتظم ١٠ : ٢٢٠ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٣٤ وانظر ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ حيث ورد اسمه شرف الدين أبو الوليد مظفر (وفي الحاشية في بعض أصول الوفيات : أبو البدر ظفر) .

١ ص : اثنتين وخمسين وستمائة ، وهو سبق قلم دون ريب ، ولذلك أقدمت على تصويبه لأن بقاءه كذلك في المتن قد يكون مضللا للقارىء .

وقال [1] :

أضاءت له بالأبرقين بروقُ | نواقل منها كاذبٌ ومشوقُ
يذعن لنا من أهل وجرة ريبةً [2] | يخفّ إليها السمع وهو فروق
وما كل مطويٍّ من السرّ منكرٌ [3] | ولا كل منشور الحديث يروق
أبارق ذاك الشعب هل أضمر النوى | تفرقهم أم ضمّهنّ وسيق
وهل حرجات [4] الحيّ بدلن أدمعاً | عن السحب لم ترقع لهن خروق
لعمرك ما البرق اليماني وامقٌ | ولا ذلك الشعب الرحيب مشوق
وهل تزعُ الأشجان خفقةُ لامع | وقد علقت بالجانحات علوق
ليَ الله يوماً بالثنية أشرفت | علينا بأقصى أرضٍ وجْرة نوق
اذا حثحث الحادي بهنّ أطعنه | جوافلَ أدنى سيرهنّ عنيق
كأن توالي الظعن [5] والآلُ دونها | سفينٌ بمستنّ الفرات غريق
إذا أفلت شمس الأصيل بدت لنا | شموسٌ لها فوق الخدود شروق

وقال يعارض مهيارا الديلمي في قوله :

بَكَرَ العارض تحدوه النُعَامى | فسقيت الريّ يا دار أماما

فقال [6] :

أخلف الغيث مواعيد الخزامى | فقِفِ الأنضاء تستسقِ الغماما
وخذِ اليَمنةَ من أعلى الحمى | تلق بالغور جميماً وجماما
وأبِحْني ساعةً من عُمُري | أملأ الدارَ شكاةً وسلاما

---

١ لم ترد هذه القصيدة في المطبوعة ، وهي في الخريدة : ١٠٧ .
٢ ص : رتبة ، والتصويب عن الخريدة .
٣ ص : منكراً .
٤ ص : حركات .
٥ ص : الضعن .
٦ الخريدة : ١١٠ .

أصف الأشواقَ في تلك الربى   وأعاطي التربَ سوْفاً والتثاما
أيّ حلمٍ خفَّ في حبّهمُ   وعقولٍ رفضَتْ فيه الملاما
ودموعٍ كلّما كَفْكَفَهَا   زاجرُ العذلِ أبت إلاّ انسجاما
يا ولاة الغدرِ ما دينكُمُ   أحرام[2] فيه أن تقضُوا الذّماما
قد رضينا إن رضيتم بالأذى   وعزيزٌ بعزيز أن يضاما
خطرت بي يا زميلي سحراً   نسمةٌ أحسبها ريحَ أماما
خطرت والعين تقري طيفها   والكرى يمزج للركب المداما
فارجع الطرف وقل لي في خفَاً   أهضاباً تتراءى أم خياما
ما صنيعي بمهاةٍ كلّما   زوّدتني لثمةً زدت أُواما
أهيام أم لَظَىً في كبدي   لفحت حتّى انثنى الظّلم ضراما
ليس إلاّ فرطُ وجدي بهمُ   ظعن العاذلُ عني أم أقاما
أنا منْ أَسْرِ الهوى في ربقةٍ   حكمت للحرّ فيها أن يُساما

---

١ ص : أحراماً .

حَرْفُ العَيْنِ

٢٠٨
المعتضد عباد

عباد بن إسماعيل بن عباد، المعتضد أبو عمرو صاحب إشبيلية وابن قاضيها، أبو القاسم، لما توفي أبوه [تولى][1] المعتضد بعده، وهو أبو المعتمد، وكان شهماً صارماً وخوطب بأمير المؤمنين ، دانت له الملوك ؛ اتخذ خشباً في قصره وجللها برؤوس ملوك وأعيان ومقدّمين ، وكان تشبه بأبي جعفر المنصور . وكان ابنه ولي عهده إسماعيل قد همّ بقبضه ، فلم يتم له ذلك ، وضرب أبوه[2] عنقه ، وطالت أيامه إلى أن توفي في شهر رجب سنة أربع وستين وأربعمائة ؛ يقال إن ملك الإفرنج سمهُ في ثياب بعثها إليه .

قال فيه الحجاري : وهذا الرؤوف العطوف ، الدمث الأخلاق الألوف ، ما مات حتى قبض أرواحَ ندمائه وخواصه بيده ، ولم يكِلهم إلى غيره ، ولم يحوجهم إلى أحد بعده ، فجزي عنهم بما هو أهله ، وكان قد عرف منه ذلك واشتهر ، فصار الأدباء يتحامّونه .

ولما وفد أبو عبد الله ابن شرف القيرواني على الأندلس تطلعت إليه همم ملوكها لبعد صيته ، فكان ممن استدعاه المعتضد بن عباد ، وكان ابن شرف قد امتلأت مسامعه من أخباره الشنيعة ، فجاوبه بقوله :

---

٢٠٨ – الصواب في اسمه : عباد بن محمد بن إسماعيل ؛ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٠٤ – ٢٨٥ وتاريخ بني عباد (من جمع دوزي) والمعجب : ١٥١ وما بعدها والشذرات ٣ : ٣١٦ والحلة السيراء ٢ : ٣٩ والذخيرة (القسم الثاني) .

١ زيادة لازمة ، أو ما هو بمعناها .

٢ ص : أبيه .

أأنت صيدت غيري صيد طائرة | أوسعتها الحبَّ حتى ضمـّها القفصُ
حسبتني فرصةً أخرى ظفرت بها | هيهات ما كل حين تمكن الفرص
لك الموائـــد للقصّـــاد مترعة | تروي وتشبع لكن بعدها الغصص[1]

ومن شنيع ما روي عنه : أن غلاماً دون البلوغ دخل عليه بغير استئذان فقطع رأسه ، فسمع جارية تقول : والله القبر أحسن من سُكنى هذا القصر ، فقال : والله لأبلغنك ما طلبتيه ، وأمر بها فدفنت حية .

وتعجب الناس من وزيره ابن زيدون كيف انفرد بالسلامة منه ، فقال : كنت كمن يمسك بأذني الأسد يتقي سطوته ، تركه أو مسكه ، وفيه يقول عند موته :

لقد سَرَّنا أنَّ الجحيمُ مُوَكّلٌ | بطاغيـــةٍ قد حُمَّ منهُ حمامُ
تجانب صوب المزن عن ذلك الصدى | ومَرَّ عليــه الغيثُ وهو جَهام

وللمعتضد شعر[2] مدون فمنه :

كأنّما ياسيمننا[3] الغَضّ | كواكب في السماء تنقضُّ
والطرق الحمر في جوانبه | كخدّ عذراء مسّه عض

ومنه :

اشربْ على وجه الصباحِ | وانظر إلى نَوْر الأقاحي
واعلمْ بأنّكَ جاهلٌ | إنْ لم تقلْ بالإصطباحِ
والدّهرُ شيء بــــاردٌ | إنْ لم تسخّنْهُ براحِ

ومنه :

شربنا وجفن الليل يَغسلُ كحله | بماء صباحٍ والنسيمُ رقيقُ

---

١ ولما وفد . . . الغصص : سقط من المطبوعة .
٢ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في المطبوعة .
٣ ص : ياسمينا ، والتصويب عن الحلة ٢ : ٤٩ .

معتّقة صفراء[1] أما نجارها فضخم وأما جرمها فرقيق

٢٠٩
عبادة ابن ماء السماء

عبادة بن عبد الله ابن ماء السماء شاعر الأندلس ورأس الشعراء في الدولة العامرية ؛ توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وقيل سنة تسع عشرة .

قال ابن بسام في « الذخيرة » : « كان في ذلك العصر شيخَ الصناعة ، وأحكم الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً ، فقالت غرائبه مرحباً وأهلاً . وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضحوا حقيقتها ، غير مرقومة البرُود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عُبادة هذا منآدها ، وقوّم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلاّ منه ، ولا أخذت إلاّ عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته . وأوّل من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود القبري الضرير ، وقيل إنابن عبد ربه صاحب « العقد » أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي ، ثم نشأ عُبادة هذا ، فأحدث التضفير ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في المراكز » .

ومن شعر عبادة المذكور :

لا تَشْكُوَنَّ إذا عـثـرْ ت إلى صديقك[2] سوء حالك
فيُريكَ أنواعاً[3] من الـ إذلال لم تخطر ببـالك

---

١ الحلة : كالتبر .

٢٠٩ – جذوة المقتبس : ٢٧٤ (وبغية الملتمس رقم : ١١٢٣) والذخيرة ٢/١ : ١ والصلة : ٤٢٦ ، وله مقطعات شعرية متعددة في كتاب « التشبيهات من أشعار أهل الأندلس » .

٢ الذخيرة : خليط .   ٣ الذخيرة : ألواناً .

إيّاكَ أن تـــدري يميـ	نك مـــا يدورُ على شمالك
واصبرْ على نُـوَبِ الزمـا	ن وإن رمت بك في المهالك
وإلى الـــذي أغنى وأقـ	نى اضرع وسله صلاح حالك

وقال [1] :

أجلُ المدامة فهي خير عروس	تجلو كروب النفس بالتنفيس
واستغنم اللذات في عهد الصبا	وأوانه ، لا عطرَ بعد عروس

وقال :

وهل ترى أحسن من أكؤس	[يقبل الثغر] [2] عليها اليـدا
يقول لي الساقي اغثني بهـــا	وخذ لجيناً وأعــد عسجدا
أغرق فيها الهمَّ لكن طفا	حبابه [3] من فوقها مزبـــدا

وقال :

دارت دوائر صدغهِ فكأنما	حامت على تقبيل نُقطة خالهِ
رشأ توحّش من ملاقاة الورى	حتّى توحّش من لقاء خياله
فلذاك صار خياله لي زائراً	إذ كنت في الهجران من أشكاله
ولقد هممتُ به ورمتُ حرامه	فحمانيَ الإجلال [4] دون حلاله

وقال [5] :

اشرب فعهد الشباب مغتنم	وفرصـــة في فواتها ندمُ
وعاطنيها من كف ذي غيد	ألحاظه في النفوس تحتكم
كأنها صارم الأمير وقـــد	خضب حديه من عداه دم

---

١ القطعتان التاليتان لم تردا في المطبوعة .
٢ سقط من ص ، واستكملته من الذخيرة .
٣ ص : حبابها .		٤ ص : الاحلال
٥ هذه القطعة لم ترد في المطبوعة .

ومن موشحات عبادة المذكور[1] :

مَنْ ولي في أمة أمراً ولم يُعْزَلِ إلاّ لحاظُ الرشإ الأكحلِ
جُرْتَ في حكمك في قتليَ يا مسرفُ
فانصفِ فواجب أن ينصف المنصف
وارأفِ فإن هذا الشوق لا يرأف

علّلِ قلبي بذاك البارد السلسل ينجلي ما بفؤادي من جوى مشعل
إنمـــا تبرز كي توقد نارَ الفتن
صنما مصوّراً في كلّ شيء حسن
إن رمى لم يخُطِ من دون القلوب الجُنَنْ

كيف لي تخلّص من سهمك المرسل فَصِلِ واستبقني حيّاً ولا تقتل
يا سنَا الشمس ويا أبهى من الكوكب
يا منَى النفسِ ويا سؤلي ويا مطلبي
ها أنا حلّ بأعدائك ما حلّ بي

عُذّلي من ألم الهجران في معزلِ والخلّي في الحبّ لا يسأل عمن بُلي
أنت قد صيرت بالحسن من الرشد غيّ
لم أجـد في طرقي حبك ذنباً عـــليّ
فـــاتئد وإن تشأ قتليَ شيئاً فشي

أجْملِ[2] ووالني منك يَدَ المفْضِلِ فهي لي من حسنات الزمن المقبلِ
ما اغتذى طرفيَ إلاّ بسنَا ناظريك
وكـذا في الحب ما بي ليس يخفى عليك
ولـذا أنشد والقلب رهين[3] لديك

[1] أورد الصفدي هذه الموشحة (الوافي ٣ : ١٨٩) ونسبها لمحمد بن عبادة المعروف بابن القزاز .
[2] ص : أجملي .
[3] ص : رهيناً .

يا علي   سلطت جفنيكَ عــلى مقتَلي   فابق لي   قلبي وجُد بالفضل يا موئلي

وله أيضاً :

حب المَها عبـــاده   من كل بسام السراري

قمر يطلع   من حسن آفاق الكمال   حُسنه الأبدع

لله ِ ذات   حسن ٍ   مليحــةُ   المحيّا

لها قوامُ غـُصن ٍ   وشـِنفـُها   الثريّا

والثغر حبٌّ مُزن ٍ   رُضابُهُ   الحميّا

من رشفه سعاده   كأنه صرفُ العقارِ

جوهر رصع   يسقيك من حلو الزلال   طيب المشرع

رشيقة المعــاطف   كالغصن في القوام

شهديــة المراشف   كالدر في نظام

دعصيّةُ الروادف   والخصر ذو انهضام

جـَوّالةُ   القـِلاده ْ   محلولة عقد الإزارِ

حسنها أبدع   من حسن ذيّاك الغزال   أكحل المدمع

لـَيـْليـّةُ الذوائب   ووجهها   نهار

مصقولةُ الترائب   ورشفها   عقــار

أصداغها عقارب   والخــدُّ جـُلّنار

ناديتُ   وافؤاده   منغادة ٍ ذاتاقتدار

لحظها أقطع   من حد مصقولة النصال   من الفتى الأشجع

سفَرجل النهود   في مرمر الصدور

يـُزْهى على العقود   من لذة ِ النحور

ومقلــة وجيــــد   من غادة سفور

حبي لها عباده أعوذ من ذاك الفخار
برَشاً يرتعْ في روض أزهار الجمال كلما أينع
عفيفة[1] الذيول نقيةُ الثياب
سَلاَّبةُ العقول أرقُّ من شراب
أضحى بها نحولي في الحب من عذابي
في النوم لي شراده أو حكمها حكم اقتدار
كلما أمنع منها فإن طيفُ الخيال زارني أهجع

وكانت وفاة عبادة بمالقة في التاريخ المذكور ، ضاعت له مائة مثقال ذهباً فاغتم لذلك ومات ، رحمه الله تعالى .

٢١٠
[عبادة المخنث]

عَبّادة — بتشديد الباء وفتح العين — المخنّث ؛ كان صاحب نوادر ومجون ، كان ببغداد ، وتوفي في حدود الخمسين ومائتين .

دخل على المأمون وقد امتحن الناس بخلق القرآن فقال : يا أمير المؤمنين ، يعظم الله أجرك ، قال : فيمن ؟ قال : في القرآن ، فمَن بقَا يصلي بالناس التراويح ، فقال : ويحك ، القرآن يموت ؟ فقال : أليس قال أمير المؤمنين إنه

---

١ ص : عقيلة .

٢١٠ — كذلك ضبطه ابن ماكولا (الاكمال ٦ : ٢٨) بفتح العين وتشديد الباء ، وقال : كان ينادم المتوكل ، له نوادر ومضاحيك ؛ قلت : ونوادره مبثوثة في كتب الأدب ، انظر مثلا البصائر والذخائر للتوحيدي .

مخلوق ؟ ! فقال أخرجوه عني قبحه الله تعالى .

ولما قتل المتوكل كان حاضراً ، فلما هجموا على المتوكل وهو على شرابه وقطعوه بالسيوف قام الفتح بن خاقان وألقى نفسه عليه وقال : يا أمير المومنين ، لا حياة لي بعدك ، فقطعوه بالسيف أيضاً ، فلما رأى ذلك عبادة انزوى وقال : يا أمير المؤمنين إلاّ أنا ، إن لي بعدك أدواراً وأنزالاً أشربها ، فضحكوا منه وتركوه.

٢١١

[ابن المؤدب]

عبد الله بن إبراهيم بن مثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب ، أصله من المهدية وكان شاعراً مذكوراً مشهوراً قليل الشعر ، مفرطاً في حب الغلمان مجاهراً بذلك ، بعيد الغَوْر ذا حيلة ومكيدة ، مُغرى بالسياحة والكيمياء والأحجار ، معسراً مقترّاً عليه متلافاً إذا أفاد .

خرج مرة يريد صقلية فأسره الروم ، وأقام عندهم مدة إلى أن هادن ثقة الدولة ملك الروم وبعث إليه بالأسرى ، وكان المؤدب من جملتهم ، فمدح ثقة الدولة ، ورام صلته فلم يصله بما أرضاه ، فتكلم فيه فبلغ ذلك ثقة الدولة فطلبه فاختفى ، وطالت المدة ، فخرج وهو سكران بعضَ الليالي ليشتري نُقلاً ، فما شعر إلاّ وقد قيد وحمل إلى بين يدي ثقة الدولة ، فقال له : ما الذي بلغني عنك ؟ قال للحال يا سيدنا ، قال : من الذي يقول :

والحر ممتحنٌ بأولاد الزنا

---

٢١١ - مسالك الأبصار ١١ : ٣٤٧ (والمكتبة الصقلية : ٦٥٤) وابن خلكان ٦ : ١٥٧ (في ترجمة يحيى بن أكثم) والنقل فيه وفي المسالك -كما هو هنا أيضاً- عن « الأنموذج » لابن رشيق .

قال : الذي يقول :

وعداوة الشعراء بئس المقتنى

فتنمر ساعة ثم أمر له بمائة رباعي وأمر بإخراجه من المدينة ، كراهية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه ، فخرج ، ثم مدح ثقة الدولة بقصيدة منها :

أبيتُ أراعي النجمَ في دار غربةٍ ... وفي القلب مني نار حزن مضرّمِ
أرى كل نجمٍ في السماء محله ... ونجمي أراه في النجومِ المنجم
سأحمل نفسي في لظى الحرب جملة ... تبلغها من خطبها كلَّ مُعظِمِ
فإن سلمتْ عاشت بعز وإن تمتْ ... «إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم»

وقال وهو في الأسر :

لا يذكر الله قوماً[1] ... حللتُ فيهم بخـــيرِ
جاهدت بالسيف جهدي ... حتّى أسرت وغـــيري
والآن لست أطيقُ الـ ... جهـــاد إلاّ بأيري
فهات من شئت منهم ... لو كان صاحب دَيْرِ

وكان صديقاً لعبد الله بن رشيق ، وهو يؤدب بعض أولاد تجار القيروان ، وكان حسناً ، وكان ابن المؤدب يزوره ، فعلق بالغلام ، وخرج ابنُ رشيق للحج ، فكلما أتي بمعلم لم يقم عنده إلاّ أسبوعاً ويدعي الغلام أنه راوده ، فذكر ابن المؤدب لوالده فأحضره ، فما كان إلاّ ساعة جلوسه في المسجد ودخول الغلام إليه فأغلق باب الصحن وقام فبلغ أربه منه ، وخرج الغلام إلى أبيه مبادراً فأخبره فقال أبوه : الآن تقرر عندي أنك كاذب وكذبت على من كان قبله ، وصرفه إلى المكتب ، فأقام على تلك الحال مدة طويلة وقال :

وظبي أنيسٍ عالجته حبائلي ... فغادرتَهُ قبل الوثوق صريعا

---

١ ص : قوم .

وكان رجال حاولوه ففاتهمْ سباقاً ولكني خلقت سريعا
فتكتُ به إن شاء في بيت ربه وإن لم يشأ مستصعباً ومطيعا
ليعلم أهلُ القيروان بأنني إذا رمت أمراً لم أجده منيعا
فيـا لغزال ألجأته كلابـه إلى أسد ضارٍ وصادفَ جوعا

وكان قد اشتهر في محبة غلام علمه ، فتذمم أبوه أن يقتله جهاراً ، وخرجوا يتصيدون ، فأمر من حلّ حزامَ دابته سرّاً ، وتبعوه طرداً ، فسقط وانكسرت فخذه حتى ظهر مخه وعظمه ؛ ومات سنة أربع عشرة وأربعمائة .

٢١٢

[ابن الخشاب]

عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب ، أبو محمد ابن أبي الكرم النحوي ، كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، حتى يقال إنه كان [في درجة أبي علي الفارسي] .

---

٢١٢ – لم يكمل المؤلف هذه الترجمة ، وترك بياضاً بمقدار أربعة أسطر ، ويبدو أنه أدرك أن هذه الترجمة في أصل ابن خلكان (٣ : ١٠٢ – ١٠٤) فعدل عن اثباتها ؛ وابن الخشاب المذكور توفي سنة ٥٦٧ ؛ راجع في ترجمته انباه الرواة ٢ : ٩٩ ومعجم الأدباء ١٢ : ٤٧ وذيل طبقات الحنابلة ١ : ٣١٦ والمنتظم ١٠ : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٢٧٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٦٥ ومرآة الجنان ٣ : ٣٨١ وذكر محقق الانباه مصادر أخرى في ترجمته .

٢١٣

[القائم بأمر الله]

عبد الله بن أحمد، أمير المؤمنين أبو جعفر القائم بأمر الله بن القادر بالله؛ ولد في نصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وبويع بالخلافة بمدينة السلام يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان أمره مستقيماً إلى أن خرج البساسيري ، وقصته مشهورة ؛ وتوفي القائم ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، فكانت دولته خمساً وأربعين سنة ، وبويع بعده المقتدي .

وكان القائم كثير الحلم والحياء فصيح اللسان ، أديباً خطيباً شاعراً ، تقلبت به الأحوال ورأى العجائب ، وفي أيامه انقرضت دولة الديلم من بغداد بعد طول مدتها ، وقامت دولة السلجوقية ، وكان آخرهم الملك الرحيم من ولد عضد الدولة؛ دخل عليه بغداد طغرل بك السلجوقي ، وهو أول السلجوقية ، فقبض عليه وقيده ، فقال له الملك الرحيم : ارحمني أيها السلطان ، فقال له : لا يرحمك من نازعته في اسمه المختص به ، مشيراً إلى الله تعالى ، فبلغ ذلك القائم فقال : قد كنت نهيته عن هذا الاسم فأبى إلا لجاجاً أورده عاقبة سوء اختياره . وخلصه طغرل بك من حبسه أعني القائم بأمر الله وأعاده إلى دار خلافته، ومشى طغرل بك بين يديه إلى أن وصل [عتبة] باب النوبي فقبلها شكراً لله تعالى ، وصارت سنة بعده .

ومن شعره[1] :

---

٢١٣ – راجع أخباره في المصادر التاريخية العامة ؛ وانظر المنتظم ٨ : ٢٨٩ والخريدة (قسم العراق) ١ : ٢٢ والروحي : ٦٤ والفخري : ٢٥٩ وتاريخ الخلفاء : ٤٤٨ والزركشي : ١٤٢ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٦٤ .

١ وردت هذه المقطعات في الخريدة ١ : ٢٣ – ٢٤ .

يا أكرم الأكرمين العفو عن غرق   في السيّئات له وردٌ وإصدارُ
هانت عليه معَاصيهِ التي عظمت   علماً بأنّكَ للعاصين غفارُ
فامْنُن عليَّ وسامحني وخذ بيدي   يا من له العفو والجناتُ والنارُ

وله :

سَهِرْنا على سنة العاشقين   وقلنا لما يكره الله نَمْ
وما خيفتي من ظهور الورى   إذا كان ربُّ الورى قد علم

وله :

قالوا الرحيل فأنشبَتْ أظفارها   في خدها وقد اعتلقنَ خضابا
فاخضرَّ تحت بنانها فكأنما   غرست بأرض بنفسج عنابا

وله :

جُمِعتْ عليَّ من الغرام عجائبٌ   خلفن قلبي في إسارٍ موحش
خِلٌ يصدُّ وعاذل متنصّحٌ   ومعارض يؤذي ونمّام يَشي

٢١٤
موفق الدين ابن قدامة]

عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدم بن نصر، شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب التصانيف ؛ ولد بجماعيل[١] في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة عشرين

٢١٤ – مرآة الزمان : ٦٢٧ والبداية والنهاية ١٣ : ٩٩ وشذرات الذهب ٥ : ٨٨ وذيل طبقات الحنابلة ٢ : ١٣٣ وذيل الروضتين : ١٣٩ وعبر الذهبي ٥ : ٧٩ ومعجم البلدان (جماعيل).

١ جماعيل : من قرى نابلس بفلسطين .

وستمائة ، وهاجر فيمن هاجر مع أبيه وأخيه ، وحفظ القرآن ، واشتغل في صغره ، وارتحل إلى بغداد صحبة ابن خالته الحافظ عبد الغني[1] . وسمع بالبلاد من المشايخ. وكان إماماً حجة مصنفاً متفنناً محرراً متبحراً في العلوم كبير القدر . ومن تصانيفه « البرهان » جزءان « مسألة العلوّ » جزءان « الاعتقاد » جزء « ذم التأويل » جزء ، « المتحابين في الله تعالى » جزءان « فضل عاشوراء » جزء « فضائل العشر ». « ذم الوسواس » . « مشيخته » جزء ضخم، وصنف « المغني » في الفقه في عشر مجلدات ، و « الكافي » أربع مجلدات ، و « المقنع » و « العمدة » مجلد لطيف ، و « التوابين » مجلد صغير ، و « الرقة والبكاء » مجلد صغير . « مختصر الهداية » مجلد ، « التبيين في نسب القرشيين » مجلد ، « الاستبصار في نسب الأنصار » مجلد ، كتاب « قنعة الأريب في الغريب » مجلد ، « الروضة في أصول الفقه » مجلد ، « مختصر العلل » للخلاّل ، مجلد ضخم .

وكان إماماً في علم الخلاف والفرائض والأصول والفقه والنحو والحساب ، والنجوم السيارة والمنازل، واشتغل الناس عليه مدة بالخرقي و « الهداية »، واشتغلوا عليه بتصانيفه ، وطول الشيخ شمس الدين ترجمته في سبع ورقات ، رحمهما الله تعالى وإيانا .

٢١٥
[ابن البيطار]

عبد الله بن أحمد ، الحكيم العلامة ضياء الدين ابن البيطار الأندلسي المالقي النباتي الطبيب ، مصنف كتاب « الأدوية المفردة » ولم يصنف مثله . وكان ثقة

---

١ كانت رحلته إلى بغداد سنة ٥٦١ وأقام فيها نحو أربع سنين .

٢١٥ – ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٣ ونفح الطيب ٢ : ٦٩١ وحسن المحاضرة ١ : ٥٤٢ .

فيما ينقله حجة. وإليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه وصفاته وأسماؤه وأماكنه ، لا يجارى في ذلك ، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم وأخذ فن النبات عن جماعة ، وكان ذكيّاً فطناً .

قال الموفق ابن أبي أُصيبعة : شاهدت معه[1] كثيراً من النبات في أماكنه بظاهر دمشق ، وقرأت عليه تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدوس ، فكنت أجدُ من غزارة علمه ودرايته شيئاً كثيراً ، وكان لا يذكر دواء إلاّ ويعين في أي مكان هو من كتاب ديسقوريدوس وجالينوس، وفي أي عدد هو من الأدوية المذكورة في تلك المقالة ، وكان في خدمة الملك الكامل ، وكان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش ، وجعله مقدماً في أيامه حظيّاً عنده .

وتوفي بدمشق في شعبان سنة ست وأربعين وستمائة .

وكان بمصر رئيساً على سائر العشّابين وأصحاب البسطات ، ثم إنه خدم بعد الكامل الصالحَ وحظيَ عنده ، وله كتاب « المغني » في الطب ، وهو مجيد مرتب على مداواة الأعضاء ؛ وكتاب « الأفعال الغريبة والخواص العجيبة » و « الإبانة والإعلام على ما في المنهاج من الخلل والأوهام » وكتاب « الأدوية المفردة »[2] ؛ رحمه الله تعالى .

---

١ كان اجتماع ابن أبي أصيبعة به بدمشق سنة ٦٣٣ .

٢ طبع هذا الكتاب ببولاق (١٢٩١) في أربعة أجزاء .

٢١٦

[تقي الدين ابن تمام الحنبلي]

عبد الله بن أحمد بن تمام ، الشيخ الإمام الأديب تقي الدين الصالحي الحنبلي ، أخو الشيخ القدوة محمد بن تمام الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ؛ كان فاضلاً زاهداً ورعاً معرضاً عمّا أغري به الناس من الرياسة ، وكان حسن البزّة مع الزهد والقناعة ، خيّراً نَزِهاً محبوباً إلى الفضلاء ، مليح المحاسن حسن العشرة ، سمع من ابن قميرة والمرسي والبلداني ، وله أشعار رائقة وترسل ، وكان بينه وبين الشهاب محمود أنس عظيم واتحاد كثير ، كتب إليه الشهاب محمود رحمه الله تعالى من الديار المصرية وأرسلها إليه إلى جبل الصالحية :

هل عند مَن عندهم بُرئي وأسقامي ... علمٌ[1] بأنّ نواهم أصلُ آلامي
وأنّ قلبي وجفني بعد بعدهمُ ... ذا دائمٌ وجدُهُ فيهم وذا دامي
بانوا فبانَ رقادي يوم بينهمُ ... فلست أطمع من طيف بإلمام
كتمت شأنَ الهوى يوم النوى فنما ... بسره من جفوني أيّ نمام
كانت لياليّ بيضاً في دنوهمُ ... فلا تسَل[2] بعدهم عن حال أيامي
ضنيتُ وجداً بهم والناس تحسب بي ... سقماً فأبهم[3] حالي عند لوامي
وليس أصل ضنى جسمي النحيل سوى ... فرط اشتياقي إلى لُقيا ابن تمّام

---

٢١٦ – الزركشي : ١٤٣ وذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٧١ (ولد سنة ٦٣٥ وتوفي سنة ٧١٨) والدرر الكامنة ٢ : ٣٤٦ والشذرات ٦ : ٤٨ ؛ وتشترك النسخة ر مع ص في جانب من هذه الترجمة .

١ ص والزركشي : علماً .

٢ ص : تسال .

٣ ص ؛ فأبهم عن .

مولًى متى أخلُ من برْوٍ برؤيته ... خلوتُ منهُ بأشجان وأسقام
نأى ورؤيته عندي أحبُّ إلى ... قلبي من الماء عند الحائم الظامي
وصَدَّ عني ولم يسأل بجفوتـه ... عن هائم دمعهُ من بعده هامي
يا ليت شعري ألم يبلغه أنَّ لهُ ... أخاً بمصر ضعيفَ الجسم مُذْ عام
ما كان ظنيَ هـذا في مودّته ... ولا الحديث كذا عن ساكن[١] الشام
يا غائباً داره قلبي ولو هجعت ... عيني لأدنته مني رُسْل أحلامي
أصبحت بعد اشتطاطي في الحقيقة من ... لقيـاك أخدعُ آمـالي بأوهام
هـذا ولم يبق لي في لذة أربٌ ... إلاّ اجتماعي بأصحابي[٢] وألزامي
وإن هُمُ خلفوني مفرداً ونأوا ... وافيتُ أسهرُ أجفاني لنوام
وأين نيْلُ مرامي من لقـائهمُ ... ضاق الزمانُ وهيّا سهمهُ الرامي
ولت بشاشةُ أيّامي فلو عُرِضَتْ ... عليَّ أعرضتُ عنها غير مستام
هل بعد سبعين لي إلاّ التأهب من ... أجلِ الرحيـلِ بإسراج وإلجام
الناسُ يرجونَ ما قد قَدَّموا لغدٍ ... والخوفُ من سوء ما قدمت قدامي
ولست أرجو سوى عفوِ الإلهِ وأنْ ... ألقى السلامةَ في الأخرى بإسلامي
بلى وحبّ الذي أرجوه يشفعُ لي ... غَداً إذا جئته أسعى بآثامي
فاذكر أخاكَ بظهر الغيب وادعُ له ... فأنت في نفسه من خير أقوام
لعلَّ يجمعنـا في دار رحمتـه ... مَن عفوُهُ فوق إسرافي وإجرامي
عليك مني سلامُ الله ما ابتسمت ... أزاهرُ الروضِ من دمع الحيا الهامي

فأجابه الشيخ تقي الدين رحمهما الله تعالى :

يا ساكني مصر فيكم ساكن الشام ... يكابدُ الشوقَ من عام إلى عامِ
الله في رمَقٍ أودى السقامُ به ... كم ذا يعلّلُ فيكمْ نضو أسقام

---

١ الزركشي : ساكني .
٢ الزركشي : وأصحابي .

مـــا ظنّكم ببعيدِ الدار منفردٍ حليفِ همّ وأحزانٍ وآلام
يا نازحين متى تدنو النوى بكمُ حالتْ لبعدكمُ حالي وأيّامي
كم أسأل الطرفَ عن طيف يعاوده وما لجفنيَ من عهدٍ بأحلام
أستودعُ الله قلباً في رحالكمُ عهدتـه منذ أزمانٍ وأعوام
وما قضى بكمُ من حبّكمْ أرباً ولو قضى فهو من وجد بكم ظامي[1]
مَنْ ذا يلومُ أخا وجدٍ بحبكمُ فأبعد الله عُذّالي ولُوّامي
في ذمة الله قوماً ما ذكرتهمُ الاّ ونمَّ بوجدي مدمعي الدامي
قومٌ أذابَ فؤادي فَرْطُ حبّهم وقد ألمَّ بقلبي أيَّ إلمـــام
ولا تخذتُ سواهم منهمُ بدلاً ولا نقضت لعهدي عقدَ إبرام
ولا عرفتُ سوى حبي لهم أبـداً حبّاً يعبر عنـهُ جفنيَ الهامي
يا واحداً أعربتْ عنه فضائله وسار في الكون سير الكوكب السامي
في نعت فضلك حار الفكر من دهشٍ وكل ظام رويْ من بحرك الطامي
لا يرتقي نحوك الساري على فلكٍ فكيف مَن رام أن يسعى بأقدام
منك استفاد بنو الآداب ما نظموا وعنك ما حفظوا من رقم أقلام
أنت الشهابُ الذي سامى السماك علاً وفيضُ فضلك فينا فيضُ إلهام
لما رأيتُ كتاباً أنتَ كاتبــهُ وأضرم الشوقَ عندي أيَّ إضرام
أنشدت قلبيَ هذا منتهى أربي أعاد عهد حياتي بعــد إعدام
يا ناظريَّ خذا من خدّه قُبَلاً فهو الجديرُ بتقبيلٍ وإكرام
ثم اسرَحا في رياضٍ من حدائقه وقد زها زهرها الزاهي بأكمام
مَنْ ذا يوفّيه في ردّ الجواب له عذراً إليه ولو كنتُ ابنَ بسّام
يا ساكنــاً بفؤادي وهْوَ منزلـه محل شخصك في سري وأوهامي
حقاً أراكَ بلا شكّ مشاهــدةً ما حال دونك إنجادي وإتهامي

---

١ ص والزركشي : ضامي .

ولَذَّ عَتبكَ لي يا منتهى أربي … « وفي العتاب حياةٌ بين أقوام »[1]

حُوشيت من عرض يشكي ومن ألمٍ … لكنَّ عبدك أضحى حِلفَ آلام

ولو شكا سمحتْ منهُ شكايته … إن الثمانين تَستبطي يدَ الرامي

وحيد دار فريد في الأنام لهُ … جيرانُ عهدٍ قديم بين آكام

طالتْ به شُقّةُ الأسفار ويحهمُ … أغفوا وما نطقوا من تحت أرجام

أبـلى محـاسنَهم مرُّ الجديدِ بهم … وأبعد العهدَ منهمْ بعـد أيام

فلا عداهم من الرحمن رحمته … فَهْيَ الرجاء الذي قدمتُ قدامي

وكم رجوتُ إلهي وهو أرحمُ لي … وقَلَّ عندَ رجائي قبح آثامي

فطال عمرك يا مولاي في دعَةٍ … ودامَ سعـدكَ في عزّ وإنعام

ولا خلتْ مصر يوماً من سناك بها … ولا نأى نورك الضاحي عن الشام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أسكانَ المعاهدِ من فؤادي … لكم في كلّ جارحةٍ سكونُ

أُكرّرُ فيكمُ أبداً حديثي … فيحلو والحديثُ بكم شجون

وأنظمه عقوداً من دموعي … فتنثره المحاجرُ والجفون

وأبتكرُ المعـاني في هواكم … وفيكم كلُّ قافيـةٍ تهون

وأسألُ عنكم النكباء سرّاً … وسرُّ هواكمُ عندي المصون

وأعتنقُ[2] النّسيمَ لأنَّ فيهِ … شمائلَ من محاسنكم تبين

وكم لي في محبّتكمْ غرامٌ … وكم لي في الغرام بكم فنون

وقال من أبيات :

بيض الوجوه إذا افترّت مباسمهم … فاللؤلؤ الرطبُ حلوٌ حين يتّسقُ

تقسم الحسنُ عنهم في الأنام كما … تجمع الفضلُ فيهم وهو مفترق

---

١ عجز بيت ، وصدره : « أبلغ أبا مسمع مني مغلغلة » .

٢ لم تعجم النون في ص .

كم زرتّهم وغصون الفضل دانية　　أجني الثمارَ بها عفواً وأرتزق
هم الأوْلى إن دعوني عبدهم صدقوا　　لما استرقوا وكم منّوا وما عتقوا
تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكرت　　فكيف إن شافهوا يوماً بما نطقوا
إني لأشكر ما أولوه من نعمٍ　　شكراً عليه قلوبُ الخلقِ تتفق

وقال رحمه الله تعالى :

أما والهوى إن شطَّ ربعكمُ عنّا　　فأنتم نزولٌ بالقلوب إذن مِنّا
وإن حُجبت أشباحكم عن عيوننا　　فلم يحجب البينُ المشتُّ لكم معنى
ولا نظرت عيناي إلاّ جمالكم　　ولطفكم الموصوف والحسن والحسنى
أحنُّ إليكم في التداني وفي النوى　　ولا عجبٌ للصبّ إنْ أنَّ أو حنّا
ويشتاقكم طرفٌ وأنتم سواده　　فما أبعد المشتاق منكم وما أدنى
لحا الله دهراً راعني بفراقكم　　وأفقرني فيمن أحب وما استغنى

وقال أيضاً :

يا ناقُ إن جئت الحمى سالمةً　　فعفرّي خديك في تلك الرُّبى
وبلّغي أهَيْلَها تحيّتي　　فإن في تبليغهم لي أربا
عساهُمُ أن يبعثوا جوابها　　في طي أنفاس نُسيماتِ الصبا
فإنها أكتمُ للسرّ ولا　　يخشى عليها من عيون الرقبا
فإن فعلتِ فهي عندي مِنّة　　من أجلها أحملُ عنك التّعبا
أحبابنا مذ غبتمُ عن حيكمْ　　محبكم عن صبره قد غُلبا
قد بلغ الشوقُ بكمْ غايتَهُ　　وفي جواه[1] بلغ السيل الزُّبى
لا يستطيع باللسان شرحَ ما　　لو شُقّ عنه القلب أبدى العجبا
وكلما سُمْتُ فؤادي سلوةً　　عنكم ينادي عنهمُ لا مذهبا
وكم أنادي في الديار بعدكم　　واحرَبا من بعدهم واحربا

---

١ ص : جوابه ؛ الزركشي : جواب .

وقال أيضاً :

وقالوا صبا بعد المشيب تعللاً ... وفي الشيب ما ينهى عن اللهو والصّبا
نعم قد صبا لما رأى الظبيَ آنساً ... يميل كغصن البان مالت به الصبا
أدار التفاتاً حاليَ الجيدِ عاطلاً ... وفي لحظه معنى به الصبُّ قد صبا
ومزق أثوابَ الدجى وهو طالعٌ ... وأطلع بدراً بالجمالِ محجبا
جرى حبه في كلّ قلبٍ كأنما ... تصوَّرَ من أرواحنا وتركبا

وقال أيضاً :

أكاتبكم وأعلم أنّ قلبي ... يذوبُ إذا ذكرتكمُ حريقا
وأجفاني تَسحُّ الدمعَ سيلاً ... به أمسيتُ في دمعي غريقا
أشاهدُ من محاسنكم مُحَيّاً ... يكاد البدرُ يشبهه شقيقا
وأصحب من جمالكمُ خيالاً ... فأنّى سرتُ يرشدني الطريقا
ومَن سلك السبيل إلى حماكم ... بكم بلغَ المنى وقضى الحقوقا

وقال أيضاً :

تبدّى فهو أحسنُ مَن رأينا ... وألطفُ مَن تهيمُ به العقولُ
وأسفر وهو في فلكِ المعاني ... وعنه لطرف ناظره كليل
لـهُ قَدٌّ يميلُ إذا تَثَنّى ... كذاك الغصنُ من هيف يميل
وخَدٌّ وردُهُ الجوريُّ غَضٌّ ... وطرفٌ لحظهُ سيفٌ صقيل
وخالٌ قد طفا في ماء حسنٍ ... فراق بحسنه الخدُّ الأسيل
تخال الخدَّ من مـاء وخمرٍ ... وفيهِ الخالُ نشوانٌ يجول
وكم لام العذولُ عليه جهلاً ... وآخر ما جرى عَشِقَ العذول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا عاذلي حَكَمَ الهوى ... وكلفْتُ بالرشإ الكحيلِ

ريّان من ماء الصّبا   جذلان يلعبُ بالعقول
راقَتْ محاسنهُ التي   جليت على الوجه الجميل
وعلى مُثَقّفِ قَدِّه   بدرٌ يجلّ عن الأفول
والخالُ عمّ جماله   في سالف الخدّ الأسيل
زعَمَ العذول بأنّه   يلهي الخليل عن الخليل
يا طالما نصح العذو   لُ وما قبلتُ من العذول
ولبستُ ثوبَ خلاعتي   وخلعتُ أثواب الخمول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

للهِ ليلتنا التي نَظَمَتْ لنا   شملَ المسرّةِ والوشاة رُقودُ
جادت بأهْيفَ كالغزال لحاظهُ   يسطو بها بين الجفونِ أسود
ريّان يعتنق النّسيمَ لطافةً   ويميلُ من مرّ الصبا ويميد
لم أنسه إذ زار يخترق الدجى   وعليه من درر النجوم عقود
في صورةِ القمر المنير وحسنهِ   لكنّهُ حسناً عليه يزيد
يا ناظريَّ تمتّعا بجمالهِ   فالحسن حيث ترى العيون ترود
واستقصيا نظراً إليه فإنّهُ   كالطيف يدنو والمزارُ بعيد
وإذا رنا بلحاظه فتعرّضا   فاللحظُ يقتلُ والقتيل شهيد
كم بتُّ من سهري عليه مسهداً   وعليه يحلو في الهوى التسهيد
يا مَنْ أعار البدرَ نوراً باهراً   قسماً لقد راقت عليك سعود
أنا في هواك إذا ادّعيتُ صبابةً   يا واحدَ الحسنِ البديع وحيد

وقال أيضاً :

راق المدامُ وثغرُ الكأس يلتهب   وللكؤوسِ ثغورٌ حَليُها الحببُ
فقل لكاسك في الندمان حيّ على   شمس المدام وروحُ الراح تُستلب
أما ترى الشمس تُجلى في سنا قمر   كأنّه بالنّجوم الزُّهْر ينتقب

والطيرُ تسجعُ بالألحانِ صادحةً … كأن ألحانها الأوتار تصطخب
والروض يضحك في أكمامه خجلاً … من الغمام ودمعُ الغيثِ ينسكب
وللزجاجة معنى رقّة وسَنـاً … كأنهـا الزهرة الغراء ترتقب
للهِ ندمان ذاك الحيّ من نَفَرٍ … قوم دعاهم إلى حاناتها الطرب
فلا تَقُلْ حجبوا عني محـاسنهم … فليس تمنعها الأستارُ والحجب
باللهِ يا مهجتي لا تبتغي بدلاً … منهم وإن سلبوا قلبي وقد سلبوا
ويا غراميَ لي في صبوتي حُرَقٌ … أودى وحقك بي من حرّها اللهب
حسبي وقد علموا حالي بحبهمُ … وعندهم[1] زفراتُ الشوق تحتسب
ان بَلّغ الله آمـالي مآربَها … وقد قضيت هوًى لم يبقَ لي أرَبُ
وأينَ منّي ديار القوم إذ وقفت … بيَ الركابُ وحُثّتْ تحتهم نجُب
ولا تقلْ شقّة الأسفار تبعدني … إذا عزمت فذاك البعد يقترب
لا أشتكي أبـداً بعداً لدارهمُ … ولا أرى غيرهمُ في الكون لاحجبوا
يحلو ليَ الصدُّ منهم حيث يعذب لي … مُرُّ العتاب فلا صدّوا ولا عتبوا
وأرتضي كلَّ ما فيه رضًى لهم … وقد ألفت الرضى منهم فلا غضبوا
فاستَجْلِ لمحةَ برق من محاسنهمْ … ولا تقلْ عندها الأرواحُ تنتهب
لا تنحُ في الدهر يوماً غيرهم أبـداً … فنحوهم وإليهم ينتهي الطلب
تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكروا … وفيهمُ تعذبُ الأشعار والخطب
لا تعجبنّ لوصفي في محـاسنهم … فكل معنى لهم في وصفه عجب

١ ص : وعندي .

٢١٧
أبو مسلم الخولاني

عبد الله بن ثوب ،أبو مسلم الخولاني الزاهد المشهور سيد التابعين ؛ أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقدم المدينة في خلافة أبي بكر. وهو معدود في كبار التابعين ؛وكان فاضلاً ناسكاً عابداً . وله كرامات وفضائل. روى عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من تابعي الشام .

ولما تنبأ الأسود باليمن بعث إلى أبي مسلم ، فلما جاءه قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فردّد ذلك عليه ، وهو يقول كما قال أولاً . فأمر بنار عظيمة فأحميت ، ثم ألقى فيها أبا مسلم فلم يضرّه ذلك . فقيل للأسود : أخرجه وإلاّ أفسد عليك من اتبعك . فأمره بالرحيل ، فأتى أبو مسلم المدينة . وقد قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناخ راحلته بباب المسجد وقام يصلي إلى سارية ، وبَصُر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام إليه وقال : ممن الرجل؟ قال : من أهل اليمن ، قال : ما فعل الذي حرّقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : أنشدك الله أأنت هو ؟ قال : اللهمّ نعم ، فاعتنقه عمر وبكى ، ثم أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم ، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني رجلاً[١] من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل عليه السلام .

وتوفي أبو مسلم سنة اثنتين وستين للهجرة ؛ وروى له مسلم والأربعة ، ودفن بداريّا من ضياع دمشق ، رحمه الله تعالى .

---

٢١٧ — حلية الأولياء ٢ : ١٢٢ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ٣١٤ وتذكرة الحفاظ : ٤٩ وتهذيب التهذيب ١٢ : ٢٣٥ والبداية والنهاية ٨ : ١٤٦ .

١ ص : رجل .

٢١٨

عبد الله بن جعفر

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجواد ؛ له صحبة ورواية ، ولد بالحبشة من أسماء بنت عُمَيس[1] . يقال إنه لم يكن بالإسلام أسخى منه ، وروى عن أبويه وعن عمه عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ، وهو آخر مَن رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ، سكن المدينة ، وتوفي سنة ثمانين للهجرة ؛ وهو أول مولود ولد في الإسلام بالحبشة ، وكان يسمى بحر الجود .

وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً ، وكان إذا قدم على معاوية أنزله داره وأكرمه وكان ذلك يغيظ فاختة بنت قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية ، فسمعت ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية ، فقالت : تعال فاسمع ما في منزل هذا الرجل الذي جعلته بين لحمك ودمك ، فجاء فسمع وانصرف . فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، فأنبه فاختة وقال : اسمعي مكان ما أسمعتني .

ويقولون : إن أجواد[2] العرب في الإسلام عشرة ، فأجواد أهل الحجاز : عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وأجواد أهل الكوفة : عبد الله بن عتاب بن ورقاء[3] أحد بني رباح بن يربوع ، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ، وعكرمة بن ربعي

---

٢١٨ – الاستيعاب : ٨٨٠ وأسد الغابة ٣ : ١٣٣ والاصابة ٤ : ٤٨ وتهذيب التهذيب ٥ : ١٧٠ والبداية والنهاية ٩ : ٤٣ ، وأخباره مبثوثة في الكتب الأدبية كالعقد والأغاني والكامل . . . الخ .

١ ص : عميش .

٢ ص : أجود .

٣ الاستيعاب : عتاب بن ورقاء .

الفياض أحد بني تَيم الله بن ثعلبة ، وأجواد أهل البصرة: عمر بن عبيد الله بن معمر ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات ، وعبيد الله ابن أبي بكرة ، وأجواد أهل الشام : خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر . عوتب في ذلك فقال : إن الله عز وجل عودني عادة ، وعود الناس عادة ، فأخاف إن قطعتها قُطعت عني ؛ وأخباره في الجود كثيرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٩

عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن قصي القرشي الأسدي ، يكنى أبا بكر ؛ هو أول مولود ولد بالإسلام بالمدينة ، روى عن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؛ شهد وقعة اليرموك والقسطنطينية والمغرب وله مواقف مشهورة ، وكان فارس قريش في زمانه .

بويع له بالخلافة سنة أربع وستين ،وحكم على الحجاز واليمن ومصر وخراسان والعراق ، وأكثر السند . وولد سنة اثنتين من الهجرة ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين وأربعة أشهر . خرجت أسماء أمه حين هاجرت حُبلى ، فنُفستْ بعبد الله في قبا ، قالت أسماء : ثم جاء بعد سبع سنين ليبايع

---

٢١٩ – راجع أخباره في كتب الصحابة كطبقات ابن سعد والاستيعاب وأسد الغابة والاصابة ، وفي كتب التاريخ الكبرى كالطبري والمسعودي والدينوري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير والسيوطي وتهذيب التهذيب ٥ : ٢١٣ وأنساب الأشراف (جـ ٤ ، ٥) والعقد الثمين ٥ : ١٤١ وفي المصادر المتعلقة بفتح إفريقية (ابن عذاري ، رياض النفوس ، جغرافية البكري . . . الخ) أخبار عن بطولاته في ذلك الفتح . وقد وردت له ترجمة عند ابن خلكان ٣ : ٧١ وهي من المزيدات التي انفردت بها إحدى النسخ من وفيات الأعيان ، وليس من المرجح أن تكون أصلا في وفيات الأعيان .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره بذلك الزبير . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلاً ثم بايعه .

ولما قدم المهاجرون أقاموا لا يولَد لهم ، فقالوا : سحرتنا اليهود ، فكان أول مولود بعد الهجرة . فكبر المسلمون تكبيرةً واحدةً حتى ارتجت المدينة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأذن في أذنيه بالصلاة .

وكان عارضاه[1] خفيفين فما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال له : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت إلى أخفى موضع علمت فجعلته فيه ، قال : لعلك شربته ؟ قال : نعم . قال : ولم شربت الدم ؟ ويل للناس منك ، وويل لك من الناس !

وعن إسحاق بن أبي إسحاق قال : حضرت قَتْل عبد الله بن الزبير ، جعلت الجيوش تدخل عليه من أبواب المسجد ، كلما دخل عليه قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهم ، فبينما هو على هذه الحال إذ جاءته شرفة من شرفات المسجد في رأسه فصرعته فوقع وهو يقول :

أسماء يا أسماء لا تبكيني لم يبقَ إلاّ حَسَبي وديني
وصارم لاثت به يميني

وقال سهل بن سعد : سمعت ابن الزبير يقول : ما أراني اليوم إلاّ مقتولاً ، رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي فدخلتها ، فقد والله مللت الحياة وما فيها .

وقال عمرو بن دينار : كان ابنُ الزبير يصلي في الحِجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه ، وكان يسمى حمامة المسجد .

وقال ابن إسحاق : ما رأيت أحداً أعظم سجدة بين عينيه من ابن الزبير.

---

١ ص : عارضيه .

وجاء الحجاج إلى مكة فنصب المنجنيق عليها ، وكان ابن الزبير قد نصب فسطاطاً عند البيت ، فاحترق فطارت شرارة إلى البيت فاحترق واحترق قرنا الكبش الذي فُدي به إسماعيل يومئذ . ورمى الحجاج المنجنيق على ابن الزبير وعلى مَن معه في المسجد. وجعل ابن الزبير بيضة على الحجر الأسود ترد عنه — يعني خُوذة — ودام الحصار ستة أشهر وسبع عشرة[1] ليلة ، وخذل ابن الزبير أصحابه[2] ، وخرجوا إلى الحجاج . ثم إن الحجاج أخذه وصلبه مُنكساً .

وكان آدم نحيفاً ليس بالطويل ، بين عينيه أثر السجود ؛ قيل إنه بقي مصلوباً سنة ، ثم جاء إذن عبد الملك أن يُسلم إلى أسماء ولدها. فأنزلوه فحنطته وكفنته وصلّتْ عليه وحملته فدفنته بالمدينة في دار صفية بنت حُيَي ، ثم زيدت دار صفية في المسجد . فهو مدفون مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس ، كريم الجدّات والأمهات والخالات ؛ وقال علي بن زيد الجدعاني : إلاّ أنه كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة ، لأنه كان بخيلاً ، ضيّقَ العَطَن ، سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف ، اخرج محمد بن الحنيفة ، ونفى عبد الله بن العباس إلى الطائف .

وقال : لما كان قبل قتله بعشرة أيام دخل على أُمه وهي شاكية فقال : كيف أنت[3] يا أمه ؟ قالت : ما أجدني إلاّ شاكية ، فقال لها ، إن في الموت لراحة ، قالت : لعلك تمنيته لي ، ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك ، إما قتلت فأحتسبك ، وإما ظفرت بعدوك فقرت عيني ، قال عروة : فالتفت إليّ وضحك ، فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها ، فقالت : يا بني لا تقبل منهم خطة عليك فيها الذل مخافة القتل ، فوالله لضربةُ سيف في عز خير من ضربة

---

١ ص : عشر .
٢ ص : وأصحابه .
٣ ص : أنتي .

سوط في مذلة ، قال : فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة ، وكان تحته ، فأتاه رجل من قريش فقال : ألا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها ، فقال ابن الزبير : إن حرمة المسجد كحرمة البيت ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة قتلوكم ، ثم قال :

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبّةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما

ثم شدّ عليه أصحابُ الحجاج فقال : أين أهل مصر ؟ فقال : هم هؤلاء من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أغماد سيوفكم ولا تميلوا عني ، فإني في الرّعيل ، ففعلوا ثم حمل فحملوا معه ، وكان يضرب بسيفين ، فضرب رجلاً فقطع يده ، وانهرقوا فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، فجعل رجل أسود يسبه ، فقال له : اصبر يا ابن حام ، ثم حمل عليه فصرعه . ثم دخل أهل حمص من باب بني شيبة ، فشدّ عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ورجع وهو يقول :

لو كان قِرناً واحداً كَفَيْتُه أوردته الموتَ وقد ذكيته

ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر ، فجعل يضربهم حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول :

لا عهدَ لي بغارةٍ كالسيلِ لا ينجلي قتامها[1] للّيـلِ

وجاءه حجر من ناحية الصّفا فوقع بين عينيه ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ولكنْ على أقدامنا تقطر الدما

ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا يضربونه حتى قتل . ولما قتل كبر أهل الشام فقال ابن عمر : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين[2] عليه يوم قتل . وقتل

---

١ ص : قياسها . ٢ ص : المكبرون .

معه مائة وأربعون رجلاً [منهم] مَن سال دمه في جوف الكعبة .

قال ابن عبد البر : رحل عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان فسأله في إنزاله من الخشبة ، فأمر بإنزاله .

قال ابن مليكة : كنت ممن تولى غسله ، فجعلنا لا نتناول عضواً إلاّ جاء معنا فنغسله ثم نضعه في أكفانه [ونتناول العضو الذي يليه فنغسله ونضعه في أكفانه][1] حتّى فرغنا منه ، فقامت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق فصلّتْ عليه ، وكانت قبل ذلك تقول : اللهم لاّ تمتني حتّى تقرّ عيني بجثته ، فما أتى عليها بعد ذلك جمعة حتّى ماتت .

ويقال إنه لما جيء به إليها وضعته في حجرها فحاضت ودرّ ثديها .

وقيل إن الحجاج حلّف أن لا ينزله من الخشبة حتّى تشفع فيه أمه ، فبقي سنة ، ثم مرت تحته فقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ، فيقال إن هذا الكلام قيل للحجاج إن معناه شفاعة فيه ، فأنزله .

وكان قتله سنة ثلاث وسبعين للهجرة .

ويقال إن الحجاج وردّ عليه كتاب عبد الملك بن مروان قبل قتلِ ابن الزبير : أعْطِ ابنَ الزبير الأمان ، وحكّمه في الولاية ، واستنزله عن الخلافة ، فشاور ابن الزبير أصحابه فأشاروا عليه بأن يفعل ، فقال : لاخلعها إلاّ الموت ، ثم قال :

الموتُ أكرمُ من إعطاء منقصةٍ   إن لم تمتْ عبطة فالغاية الهرمُ
اصبر فكلٌ فتًى لا بدّ مخترمٌ   والموتُ أسهل مما أمّلتْ جُشَمُ

---

١ ما بين معقفين لم يرد في ص .

٢٢٠

أبو القاسم الصقلي

[عبد الله] بن سليمان بن يخلف الصقلي أبو القاسم الكلبي ، أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين . وله تأليفات ومصنفات في الردّ على العلماء . ومن مختار شعره من أبيات :

فليتَ ليالي الصدودِ الطوال ... فداء ليالي الوصالِ القصارِ
زمانــاً أبيت طليق الرّقاد ... وأغدو خلياً خليعَ العــذار
ولم يكن الهجر مما أخافُ ... ولا العاذلُ الفظّ ممن أداري
أسابق صحبي بصبح الدنان ... وأصرف ليلي بصرف العقار
ألا ربّ يوم لنا بالمروج ... بخيلِ الضياء جوادِ القطار
كأنّ الشّقيق بهــا وجنة ... بآخرها لمعــةٌ من عذار
وسوسنهــا مثل بيض القباب ... بأوساطهــا عمد من نضار
ترى النرجس الغض فوق الغصون ... شبيهَ المصــابيح فوق المنار
أقمنا نسابقُ صرفَ الزمــان ... بداراً إلى عيشنا المستعـــار
تجيب لصوت القناني القيانُ ... إذا ما أجابت غنــاء القماري
وتصبحُ عيداننا في اصطخابٍ ... تلذّ وأطيارنا في اشتجـــار
نشمّ الخدود شميم الرياضِ ... ونجني النهود اجتناء الثمــار
ونسقى على النور مثل النجوم ... ومثل البدور اعتلت[1] للمدار

---

٢٢٠ — لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وقد وردت ترجمته ص : ١٢٦ من عنوان الأريب نقلا عن مختار ابن الصيرفي من الدرة الخطيرة . وهي أول ترجمة في المنتخل ، وانظر المكتبة الصقلية : ١٥٤ .

١ ص : اعات ، والتصويب عن المنتخل .

عقارٌ هي النّار في نورهـا فلولا المزاج رمت بالشرار
إذا ما لقيتَ اللّيـالي بهـا فأنت عـلى صرفها بالخيار
نعمنـا بها وكأنّ النّجومَ دراهمُ من فضّةٍ في نثـار

وقال أيضاً :

شربت على الرياض النيّرات وتغريد الحمام الساجعاتِ
معتقة ألذّ من التصابي وأشرف في النفوس من الحياة
تسير إلى الهموم بلا ارتياع كما سار الكميُّ إلى الكماة
وتجري في النفوس شفاء داء مجاري الماء في أصل النبات
كأن حبابها شَبَكٌ مقيمٌ لصيد الألسنِ المتطايرات
لنا من لونها شَفَقُ العشايا ومن أقداحها فَلَقُ الغداة
كأن الأقحوانَ فصوصُ تبرٍ تركّبُ في اللجين موسطات
ونارنج على الأغصان يحكي كؤوسَ الخمر في أيدي السقاة

وله أيضاً :

أرحت النفس من همّ براح وهان عليّ إلحاحُ اللواحي
وصاحبتُ المدامَ وصاحبتني على لذاتها وعلى سماحي
فما تبقي على طربٍ مصونٍ ولا أبقي على مالٍ مباح
ثوت في دنّها ولها هديرٌ هدير الفحل[1] ما بين اللقاح
وصفّتها السنون ورقّقتها كما رقّ النّسيمُ مع الرواح
إلى أن كشّفتْ عنها الليالي ونالتها يدُ القَدَر المتاح
فأبرزها بزالُ الدنّ صرفاً كما انبعث النجيع من الجراح

---

١ ص : النحل .

٢٢١
أبو القاسم الدينوري الكاتب

عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري أبو القاسم ؛ من رؤساء الأدباء والكتاب ووجوه العمال بخراسان، قيل إنه من أولاد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، له مصنفات وشعر رائق ، منه في صفة الخمر :

كأنها في يد[1] الساقي المدير لهـا عصارة الخد في ظرف[2] من الآلِ
لم تبق منها الليالي في تصرفهـا إلاّ كما أبقت الأيام من حالي[3]

وله من أبيات يسترجع بها كتاباً مُعاراً :

آنَ[4] أشكو إليك فَقْدَ نديمٍ قد فقدتُ السرور منذ تولّى
كان لي مؤنساً يُسَلّي همومي بأحاديثَ من مُنى النفس أحْلى
عن أبي حاتم عن ابن قريب[5] واليزيديّ كل ما كان أملى
وهو رهنٌ يشكو إليك ويبكي ويغني : قد آن لي أن أخلّى
فتفضـل بـه عليّ لأني لست إلاّ بمثلـهِ أتسلّى

وقال :

بأبي أنتَ وقـد طبـ ـتَ لنا ضمّاً وشمّا
ضاق فوك العذبُ والعيـ ـنُ وشيء لا يُسَمّى

---

٢٢١ – الزركشي : ١٤٧ .
١ ص : يدي .
٢ ص والزركشي : طرف .
٣ ووجوه العمال . . . حالي : سقط من المطبوعة .
٤ الزركشي : أنا .
٥ ابن قريب هو الأصمعي .

٢٢٢

محيي الدين بن عبد الظاهر

عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري ، المولى القاضي محيي الدين ابن القاضي رشيد الدين ، الكاتب الناظم الناثر ، شيخ أهل الترسل ، ومَن سلك الطريق الفاضلية في إنشائه، وهو والد[1] القاضي فتح الدين محمد صاحب دواوين الإنشاء .

سمع من جعفر الهمداني وعبد الله بن إسماعيل بن رمضان ويوسف بن المخيلي وجماعة ، وكتب عنه البرزالي وابن سيد الناس وأثير الدين والجماعة ؛ وكان بارع الكتابة [له][2] في قلم الرقاع طريقة غريبة حلوة ، وكان ذا مروّة وعصبية ، ولد في المحرم سنة عشرين وستمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

ومن إنشائه كتاب[3] كتبه إلى الأمير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتاب كتبه بفتح بلاد النوبة :

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ (الاسراء : ١٢) أدام الله نعمة المجلس ، ولا زالت عزائمه مرهوبة ، وغنائمه

---

٢٢٢ – الزركشي : ١٤٧ والنجوم الزاهرة ٨ : ٣٨ وابن الفرات ٨ : ١٦٢ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٣٤ والشذرات ٥ : ٤٢١ وحسن المحاضرة ١ : ٥٧٠ ؛ وهو صاحب « سيرة الملك الظاهر » و « تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور » وقد نشر الثاني بعناية مراد كامل (مصر ١٩٦١) وفيه مقدمة درس المحقق فيها جوانب من حياة ابن عبد الظاهر ومؤلفاته وأورد مجموعة من رسائله وشعره .

١ ص : ولد .

٢ سقطت من ص والزركشي وفيه : وكان بارع الكتابة في قلم الرقاع ذا مروة . . . الخ .

٣ ص : كتاباً .

مجلوبة ومجنوبة . وسطاه وخطاه هذه تكفّ [النّوبَ] [1] وهذه تكفي النوبة ، ولا برحت وطأته على الكفار مشتدة ، وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة ، ولا عدمت الدولة بيضَ سيوفه التي [يرى] [2] بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة .

صدرتْ هذه المكاتبة إلى المجلس تُثْني على عزائمه التي [3] واتت على كل أمرٍ رشيد ، وأتت على كل جبّار عنيد ، وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦) حيث شكرت الضُّمَّر الجُرْد وحمدت العِيس، واشتبه يوم النصر بأمسه بقيام حروف العلة [مقام بعض] فأصبح غزو كنيسة سوس كغزو سيس [4] ، ونفمهه أنا علمنا [5] أن الله بفضله طهر البلاد ، من رجسها وأزاح العناد، وحسم مادة معظمها الكافر وقد كاد وكاد، وعجل عيد النحر بالأضحية بكل كبش حرب يبرك في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ، وتحققنا النصر الذي شفى النفوس وأزال البوس ، ومحا آية الليل بخير الشموس ، وخرب دُنقُلة بجريمة سوس ، وكيف لا يخرب شيء يكون فيه سوس ، فالحمد لله الذي صبحتهم عزائم المجلس بالويل، وعلى أن أولج النهار من السيف منهم في الليل ، وعلى أن ردَّ حرب حرابهم [6] إلى نحورهم ، وجعل تدبيرهم في تدميرهم ، وبيّنَ خيطَ السيف الأبيض من الخيط الأسود من فجر فجورهم ، وأطلع على مغيبات النصر ذهن المجلس الحاضر [7] ، وأورث سليمان

---

١ سقطت من ص .

٢ سقطت من ص .

٣ ص : الذي .

٤ سوس بالنوبة وكان داود ملك النوبة يزعم أنه يتلقى من كنيستها ما يؤديه ، وقد خربت في الحملة المشار إليها وأخذ ما فيها ؛ أما سيس فانها من الثغور الشامية ، وقد غزاها الملك الظاهر أيضاً .

٥ ص : ان أعلمنا .

٦ ص : خرب خرابهم .

٧ ص : الحاظر .

المؤمن ملك داود[1] الكافر . وقرن النصر بعزم المجلس الأنهض . وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض . وكيف لا وآقسنقر هو الطائر الأبيض ، وأقرّ لأهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم فلا يرون من عدوهم بعدها غراب بين ، ونصر ذوي السيوف على ذوي الحراب ، وسهّل صيد ملكهم على يد المجلس وكيف يعسر على السنقر صيد الغراب . والشكر لله على إذلال ملكهم الذي لان و هان ، وأذاله لباسه الذي صرّح به بسرّ كل منهم في قتاله فأمسى وهو عُريان ، وازهاقهم الأسنة التي غدا طعنها كفم الزق غدا والزق ملآن[2] . ودقّ أقفيتهم بالسيف الذي أنطق الله بفألهم الطير فقال دق قفا السودان ؛ ورعى الله جهاد المجلس الذي قوم هذا الحادث المنآد . ولا عدم الإسلام في هذا الخطب سيفه الذي قام خطيباً وكيف لا وقد ألبسه منهم السواد ، وشكر له عزمه الذي استبشر به وجه الزمن بعد القُطوب . وتحققت بلاد الشمال به صلاح بلاد الجنوب . وأصبحت به سهام الغنائم في كل جهة تُسهّم ، ومُتون الفتوحات تمتطى فتارة يمتطي السيف منها كل سيس وتارة كل أدهم ؛ وحمد شجاعته التي ما وقف لصدمتها السواد الأعظم . ولله المنة على أن جعل ربع العدو بعزائم المجلس حصيداً كان لم يَغْنَ بالأمس . وأقام فروض الجهاد بسيوفه المسنونة وأنامله الخمس ، وقرّن ثباته بتوصيل الطعن لنحور الأعداء ووقتُ النحر قيدُ رمح من طلوع الشمس ، ونرجو من كرم الله تعالى إدراك داود المطلوب ، وردّه على السيف بعيب هربه والعبدُ الأسودُ إذا هَرَبَ يُرَدُّ بعيب الهروب .

---

[1] كان داود ملكاً للنوبة وقد حضر ابن أخته واسمه مشكد متظلماً منه ، فجرد الملك الظاهر جيشاً ضده (٦٧٤) وكانت النتيجة أن فر داود وأسر أخوه شنكو وأقيم مشكد في المملكة وألبس التاج مكان داود (السلوك ١ : ٦٢٢) .

[2] في هذا نثر لقول الفند الزماني :

فلما صرح الشر وامسى وهو عريان
بطعن كفم الزق غدا والزق ملآن

وفي هذه الغزاة قال ابن النقيب الفقيسي :

يا يومَ دنقلة وقتل عبيدها في كلّ ناحيةٍ وكلّ مكانِ
كم فيهِ زنجيٍّ يقولُ لأمّه نوحي فقد دَقّوا قفا السّودانِ

وكتب في محضر قيم حمام الصوفية [1] جوار خانقاه سعيد السعداء اسمه يوسف :

يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد الظاهر : إن أبا الحجاج يوسف ما برح لأهل الصلاح قيماً ،وله جَوْدة صناعة استحق بها أن يدعى قيماً ، كم له عند جسم من منٍّ جسيم ، وكم أقبل مستعملوه تعرف في وجوههم نَضْرَةَ النعيم ، وكم تجرد مع شيخ صالح في خَلْوه ، وكم قال ولي الله يا بشراي انه ليوسف حين أدلى دَلْوه ، كم خدم من العلماء والصلحاء إنساناً ، وكم ادّخر بركتهم لدنياً وأخرى فحصل من كل منهم شفيعين مؤتزراً وعرياناً [2] ، كم حرمة خدمة له عند أكابر الناس ، وكم له يدٌ عند جسه [3] ومنّة على راس ، كم شكرته أبْشَار البَشَر ، وكم حَكَّ رِجْلَ صالحٍ فتحقق هناك أن السعادة لَتَلْحَظُ الحجر ، قد ميّزَ بخدمة الفضلاء والزهاد أهله وقبيله ، وشكر على ما يُعَاب به غيره من طول الفتيلة ، تتمتع الأجساد بتطييبه لحمامه بظل مَمْدود وماء مَسْكوب ، وتكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن تكون كالرمح أنبوباً على أنبوب .

وكتب إلى بعض أصحابه يستدعيه إلى حمام :

هل لك — أطال الله بقاءك إطالَةً تكرع [بها] [4] من منهل النعيم ، وتَتَمَلّى

---

١ ص : الصوفة .

٢ من قول الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

٣ في المطبوعة : « جسد » وهي قراءة جيدة .

٤ سقطت من ص .

بالسعادة تملي الزهر بالوسْمي والنظر بالحسن الوسيم – في المشاركة في [حمام][1] جَمَعَ بين جنة ونار ، وأنواء وأنوار ، وزهر وأزهار ، قد زال فيه الاحتشام فكلٌ عارٍ ، ولا عَارَ ، نجوم سمائه لا يعتريها أفول . وناجم رخامه لا يعتريه ذُبُول ، تنافست العناصر على خدمة الحالّ به ، تنافساً أحسن كلٌ التوصلَ فيه إلى بلوغ أربه ، فأرسل البحر ما جَسَّدَهُ جسده من زبده ، لتقبيل أخمصه إذ قصرت همته عن تقبيل يده ، [ولما][1] لم يرَ التراب له في هذه الخدمة مدخلاً ، تَطَفَّل وجاء وما علم ان التسريح لمن جاء مُتَطَفِّلاً ، والنار رأت أنه عين مباشرتها [يستقل][1] ، وأنها بفرض من خدمته لا تخل ، ولأن لها حرمة هداية الضيف في السُّرَى ، وبها يدفع[2] القرّ ويقع القِرَى ، فأعلمت ضدها الماء فدخل وهو حار الأنفاس ، وغَلَتْ مراجلُهُ فلأجل ذلك داخله من صوت تسكابه الوَسْوَاس ، والهوا انه قصر عن مطاولة هذا المبار . فأمسك متهيباً ينظر ولكن من خلف زجاجة إلى تلك الدار ، ثمّ إن الأشجار رأت أنها لا مشاركة[3] لها في هذه الحظوة ، ولا مُساهمة في تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط أكُفّاً أحسنت بما تدعو إليه الفرق ، ومرت على سواد العذار الفاحم كما يمر البرق ، وذلك بيد قيم قَيِّمٍ بحقوق الخدمة ، عامل بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمة ، خفيف اليد مع الأمانة ، موصوف بالمهابة عند أهل تلك المَهَانة ، لطف أخلاقاً حتى كأنها عتاب بين جَحْظَة والزمان ، وحسن صنعةً فلا يمسك يداً إلاّ بمعروف ولا يُسَرِّح تسريحاً إلاّ بإحسان،أبداً يرى مع طهارته وهو ذو صَلَف ، ويشاهد مُزِيلاً لكلّ أذًى حتى لو خدم البدرَ لأزالَ عن وَجْهه الكَلَف ، بيده مُوسى كأنّه صبَاح ينسخ ظلاماً ، أو نسيم ينفض عن الزهر كماماً ، إذا أخذ صابونه أوْهَمَ من يخدمه بما يمره على جسده أنه

---

١ سقطت من ص .
٢ ص : دفع .
٣ ص : لانشآته .

بحر عجاج ، وأنه يبدو منها زَبَد الأعكان التي هي أحسن من الأمواج ، فهلم إلى هذه اللذة ، ولا تعد الحمام أنها دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه من بين تلك الدعوات فَذَّة ، ولعل سيدنا يشاهد ما لا يُحْسِنُ وصْفَه قَلَمي ، وأستحسن وصفها ليدي وفمي ، وإذا جمح عناني فأقول ، وإذا ترامت بي الخلاعة أخلع ما تستّر به ذوو العقول : لدي — أبهجك الله — غصون قد هزّها الحسن طرباً ، رماح لغير كفاح قد نَشَرت من الشعور عذباً ، وبدور أسدلت من الذوائب غَيْهَباً ، قد جعلت بين الخصور والروادف من المآزر برزخاً لا يبغيان ، وعلمنا بهم أننا في جنة تجري من تحتها الأنهار وتَطوف علينا بها الوِلْدان ، يكاد الماء إذا مرّ على أجسادهم يجرحها بمرّه ، والقلب يخرج إلى مباشرتها من الصدر وعجيب من مباشر لأمر لا يلتقيه بصدره ، إذا أسْدَلَ ذوائبه ترى ماء عليه ظلّ يَرِفّ ، وجوهراً[1] من تحت عنبر يَشِف ، يطلب كلّ منهم السلام وكان الواجب طلب السلامة ، وكيف لا وقد غدا كل منهم أمير [حسن][2] وشعره المنشور وخاله العلامة ، إذا قلب بأضفر الصفر ماء على الخُضّار ،قلت هذا بدر بيده نجم تقسم منه أشعة الأنوار ، وإن أخذ غَسُولاً وأمَرَّه على جسمه مفركاً، لم يبقَ عضو إلاّ واكتسب منه لطافة وراح مدلّكا، فما عذرك في انتهاز الفرص ، واقتناص هذه الشوارد التي يجب على مثلك أن يغدو لها وقد اقتنص ، والله تعالى يولي إليك المسار ، ويجعلها لديك دائمة الاستقرار .

ومن شعره :

كم قلتُ لما بتُّ أرشف ريقه وأرى نقيَّ الثغر دُرّاً منتقَى
باللهِ يا ذاك اللّمى مترَوّيـاً كرّر عليَّ حديثَ جيرانِ النقا

---

١ ص : وجوهر .

٢ سقطت من ص .

وقال أيضاً :

قيل للعينِ طيفُ إلفك ساري ... فتباهَيْ له ولو بعَوَاري
فتَهَيَّتْ لقربهِ وتَهادَتْ ... من دموعٍ إليهِ بين جواري
يَتَسابَقنَ خدمةً فتراهنَّ ... لديها كالدُّرّ أو كالدراري
ثمّ لما تحقّقَ الطيفُ أنْ تلْ ... كَ دموعٌ تَخشيْ جوارَ البحار
بات جاري ودمع عيني جاري ... فتَحيَّرتُ بين جارٍ وجاري
يا لقَومي ما بين هذا وهذا ... كيفَ يبقى السلو حسنَ اصطباري
مفرَدٌ في جَمالهِ إنْ تَبَدّى ... خَجِلَتْ منهُ جملة الأقمار
كيفَ أرجو الوَفاءَ منه وعاملْ ... تُ غريماً من طرفهِ ذا انكسار
ذو حواش تبدي لنا قلم الـ ... ريحان من خدّه فَجَلّ الباري
فيهِ وجدي محقّق ، وسُلُوي ... وكلامُ العذول مثل الغبار
ولساني في حبّهِ قلم الشّعْ ... رِ ورَقّي المكتوبُ بالطومار
كم أكنّي عنه وأكتمُ وجدي ... وأرَى الحبّ هاتكَ الأستار

وقال في الشبابة :

وناطقةٍ بالرّوح عن أمرِ ربّها ... تُعَبّرُ عمّا عندَنا وتُتَرجمُ
سكَتنا وقالتْ للنفوسِ فأطربَتْ ... « فنَحنُ سكوتٌ والهوَى يتَكلّم »

وقال أيضاً :

نَسَبَ النّاسُ للحَمامةُ حزناً ... وأراها في الحزنِ ليست هنالكْ
خَضَبَتْ كفّها وطَوّقتِ الجيـ ... دَ وغَنّتْ وما الحزينُ كذلكْ

وقال أيضاً :

لئِن جاد لي بالوَصل طَيفُ خيالِه ... وأصبحَ مَحروماً رَقيبٌ ولائمُ
ألا إنها الأقدارُ تحرمُ ساهراً ... وآخر يأتي رزقُهُ وهوَ نائِم

وقال أيضاً :

لا نَقَلَ الرّوضُ أحاديثَه عن عينِ نمام غدَتْ خافيَهْ
فإنّه ينقُلُ أخبارَهُ إليَّ عَيَنٌ عندَه صافيَهْ

وقال :

يا قاتلي بلحاظٍ قتيلُها ليس يُقبَرْ
إنْ صبّروا عنكَ قلبي فهوَ القتيلُ المُصبّرْ

وقال :

لا واخذَ اللهُ بندَكْ فكَمْ وَشَى بيَ عندَكْ
وقَالَ عنّي بأنّي شبّهتُ بالغصنِ قدّكْ
وأنتَ تعظمُ عندي أن يصلحَ البدرُ عبدكْ
ولَسْتَ والله ترضى أن يحكيَ الوردُ خدّكْ
فقاتلَ اللهُ طرفي فكم به نلتَ قصدكْ
ولا رَعى اللهُ قلبي فكَمْ رَعَى لكَ عَهدَكْ
فمَن ترَى أنا حتّى جعلتَ قتْلي وكدّكْ
وكم أطَعتُكَ جهدي وكَم تجنّيتَ جهدكْ
وأنت تخلفُ وَعْدي ولَستُ أخلفُ وعدكْ
وما عَشِقتُكَ وحْدي بَلى عَشِقتُكَ وحْدَكْ
وبَعدَ هذا وهذا وذاكَ لا ذقتُ فقدَكْ

وقال متغزّلاً :

ما خلتُ أنّي من سلُوّي مُملَقُ حتى غدوتُ من المدامع أنفقُ
كَلّا ولا خلتُ اصطباري كاسداً حتّى رأيتُ مَصُونَ دمعي يطلق
يا للرجالِ نَصيحَةً من عاشقٍ بينَ النفوسِ وبينكم أن تَعشَقوا
علقتهُ غُصُناً ببدرٍ مثمراً لكنَّ أخضرَ عارضيهِ مُورِق

لو لم تكنْ كالرّمحِ قامتهُ لما أمسَى عليهِ لواءُ قلبيَ يَخفِقُ
قمَرٌ لهُ الوجْهُ الذي هوَ جنّةٌ أمسَى بها يتَنَعّمُ المُتَعَشّقُ
فعذاره من سندس ورضابُـهُ مِن كوثرٍ وخدوده إستبرق

وقال أيضاً :

كَمْ عاشقٍ ظنّه لما بدا وثَنَا حتى لوَى عطفهُ من تيهه وثَنى
رَخيمُ دلٍّ إذا ما قال واصفـهُ للظّبي نَفْرَتُه قلنا نَعَمْ ولَنا
كم قد رَمَى أسهُماً من لحظِ مُقلتَه فحيّرَ النّاسَ لما أن رَمَى ورَنَا
كم لي أحاديث عشقٍ لستُ أسندها إلاّ بحَدثنا عنـهُ وأخبرَنا[1]
قالت جفونيَ لما لاحَ عارضُهُ أهلاً به عارضٌ قد لاحَ مُمطِرَنا
الصبحُ غرّتُهُ والليلُ طرّتُهُ والقلبُ لا يلتقي من ذا وذا سكَنا
إن قيلَ مَنْ هو عبدٌ للحبيبِ أقلْ لو لم أكنْ أنا عبدَ الله قلتُ أنا
أو قلتُ بدرٌ قضيبٌ دميةٌ رشأ لَقال والله بي عمّا ذكرتَ غِنى
دَعْ ما هناكَ من الأوصافِ مفترقاً ودونك الكلَّ مجموعاً لديَّ هنا
كم قلتُ واشيكَ يا ما كان أوحشه وغابَ عنّا فما والله أوحشنا
فيا حَبيباً به قد صرتُ من زَمَني أشكو وكنتُ عليه أشكرُ الزمنا
أشبهتَ يوسف في حسن وزدتَ على شاريه بالبخسِ[2] يا من قد غلا ثمنا
ملأت عينيَّ نُوراً مشرقاً وسَناً فلم يَسعْ جفنها من ذا وذا وسَنا
أقسمت بالصفومن ودي ومن شيمي ما إن عصيتك لا سرّاً ولا علَنا
كم قلتُ عندك لي في الحبّ مسألة فيها افتنا يا مَليحاً حسنه فتنا
هل عنك يعتاضُ قلبي يا حشاشته وليس مَنْ قد نأى عنه كمن كَنا

وقال أيضاً من أبيات :

---

١ ص : تحدثنا . . . وتخبرنا .
٢ ص : بالنخس .

ذو قوامٍ يجورُ[1] منه اعتدالٌ   كمْ قتيلٍ بهِ منَ العشاقِ
سَلَبَ القضبَ لينها فهي غيظاً   واقفاتٌ تَشكوهُ بالأوراقِ

وقال أيضاً :

بحقّ ما بَينَكم وبَيني   لا تَذكروا لي حَديثَ بَينِ
فأنتُمُ لي بَياضُ حَظّي   وأنتُمُ لي سَوادُ عَيْني

وقال أيضاً :

رُبَّ رَوْضٍ أَزَرْتُهُ بدرَ تِمٍّ   حيثُ غالى في تِيهِهِ والتّجرّي
فرأيتُ الأغصانَ ذُلاًّ لَديهِ   واقفاتٍ والعينُ للدمعِ تذري
كان ظني أن يَفضح القد بالغصْـ   ـنِ وأنَّ الزّلالَ بالريقِ يُزْري
ثمّ لما ثَنَى العنان عنِ النّهْـ   ـرِ غدا في ركابهِ وهوَ يَجري

وله أيضاً :

صَحَّ الصّحيحُ وأيُّ شيءٍ يختَفي   بي أهيفٌ وفديته من أهْيفِ
كلفي ببدْرٍ قد سَما بكَمالهِ   في الأرضِ عن بدرِ السماء الأكلف
ظبيٌ منَ الأتراكِ إلاّ أنّهُ   فيهِ من الأعرابِ ترك تصلف
من جَنّةِ المأوَى بدا وعلى سِوَى   أصداغه أوراقها لم تخصف
رشأٌ حَريريُّ الخدودِ وإنّما   قلبي مُريدُ عذارهِ المُتصَوّف
ما أبْصَرَتهُ مُقلَةٌ ثمّ انثَنَتْ   إلاّ تَقولُ لها مَلاحَتهُ قِفي
مَن قال ريقتُهُ الشهيّةُ قَرْقَفٌ   للريقِ لم يَعرفْ ولا للقَرقف
الغصنُ لما مال قالَ تَهتكاً   فضَحَ التكلّفُ شيمةَ المتكلّف
مِنْ ردفه وقوامهِ كم صرْعَةٍ   لمحبّهِ بمُثقّلٍ ومُخفّف
كم مَزّقَتْ ألحاظُهُ من مُهجةٍ   بسوَى الرّضَى من قلبهِ لم تَرْتَفي

---

١ ص : يحوز .

وبليتي هَيَفُ القُدودِ فإنّها ... جاءتْ إليَّ بفتنَةٍ لم تُوصَفِ
أهوى من الأحقافِ غصناً فصلت ... زمراً حياصته بأحسن زخرف
فحوَى حَواميمَ النّساءِ ووَجهه ... أيضاً حوى ميمَ اللّمَى من مرشف
فهو المُعوَّذُ من عيونِ حَواسِدٍ ... بُرقَى ملاحته وتلكَ بها كَلَفي
كم بتُّ مُنتَظراً عذاريهِ عَسَى ... أسلو فزادَ بها عليّهِ تأسّفي
كم قال لي لما أشرتُ لمُهجَتي ... في ناظرَيك أنا فقلتُ لهُ وَفي
فوَحقِّ وجنتهِ أما خيلانها ... تحكي لنا الأعشارَ جنبَ المصحف
ووحقِّ سورة يوسفٍ ما وجْهُهُ ... إلاّ كما قد قيلَ صورةُ يوسف
وَجْهٌ حكَى الدينارَ إلاّ أنّهُ ... عن خاطري ونَواظري لم يصرَف
كم قلتُ فيه لعاذلي كنْ عاذري ... ما كنتُ ممّن عذّلي بي تَشتَفي
كم رمتُ أحلف لا عشقتُ مهفهفاً ... وتقولُ لي أعطافُهُ لا تحلف

وكتب إلى ولده فتح الدين :

إنْ شئتَ تنظرني وتَنظر حالتي ... قابلْ إذا هَبَّ النّسيمُ قَبولا
تَلقاهُ مثلي رقّةً ولَطافَةً ... ولأجلِ قلبكَ لا أقُولُ عَليلا
فهو الرّسولُ إليك مني ليتَني ... كنتُ اتخذتُ مع النسيمِ رَسُولا

وقال أيضاً :

أيها الصائدُ باللحظِ ومَنْ ... هوَ من بين الوَرَى مُقتنصي
لا تَسُمْ طائرَ قلبي هرَباً ... إنّهُ من أضلُعي في قَفَصِ

وقال أيضاً :

لقد قال لي إذْ رحتُ من خَمرِ ريقهِ ... أحُثُّ كؤوساً من ألَذِّ مُقَبَّلِ
بلَثْمِ شفاهي أو برَشفِ شِفاهِها ... تَنَقّلْ فلَذّاتُ الهَوَى في التّنَقّلِ

وقال أيضاً :

ولم أنسَه إذ قال قمْ نُودعِ الدّجى ذخائرَ وَصلٍ فالظلامُ كَتُومُ
فما مثلهُ حرزٌ حَريزٌ لأنّه تَبيتُ عليه للنّجومِ ختوم

وقال أيضاً :

ألا لَيتَ لَيْلات مَضَينَ رواجعٌ وهل ما مضَى من سالِفِ الدّهرِ يرْجعُ
ليالٍ مَواضٍ كَمْ قَطعتُ بها مُنًى ولا شكّ في أن المَواضيَ تقطَع

وقال أيضاً :

أنا في العالَمِ طُرْفَهْ مِنْ أشدّ الناسِ حرفَهْ
إنْ أجِدْ فعلاً فَعيلاً[1] كانَ في الفضّةِ خِفّهْ
أوْ أجِد هَــذا وهــذا لم أجدْ في الحالِ غرْفَهْ
أو أجِدْهُنّ جَميعاً كانَ في الآلَةِ وقفَهْ
فتراني طُولَ دَهْري تائباً مِنْ غيرِ عِفّهْ

وقال في دمشق :

لا تَلُومُوا[2] دمشقَ إنْ جِئتُموها فهي قد أوضحتْ لكم ما لديها
إنّها في الوجوهِ تَضحكُ بالزّهْـ ـرِ لمنْ مَرّ في الربيعِ عَلَيها
وتَراها بالثّلجِ تَبصقُ في لحْـ ـيَة مَن جاء في الشّتاء إليها

وقال في منزلة القطيفة :

هذي القطّيفةُ الّتي لا تشتَهى نقلاً وعَقلا
حشيت ببردٍ يـابِسٍ فلأجلِ ذاكَ الحَشوِ تُقلَى

وقال مواليا :

لكْطرف طرف حمى حسنك[من]السرحه كمْ قد أغار على العشاقِ في صبحه

[1] كذا في ص والزركشي ، وهو كناية ؛ وفي المطبوعة : ردفاً ثقيلا .
[2] ص : تلموا .

لما علمت بأنّه[1] سابق اللّمحــه عليه قد خفتْ شطبله[2] على صحه

وقال ملغزاً في شبرية :

وهنديّةٍ موطوءة[3] غيرَ أنّهــا إذا افترشتْ أغرَتكَ بالبيضِ والسمرِ
تُعانِقُ مِنْ أعطافِها خيزرانَةً وتَلْمَحُ من أزرارها طلعة[4] البدر
على أربَعٍ أمسَتْ تَنامُ وإن تَقُمْ تفوتكَ طولاً وهي تعزى إلى الشبر

وقال أيضاً :

وكم قال قوم[5] بالمجالسِ خُوطبوا وذاكَ دوا جهالهم في التنافسِ
فقلتُ لهم ما ذاكَ بِدْعٌ وإنّهُ لعند الدوا يدعى الخرا بالمجالسِ

وقال أيضاً في أعور :

وأعور العين ظلّ يكشفها بلا حَياءٍ منهُ ولا خيفَهْ
وكيف تَلقى الحَياءَ عند فَتىً عورته لا تَزالُ مَكشوفَهْ

وقال ذوبيت :

للهِ لَيالٍ أقبلَتْ بالنعَمِ في ظلّ بناءٍ شاهقٍ كالعلَمِ
بالجيزةِ والنيلُ بدا أوّلهُ في مقبلِ الشّبابِ عند الهرَمِ

---

١ ص : بآبه .
٢ ص : شظيله ؛ واللام بصورة الكاف .
٣ ص : موطوفة .
٤ ص : ازرار طلعتها .
٥ ص : قوماً .

٢٢٣

عبد الله بن علي العباسي

عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، عم المنصور والسفاح . أحد دهاة الأرض . وكان من الشجعان الأبطال ، وهو الذي انتدب لحرب مروان الحمار ولج[1] في طلبه ، وطوى الممالك حتى بلغ دمشق ونازلها وحاصرها وفتحها بالسيف وعمل على الثأر . وأسرف في قتل بني أمية ، ولم يرقب فيهم[2] إلاً ولا ذمة .

ولما مات السفاح وهو بالشام دعا إلى نفسه فبايعه أهل الشام بالخلافة ، فجهز المنصور إليه أبا مسلم الخراساني . فالتقيا بنصيبين ؛ وكان الظفر لأبي مسلم . وقصد عبد الله بن علي البصرة فأخفاه أخوه عنده ، ثم لم يزل المنصور عليه حتى ظفر به وسجنه في بيت كان قد بناه وعمل أساسه ملحاً . وأرسل عليه الماء فوقع عليه فمات ، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة .

وقيل إن المنصور قال يوماً لجلسائه أخبروني عن ملك جبار أول اسمه عين قتل ثلاثة أول اسمهم عين ، فقال أحد من حضر : عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث ، قال فخليفة آخر أول اسمه عين فعل كذلك ، فقال : أنت يا أمير المؤمنين قتلت أبا مسلم واسمه عبد الرحمن وقتلت عبد الجبار وسقط البيت على عمك عبد الله بن علي . فضحك المنصور فقال : ويحك ، وما ذنبي أن سقط عليه البيت ؟ فقال : أتعرفون عين بن عين بن عين قتل ميم بن ميم بن ميم ، قال

٢٢٣ — أخباره في الطبري وابن الأثير ومروج الذهب . . . الخ ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : ولح .

٢ ص : فيه .

رجل : نعم ، عمك عبد الله بن علي [بن] عبد الله قتل مروان بن محمد ابن مروان .

ولعبد الله بن علي ذكر في ترجمة ابن المقفع .

٢٢٤
صفي الدين ابن شكر

عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين ابن منصور الصاحب صفي الدين ابن شكر ، المصري الدميري المالكي .

ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، سمع من السِّلَفي وجماعة . وحدث بدمشق ومصر ، وروى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي ؛ وكان مؤثراً لأهل العلم والصالحين كثير البرّ لهم . لا يشغله ما[1] هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة[2] ، وبنى مصلّى العيد بدمشق ، وبلط الجامع الأموي ، وعمر الفوّارة ، [وعمر جامع المزّة] وجامع حَرَسْتا .

وكان حلو اللسان ، حسن الهيئة ، ذا[3] دهاء مفرط ، فيه هَوَج[4] وخبث وطيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره ، ويظن أنه لا ينتقم فيعود وينتقم،

---

٢٢٤ – الزركشي : ١٤٩ والبداية والنهاية ١٣ : ١٠٦ وشذرات الذهب ٥ : ١٠٠ وذيل الروضتين : ١١٥ وعبر الذهبي ٥ : ٩٠ والخطط ٢ : ٣٧١ .

١ ص : عما .

٢ هي المدرسة الصاحبية بالقاهرة في سويقة الصاحب (الخطط ٢ : ٣٧١) .

٣ ص : ذو .

٤ ص : هرج .

لا ينام عن عدوه ولا يقبل له معذرة ، ويجعل الرؤساء كلهم أعداءه ، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك ، لا تأخذه في نقماته رحمة ، استولى على العادل ظاهراً وباطناً ، ولم يمكن أحداً من الوصول إليه حتى الطبيب والفراش والحاجب عليهم عيون فلا يتكلم أحد[1] منهم كلمة ، ولا يأكل من الدولة فلساً ، فإذا لاح له مال عظيم احتجنه ، وعملت[2] له «قبسة العجلان» فأمر كاتبه أن يكتبها ويردها ، وقال: لا نستحل أن نأخذ منك ورقاً، وكان له في [كل] بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر في مصر والشام إلى خِلاط ، وبلغ مجموع مغلّه مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وكان يكثر الإدلال على العادل ويسخط أولاده وخواصه،وكان العادل يترضاه بما أمكنه،وتكرر ذلك منه،إلى أن غضب منه على حران ، فأقره العادل على الغضب وأعرض عنه ، وظهر له منه فساد[3] ، فنفاه عن مصر والشام ، فسكن آمِدَ وأحسن إليه صاحبها ، فلما مات العادل عاد إلى مصر ووزَّر للكامل ، وأخذ في المصادرات ، وكان قد عمي ، مات أخوه ولم يتغير وماتَ أولاده وهو على حاله ، وكان يُحَمّ حُمّى قوية ويأخذه النافض وهو في مجلسه ينفذ الأشغال ولا يلقي جنبه إلى الأرض ، وكان يقول : ما في قلبي حسرة إلا ابن البيساني ، وما تمرغ على عتباتي – يعني القاضي الفاضل – وكان يحضر عنده وهو يشتمه فلا يتغير ، وداراه أحسن مداراة ، وبذل له أموالاً جمة . وعرض له إسهال وزحير[4] أنهكه حتى انقطع ويئس الأطباء منه ، فدعا من حبسه عشرة[5] شيوخ من كبار العمال والكتاب وقال : أنتم تشمتون بي ، وركب عليهم المعاصير وهو يزحر وهم يصيحون إلى أن أصبح وقد خفَّ ما به ، وركب في ثالث يوم . وكان يقف على بابه الرؤساء

---

١ ص : أحداً .

٢ ص : وعلمت .

٣ ص : فساداً .

٤ ص : اسهالا وزحيراً .

٥ ص : عشر .

من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع ويركب عند الصباح فلا يراهم ولا يرونه إما أنه يرفع طرفه إلى السماء ، وإما يعرج إلى طريق أخرى ، وفيه يقول ابن عنين[1] :

[ضاع شعري وقَلَّ في الناس قدري   من وقوفي باب اللئيم ابن شكر][2]
لو أتتـــه حوالــــــة بخراه   قال سدّوا بلحيتي باب جحري

وفيه يقول أيضاً[3] :

ونعمة جاءت إلى سِفْلَــــةٍ   أبطرهُ الإثراء لمّــا ثــرا
فالناس من بغض لــه كلما   مروا عليــه لعنــوا شاورا[4]
تبّاً لمصر ولهـــا دولـــةٌ   مــا رفعت في النـــاس إلاّ خرا

وكان السببُ في انحرافه عن الفاضل رحمه الله تعالى ما قاله الفاضل وهو : وأما ابن شكر فهو من لا يشكر ، وإذا ذكر الناس فهو الشيء الذي لا يذكر ، فقيل للقاضي الفاضل: ما هو الشيء الذي لا يذكر؟ قال: الشيء الذي لا يذكر؛ وتوفي الفاضل رحمه الله تعالى وقد عصمه الله منه ولم يمكنه منه .

وفي ابن شكر يقول ابن شمس الخلافة :

مدحتك ألسنة الأنام مخــافــة   وتقــارضت لك في الثنــاء الأحسنِ
أترى الزمـــان مؤخراً في مــدتي   حــتّى أعيش إلى انطلاق الألسن

وقيل إنه عاش بعده وأطلق لسانه ، ثم تمنى أن لا يكون قد عاش إلى انطلاق الألسن .

---

١ ديوانه : ٢٤١ (عن الفوات) .
٢ لم يرد في ص .
٣ ديوانه : ٢٤١ (عن الفوات) .
٤ يعني شاور بن مجير السعدي وزير العاضد .

ولشعراء عصره فيه أمداح طَنّانة مليحة إلى الغاية ، فممن امتدحه ابن الساعاتي وابن سناء الملك وابن نفادة وابن نبيه وابن عنين وغيرهم ، والأمداح موجودة في دواوينهم .

٢٢٥
تقي الدين السروجي

عبد الله بن علي بن منجد بن ماجد بن بركات ، الشيخ تقي الدين [السروجي] قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : كان رجلاً خيراً عفيفاً تالياً للقرآن ، عنده حظ جيد من النحو واللغة والآداب ، متقللاً من الدنيا، يغلب عليه حُبُّ الجمال مع العفة التامة والصيانة ، نظم كثيراً وغَنّى بشعره المُغَنّيون ، وكان يكرر على المفصل والمتنبي والمقامات ، ويستحضِرُ حظاً كثيراً من « صحاح » الجوهري ، وكان مأمون الصحبة طاهر اللسان ، يتفقد أصحابه ، لا يكاد يظهر إلا يوم الجمعة ، وكان يكره أن يخبر أحد باسمه ، لأنه كان يقول : لي مع الأصحاب ثلاث رتب : أول ما اجتمع بهم يقولون : جاء الشيخ تقي الدين ، راح الشيخ تقي الدين ، فإذا طال الأمر يقولون : جاء التقي راح التقي صبرت عليهم ، وعلمت أنهم قد أخذوا في الملل ، فإذا قالوا : جاء السروجي راح السروجي ، فذلك آخر عهدي بهم .

وقال الشيخ شهاب الدين محمود : كان يكره مكان تكون فيه امرأة ، ومن دعاه قال : شَرْطي معروف أن لا تحضر امرأة ، وكنا يوم في دعوة فأحضر شوا ، فأدخل إلى النسا يقطعوه ويجعلوه في الصحون فلم يأكل منه ،

٢٢٥ – الزركشي : ١٥٠ وتشترك النسخة ر مع النسخة ص في جانب يسير من هذه الترجمة ؛ وقد حافظت على النص كما ورد لأنه يمثل لهجة العصر حينئذ .

وقال : أفتّيه لمسوه بأيديهم ! !

وكان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة بسَرُوج ، وتوفي بالقاهرة رابع رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

قال أبو حيان : ولما توفي قال أبو محبوبه : والله ما أدفنه إلا في قبر ولدي ، لأنه كان يهواه ، وما أفرق بينهما ، لما كان يعتقده من دينه وعفافه . رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

أنعم بوصلك لي فهذا وقتُــــه ... يكفي من الهجران ما قد ذُقتُه
أنفقت عمري في هَواك وليتني ... أُعطى وصولاً بالذي أنفقته
يا من شُغِلْتُ بحبّه عن غيره ... وسلوتُ كلَّ الناسِ حين عشقته
كم جال في ميدان حبّك فارسٌ ... بالصدق فيك إلى رضاك سبقته
[أنت الذي جَمَعَ المحاسن وجهه ... لكن عليه تصبري أنفقته] [1]
قال [2] الوشاةُ قد ادّعى بك نسبةً ... فسررتُ لما قات قد صدقتـه
بالله إن سألوك عني قـل لهُـم ... عبدي ومِلْكُ يَدي وما أعتقته
أو قيلَ مُشتاق [3] [4] إليك فقل لهم ... أدري بذا وأنا الذي شوّقته
يا حُسنَ طَيفٍ من خيالك زَارَني ... من فرحتي بلقاه ما حقّقته
فمَضى وفي قلبي عليهِ حسرَةٌ ... لو كان يمكنني الرقاد لحقته

وقال أيضاً :

دنيا المحبِّ ودينُه أحبـــابه ... فإذا جَفَوْه تقطعت أسبابُهُ
وإذا أتاهم في المحبّة صادقاً ... كُشِفَ الحجابُ له وعَزَّ جنابه [4]

---

١ سقط من ص وثبت في ر والزركشي .
٢ ر ص : قالوا .
٣ ص : مشتاقاً .
٤ وقع هذا البيت بعد الذي يليه في ص .

ومتى سَقَوْه شرابَ أنسٍ منهمُ   رقَّتْ معانيه وراقَ شرابه
وإذا تهتك ما يُلامُ لأنّــه   سكران عشقٍ لا يفيد عتابه
بعثَ السلامَ مع النسيم رسالـةً   فأتاه في طيّ النسيمِ جوابـه
قصَدَ الحمى وأتاه يجهد في السرى   حتّى بدت أعلامه وقبابـه
ورأى لليلى العامرية منزلاً   بالجودِ يعرف والنَّدى أصحابُه
فيه الأمانُ لمن يخافُ من الردى   والخيرُ قد ظفرت به طلاّبه
قد أشرِعَتْ بيضُ الصوارم والقنا   من حوله فهو المنيعُ حِجابه
وعلى حماه جلالةٌ من أهلهِ   فلذاك طارقةُ العيون تهابه
كم قُلِّبتْ فيه القلوبُ على الثرى   شوقاً إليه وقُبِّلَتْ أعتابه
كم أخصبت منه الأباطح والربى   للزائرين وفُتِّحَتْ أبوابه

وقال أيضاً :

بالجانب الأيمنِ من خدها   نقطةُ مسكٍ أشتهي شمَّها
حسبته لما بدا خالَهـــا   وجدته من حسنه عَمَّها

وقال أيضاً :

معامَلَةُ الأحبابِ بالوصل والوفا   فدعْ يا حبيبي عنك ذا الصَّدَّ والجفا
وإن كان لي ذنبٌ بجهلي فعلتـه   فمثليَ من أخطا ومثلُكَ من عفا
أيا بدرَ تمَّ حان منه طلوعُهُ   ويا غصنَ بانٍ آن أن يتعطفا
كفى ما جرى من دمع عينيَ بالبكا   وعشقي على قلبي جرى منه ما كفى
فإن كنت لا تدري وتعرف ما الهوى   فقصديَ أن تدري بذاك وتعرفا
أعِدْ ذلك الفعلَ الجميلَ تجمّلاً   وإن لم يكن طبعاً يكون تكلفا
فما أقبحَ الإعراضَ عمن تحبـه   وما أحسنَ الإقبالَ منه وألطفا
تقَدَّمَ شوقي يسبق الدمعَ جارياً   إليك ولكن عنك صبري تخلفا
فديتك محبوباً على السخط والرضى   وعذرك مقبولٌ على الغدر والوفا

وقال رحمه الله :

يا ساعيَ الشوق الذي مذ جرى جـرَتْ دموعي فهي أعـْوانُهُ
خُذْ لي جواباً عن كتابي الذي إلى الحسينيـــة عنوانـــه
فهْيَ كما قد قيل وادي النقـــا وأهلها في الحسن غزلانه
امش[1] قليلاً وانعطفْ يسرةً يلقاك دَرْبٌ طال بنيانه
واقصد بصدرِ الدرب دار الذي بحسنـــه تحسن جيرانـــه
سلّم وقلْ يخشى مسن كي مسن أشت حديثاً طال كتمانـه[2]
كنْكـلْم كزم ساوم إشي أط كبي فحبّه أنت وأشجانـــه
واسأل ليَ الوصل فإن قال يوق فقل أوات قد طال هجرانه[3]
وكن صديقي واقضِ لي حاجةً فشكر ذا عندي وشكرانُه

أنشدني القاضي علم الدين ابن إبراهيم مُسْتَوفي الشام رحمه الله تعالى ، بسوق الكتب في شهور سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة في معنى أبيات السروجي :

قصةُ الشوقِ سِرْ بها يا رَسولي نحوَ مَنْ قُرْبُهُ مُنَايَ وسُولي
عند باب الفتوحِ حارةُ بهاء الا لدين تحت الساباط قف يا خَليلي
فإذا ما حَلَلْتَ تلكَ المَغاني قفْ بتلكَ الطّلولِ غيرَ مُطيلِ
وتأمّلْ هناكَ تَلْقَ غريرَ الا طرْفِ يرمي بالنبل[4] كل نبيلِ
ألفيّ القوامِ قد ألفَ الهجْ رَ دلالاً على المُحبّ الذّليـلِ
فإذا ما رأيتهُ مِنْ بَعيدٍ يَتَثَنّى عَجَباً بتلكَ الطّلولِ
قَبّلِ الأرضَ ثمّ قَدّمْ إليَهِ قصّة تُرْجمت بشرْحٍ طويلِ
فإذا قال اوزمي بختك در سلام بر كيف حال المضنى الكئيبِ العليلِ

---

١ ص : امشي . ٢ في هذا البيت والذي يليه ألفاظ تركية ، لم أهتد إلى حلها .
٣ يوق : لا ، بالتركية ؛ أوات : نعم .
٤ ص : بنبال الجفون ، ولا يصح به الوزن .

قل قلن خش دا كل تلاماس دن باذن ألاسن[1] بلا تَطويـل[2]
[جُدْ لمن في هواك قد شفَّه الوجْـ ـد فأضحى حِلْفَ الضنى والنحول][3]

عُدنا إلى شعر السروجي

وقال أيضاً :

قلتُ لمَحبوبي وقَد زارَني إليّ يا مَحبوبَ قلبي إليّ
قد عشقَ النّاسُ وقد واصَلوا ما وقَعَ الإنكارُ إلاّ عليّ

وقال أيضاً :

يا رَيِّسَ الحبِّ أدركني فقد وَحَلَتْ مراكبُ الحبِّ بي في بحر أشواقي
ولي بضاعةُ صبر ضاعَ أكثرُهــا وقَد عَلانا الهَوى يَستغرق الباقي

وله أيضاً :

تَفَقَّهتُ في عشقي لمن قد هَويته ولي فيه بالتحرير قولٌ ومذهبُ
وللعينِ تَنبيهٌ به طال شرْحُـــهُ وللقلبِ منه صدق ودّ مهذّبُ

وقال أيضاً[4] :

عندي هَوًى لك طالَ عمرُ زمانهِ لم يَبقَ لي صبرٌ على كتمانهِ
قد ضَلَّ قلبي عن طريقِ سلوّهِ فدَليلُه لا يَهتَدي لمكانـه
يا صاحبَ القلْبِ الذي أفراحُهُ تلهيهِ عَنْ قلبي وعن أحزانه
عَيني لفقدِكَ قد بَدا إنْسانُها وجَفا الكَرَى شوْقاً إلى إنسانه
يا مَنْ بَدا في حُسنهِ مُتَلَطّفاً فعَشقتُهُ وطمعتُ في إحسانه

---

١ ص : بادن الأسنى .
٢ في هذا البيت والذي قبله ألفاظ تركية ، ولست واثقاً من صحة كتابتها .
٣ عند هذا الحد وقع خرم في ص ضاعت بسببه أوراق ؛ وهذا البيت لم يرد في ص وهو في المطبوعة.
٤ أوردها الزركشي أيضاً .

كان اعتقادي أن أفوزَ بوَصلهِ ... فحرمتُهُ ورزقتُ منْ هجرانهِ
كان الرقادُ لصيدِ طَيفِكَ حيلتي ... فسَلَبتهُ وفَجَعتني بعيانه
ومنَعتني أن أجتني من وَصلهِ ... ثمراً يَطيبُ جنَاهُ قبلَ أوانه
ضمن التلطّفُ منك وَصلي في الهوى ... لكن أطالَ وما وَفَى بضَمانه
خوفُ الفراقِ إلى حِماكَ يَسوقني ... فمتى أفوزُ من اللّقا بأمانه

وقال أيضاً :

مَدَّ لي مَنْ أحبُّ حَبلَ صدودٍ ... حينَ أوْهَى تجلّدي واصطِباري
ثمّ قالَ امشِ لي عليهِ سريعاً ... كيفَ أمشي وما أنا باختْياري

وقال أيضاً :

أرَى المُشتري في روضَةِ الحسنِ قد بدا ... على رَصَدِ المعشوقِ فالقلبُ واجدُ
وحقّكَ ما السبع الوجوه إذا بَدَتْ ... بمغنيةٍ عن وَجهِهِ وهوَ واحد

وقال أيضاً :

خدمتُ لذاكَ الوجهِ للثغرِ ناظراً ... لعليَ أمسي والياً من ولاتهِ
وأصلُ حسابي ضبطُ حاصلِ وصلهِ ... وتقبيله مستخرجٌ من جهاته

وقال أيضاً :

لي حَبيبٌ منه أرَى وجهَ بَدرٍ ... لم يَزَلْ داخلاً بباب السّعادَهْ
هوَ للحسْنِ جامِعٌ حاكميٌّ ... فلهذا عشّاقه في الزيادَهْ

وقال أيضاً :

نَديمي ومَنْ حالي منَ الوَجدِ حاله ... ومَنْ هوَ مثلي عنْ مُناهُ بَعيدُ
أعِدْ ذكرَ مَنْ أهوَى فإني مدرّسٌ ... لذكراهُ من شوقي وأنتَ مُعيد

وقال أيضاً :

ألا هلْ لجمعِ الشّملِ ممّن أحبّهُ دَعوتُكَ ملهوفاً وأنتَ سَميعُ
فلمْ يَبقَ لي ممّا تشوّقتُ مهجةٌ ولم يبقَ لي ممّا بكيتُ دُموع

وله أيضاً غفر الله له :

أفدي رئيساً كلٌّ فعلٍ لَهُ يحبّـهُ العَبدُ ويرضاهُ
ومثلهُ خادمُهُ مُحسِنٌ والعبدُ من طينَةِ مَوْلاهُ

وقال أيضاً[1] :

يا مَرْحَباً بقدومِ جيرانِ النّقا كمل السرورُ بهم وطاب المُلتقى
أنِسَتْ بقربهم المنازلُ واغتَدَى وجه الزّمانِ بهمْ منيراً مشرقَا
ولطيبِ نَشرهمُ تعطّرَتِ الصَّبا وأرَى على الدنيا بذلك رَونَقا
فتهنَّ يا قلبي تَهنَّ وطالما قد بِتَّ نحوهمُ كئيباً شَيّقا
يا ناظري ، ولك البشارة ، طالما أبكاك من ألم البعاد وأرقا
فلمثلِ هذا اليوم كنت مؤمّلاً وإليهِ كنت على المَدَى متَشوّقا
يا جيرةً صَفَتِ الحياة بقربهم وغدا بهم روض المسرّة مُونِقا
لا تحسَبوا أنّي سُررتُ بغيركم مُذ كان شملُ وِصالِنا مُتَفرّقا
وحياتكم مالي سواكم مُرتجىً أبَداً ولَستُ بغيركم مُتَعلّقا
لكِنّني أخشى على أسراركم دَمعاً غدا مُتَدافعاً مُتَدفّقا
قد عَبّرَتْ عبراته عن كلّ ما أخفى بطول بكائِها لا منطقا
أحبتكم وأشَعتُ حبّ سواكم إذ كنتُ حذراناً عليكم مُشفِقا
ولقد وجدتُ لبَينكم يا سادَتي ما أزعَجَ القلبَ المَشُوقَ وأقلقا

وقال أيضاً :

سأودعُكَ السرَّ الذي قد كتمته وأعلمك الأمرَ الذي قد علمتَهُ

---

[1] انظر الزركشي : ١٥١ .

وأفهمُكَ المعنى اللطيفَ من الهوَى　　وأشرحُهُ حتى تَقولَ فهمته
فعندي حديثٌ منك سوف أقوله　　إذا ما خلونا ساعةَ الوَصلِ قلتُه
وتَقرأُ من شَوقي كتاباً مترجماً　　بدمعي على خدي إليك كتَبتُه
وبي منك داء أصلُهُ كانَ نَظرةً　　عدمتُ اصطباري عنك لما وجدتُه
سألتُ طبيبَ الحَيِّ ماذا دواؤهُ　　فَرَقَّ لما أشكُوهُ لما سألتُه
أراني إذا أبصرتُ شخصكَ مُقبِلاً　　تغيَّرَ مني الحالُ عما عهدتُه
وقال جَليسي ما لوَجهِكَ أصفراً　　فقلتُ له بالرغمِ مني صبَغتُه
ومدَّ إلى قلبي يداً وهوَ خافقٌ　　فغالطتُهُ عنه وقلتُ فقَدتُه
وقال لمن تَهوَى فقلتُ أهابه　　ويشرفني دمعي إذا ما ذكرتُه

وقال وقد رأى زفةَ مليحٍ ليلة عرسه[1] :

عايَنتُ في بارِحَتي زَفَّةً　　قَضَيتُ فيها كلَّ أوطاري
وشَمعُها مثلُ نجومِ الدُّجى　　مُحيطَةً بالقمر السّاري
ما زلتُ مُذ عايَنتُها قائلاً　　يا لَيتَها كانَتْ إلى داري

فلما سمع والد العروس هذه الأبيات حمل ولده طبق حلوى وأتى به إلى باب الشيخ تقي الدين ، لما كان يعتقده فيه .

وقال أيضاً وهو عليل[2] :

باللهِ إن حضَرَتْ لَديكَ مَنيَّتي　　وشَهِدْتَ مِنْ روحي الغَداة حمامَها
فكُنِ الوَفيَّ لَها فأنتَ قَتَلتَها　　وتَمَشَّ خلفَ جنازَتي وأمامَها
فلَعَلَّ منكراً او نكيراً يُبْلِغا　　روحي بأنّك قد وَفَيتَ ذِمامَها

وقال أيضاً رحمه الله مُوَشَّحاً :

---

١ انظر الزركشي : ١٥٢/ أ .
٢ انظر الزركشي : ١٥٢/ ب .

بالرّوحِ أفديكَ يا حَبيبي إنْ كنتَ تَرْضَى بها فداكْ
فداوِني اليَومَ يا طَبيبي فالجسمُ قد ذابَ مِنْ جَفاكْ

يا طلعةَ البَدرِ إنْ تَجَلّى وإنْ تَثَنّى فغُصنُ بانْ
بالوَصلِ طُوبَى لمن تَمَلّى ونالَ من قُربِكَ الأمانْ
قل لي نعم قد ضجرتُ من لا وضاع مني بها الزمانْ

فارجع إلى اللهِ من قريبِ فبَعضُ ما حَلَّ بي كَفاكْ
من دمع عيني ومن نحيبي وادي الحِمى أنبت الأراكْ

والله ما كنت في حسابي وإنّما عشقك اتّفـاقْ
وما أنا من ذوي التّصابي فَلِمْ دَمي في الهوى يراقْ
وكلتَ بي تَبتَغي عَذابي بالصدِّ والبَينِ والفراقْ

ثَلاثة قد غَدَت نَصيبي يا لَيتَها لا عَدَتْ عداكْ
وإنْ تكن تَرتضي الذي بي فإنْ كل المُنى رضاكْ

إنْ طالَ شوقي وزادَ وَجدي فإنّني عاشِقٌ صَبورْ
اسمعْ حَديثي بقيتَ بَعدي أنا وحقّ النبي غيورْ
ما أشتهي أن يكونَ ضدّي يَمشي حَوالَيكَ أو يَدورْ

كَأنّما لَحظُهُ رَقيبي مُلازِمٌ عندَما أراكْ
يَسعى إلى الناسِ في مَغيبي يَقولُ هذا يُحبّ ذاكْ

جَميعُ ما تَشتَهي وتَرضَى عليَّ إحضاره إلَيكْ
وذاك شيء أراهُ فَرْضا باللهِ قلْ لي وما علَيكْ
أنْفِقْ وخذْ ما تريدُ نَضا فحاصلي أمرُهُ لَديكْ

فأنتَ يا نُزهَتي طَبيبي عن صحبتي ما لك انفكاكْ

ولا ابن عمّي ولا نَسيبي   يرَى إلى مهجتي سواكْ

إنْ كنتَ تهوَى مقامَ شربٍ   قمْ نَغتبقْ ثمّ نَصطَبحْ
تَعالَ حتّى تزيلَ عتبي   وبَعدَ ذا العتبِ نَصطلح
والحقدَ في القلبِ لا تُغَبّي   وروّحِ الهَمَّ تَسترح

فالعَيشُ للعاشقِ الكئيبِ   يَطيبُ للأنسِ في حماك
في خلسةِ المَنظَرِ العَجيب   تُجيبُهُ كُلّما دَعاكْ

وقال أيضاً موشحاً رحمه الله :

يا لائمي في الهَوَى كَفاني   فَعَدِّ عَن بَعضِ ذا الملام
لِمْ لا تَلومُ الذي جَفاني   وصَدَّ عن مُقلَتي المَنام

هواهُ مِنْ أشكَلِ المَسائلْ   كم حارَ في وصفهِ فَقيه
وفيهِ ما تَنفَعُ الوَسائل   أخشاهُ جهدي وأتّقيه
وكم عتابٍ وكم رَسائل   أعدّها حين ألتَقيه

يَهتَزُّ مِن نَشوَةِ الدّنانِ   كأنّما لَحظُهُ مدام ،
وتَعتَري سكتَةُ اللّسان   يَعودُ لا يفصحُ الكَلام

أقسام هجرانهِ لعشقي   ماضٍ ومستَقبل وحال
خاطَرْتُ في حبّهِ بنطقي   إذ قلتُ لا بُدَّ من وصال
أخلصتُ عزمي به وصدقي   وقد تعرّضت للسؤال

عسى بعين الرضا يراني   من غير عجب ولا احتشام
يُبَدّلُ البعدَ بالتداني   ويعقبُ الهجر بالتئام

سكرتُ من حبّه بشمسٍ   من فوق عطفيهِ تطلعُ
وفيه يومي مضى وأمسي   وشَمْلُنا ليس يُجْمَع

عَسَى غَداةَ اللّقاءِ أُمسي قَدْ ضَمّنا فيهِ مَوْضِعُ
وأنهب العيش من زماني بالضمِّ من ذلكَ القَوامْ
وأبلُغ القصدَ والأماني بلثمِ ما قد حوَى اللّثامْ

مالي عَذولٌ عليهِ لكِنْ لسوءِ حَظّي له رَقيبْ
يكونُ في أبعد الأماكن تَلقاهُ من جَمعنا قريب
وفي فؤادي هواهُ ساكن وما لدائي بــه طَبيب

في حسنِهِ كامل المَعاني كأنّه البدرُ في التّمام
وإنّما نَقصُهُ اعترانِي وذابَ قلبي منَ الغرام

إذا تخلّصتُ من غَرامي أتوبُ منهُ ولا أعود
ولا أُقاسي عـلى الدّوام مَنْ لم يَزَلْ يَنقضُ العهود
أجفانُ عَيْني به دَوامي مِن طولِ ما يخلفُ الوعود

أراه بالطيفِ إنْ أتـاني وليس في وصلِهِ مَرَام
وعَن كَلامي به تواني حتّى ولا لَفظةُ السّـلام

رحمه الله تعالى وتجاوز عنا وعنه وعن جميع المسلمين آمين يا رب العالمين .

٢٢٦
جمال الدين ابن غانم

عبد الله بن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل ، جمال الدين ابن الشيخ علاء الدين بن غانم ، الكاتب الناظم الناثر الفاضل المترسل ؛ كان شاباً حسن

٢٢٦ – الزركشي : ١٥٣ والدرر الكامنة ٢ : ٢٨٢ .

الشكل مليح الوجه، جيد الكتابة في الدرج، مع قوة وأصالة وتسرع في الإنشاء ، يكتب من رأس قلمه ، وله غوْصٌ في نثره ونظمه .

مولده في شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وتوفي في آخر شوال سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، رحم الله تعالى شبابه ، ويَسَّر حسابه ، مرض في مدة عمره مرضاً حاداً مرة ونجاه الله تعالى منه ، ثمّ إنه حصلت له سعلة قرحت منها قصبة الرئة ، وبقي متمرضاً من ذلك ، يصح آونة ويعتل أخرى ، إلى أن قضى نحبه .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي – حرسه[1] الله تعالى – يرثيه :

تَبكي الطُّروسُ عليكَ والأقلامُ ويَنوحُ فيكَ على الغصونِ حمامُ
يا مَنْ حَواه اللحدُ غصناً يانعاً وكذا كسوفُ البَدرِ وهوَ تَمام
يا وحشةَ الديوانِ منك إذا غدَتْ فيهِ مُهِمّاتُ البريدِ تُرام
مَنْ ذا يوفّيها مَقاصدَها على ما يَقتَضيهِ النقضُ والإبرام
هَيهات كنتَ له جمالاً باهراً فعليهِ بعدَكَ وحشةٌ وظلام
أسَفي على الإنشاءِ وهوَ بجلَّقٍ نشاؤهُ قَدْ ماتَ والنظّام
كم من كتابٍ سارَ عنكَ كأنّهُ بُرْدٌ أجادَ طرازَهُ الرقّام
إن كانَ في شرٍّ فقد رَدَّ الرّدى وبهِ ترَفَّهَ ذابلٌ وحسام
لم لا يردُّ البأسَ ما ألفاتُهُ مثلُ القنا واللامُ منهُ لام
أو كانَ في خيرٍ فكلُّ كَلامهِ درٌّ يؤلّفُ بينهنَّ نظام
وكأنّما تلكَ السطورُ إذا بَدَتْ كأسٌ ترشفُ راحها الأفهام
يهتزُّ عِطْفُ أولي النهَى لبيانهِ فكأنَّ هاتيكَ الحروفَ مدام
كم فيه وجهٌ سافرٌ مثلُ الضحى وعليهِ من لَيلِ السّطورِ لِثام
ولكَم كتبتَ مطالعاتٍ خدّها قانٍ وثغرُ فصولِها بَسّام

---

١ في المطبوعة : رحمه ؛ وأصلحته بحسب ما جرى عليه المؤلف من قبل .

وكأنّما ألفاتُها قُضُبُ الذُّرَى   وكأنّما هَمزاتُهنّ حَمَام
صَلّى وراءَكَ كلُّ مَنْ عاصرته   علماً بأنّكَ في البَيانِ إمام
وكأنَّ قبرَكَ للعيونِ إذا بَدا   «قصرٌ عليه تحيّةٌ وسَلام»[1]
لما تَغَيّبَ في الترابِ جمالهم   قعدوا لهولٍ عايَنُوهُ وقامُوا
ما كُنْتَ إلاّ فارسَ الكُتْبِ التي   فيها تعرّقَ صنعها الأقلام
ما محنَةٌ نَزَلَتْ بعترةِ غانمٍ   هانوا وهم في العالمين كرام
يا قبرَه لا تَنتَظر سُقْيا الحَيا   حزني ودمعي بارقٌ وغمام
لي فيكَ خِلٌّ كم قطعتُ بقربهِ   أيّامَ أنسٍ والخطوبُ نيام
لَذّتْ فلُذْتُ بظلّها فكأنّها   لقيادِ لَذّاتِ الزمانِ زمام
أسفي على صحب مضى عمري بهم   وصَفَتْ بقربي منهمُ الأيّام
« ثمّ انقضَتْ تلكَ السنونَ وأهلُها   فكأنّنا وكأنّهم أحلامُ »[2]
بالرغمِ مني أن أُفارقَ صاحباً   لي بعده ضرُّ النوى وغرام
يا مَنْ تَقَدّمني وسارَ لغايَةٍ   لا بدَّ لي منها وذاكَ لزام
قد كنتُ أحسَبُهُ يرثّيني فقَدْ   عكستْ قضيّتَهُ معي الأحكام
أنا ما أراكَ على الصّراطِ لأنّهُ   بيني وبينَكَ في الأنامِ زحام
إذ قد سبَقتَ خفيفَ ظهرٍ لا كمن   قد قيّدَتْ خطواتِه الآثام
فازَ المُخِفُّ وقد تقَدّمَ سابقاً   وشفيعُهُ لإلهِهِ الإسلام
فاذهبْ فأنت وديعَةُ الرحمنِ لي   يَلقاكَ منهُ البرُّ والإكرام
ويجودُ قبرك منهُ غيثُ سماحَةٍ   بالعفو صَيِّبُ وَدْقِها سَجّام
ولقد قضيتكَ حقَّ ودّكَ بالرّثا   والحرُّ مَنْ يُرْعى لديهِ ذمام
خلّفتَني رهنَ التندّمِ والأسى   تَعتادني الأحزانُ والآلام

---

١ صدر بيت لأشجع السلمي ، وتمامه « خلعت عليه جمالها الأيام » .
٢ من شعر أبي تمام .

ومن شعر جمال الدين المذكور ، ما كتبه إلى الشيخ صلاح الدين الصفدي وهو بالديار المصرية :

ذَكَّرْتُ قلبي حينَ شَطَّ مزارهمْ ... بهِمُ فنابَ عن الهوَى تذكارهمْ
وبكَى فؤادي وهوَ منزلُ حبّهم ... وأحقّ من تَبكي الأحبّةَ دارهم
وبجلَّق الجفنُ الهمولُ كأنّما ... لمحتــهُ عند مرورهم أنوارهم
تُذْري الدموع عليهمُ وكأنّهم ... زهرُ الرُّبَى وكأنّها أمطارهم
وبكين من حالي العواذل رحمةً ... لما بكَيتُ وما الأنينُ شعارهم
ويحَ المُحبّينَ الذين بودّهم ... قربَ المزارُ ولو نأتْ أقطارهم
فقَدوا خَليلهمُ الحَبيبَ فأذكيت ... بالشّوقِ ما بينَ الأضالع نارهم
مولىً تَقَلّصَ ظلُّ أنسٍ منه عن ... أصحابهِ فاستَوحَشتْ أفكارهم
كم راقَهُمْ يوماً برؤيةِ وجههِ ... مـــا لا يروقهمُ له دينارهم
ولكَمْ بَدَتْ أسماعُهم في حليَة ... من لفظهِ وكذا غدَتْ أبصارهم
كانوا بصحبتهِ اللّذيذَةِ رُتَّعاً ... بمسَرَّةٍ مُلئتْ بها أعشارهم
يتَنافَسونَ عــلى دنوِّ مزارهِ ... وكأنّما بِلقاهُ كان فخــارهم
لا غيَّبَ الرّحمَنُ رؤيَةَ وجههِ ... عن عاشقيهِ فإنّها أوطارهم
وجَلا ظلامَ بلادهم مِنْ نُورهِ ... فلَقَد تَساوَى لَيلهم ونهارهم

فكتب الشيخ صلاح الدين إليه الجواب :

أفدي الذين إذا تَناءت دارُهم ... أدناهُمُ من دارهم تذكارهم
في جِلَّقَ الفَيحاء منزلُهم وفي ... مصرٍ بقلبِ الصبِّ تضرم نارهم
قومٌ بذكرهمُ النّدامى أعرَضوا ... عن كأسهم وكفتهمُ أخبارهم
وإذا الثناء على مَحاسنهم أتى ... طربوا له وتعطَّلت أوتارهم
وإذا همُ نظروا بحسنِ وجوههم ... لم تبقَ أنجمهم ولا أقمارهم
فهمُ النُّجومُ إذا ادلهمَّ ظلامُهُمْ ... وهمُ الشّموسُ إذا استنار نهارهم

دَنَتِ النُّجومُ تَواضعاً لمحلهم ... وترفّعتْ من فوقها أقدارهم
وبكفهم وبوجههم كم قد هَمَتْ ... أنواؤهم وتَوَقّدَتْ أنوارُهم
أهدى جمالُهمُ إليّ تَحيّةً ... منها يُدارُ على الأنام عُقارهم
لكَ يا جمالَ الدينِ سَبَقٌ في الوَفا ... حتى تقرَّ لصفوه أكدارهم
يا ابنَ الكرامِ الكاتبين فشأنهم ... صدقُ المودّة والوفاء شعارهم
قومٌ إذا جاءوا إلى شأو العلا ... سَبَقوا إليه ولم يُشَقّ غبارهم
صانوا وزانوا باليراع ملوكهم ... أسوارهم من كتبهم وسوارهم
ما مثلهم في جودهم فلذاكَ قد ... عزّتْ نظائرهم وهان نُضارهم
فتُعَلّمُ الشيماتُ من أخلاقهم ... وتذوبُ عن زهرِ الرُّبَى أشعارهم
وحماهمُ يحمي النّزيلَ برَبعهِ ... من جَوْرِ ما يخشى ويُرْعى جارهم
بالرغم مني أن بعدتُ ولم أجِدْ ... ظِلاً تُفَيِّئُهُ عليّ ديارهم
لو كان يُمكِنني وما أحلى المُنى ... ما غابَ عني شَخصهم ومَزَارهم
ويح النوى شَمْلَ الأحبّةِ فرّقتْ ... فمتى يفكّ من البعادِ إسارهم

واجتمع يوماً هو وجمالُ الدين ابن نُباتة في غياض السّفَرْجل فقال جمال الدين بن نباتة :

قد أشبهَ الحمّامَ منزلُ لهونا ... فالماء يسخن والأزاهر تحلقُ
فلذاك جسمي منشد ومصحف ... عرقٌ على عرقٍ ومثلي يعرق

فقال جمال الدين بن غانم :

ما أشبهَ الحمّامَ منزلُ لهونا ... إلاّ لمعنىً راقَ فيهِ المنطقُ
فالدّوْحُ مثلُ قبابِهِ والزهرُ كالـ ... جامات فيهِ وماؤه يتدَفّق

٢٢٧
الورن

عبد الله بن عمر بن نصر الله . الفاضل الحكيم موفق الدين الأنصاري المعروف بالورن ، كان قادراً على النظم وله مشاركة في الطب والوعظ والفقه . وكان حُلْو النادرة لا تُمَل مجالسته ، أقام ببعلبَك مدة . وخَمَّس مقصورة ابن دريد ومرثية في الحسين بن علي عليه السلام ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أنا أهوَى حلو الشّمائل ألْمَى ... مشهد الحسن جامع الأهواء
آيَةُ النّملِ قد بدَتْ فوقَ خديْ ... ه فهيموا يا معشرَ الشعراء

وكتب أيضاً إلى بعض الكتاب :

أيا ابن السابقينَ إلى المعـــالي ... ومَنْ في مَدحهِ قالي وقيلي
لقد وصلَ انقطاعي منكَ وَعْدٌ ... فمن قطعَ الطريقَ على الوصولِ

وقال أيضاً :

مَن لي بأسمر في سوادِ جفونهِ ... بيضٌ وحمرٌ للمَنايا تُنْتَضَى
كيف التخلّص من لواحظه الّتي ... بسهامها في القلب قد نفذ القضا
أو كيف أجحد صبوَةً عُذْريةً ... ثبتت بشاهد قده العدل الرضا

وقال أيضاً :

تجور بجَفن ثم تَشكو انكساره ... فواعجبًا تَعْدو عليَّ وتَستَعدي

---

٢٢٧ – الزركلي : ١٣٥ (المعروف : بالوزن) والشذرات ٥ : ٣٥٨ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٨٢ .

أحمّلُ أنفاسَ القبول سلامَها وحسبي قبولاً حين تسعف بالرد
تثنت فمال الغصن شوقاً مقبلاً من الترب ما جرّت به فاضلَ البُرْد

وقال أيضاً :

يا سَعدُ إن لاحتْ هضابُ المُنحنَى وبدَتْ أثيلاتٌ هناك تبينُ
عَرِّجْ على الوادي فإنّ ظباءهُ للحسنِ في حركاتهنَّ سكونُ

وقال أيضاً :

لله أيّامَنا والشّملُ منتَظِــــمٌ نظماً به خاطر التفريق ما شعرا
والهفَ نفسي على عَيْشٍ ظفرتُ به قطعتُ مجموعه المختارَ مختصرا

وقال أيضاً :

أرى غديرَ الرّوضِ يهوَى الصَّبا وقد أبَتْ منهُ سكوناً يَدومْ
فؤاده مرتَجِفٌ للنّـــوَى وطرفــهُ مُختَلِجٌ للقدومْ

وقال أيضاً :

حارَ في لطفِهِ النسيمُ فأضحى رائحاً نحوَه اشتياقاً وغادي
مذ رأى الظبيُ منه طرفاً وجيداً هامَ وجداً عليه في كلّ وادي

وقال أيضاً :

يُذَكِّرُني نَشرُ الحِمَى بهُبُوبهِ زماناً عرَفنا كلَّ طيبٍ بطيبِهِ
لَيالٍ سرَقناها منَ الدَّهرِ خلسةً وقد أمِنَتْ عَيناي عينَ رقيبه
فمن لي بذاك العيش لو عاد وانقضَى وسكّنَ قلبي ساعةً من وَجيبه
ألا إنَّ لي شوقاً إلى ساكنِ الغضا أعيذُ الغضا من حرّه ولهيبه
أحنُّ إلى ذاك[1] الجنابِ ومَنْ به ويسكرُني ذاك الشذا من جنوبه

---

[1] الزركشي : لذياك .

أخا الوجدِ إن جاوَزتَ رَملَ محجّرٍ وجزتَ بمأهولِ الجنابِ رحيبِهِ
دعِ العيسَ تقضي وقفةً بربُى الحمى ودع محرماً يجري بسفحِ كثيبه
وقل لغريبِ الحسنِ ما فيكَ رحمةٌ لمفرد وجدٍ[1] في هواك غريبــه
متى غرّدَ الحادي سُحَيراً على النّقا أمال الهوى العُذريَّ عطفَ طروبه
وإن ذكرَتْ للصبِّ أيامُ حاجرٍ هناكَ يُقَضّي[2] نحبهُ بنَحيبه

وقال أيضاً :

رَقَّ النسيمُ لَطافَةً فكأنّما في طيِّهِ للعاشقينَ عتابُ
وسَرَى يَفوحُ معطّراً وأظنّه لرسائلِ الأحبابِ فيه[3] جواب

وقال أيضاً :

يا ليالي الحمَى بعَهدِ الكَثيبِ إن تَناءيتِ فارجعي من قَريبِ
أيَّ عيشٍ يكونُ أطيبَ من عَيْـ شِ مُحبٍّ يخلو بوَجهِ الحَبيب
يقطعُ العمرَ بالوِصالِ سروراً في أمانٍ من حاسدٍ ورَقيب
يتَجلّى الساقي عليهِ بكأسٍ هوَ منها ما بَيْنَ نورٍ وطيب
كلّما أشرَقتْ ولاحَ سَناها آذَنَتْ من عقولنا بغروب
خلتُ ساقي المُدامِ يُوشعَ لما رَدَّ شَمساً بالكأسِ بعد المَغيب
نَغَماتُ الراووقِ يَفْقَهُها الكأ سُ ويُوحي بسرِّها للقلوب
فلهذا يميلُ من نَشوَةِ الكا سِ طروباً مَنْ لم يكنْ بطروب
يا نَديمي أشمألٌ أم شمولٌ رَقَّ منها وراقَ لي مشروبي
أم قدودُ السّقاةِ مالَتْ فملنا طرَباً بَيْنَ واجدٍ وسَليب
أم نَسيمٌ من حاجرٍ هَبَّ وَهْناً فسكرنا بطيبِ ذاكَ الهبوب
أم سرَى في الأرجاء من عنبر الجـ وِّ أريجٌ بالبارقِ المشبوب

---

١ الزركشي : حزن .
٢ الزركشي : هنالك يقضي .
٣ المطبوعة : فهو ، والتصويب عن الزركشي .

ما ترَى الركبَ قد تَمايلَ سكراً وأمالوا مناكباً بجنوبِ
لَستُ أبكي على فواتِ نَصيبٍ من عَطايا دَهري وأنت نَصيبي
وصَديقي إن عادَ فيكَ عدوّي لا أبالي ما دمتَ لي يا حَبيبي

وقال أيضاً :

لا غرو إن سُلبتْ بكَ الألبابُ وبديعُ حُسنكَ ما عليه حجابُ
يا مَن يَلَذُّ على هَواهُ تَهتّكي شَغَفاً ويَعْذُبُ لي عليه عَذابُ
حسبي افتخاراً في هواك بأن لي نَسباً له تَسمو به الأنسابُ
أحبابنا وكَفى عُبيدَ هواكمُ شرَفاً بأنّكمُ له أحبابُ
يا سعدُ مِلْ بالعيسِ حلّةَ منزلٍ أضحى لعزّةِ ساكنيه يُهابُ
ربعٌ تودُّ به الخدودُ إذا مَشَتْ فيه سليمى أنّهـا أعتابُ
كم في الخيامِ أهِلّة هالاتُها تَبدو لعينكَ برقع ونقابُ
وشموسُ حسنٍ أشرَقتْ أنوارُها أفلاكُهُنَّ مضاربٌ وقبابُ
شنّوا على العشاقِ غاراتِ الهوَى فإذا القلوبُ لدَيهمْ أسلابُ
من كلّ هَيفاء القوامِ إذا انثَنَتْ هزَّ الغصونَ بقدّها الإعجابُ
تَهبُ الغرامَ لمهجتي في أسرها فجمالُها الوَهّابُ والنهّابُ
وغَدَتْ تجرُّ على الكثيبِ برودَها فإذا العَبيرُ لدَى ثراهُ ترابُ

وقال أيضاً :

طَرْفي على سِنَةِ الكَرَى لا يطرفُ وبَخيلَةٌ بخيالِهـا لا تُسعفُ
وأضالعي ما تَنطَفي زَفَراتُهـا إلاَّ وتُذكيها الدموعُ الذرَّفُ
شَمِتَ الحَسودُ لأن ضَنيتُ وما درَى أنّي بأثوابِ الضّنَى أتَشَرَّفُ
يا غائبينَ وما ألَذَّ نـداهمُ وحَياتكم قَسمي وعزّ المصحفُ
إن بَشَّرَ الحادي بيومِ قُدومِكم ووهبته روحي فما أنا منصفُ
قد ضاع في الآفاقِ نشرُ خيامِكُم وأرَى النّسيمَ بعرفِها يتَعرّفُ

٢٢٨
السفاح

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين السفاح ، أول خلفاء بني العباس ، ولد بالحُمَيْمَة ، مولده سنة ثمان ومائة . وتوفي في سنة ست وثلاثين ومائة بالجدري ، وعاش ثمانية وعشرين سنة ، وبويع له بالكوفة سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وقد كانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر .

ولما صعد المنبر خطب قائماً ، فقال الناس : يا ابن عمّ رسول الله أحييت السنة ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، ولم يحج في خلافته . وصل عبد الله ابن حسن بن الحسن بألفي ألف درهم ، وهو أول خليفة وصل بهذه الجملة . ولما تولى الخلافة وأصعده أبو مسلم المنبر أرتج عليه فقال :

فإن لم أكنْ فيكم خطيباً فإنّني بسَيفي إذا جَدّ الوَغى لخطيبُ

وأخذ سيفه في يده ونزل ، فعجب الناس من بلاغته وإصابته المعنى .

وهو أول من نزل العراق من خلفاء بني العباس ، بُنيت له المدينة الهاشمية إلى جانب الأنبار ، وبها قبره ، وهي المعروفة الآن بالأنبار ، لأن الأولى دَرَسَتْ .

وكان من أكرم الناس في المعاشرة وأسمحهم بالمال ، ومن شعره قوله في بني أمية :

تَناوَلتُ ثأري من أُمَيّةَ عَنْوَةً وحزتُ بثأري اليومَ من سلفي قسرا

---

٢٢٨ – تراجع أخباره في المصادر التاريخية الكبرى كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير وابن خلدون وأخبار العباس وولده (بيروت ١٩٧١) وأنساب الأشراف ونبذة من كتاب التاريخ لمؤلف مجهول ، (موسكو ١٩٦٠) .

وألقيتُ ذلاً من مفارقِ هاشمٍ   وألبَستُها عزاً وأعليتُها قدرا

ومن كلامه : ما أقبح الدنيا بنا إذا كانت لنا ، وأولياؤنا خالون من حسن آثارها .

وقال : الأناة محمودة إلاّ عند إمكان الفرصة .

ولما وقع في النزع كان آخرَ كلامه : إليك يا ربّ لا إلى النار .

٢٢٩

[المنصور]

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين ؛ ولد سنة خمس وتسعين ، وكان قبل الخلافة يقال له « عبد الله الطويل » ، وصرّف الآفاق إلى الحيرة والعراق وأصبهان وفارس . أتته الخلافة وهو بمكة ، عهد إليه أخوه السفاح .

وكان أسمر طويلاً نحيفاً خفيف العارضين ، مفرق الوجه رَحْبَ الجبهة ، يخضب بالسواد ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، يخلط أبهة الملك بزي النساك ، تقبله القلوب وتَتْبَعُه العيون ، وكان من أفراد الدهر حزماً ودهاء وجبروتاً حريصاً على جمع المال ، وكان يلقب « أبا الدوانيق » لمحاسبته الكتاب والعمال على الدّوانيق . وكان شجاعاً مَهيباً تاركاً للهو واللعب كامل العقل ، قتل خلقاً كثيراً حتى ثبت الأمر له ولولده . وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه ؛ توفي محرماً على باب مكة في سادس ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن ما بين الحَجُون وبئر ميمون .

---

٢٢٩ – انظر المصادر المشار إليها في الترجمة السابقة وأخبار الخلفاء : ٢٨٢ والفخري : ١٤١ .

وكان فحل بني العباس . وكان بليغاً فصيحاً . ولما مات خلّفَ في بيوت الأموال تسعمائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف درهم . وقال[1] : رأيت كأني في الحرم ورسول الله صلى الله عليه وسلّم في الكعبة ، وبابها مفتوح . فنادى منادٍ : أين عبد الله ؟ فقام أخي أبو العباس السفاح حتّى صار على الدرجة فأدخل . فما لبث أن أخرج ومعه لواء أسود على قَفَاه قدر أربعة أذرع . ثم نودي أين عبد الله ؟ فقمت إلى الدرجة ، فصعدت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال ، فعقد لي وأوصاني بأمته وعَمّمني بعمامة وكان كَوْرُها ثلاثة وعشرين ، وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة .

وعاش أربعاً وستين سنة ، وتوفي ببئر ميمون من أرض الحرم . وكان يقول حين دخل في الثلاث وستين : هذه تسميها العرب القاتلة والحاصدة . وكان نقش خاتمه « الحمد لله » .

ومن شعره قوله لما قَتَلَ أبا مسلم الخراساني :

زَعمت أنَّ الدَّيْنَ لا يُقْتَضى   فاكْتَلْ بما كِلْتَ أبا مجرمِ
واشرَبْ كؤوساً كنتَ تسقي بها   أمرَّ في الحَلَقِ منَ العلقَمِ
حتّى متى تضمر بُغْضاً لَنا   وأنتَ في النّاسِ بنا تَنتَمي

٢٣٠
الاحوص

[عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري أبو محمد ، المعروف

---

١ قارن بما في تاريخ الخلفاء : ٢٨٣ – ٢٨٤ .

٢٣٠ – الأغاني ٤ : ٢٢٨ ٦ : ٢٤٠ ١٥ : ٢٣٤ ٢١ : ١٠٨ وشرح شواهد المغني : ٢٦٠ والمؤتلف والمختلف : ٤٨ وطبقات ابن سلام : ٥٣٤ والسمط : ٧٣ والشعر والشعراء : ٢٤ ؛ والخزانة =

بالأحوص ؛ لحوص كان في عينيه ، كان جده عاصم يقال له حميّ الدبر ، وأمه أثيلة بنت عمير بن مخشيّ ، عدّه ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام مع ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل ، قال صاحب الأغاني : والأحوص لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال أشدّ تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة ؛ قدم دمشق في خلافة يزيد بن عبد الملك ومات فيها سنة خمس ومائة] .

[وكان الأحوص ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهي فلم ينته ، فشكي إلى عامل سليمان ابن عبد الملك على المدينة ، فكتب فيه العامل إلى الخليفة فأمره بضربه مائة سوط وأن يصيره إلى دهلك . ثم ولي عمر بن عبد العزيز فأتاه رجال من الأنصار فكلموه فيه وسألوه أن يقدمه ، فقال لهم عمر : فمن الذي يقول :

فما هو إلاّ أن أراها فجاءةً فأبهت حتى ما أكاد أجيبُ

قالوا : الأحوص ؛ قال فمن الذي يقول] :

أدور ولولا أن أرى أمّ جعفر بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزرْ لا بدّ أن سيزور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

كأن لبنى صبير غادية أو دمية زينت بها البيعُ
اللهُ بيني وبين قيمها يفرّ مني بهـا وأتبـع

قالوا : الأحوص ؛ قال : بل الله بينه وبين قيمها ، فمن الذي يقول :

= ١ : ٢٣١ . وقد سقط أول هذه الترجمة لضياع أوراق من ص ، واستدركت ما به يتم المعنى ؛ و لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وقد جمع شعر الأحوص مرتين : مرة بعناية الدكتور إبراهيم السامرائي (النجف ١٩٦٩) ومرة بعناية عادل سليمان جمال (القاهرة : ١٩٧٠) .

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا   سريرة حبٍّ يومَ تبلى السرائر

قالوا : الأحوص ، قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول . والله لا أرده ما دام لي سلطان ؛ فمكث هناك بقية أيام عمر وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك . فبينما يزيد وجاريته ليلة على سطح وهي تغنيه بشعر من شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا ؛ قالت : وعيشك لا أدري ، فاستخبر عنه فعرّفوه أنه الأحوص وانه قد طال حبسه ، فأمر له بمائة دينار وكسوة وأطلقه .

٢٣١
المقتدي بأمر الله

عبد الله بن محمد أمير المؤمنين ، أبو القاسم بن ذخيرة الدين أبي العباس ابن الإمام القائم بأمر الله ؛ بويع له بالخلافة في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وهو ابن تسع عشرة سنة . وتوفي أبوه الذخيرة والمقتدي حَمْل ؛ وقال ابن النجار : ظهر في أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة في البلاد ، وتوفي فجأة في تاسع عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ؛ وكان قد أحضر إليه تقليد السلطان بركياروق ليعلم عليه ، فقرأه وعلم عليه ، ثمّ تغدى وغسل يديه وعنده جاريته شمس النهار ، فقال لها : هؤلاء الأشخاص قد دخلوا بغير إذن ، قالت : فالتفتُّ فلم أرَ شيئاً ، ورأيته قد تغير حاله ، واسترخت يداه ، فظننت أنه قد غشي عليه ، فقلت لجارية عندي : ليس هذا وقت البكاء ، واستحضرت الوزير وأخبرته الخبر ، فأخذ البيعة لولده المستظهر بالله أحمد .

---

٢٣١ — الزركشي : ١٥٤ والمنتظم ٩ : ٨٤ والروحي : ٦٥ والفخري : ٢٦٣ وتاريخ الخلفاء ٤٥٣ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٦٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٣٩ والبداية والنهاية ١٢ : ١١١ وتاريخ الخميس ٢ : ٢٥٩ وسائر المصادر التاريخية الكبرى .

وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة والحرمة وافرة ، وكان محباً للعلوم مكرماً لأهلها ، وله شعر منه :

أردتُ صفاء العيشِ معْ مَنْ أحبّه فحاولَني عما أريدُ مريدُ
وما اخترتُ بَتّ الشمل بعد اجتماعه ولكنّه مهما يريدُ[1] أريد

وله أيضاً :

أما والذي لو شاءَ غَيّرَ ما بنا فأهوَى بقومٍ في الثريّا إلى الثرَى
وبَدّلنا من ظلمةِ الجورِ بعدَما دَجا لَيلُها صبحاً من العدل مسفرا

وكانت خلافته عشرين سنة وأشهراً[2] ، وأمه أم ولد ، كان أبيَضَ أشهل ، رحمه الله .

٢٣٢

الخفاجي

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الشاعر الأديب ؛ أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وأبي نصر المنازي، وتوفي بقلعة عزاز مسموماً. وحمل إلى حلب ، وصلى عليه الأمير محمود بن صالح ، وكانت وفاته في سنة ست وستين وأربعمائة. وكان يرى رأي الشيعة الامامية، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب ، وكان بينه وبين أبي نصر ابن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر ابن النحاس أن يكتب إلى الخفاجي كتاباً يستعطفه

---

١ ص : تريد .

٢ ص : وأشهر .

٢٣٢ — الزركشي : ١٥٤ والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٦ واللباب (الخفاجي) ودمية القصر ١ : ١٤٢ .

ويؤنسه ، وقال : إنه لا يؤمّن إلاّ إليك ولا يثق إلاّ بك ، فكتب إليه كتاباً ، فلما فرغ منه وكتب « إن شاء الله تعالى » شدّد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصداً[1] حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب ، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأسَ فرسه . وفكر في نفسه ، وأن ابن النحاس[2] لم يكتب هذا عبثاً ، فلاح له انه أراد ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ (القصص : ٢٠) فعاد إلى عزاز . وكتب الجواب أنا الخادم المعترف بالانعام ، وكسر الألف من « انا » وشدّد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سُرّ به وعلم انه قصد به ﴿ إنّا لن ندخُلَها أبداً ما داموا فيها ﴾ (المائدة : ٤) وكتب الجواب يستصوب رأيه ، فكتب إليه الخفاجي :

خَفْ مَنْ أمنتَ ولا تركنْ إلى أحدٍ   فما نَصحتُكَ إلاّ بعدَ تجريبِ
إن كانت التركُ فيهم غيرَ وافيّـةٍ   فما تزيدُ على غدرِ الأعـاريبِ
تَمسّكوا بوَصايا اللؤمِ بَينهمُ   وكادَ أن يدرسوها في المَحاريبِ

واستدعى محمود بأبي نصر ابن النحاس وقال له: أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجي وما أعرفه الا منك . ومتى لم تفرغ بالي منه قتلتك وألحقت بك جميع من بينك [وبينه][3] صلة وحرمة ، قال : مُرني بأمر أمتثله ، قال : تمضي إليه وصحبتك ثلاثون فارساً ، فإذا قاربته[4] عَرِّفْهُ بحضورك فإنه يلتقيك ، فإذا حضر وسألك النزول عنده والأكل معه فامْتَنِـعْ وقلْ[5] له : إني حلفتك أن لا تأكل زاده ، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك في الحضور عندي ، وطاوله في الحديث حتى يقارب الظهر ، ثم ادّع أنك جُعْتَ وأخرج هذه الخشكنانجتين ،

---

١ ص : قاصد .
٢ ص : النجار .
٣ سقطت من ص .
٤ ص : رايته .
٥ ص : وقول .

فكُل أنت هذه واطعمه هذه . فإذا استوفى أكلها فعجّل الحضور اليّ فإن منيته فيها ، ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجي إلى عزاز ، ولما استقر بها وجد مَغصاً شديداً ورعدة مزعجة ، وقال : قتلني والله أخي أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه ورده ، ففاتهم ، ووصل إلى حلب ، وأصبح من الغد [عند] محمود فجاءه من اعزاز من أخبره أن الخفاجي في السياق ومات وحُمل الى حلب . وللخفاجي من المصنفات كتاب « سر الفصاحة ». كتاب « الصرفة » . كتاب « الحكم بين النظم والنثر » صغير . كتاب « عبارة المتكلمين في أصول الدين » . كتاب « في رؤية الهلال » . كتاب « حكم منثورة ». كتاب « العروض » مجدول[1] .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وقالوا قد تَغَيّرَتِ اللّيالي ... وضُيِّعَتِ المَنازلُ والحقوقُ
فأقسم ما استجدّ الدهرُ خلقاً ... ولا عـــدوانُه إلاّ عـَتيق
ألَيسَ يُرَدُّ عن فَدَكٍ عَلِيٌّ ... ويملكُ أكثَرَ الدنيا عـَتيق

وله أيضاً :

بقيتُ وقد شَطّتْ بكم غربةُ النوَى ... وما كنتُ أخشى أنني بعدكم أبقى
وعلّمتُموني كيف أصبرُ عنكُمُ ... وأطلبُ من رقِّ الغرامِ بكم عتقا
فما قلتُ يوماً للبكاء علَيكُمُ ... رويداً ولا للشوْقِ بعدكمُ رفقا
وما الحبُّ إلاّ أن أعدّ قَبيحكُم ... إليّ جَميلاً والقلى منكمُ عشقا

وقال :

هل تَسمَعونَ شكايَةً من عاتبِ ... أو تَقبَلونَ إنابَةً من تائبِ
أم كلّ ما يَتلو الصديقُ علَيكُمُ ... في جانبٍ وقلوبكم في جانب

---

[1] وللخفاجي . . . مجدول : سقط من المطبوعة .

أمّا الوُشاةُ فقد أصابوا عندكم سوقاً ينفّقُ كلّ قولٍ كاذب
فمللتُمُ من صابرٍ ورَقدتُمُ عن ساهرٍ وزهدتُمُ في راغب
وأقلُّ ما حكَمَ الملالُ عليكُمُ سوء القلى وسماعُ قولِ العاتب

وقال :

ما على مُحسنكم لَوْ أحسَنا إنّما نَطلُبُ شَيْئاً هيّنا
قد شَجانا اليأسُ من بعدكُمُ فادركونا بأحاديثِ المُنَى
وعِدوا بالوَصلِ من طَيفكُمُ مقلَةً تعرِفُ[1] فيكم وسَنَا
لا وسحرٍ بينَ أجفانكُمُ فتَنَ الحبُّ به من فتَنا
وحديثٍ من مَواعيدكُمُ تحسدُ العينُ عليه الأذُنا
ما رحلَتْ العيسَ عن أرضِكمُ فرأتْ عَيناي شَيْئاً حَسَنا

وقال من أبيات[2] :

وعلى الغضا إن كنت من جيرانهِ نار تقسم حرَّها العشّاقُ
ومحلأونَ عن المَناهلِ بَعدَما شرقت بجمةِ مائها الطراقُ
ومشتّت العزمات ينفقُ عمره حيران لا ظفر ولا إخفاقُ
أمَلٌ يلوحُ اليأسُ في أثنائهِ وغنيّ يشفّ وراءهُ الإملاقُ
يمري غُفافهَ ثروةٍ لو أنّها نومٌ لما شعرَتْ به الأحداقُ

وقال أيضاً :

سلا[3] ظبيةَ الوعساء هل فقدتْ خشْفا فإنا لمحنا[4] من مرابعها طرفا
وقولا لخوطِ البانِ فليمسك الصبا عليها فإنّا قد عرَفنا بها عرفا

---

١ في المطبوعة : تنكر ؛ وهي أجود .
٢ لم ترد في المطبوعة .
٣ ص : سلوا .
٤ ص : المنحنى .

سرَتْ من هضابِ[1] الشام وهي مريضةٌ ... فما ظهرَتْ إلاّ وقد كاد أن تخفى
عليلةُ أنفاس تداوى بها الجوى ... وضَعْفى ولكن قد وجدنا بها ضِعفا
وهاتفةَ في البانِ تملي غرامها ... وتَتلو علينا من صبابتها صحفا
عجبتُ لها تَشكو الفراقَ جهالةً ... وقد جاوبتْ من كلّ ناحيةٍ إلفا
ويشجي قلوبَ العاشقينَ حنينُها ... وما فهموا مما تَغَنّتْ به حرفا
ولو صَدقتْ فيما تقولُ من الأسَى ... لما لبستْ طوقاً ولا خضبتْ كفا
أجارتَنا أذكرْتِ مَن كانَ ناسياً ... وأضرَمتِ ناراً للصبابةِ لا تطفا
وفي جانبِ الماء الذي تَردينَـهُ ... مواعيدُ لا ينكرنَ لياً ولا خُلْفا
ومهزوزَة للبانِ فيها تَمايلٌ ... جعلنَ لها في كلّ قافيةٍ وصفا
لَبِسنا علَيها بالثنيّـةِ لَيلةً ... من السودِ لم يطوِ الصباحُ لها سجفا
لعمري لئن طالتْ علينا فإنّنا ... بحكمِ الثريا قد قطعنا لها كفا
رَمينا بها في الغربِ وهيَ ضعيفةٌ ... ولم نُبقِ للجوزاء عقداً ولا شنفا
كأنّ الدجَى لما تولّتْ نجومُهُ ... مُدَبِّرُ حربٍ قد هزَمنا له صفّا
كأنّ علَيهِ للمَجرّةِ رَوضةً ... مفتّحةَ الأنوارِ أو نثرةً زغفا
كأنّا وقد ألقَى إلينا هلالَهُ ... سلَبناهُ جاماً أو فصَمنا له وَقفا
كأنّ السُّها إنسانُ عينٍ غريقةٍ ... من الدمعِ يبدو كلما ذرفتْ ذرفا
كأنّ سهيلاً[2] فارسٌ عاينَ الوَغى ... ففر ولم يشهد طراداً ولا زحفا
كأنّ سنا المريخِ شُعلةُ قابسٍ ... تخطّفها عجلانَ يقذفُها قذفا
كأنّ أفولَ النسر طرفٌ تعلّقت ... به سِنَةٌ ما هبَّ منها ولا أغفَى

١ ص : هضام .
٢ ص : فارساً .

٢٣٣
العطار

عبد الله بن محمد الأزدي المغربي المعروف بالعطار ؛ قال ابن رشيق في « الأنموذج » : شاعر حاذق نقي اللفظ جداً، لطيف الإشارات ، مليح العبارات ، صحيح الاستعارات ، على شعره ديباجة ورونق يمازج النفس ويملك الحس ، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة . قال : ولم أرَ عطاردياً مثله ، لا ترى عينه شيئاً إلاّ صنعته يده .

وكان الأمير حسين بن ثقة الدولة قد أراده للكتابة فأبَى ، وكانت له عند عبد الله بن حسن بمدينة طرابلس الغرب حال شريفة ، وجراية ووظيفة[١] ، إلى أن نازعته نفسه إلى الوطن ، وكانت وفاته بعد الخمسمائة . ومن شعره[٢] :

أعرضن لما أن عرضن فإن يكن حذراً فأينَ تلفّتُ الغزلانِ
عطّرنَ جيبَ الريحِ ثمّ بعثنَها طربَ الشجيّ ورائدَ الغيران
وكأنّما أسكَرنَها فتَرَنّمتْ بحليّهنَّ ترنّمَ النّشوان
يا بنت ملتحفِ العجاجِ كأنّه قبسٌ يضيء سنّاهُ تحتَ دفان[٣]
إذ يَنشرُ الطعنُ الكماةَ كأنّما يتراجمُ[٤] الفرسانُ بالفرسان

وله أيضاً وهو غريب :

---

٢٣٣ – الزركشي : ١٥٥ .

١ ص : ووضيفة .

٢ لم ترد هذه المقطوعة في المطبوعة .

٣ كذا في ص والزركشي ، والدفان : ما يندفن بعضه ويحتجب ؛ ولعل الصواب : دخان .

٤ الزركشي : يتزاحم .

شكَوْتُ إلَيهِ جَفوتَه[1] ومَن خافَ الصُّدودَ شكَا
فأجرَى في العَقيقِ الد رَّ واستَبقاهُ فامتسكا
فقلتُ مُخاطِباً نَفسي أرقَّ للَوْعَتي فبَكَى
فقالَتْ ما بكَتْ عَيْنا هُ لكِنْ خدُّهُ ضَحِكا

وقال أيضاً :

مهفهفُ القامَةِ مَمشُوقُها مُستَملحُ الخطرَةِ مَعشُوقُها
في طَرفهِ من سحرِ أجفانِهِ دعوَى وفي جسميَ تحقيقها

وقال[2] :

وكأنّما المرّيخُ يَتلو المشتَري بينَ الثرَيّا والهِلالِ المُعتمِ
ملكٌ وقد بُسطتْ له يد معدمٍ فرَمى بدينارٍ إليه ودرهمِ

وقال :

لله وَجنَتُهُ يا ما أُمَيْلَحَها كمْ بِتُّ مشتَمِلاً منها على حُرَقِ
أودعت صَبريَ عند الشّوْق مختبراً ما تحتها وخبأتُ النوم في الأرق
حتّى إذا زالَ صبحُ الخدِّ عنه بَدا ليلٌ تَزَيّنَ في أعلاهُ بالشّفَق
كدوحَةِ الوردِ روّاها الحَيَا فبَدا نوارها وتوارَى الشوكُ بالوَرَق

وله أيضاً[3] :

يا ربّ كاسٍ مُدامةٍ باكرتُها والصبحُ يرشحُ من جبين المشرقِ
والليلُ يعثر بالكواكب كلما طردته راياتُ الصباح المشرق

---

١ ص : جفونه .
٢ لم ترد في المطبوعة .
٣ لم يرد البيتان في المطبوعة .

٢٣٤

ابن البغدادي المغربي

عبد الله بن محمد من أهل قفصة ، كان أبوه ظريفاً فلقب بالبغدادي ؛ قال ابن رشيق في « الأنموذج » : وطريق ابن البغدادي في الشعر خارجة عن طرقات أهل العصر ، لأنه كان جاهليّ المرمى ، ملوكي المنتمى ، يخاله السامع فحلاً يهدر ، أو أسداً[1] يزأر ، وله أمثال واستعارات على حدة من الكلام وفي جهة من البلاغة ، وكانت له من عبد الله بن حسن مكانة[2] ، ثم تغير عليه فداجاه إلى أن تخلّص منه إلى مدينة صقلية ، ثم ورد الحضرة ، ثم انتقل إلى طرابلس الغرب ، ثم انتقل إلى مصر سنة أربعمائة . وكانت له بمصر وقعات ، فخرج منها مترقباً ثم عاد إلى الحضرة ، وبها توفي سنة عشرين وأربعمائة ، وقد قارب الستين .

وقال وقد سار إلى مصر وكتب بها إلى أبيه :

لَيتَ شعري هل ساءكَ البعدُ لمّا ... قلتَ مثلي ، من حرقةٍ ، ليتَ شعري

وبرغمِ المرادِ أزعَجَنِي المقْـ ... ـدارُ قَسراً وكانَ للقسرِ قصري

قلْ لمنْ جاء زائري عندَ أهْلي ... سارَ عنهم وصارَ من أهلِ مصر

غيرَ أنّي سَلَوتُ عن لذّةِ الرّا ... حِ على طيبِ مخبري عند سكري

أيّها الدهرُ قد تَبيّنتَ صبري ... فاصطنعني حتى ترَى كيف شكري

ومن شعره :

ما كلُّ مَن عرَفَ التغزُّلَ باسمه ... يجدُ الذي أدنَى إليَّ خلوبا

---

٢٣٤ – الزركشي : ١٥٦ والمسالك ١١ : ٣٣٩ ، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

١ ص : أسد .

٢ ص : مكاناً .

أعطيتُ فضلَ زمامِ قلبي أحمرَ الـ ـخدّينِ مكحولَ الجفونِ ربيبا
ويطيبُ لي حلُّ الغدائرِ عابثاً بيدي وحكّي[1] بينهنّ الطيبا
فإذا العيونُ أردنَ قتلَ متيّمٍ كسّبنَه[2] بجفونهنّ ذنوبا
ولكَمْ جريتُ معَ الزمانِ وما جرى ومشيتُ في حلَقِ الكبولِ دبيبا
ورأيتُ ماءَ المزنِ بينَ شبا القنا والبيضَ في قعبِ الوليدِ حليبا
وإذا أرابنيَ الزمانُ بصرفِهِ أخرجتُ من أخلاقِهِ التأديبا
والسيفُ أجملُ ما تراهُ مضرّجاً والمرءُ أخيبُ ما يكونُ هيوبا
والليلُ صاحبُ كلّ ليثٍ باسلٍ ولقد أكونُ له وكنتُ صحوبا
وكأنّه سيفُ الزمانِ مجرّداً للنائباتِ ولا يزالُ خضيبا
وكأنّني لتلاعبِ الأيّامِ بي رجلٌ لبستُ ثيابَها مقلوبا

٢٣٥

ابن أبي الدنيا

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، مولى بني أُمية ، يعرف بابن أبي الدنيا ؛ توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ومولده سنة ثمان ومائتين ، وكان يؤدّب المكتفي بالله في حداثته ، وهو أحد المصنّفين للأخبار والسير ، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب ؛ كتب إلى المعتضد وابنه المكتفي ، وكان مؤدبهما :

---

١ ص : وحلي ، والتصويب عن الزركشي .

٢ الزركشي : أكسبنه .

٢٣٥ – الفهرست : ١٨٥ وتهذيب التهذيب ٦ : ١٢ وتاريخ بغداد ١٠ : ٨٩ وطبقات الحنابلة ١ : ١٩٢ وفهرست ابن خير : ٢٨٢ ؛ كنيته أبو بكر ، وورد في الفهرست أنه « عبيد الله » .

إنَّ حَقَّ التأديبِ حَقُّ الأبوَّه عند أهلِ الحجى وأهلِ المرُوَّهْ
وأحَقُّ الأنامِ أن يَعرفوا ذا ك ويَرْعَوْهُ أهلُ بيتِ النبوَّهْ

قال : وكنتُ أؤدّب المكتفي ، فأقرأته يوماً كتاب « الفصيح » فأخطأ فقرصتُ خدّه قرصة شديدة وانصرفت ، فلحقني رشيق الخادم فقال : يقال لك ليس من التأديب سماع المكروه ، فقلت : سبحان الله ! أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : فخرج إليَّ ومعه كاغذ وقال : يقال لك صدقت يا أبا بكر ، وإذا كان يوم السبت تجيء على عادتك ، فلما كان يوم السبت جئت فقلت : أيها الأمير ، تقول عني ما لم أقل ؟ قال : نعم يا مؤدبي ، من فَعَلَ ما لم يجب قيل عنه ما لم يكن .

وسمع من المشايخ وروى عنه جماعة ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي ، وكان صَدُوقاً ، وكان إذا جالسه أحد إن شاء أضحكه وإن شاء أبكاه ، وآخر من روى حديثه بعلو فخر الدين ابن البخاري .

٢٣٦
[الزوزني]

عبد الله بن محمد بن يوسف ، أبو محمد الزوزني الأديب ؛ توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وهو رجل مشهور من الشعراء ، حسن الكلام غزير العلم كثير الحلم ، سمع الحديث ، وكان خفيف الروح كثير النوادر والمضاحك سريع الجواب ، قصير القامة لا يزيد على ذراعين ، كثّ اللحية نحيف الجسم ، إلا أن وجهه بهي ، وكان يكتحل إلى قريب من أذنيه فيصير شهرة

---

٢٣٦ – الزركشي : ١٥٧ .

مضحكة ، وكان ملوك خراسان يصطفونه لمنادمتهم وتعليم أولادهم .

ومن شعره :

يا سيدي نحن في زمانٍ أبدلنا الله منه غيرَهْ
كلّ خسيسٍ وكلُّ نذلٍ متـع بالطيباتِ أيرهْ
وكل ذي فطنة وكَيسٍ يجلدُ من فقره عميرهْ

وله أيضاً :

لما رأيتُ الزمانَ نكساً وليس في الصحبة انتفاعُ
كلّ رئيس به مـلالٌ وكل رأسٍ به صداع
وكلُ نذلٍ به ارتفاعُ وكل حُرٍّ به اتضاع
لزمتُ بيتي وصنتُ عرضاً به عن الذلةِ امتِناع
أشرب مما[1] ادخرت راحاً لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها[2] نَدامى ومن قراقيرها سماع
وأجتني من ثمارِ قومٍ قد أقفرتْ منهم البقاع

٢٣٧

المستعصم بالله

عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أمير المؤمنين ، أبو أحمد المستعصم

١ ص : ما .

٢ ص : قوايرها .

٢٣٧ — النجوم الزاهرة ٧ : ٦٣ وابن خلدون ٣ : ٥٣٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٧٢ والروحي : ٦٨ والفخري : ٢٩٤ وتاريخ الخلفاء : ٤٩٧ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٨٩ وصفحات متفرقة من الحوادث الجامعة ، والبداية والنهاية ١٣ : ٢٠٤ .

بالله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء البغدادي ، آخر خلفاء بني العباس ببغداد ؛ كان ملكهم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى سنة ست وخمسين وستمائة.

مولده سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة لما توفي والده في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبعاً وأربعين [1] سنة .

وكان متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة، على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله تعالى ، ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة ، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ نازل الهمة، محبّاً للمال مهملاً للأمور يتكل فيها على غيره ، ولو لم يكن فيه إلا ما فعله مع الملك الناصر داود في الوديعة [2] لكفاه ذلك عاراً وشناراً ، والله لو كان الناصر من الشعراء ، وقد قصده وتردّد عليه على بعد المسافة ، ومدحه بعدة بقصائد ، كان يتعين عليه أن ينعم عليه بقريب من قيمة وديعته من ماله ، فقد كان في أجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحادُ الشعراء أكثر من ذلك ، إلى غير ذلك من الأمور التي كانت تصدر عنه ، مما لا يناسب منصب الخلافة ، ولم يتخلق بها الخلفاء قبله ، فكانت هذه الأسباب كلها [3] مقدّمات لما أراد الله تعالى بالخليفة والعراق وأهله ، وإذا أراد الله تعالى أمراً هيّأ أسبابه .

واختلفوا كيف كان قَتْلُه ، قيل إن هولاكو لما ملك بغداد أمرَ بخنقه ، وقيل رفس إلى أن مات ، وقيل غرق ، وقيل لفّ في بساط وخنق ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وكانت واقعة بغداد ، وقتل الخليفة من أعظم الوقائع ، قال الشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ —الآتي ذكره إن شاء الله تعالى— يذكر خراب بغداد وقتل الخليفة :

---

١ ص : وأربعون .

٢ انظر الخبر عن هذه الوديعة في ترجمة الناصر داود .

٣ ص : لها .

عندي لأجل فراقكم آلامُ   فإلامَ أعذَلُ فيكمُ وأُلامُ
من كان مثلي للحبيب مفارقاً   لا تعذلوه فالكلامُ كلامُ
نعم المساعِد دمعيَ الجاري على   خـدّيَّ إلا أنه نمامُ
ويذيب روحي نوْحُ كلِّ حمامة   فكأنما نوحُ الحمامِ حِمامُ
إن كنت مثلي للأحبةِ فاقداً   أو في فؤادك لوعة وغرامُ
قف في ديار الظاعنين[1] ونادها   «يا دار ما صنعت بك الأيامُ»[2]
أعرضتُ عنكِ لأنهم مذ أعرضوا   «لم يبقَ فيك بشاشة تستامُ»
يا دار أين الساكنون وأين ذيّـ   ـاك البهاءُ وذلك الاعظامُ
يا دارُ أين زمانُ ربعك مُونِقاً   وشعارك الإجلال والإكرامُ
يا دار مذ أفلتْ نجومك عَمّنَا   والله من بعد الضياء ظلامُ
فلبعدهم قَرُبَ الرّدى ولفقدهم   فُقِدَ الهدى وتزلزل الإسلامُ
فمتى قبلتِ من الأعادي ساكناً   بعد الأحبّةِ لا سَقَاكِ غمامُ
يا سادتي أما الفؤاد فشيق   قلقٌ وأما أدمعي فَسِجامُ
والدارُ مذ عدمت جمال وجوهكم   لم يبقَ في ذاك المقام مقامُ
لا حَظّ فيها للعيون وليس للـ   أقدام في عرصاتها إقدامُ
وحياتكم إني على عهد الهوى   باقٍ ولم يخفر لديّ ذمامُ
فدمي حلال إن أردت سواكمُ   والعيشُ بعدكمُ عليّ حرامُ
يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم   نارٌ لها بين الضلوع ضرامُ
لا كتبكم تأتي ولا أخباركم   تروى ولا تدنيكم الأحلامُ
نغّصتْم الدنيا عليّ وكلما   جدّ النوى لعبَتْ بيَ الأسقامُ
ولقيتُ من صرفِ الزمان وجوره   ما لم تُخيِّله ليَ الأوهامُ
يا ليت شعري كيف حال أحبتي   وبأيّ أرض خيّمُوا وأقاموا

---

١ ص : الضاعنين .

٢ لأبي نواس وعجزه : ضامتك والأيام ليس تضام .

مالي أنيس غير بيت قاله   صَبٌّ رَمَتْه من الفراق سهامُ
« والله ما اخترتُ الفراق وإنما   حكمت عليّ بذلك الأيامُ »

ومن الاتفاقات العجيبة: أن أوّل الخلفاء من آل أبي سفيان معاوية وآخرهم اسمه معاوية، وأول الخلفاء من آل الحكم بن العاص اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان، وأوّل الخلفاء الفاطميين بالمغرب والديار المصرية اسمه عبد الله وآخرهم اسمه عبد الله ، وأول الخلفاء من بني العباس عبد الله السفاح وآخرهم عبد الله المستعصم ، وعددهم سبعة[١] وثلاثون خليفة ، ومدّة ملكهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، فسبحان من لا يزول ملكه .

وقال القاضي جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى : أخبرني مَنْ أثق بنقله يوم ورود الخبر بتملك التتار بغداد [أنه] وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته: إنّ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، جدّ الخلفاء العباسيين، بلغ بعض خلفاء بني أمية عنه أنه يقول : إنّ الخلافة تصير إلى ولده ، فأمر به فضرب وحُمل على جمل وطيف به وهم ينادون عليه : هذا جزاء مَنْ يفتري ويقول : إنّ الخلافة تصير في ولده ، فكان يقول : إي والله لتكوننّ الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم إلى أن يأتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم ، فوقع مصداق ذلك وهو ورود هلاكو من خراسان وإزالة ملك بني العباس .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى : توفي الخليفة في أواخر المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة ، وما أظنه دفن ، وكان الأمر أعظم من أن يوجد فيؤرخ موته أو يوارى جسده ، وراح تحت السيف أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، فيقال إنهم أكثر من ألف ألف ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، وخلت بغداد من أهلها ، وتشتت مَنْ بقي منهم في البلاد .

قال الشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ المقدّم ذكره يذكر واقعة بغداد ويرثي أهلها ويذكر خرابها :

١ ص : سبعاً .

إن لم تقرّحْ أدمعي أجفاني / من بعد بعدكمُ فما أجفاني
إنسانُ عيني مذ تناءت داركم / ما راقه نظرٌ إلى إنسان
يا ليتني قد متُّ قبل فراقكم / ولساعةِ التوديع لا أحياني
مالي وللايام شتت صرفها / حالي وخلاَّني بلا خِلاّنِ
ما للمنازل أصبحتْ لا أهلها / أهلي ولا جيرانها جيراني
وحياتكم ما حلَّها من بعدكم / غيرُ البلى والهدم والنيران
ولقد قصدت الدارَ بعد رحيلكم / ووقفتُ فيها وقفةَ الحيران
وسألتها لكنْ بغير تكلمٍ / فتكلمت لكنْ بغير لسان
ناديتها يا دارُ ما صنعَ الأولى / كانوا هم الأوطارَ في الأوطان
أين الذين عهدتهم ولعزهم / ذُلاً تخرُّ معاقدُ التيجان
كانوا نجومَ مَنِ اقتدى فعليهمُ / يبكي الهدى وشعائرُ الإيمان
قالت غدَوْا لما تبدد شملهم / وتبدّلوا من عزهم بهوان
كدم الفصّاد يراقُ أرذل موضعٍ / أبداً ويخرجُ من أعزّ مكان
أفنتهمُ غيرُ الحوادثِ مثلما / أفنت قديماً صاحبَ الإيوان
لما رأيتُ الدارَ بعد فراقهم / أضحتْ معطلةً من السكان
ما زلتُ أبكيهم وألثم وحشةً / لجمالهم مستهدمَ الأركان
حتى رثى لي كلُّ من لا وَجْدُهُ / وجدي ولا أشجانه أشجاني
أترى تعود الدارُ تجمعنا كما / كنا بكلّ مسرَّة وتهاني
إذ نحنُ نغتنمُ الزمانَ ونجتني / بيد الأمان قُطُوف كل أماني
والدهر تخدمنا جميعُ صروفه / والوقتُ يعدينا على العدوان
والعيشُ غَضٌ والدنوّ ممزّقٌ / بيد الوصال ملابس الهجران
هيهات قد عزّ اللقاء وسدّدتْ / طرقَ المزارِ طوارقُ الحدثان
مالي أُرَدّدُ ناظريَّ ولا أرى الـ / أحبابَ بينَ جماعةِ الإخوان
والَهفَتي واوحدَتي واحيرَتي / واوحشتي واحرَّ قلبي العاني

سرتم فلا سَرَتِ النّسيمُ ولا زها — زهرٌ ولا ماسَتْ غصونُ البان
مالي أنيسٌ بعدكم إلاَّ البكا — والنوح والحسرات والأحزان
يا ليت شعري أين سارَتْ عيسكم — أم أين موطنكم من البلدان

٢٣٨
أمير المؤمنين المأمون

عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أبو العباس المأمون بن الرشيد بن المهدي ؛ ولد سنة سبعين ومائة ، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائتين ، وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر .

قرأ العلم في صغره وسمع من هُشَيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وطبقتهم ، وروى عنه يحيى بن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي والأمير عبد الله بن طاهر ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عُني بعلوم الأوائل ومَهَرَ في الفلسفة ، فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وكان من رجال بني العباس حَزْماً وعزماً وعلماً وحلماً ورأياً ودهاء وشجاعة وسُؤدداً وسَماحة .

قال ابن أبي الدنيا : كان أبيض رَبْعَة حسن الوجه تعلوه صفرة ، وقد وخَطَه الشيب ، أعيَن طويل اللحية .

ولما خلعه الأمين غضب ودعا إلى نفسه بخُراسان فبايعه الناس ، وأمه أم

٢٣٨ — راجع أخباره في الطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير وعيون الحدائق وابن خلدون وابن كثير . . . الخ وانظر الزركشي : ١٥٦ والروحي : ٥١ وتاريخ الخلفاء : ٣٣١ والفخري : ١٩٧ وخلاصة الذهب المسبوك : ١٨٦ وتاريخ بغداد ١٠ : ١٨٣ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٣٤ والبدء والتاريخ ٦ : ١١٢ .

ولد اسمها مراجل ، ماتت أيام نفاسها به . وادعى المأمون الخلافة وأخوه حي في آخر سنة خمس وتسعين ومائة إلى أن قتل الأمين ، فاجتمع الناسُ عليه ببغداد في أول سنة ثمان .

وكان فصيحاً مفوّهاً ، كان يقول : معاوية بعَمْره ، وعبد الملك بحَجّاجه ، وأنا بنفسي . كان يختم كل رمضان ثلاثين ختمة .

قال يحيى بن أكثم ، قال المأمون : أريد أن أحدث ، فقلت : ومَنْ أولى بهذا من أمير المؤمنين ؟ فقال : ضَعُوا لي منبراً ، ثم صعد فأول ما حدث : حدثنا هُشَيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفع الحديث قال : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ، ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً ، ثم نزل فقال لي : كيف رأيت يا يحيى مجلسنا ؟ فقلت : أجلّ مجلس يفقه[1] الخاصة والعامة قال: ما رأيت لكم[2] حلاوة، وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر . وروى محمد بن عون عن ابن عُيَيْنَة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخي وخلّف ستمائة دينار ، فأعطوني ديناراً وقالوا : هذا نصيبك ، فقال المأمون : هذا خلف أربع بنات ؟ قالت : نعم ، قال : لهن أربعمائة دينار ، وخلف والدة ؟ قالت : نعم ، قال : لها مائة دينار ، وخلف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً[3] ، بالله ألك اثنا عشر أخاً ؟ قالت : نعم ، قال : لكل واحد ديناران ولك دينار واحد .

وقال المأمون : لو عرف[4] الناس حبي للعفو لتقرّبوا إليّ بالجرائم .

ويروى ان ملاحاً مرّ فقال لمن معه : أتراكم تظنون أن هذا ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين ؟ قال : فسمعه المأمون فتبسم وقال : ما الحيلة حتى أنْبُل

---

١ ص : نفقه .

٢ كذا ولعل الصواب : « له » .

٣ ص : وسبعين دينار .

٤ ص : عرفوا .

في عين هذا السيد الجليل ؟ !

وكان المأمون بخراسان قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا ونَوَّه باسمه، وغيّر لبس آبائه من لبس السواد وأبدله بالخضرة ، فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين فخلعوه وبايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك ، فحاربه الحسن بن سهل ، فهزمه إبراهيم وألحقه بواسط ، وأقام إبراهيم بالمدائن ، ثم سار جيش الحسن وعليه حميد الطوسي وعلي بن هشام فهزموا إبراهيم ، فاختفى ولم يظهر خبره إلا في وسط خلافة المأمون ، فعفا عنه على ما ذكره قاضي القضاة ابن خلكان في ترجمة إبراهيم بن المهدي [1] .

وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة وقال : يا أمير المؤمنين ، رجل من أهل الحديث منقطع به ، فقال : ما تحفظ في باب كذا ؟ فلم يذكر فيه شيئاً ، فما زال المأمون يقول : حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج ، حتى ذكر الباب ، ثم سأله عن باب آخر ، فلم يذكر فيه شيئاً ، فقال المأمون : حدثنا فلان وحدثنا فلان ، ثم قال لأصحابه : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : اعطوني أنا من أهل الحديث ، أعطوه ثلاثة دراهم .

ومع ذلك كان مُسْرِف الكرم جواداً ممدحاً ، فرق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف ؛ ومدحه أعرابيّ مرة فأجازه بثلاثين ألف دينار .

وقال أبو معشر : كان أمّاراً بالعدل ميمون النقيبة فقيه النفس ، يعد مع كبار العلماء .

وأهدى إليه ملك الروم تُحَفاً سنية منها مائة رطل مسك ، ومائة حلة سَمّور ، فقال المأمون : أضعفوها له ، ليعلم عزّ الإسلام وذل الكفر .

وقال يحيى بن أكثم : كنت عند المأمون ، وعنده جماعة من قوّاد خراسان ، وقد دعا إلى القول بخَلْق القرآن ، فقال لهم : ما تقولون في القرآن ؟ فقالوا:

---

١ انظر ابن خلكان ١ : ٣٩ .

كان شيوخنا يقولون ما كان فيه من ذكر الجمال والبقر والخيل والحمير فهو مخلوق ، وما سوى ذلك فهو غير مخلوق ، فأمّا إذ قال أمير المؤمنين هو مخلوق فنحن نقول كلّه مخلوق ، فقلت للمأمون : أتفرح بموافقة هؤلاء ؟

وقال ابن عرفة : أمر المأمون منادياً ينادي في الناس ببراءة الذمة ممن ترحّم على معاوية أو ذكره بخير ، وكان كلامه في القرآن سنةَ اثنتي عشرة[1] ، فكثر المنكِر لذلك وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم له ما أراد فكف عنه إلى بعد هذا الوقت .

وقال النضر بن شميل : دخلتُ على أمير المؤمنين فقلت : إني قد قلت اليوم :

أصبحَ ديني الذي أدينُ به ... ولستُ منهُ الغداةَ معتذرا
حبَّ عليّ بعدَ النبيّ ولا ... أشتمُ صدّيقَهُ ولا عمرا
وإبنُ عفّان في الجنانِ معَ الـ ... أبرار ذاكَ القتيل مصطبرا
وعائشُ الأمُّ لستُ أشتمها ... مَن يفتريها فنحنُ منهُ برا

ونادى مناديه بإباحة مُتْعَة النساء فلم يزل به يحيى بن أكثم وروى له حديث الزهري عن ابني الحنفية عن أبيهما محمد عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَهَى عن متعة النساء يوم خيبر ، فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق وأبطلها .

وأما مسألة القرآن فلم يرجع عنها ، وصمّم عليه في سنة ثمان عشرة[2] ومائتين ، وامتحن العلماء ، فعوجل ولم يُمْهَلْ — توجه غازياً إلى أرض الروم فلما وصل إلى البَدَنْدُون مرض، وأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم ، ثم توفي بالبَدَنْدون ، فحمله ابنه العباس إلى طرسوس ، ودفنه بها في دار خاقان

---

١ ص : عشر .

٢ ص : ثمانية عشر .

خادم أبيه ، رحمه الله . ومن شعر المأمون :

لساني كَتومٌ لأسراركُمْ ودمعي نَمومٌ لسِرّي يذيعُ
فلَولا دُموعي كَتَمتُ الهوَى ولولا الهوَى لم تكن لي دموع

وله أيضاً :

أنا المأمونُ والملكُ الهُمامُ ولكِني بحبّــكَ مُستَهامُ
أتَرْضَى أن أموتَ عليكَ وَجْداً ويَبقى النّاسُ ليسَ لهم إمامُ

ومن شعره :

بعَثتُكَ مرتاداً ففُزتَ بنَظرَةٍ وأغفَلتَني حتّى أسأتُ بكَ الظنّا
وناجيتَ مَنْ أهوَى وكنتَ مقارباً فيا ليت شعري عن ذنوبك ما أغنى
فيا ليتني كنتُ الرسولَ وكنتني فكنتَ الذي يقصَى وكنتُ الذي أُدنى

٢٣٩

ابن المعتز

عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن العباس ، ابن المعتز بن المتوكل [ابن المعتصم] [١] بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، الأديب صاحب الشعر البديع

٢٣٩ – الزركشي : ١٥٧ وتاريخ بغداد ١٠ : ٩ والأغاني ١٠ : ٢٨٦ والمنتظم ٦ : ٨٤ وأشعار أولاد الخلفاء : ١٠٧ – ٢٩٦ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٤ والشذرات ٢ : ٢٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣٨ وكتب التاريخ في حوادث (٢٩٦) ؛ وهي ليست من المستدرك على ابن خلكان إذ وردت ترجمة ابن المعتز ٣ : ٧٦ ، كذلك فانها وقعت من حيث الترتيب هنا متأخرة عن موضعها ، ولم يعودنا المؤلف ذلك في سياق كتابه ، ولكنها ثابتة في ص بخط المؤلف .

١ سقطت من ص .

والنثر الفائق؛ أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي ، مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين : قامت الدولة ، ووثبوا على المقتدر وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط لا يقتل بسببي مسلم ، ولقبوه بالمرتضي بالله ، وقيل المنصف بالله ، وقيل الغالب بالله ، وأقام يوماً وليلة ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وتحاربوا هم وأعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى دَسْته ، واختفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص الجوهري ، فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم ، فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساءٍ ، وقيل إنه مات حتْفَ أنفه ، وليس بصحيح ، بل خنَقَه مؤنس ، ودفن في خرابة إزاء داره ، وقصته مشهورة فيها طول ، وهذا خلاصتها .

وكان شديد السمرة ، مَسْنُون الوجه ، يخضب بالسواد ، وله من التصانيف كتاب « الزهر والرياض ». كتاب « البديع ». كتاب « مكاتبات الاخوان بالشعر ». كتاب « الجوارح والصيد » . كتاب « أشعار الملوك » . كتاب « السرقات » . كتاب « الآداب » . كتاب « حلي الأخيار » . كتاب « طبقات الشعراء » . كتاب « الجامع في الغناء » . كتاب « أرجوزة في ذم الصبوح »[1] ، قال فيه ابن بسام يرثيه :

لله درّك من ميْتٍ بمضيعةٍ ناهيك في العلم والآداب والحسبِ
ما فيه لو ولا ليتَ فتنقصه وإنما أدركته حِرْفَةُ الأدب

وقال فيه بعض الأدباء :

لا يبعد الله عبدَ الله من ملكٍ سامٍ إلى المجدِ والعلياء مذ خلقا
قد كان زَيْنَ بني العباس كلهم بل كان زين بني الدنيا حِجًى وتُقى
أشعاره زيَّفت بالشعر أجمعه فكلُّ شعر سواها بهرَجٌ ولَقى

---

١ التصانيف التي عدها هنا لم ترد في المطبوعة .

قال بعض مَنْ كان يخدمه : إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خَزَفَةً وكتب بالجص :

سقياً لظل زماني وعيشيَ المحمودِ
ولّى كَلَيْلَةِ وصلٍ قدّامَ يومِ صدود

قال : وضربَ الدهر ضَرَبَاته ، ثم عُدْت بعد قتل ابن المعتز فوجدت خطه خفياً، وتحته مكتوب :

أفٍّ لظل زماني وعيشيَ المنكودِ
فارقْتُ أهلي وإلفي وصاحبي وودودي
ومن هويت جفاني مطاوعاً لحسودي
يا ربِّ مَوْتاً وإلا فراحةً من صدودِ

وكان ابن المعتز حنفي المذهب ، لقوله من أبيات :

فهاتِ عُقاراً في قميصِ زجاجةٍ كياقوتةٍ في درةٍ تتوقدُ
وقتنيَ من نارِ الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس يجحد

وكان سُنِّيَّ العقيدة منحرفاً عن العلويين ، ولهذا قال في قصيدته البائية التي أولها[1] :

ألا من لعين وتسكابها تشكى القذى وبكاها بها[2]

منها :

نَهيت بني رَحمي لو وعوا نَصيحة[3] برّ بأنسابها
وراموا قريشاً[4] أسود الشرى وقد نشبتْ بين أنيابها

---

١ انظر أشعار أولاد الخلفاء : ١٤٧ حيث ورد بعض هذه القصيدة .
٢ الصولي : تشكى القذى وهواها بها .
٣ ص : بصحة .
٤ ص : قريش .

قتلنا أميةَ في دارها فكنا أحقّ بأسلابها
وكم عصبة قد سَقَتْ منكمُ الخلافةَ صاباً بأكوابها
إذا ما دَنَوْتُمْ تلقتكمُ زَبونا وفرّتْ بحلابها
ولما أبى الله أن تملكوا دعينَا إليها فقمنا بها
وما رد حجابها وافداً[1] لنا إذ وقفنا بأبوابها
كَقُطْبِ الرحى وافقت أختها دعونا بها وعلينا بها
ونحن ورثنا ثيابَ النبيّ فكم تجذبون بأهدابها
لكم رَحِمٌ يا بني[2] بنته ولكن بنو العمّ أولى بها
به نَصَرَ الله مَحْل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها
ويوم حُنَين قد اعيتكم[3] وقد أبدت الحرب عن نابها
فمهلاً بني عمنا إنها عطية رب حبانا بها
وأقسم أنكم تعلمون أنّا لها خيرُ أربابها

وقد أجابه صفي الدين الحلي في وزنها ورويها ، وهو قوله[4] :

ألا قل لشرِّ عبيد الإله وطاغي قريش وكذّابها
وباغي العناد وناعي العباد وهاجي الكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبي وتجحدها فضل أحسابها
بكم بَاهَل المصطفى أم بهم فردّ العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجسَ أم عنهمُ لطهر النفوس وألبابها
أما[5] الرجس والخمرُ من دأبكم وفَرْطُ العبادة من دابها

---

١ ص : وافد .
٢ ص : بنو .
٣ ص : فداعيكم .
٤ ديوان الحلي : ٩٢ .
٥ ص : أم .

وقلتم ورثنا ثياب النبيّ فكَمْ تجذبون بأهدابها
وعندك لا تورثُ الأنبياءُ فكيف حظيتم بأثوابها
فكذَّبت نفسك في الحالتين ولم تعلم الشهدَ من صابها
أجَدُّكَ يرضى بما قلته وما كان يوماً بمرتابها
وكان بصفِّين في حزبهم[1] لحربِ الطغاةِ وأحزابها
وقد شمر الموتُ عن ساقه وكشَّرتِ الحربُ عن نابها
فأقبلَ يدعو الى حيدرٍ بإرغابها وبإرهابها
وآثر أن يرتضيه الأنامُ من الحكمين لإسهابها[2]
ليعطي الخلافةَ أهلاً لها فلم يرتضوه لإيجابها
وصلى مع الناس طولَ الحياة وحيدرُ في صدرِ محرابها
فهلا تقمصها[3] جدُّكم إذا كان إذ ذاك أحرَى بها
وإذ جُعِلَ الأمرُ شورى لهم فهل كان من بعضِ أربابها
أخامسهم كان أم سادساً وقد جليت بين خطابها
وقولك : أنتم بنو بنته ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنتِ أيضاً بنو عمهِ وذلك أدنى لأنسابها
فدَعْ في الخلافة فصل الخلاف فليست ذَلُولاً لركّابها
وما أنت والفحْصَ عن شأنها وما قمّصُوكَ بأثوابها
وما شاورتك[4] سوى ساعةٍ فما كنتَ أهلاً لأسبابها
وكيفَ يخصُّوكَ يوماً بها ولم تتأدبْ بآدابها
وقُلْتَ : بأنكم القاتلون أسودَ أمية في غابها

---

١ ص : حربهم .
٢ الديوان : لأسبابها .
٣ ص : تقمصها .
٤ الديوان : ساورتك .

كذبتَ وأسرفتَ فيما ادعيتَ ولم تنهَ نفسكَ عن عابها
فكم حاولَتْها سرَاة لكم فردت على نكص أعقابها
ولولا سيوفُ أبي[1] مُسْلمٍ لعزتْ على جهدٍ طلابها
وذلك عبدٌ[2] لهم لا لكم رعى فيكُمُ قرْبَ أنسابها
وكنتم أسارى بطونِ الحُبُوسِ وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحبَاكم بها وقمصكم فضلَ جلبابها
فجازيتموه بشر الجزاءِ لطغوى النفوسِ وأعجابها
فدع ذكر قومٍ رضوا بالكفافِ وجاءوا الخلافةَ من بابها
هم الزاهدون هم العابدون هم العالمونَ بآدابها
هم الصائمون هم القائمون هم الساجدون بمحرابها
هُمُ قطبُ مكةَ دين الإلَه ودور الرحاء بأقطابها[3]
عليك بلهوك بالغانياتِ وخَلِّ المعالي لأصحابها
ووصف العِذَارِ وذات الخمار ونعت العقار بألقابها
وشعرك في مدح ترك الصلاة وسعي السقاة بأكوابها
فذلك شأنك لا شأنهم وجَرْيُ الجياد بأحسابها

ومن قول ابن المعتز في هذه المادة :

فأنتم بنو بنته دُونَنَا ونحنُ بنو عمه المُسْلمِ

ومن شعر ابن المعتز قولُه في الهلال والثريا :

قد انقَضَتْ دولة الصيام وقد بَشَّرَ سقم الهلال بالعيدِ
يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ يفتح فاه لأكلِ عنقود

---

١ ص : أبو .
٢ ص : عبداً .
٣ الديوان : ودور الرحي حول أقطابها .

وقال أيضاً :

في ليلة أكَلَ المحاقُ هلالها   حتى تَبَدّى مثل وَقْفِ العاجِ
والصبحُ يتلو المشتري فكأنّه   عريان يمشي في الدجى بسراج

ومنه في وصف روضة :

تُضاحِكُ الشمسُ أنوارَ الرياض بها   كأنما نُثِرَتْ فيها الدنانير
وتأخذُ الريحُ من دخانها عبقاً   كأن تربتها مسكٌ وكافور

ومنه [1] :

أطال الدهرُ في بغدادَ همي   وقد يشقى المسافر أو يفوزُ
ظللتُ بها على كرهي مقيماً   كعنّينٍ تعانقه عجـوز

وقال :

كأن بكأسها ناراً تَلَظّى   ولولا الماء كان لها حريقُ
كأن غمامةً بيضاء بيني   وبين الراح تخرقها البروق

وقال :

أهلاً بفطر قد أتاك هلالُهُ   الآن فاغد على المدام وبكّرِ
وانظر إليه كزورقٍ من فضة   قد أثقلته حمولَةٌ من عنبر

وقال :

يا رب إن لم يكن في قربه طمعٌ   وليس لي فَرَجٌ من طول جَفْوتِـهِ
فَابرِي [2] السقام الذي في غنج مقلته   واستُرْ محاسنَ خديه بلحيته

وما أحسن قول الأمير أسامة بن مُنْقِـذ في هذا المعنى [3] :

---

١ ديوانه ٣ : ٩٩ .
٢ يريد : فأبرئ .
٣ ديوان أسامة : ٤٨ .

يا ربّ خُذْ بيدي من ظلم مقتدرٍ   عليّ قد لج في ظلمي وعدواني
ليِّنْ قساوته لي أو فيسر لي   صبراً لأحظى بوصل أو بسلوان
أو فاطفِ جمرةَ خدّيه وأيقظ[4] جفـ   ـنيه اللذين أراقا ماء أجفاني

ومن شعر ابن المعتز عفا الله عنه :

يا رُبَّ ليلٍ سَحَرَ كلّهُ   مفتضح البدر عليل النسيمْ
لم أعرفِ الإصباحَ في ضوءه   لما بدا إلا يسكر النديم

٢٤٠
تاج الدين اليمني

عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله ، تاج الدين اليمني المخزومي المكيّ ؛ ولد بمكة في شهر رجب سنة ثمانين وستمائة ، وتوفي في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ورد الى دمشق أيام الأفرم وأقام فيها متصدراً بالجامع يقرىء الطلبة « المقامات الحريرية » والعروض وغير ذلك من علوم الأدب، وقرر له على ذلك مائة درهم في كل شهر على مال الجامع الأموي ، ثم توجه الى اليمن وكتب الدرج لصاحب اليمن وربما وزر له ، ثم لما مات الملك المؤيد صادره ولده وأخذ منه ما حصّله ، ثم ورد الى مصر سنة ثلاثين وسبعمائة ، وفوض اليه تدريس المشهد النفيسي وشهادة البيمارستان المنصوري ، ثم ورد إلى دمشق سنة إحدى وثلاثين ورتب مصدراً بالحرم في القدس ، فأقام به مدة ، وتردد إلى دمشق ، ثم باع

---

٤ ص : وانفظ .

٢٤٠ – الزركشي : ١٦١ والدرر الكامنة ٢ : ٤٢٣ والعقود اللؤلؤية ١ : ٣٦٢ والشذرات ٦ : ١٣٨ والبدر الطالع ١ : ٣١٧ (وجعل وفاته سنة ٧٤٤) ؛ وقد أخلت المطبوعة بقسم كبير من هذه الترجمة .

وظائفه[1] وتوجه إلى القاهرة وبها توفي ، رحمه الله .

وكان شيخاً طوالاً حسن الشكل والعمة حلو الوجه ، قادراً على النظم والنثر ، وكان ضنيناً بنفسه ، يعيب كلام القاضي الفاضل وغيره ويظن أن كلامه خير من كلام الفاضل، ويفضل ابن الأثير عليه، وكان خطه جيد قوي، عمل تاريخاً للنحاة ، وذيل تاريخ ابن خلكان بذيل قصير جداً رأيته لم يبلغ به ثلاثين رجلا، وكان يعظم نفسه ويمدحها، ولكلامه وقع في النفوس إذا أطنب في وصف فضائله. فمن شعره:

تجنّب أن تُذَمَّ بك الليالي وحاولْ أن يُذِمَّ لك الزمانُ
ولا تحفلْ إذا كملت ذاتا أصبتَ العزَّ أم حصل الهَوَان

ومنه :

بخلت لواحظُ مَنْ رأينا مقبلا برموزها ورموزهنَّ سلامُ
فعذرت نرجسَ مقلتيه لأنه يخشى العذار فإنه نمام

أخذ هذا المعنى من قول الأول ، وهو أحسن وأكمل :

لافتضاحي في عوارضه سببٌ والناس لوامُ
كيف يخفى ما أكابده والذي أهواه نمام

وقال في حمار وحش :

حمارُ وحشٍ نقشه مبدع فلا يُضاهَى حسنه في الملاحْ
فمذ غدا في حسنه أوحدا[2] تشاركا فيه الدُّجى والصباح

وقال يهجو مدينة عدن :

عدنٌ اذا رمتَ المقامَ بأرضها فلقد أقمتَ على لهيب الهاويَهْ
بلدٌ خلا عن فاضلٍ وصدورُهُ أعجازُ نخلٍ اذ تراها خاويه

---

١ ص : وضايفه .
٢ ص : أوحد .

وقال :

لا أعرف النومَ في حاليّ جفا ورضى ... كأنّ جفنيَ مطبوعٌ من السُّهُدِ
فليلةُ الوصل تمضي كلها سمراً ... وليلة الهجر لا أُغفي من الكمد

وقال :

لو لم تكن وجرةُ منشا عفرها ... ما طاب وصف نورها وغفرها[1]
منازلاً[2] لولا الصبا ما شاقني ... نور أقاحيها وظلّ سدرها
إن المغاني كالغواني لم تزل ... معشوقةً تصبي بحسن ذكرها
علامَ أهوى منزلاً ما عطرت ... فجاجه سلمى بنشر عطرها
ولا غدت تسحبُ ذيل مرطها[3] ... فيه ولا مدت حبال خدرها
مرّتْ على الوادي فمال نحوها ... أراكهُ يبغي ارتشافَ ثغرها
وراعها منــه الحصى فسيّرت ... يمينها تكشف عقدَ نحرها
غزالةٌ إن سفرت لناظرٍ ... رأيت ليلي في فروعِ شعرها
تملي على خلخالها شكايةً ... من ردفها مرفوعةً عن خصرها
يا حبذا منها أصيلُ وصلها ... لو لم ينغّصْهُ هجيرُ هجرها
سارت بها فوارسٌ من وائلٍ ... قد أطلعتْ كواكباً من سمرها
وخلفتني في الديار نادباً ... أبكي طلولَ رسمها وعقْرها
أعملتُ في طلابها رواحلاً ... بوخدها تفري أديمَ قفرها
والليلُ مثلُ غادةٍ زنجيةٍ ... قد زانها عشاقها بدُرّها
وصفحة الأفق كمثلِ روضةٍ ... تبدو لنا أنوارها من زهرها

وقال أيضاً :

---

١ ر : روضها وعفرها ؛ ص : وعقرها .
٢ ر : منازل .
٣ ص : مطرها .

لعلَّ رسولاً من سعادَ يزورُ فيشفي ولو أنَّ الرسائل زورُ
يخبرنا عن غادة الحي هل ثَوَتْ وهل ضُرِبَتْ بالرقمتين خدور
وهل سنحت في الروض غزلانُ عالجٍ وهل أثلهُ بالساريات مطير
ديارٌ لسلمى حاكها واكفُ الحيا اذا ذُكِرَتْ خلت الفؤادَ يطير
كأن غنا الورقاء من فوق دَوْحها قيان وأوراق الغصون[1] ستور
تمايل فيها الغصنُ من نشوة الصبا كأن عليه للسلاف مدير
متى أطلعتْ فيه الغمائمُ أنجماً تلوحُ ولكن بالأكفِّ تغور
اذا اقتطعتها الغانياتُ رأيتها نجوماً جنتها في الصباح بدور
وفي الكلّة الوردية اللون غادةٌ أسيرٌ[2] لديها القلبُ حيث تسير
بعيدةُ مهوى القرطِ أمّا أثيثُها فضافٍ وأما خطوُها فقصير
من العطرات العُرب[3] مازان فرقَها ذرورٌ ولا شاب الثيابَ بخور
حمتها كماةٌ من فوارسِ عامرٍ ضراغمةٌ يومَ الهياج ذكور
فما الحبُّ إلا حيث تشتجر القنا وللأسدِ في أرجائهنّ زئير

٢٤١

ابن وهبون المرسي

عبد الجليل بن وَهْبون ، أبو محمد ، الملقب بالدمعة المرسي .

قال ابن بسامٍ في ترجمته : شمس الزمان وبَدْرُه ، وسرّ الإحسان وجَهْرُه ،

---

١ ص : الفنان ؛ وأثبت ما في ر .
٢ ص ر : أسيراً .
٣ العرب : سقطت من ر .
٢٤١ — القلائد : ٢٤٢ والذخيرة (القسم الثاني) والمطرب : ١١٨ والزركشي : ١٦٢ وصفحات متفرقة من نفح الطيب وبدائع البدائه ، وبغية الملتمس (رقم : ١١٠١) .

ومُستودع البيان ومُستقره، أحد من أفرغ في وقتنا فنون المَقَال، في قالَب السِّحر الحلال، وقيد شوارد الألباب، بأرق من ملح العتاب، وأروق من غفلات الشباب، اجتاز بالمرِيّة، في بعض رحلِهِ الشرقية، وملكُها يومئذ أبو يحيى بن صُمادح فاهتز لعبد الجليل واستدعاه، وعرض له بجملة وافرة، فلم يعرج على ذلك، وارتحل عن بلده وقال:

دنا العبدُ لو تَدنُو به كعبَة المُنى ورُكنُ المعالي من ذُؤابة يَعرُبِ
فيا أسفا للشِّعر تُرْمى جماره ويا بعدَ ما بين النقا والمحصّب

ومن عجيب ما اتفق أن عبد الجليل وأبا إسحاق بن خفاجة تصاحبا في طريق مخوف، فمرا بعلمين وعليهما رأسان، كأنهما بسرٍّ متناجيان، فقال ابن خفاجة:

ألاَ ربّ رأسٍ لا تحَاور[1] بينه وبين أخيه والمزارُ قريبُ
أناف به صلدُ الصفا فهو منبرٌ وقام على أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل:

يقول حذارِ الإغترار فطالما أناخَ قتيلٌ بي ومرّ سليب

قال: فما تم كلامهما حتى لاح قَتَام ساطع، كأن السيوف فيه بَرْق لامع، فما تجلّى إلا وعبدُ الجليل قتيل وابن خفاجة سليب، فكأنما كشف له فيما قال ستر الغيب.

ومن شعره يمتدح المعتمد بن عباد[2]:

بيني وبينَ الليالي همّةٌ جلَلُ لو نالَها البدرُ لاستخذى[3] لهزُحلُ
من أين أبخس لا في ساعدي قِصَرٌ عن المساعي ولا في همتي خطل

١ ر ص: تجاوز.
٢ لم ترد في المطبوعة.
٣ ص ر: لاستجدى.

ذنبي إلى الدهر إن أبدى تعنته ذنبُ الحسام اذا ما أحجم البطل

وهي طويلة جداً .

ومن شعره في النيلوفر :

وبركة تزهو بلينوفرٍ[1] نسيمه يشبه ريحَ الحبيبْ
حتى إذا الليلُ دنا وقتُهُ ومالت الشمس لحين المغيب
أطبق جفنيه على إلفه وغاص[2] في الماء حذار الرقيب

وقال :

زعموا الغزال حكاهُ قلت لهم نعم في صدّه عن عاشقيه وهجرِهِ
قالوا الهلال شبيهه فأجبتهم إن كان قيسَ إلى قلامةِ ظفره
وكذا يقولون المدامُ كريقهِ يا ربّ لا علموا مذاقةَ ثغره

وقال أيضاً :

يعزّ على العلياء أنيَ خاملٌ وأن أبصرت مني خمودَ شهابِ
وحيث ترى زندَ النجابة وارياً فثم ترى زند السعادة كابي

وقال في مغنية لابسة حلياً :

إني لأسمعُ شدْواً لا أحققه وربما كذبت في سمعها الأذنُ
متى رأى أحدٌ قبلي مطوّقةً إذا تغنت بلحنٍ جاوب الفنَنُ

وقال :

بنفسي وإن كنتُ لا نفسَ لي فقد سلبتها لحاظُ المُقَلْ
عذارٌ وخدٌّ كما يحتوي سوادُ القلوبِ بياضَ الأمل

---

[1] كذا في الأصلين ، وهو صواب أيضاً .
[2] ص : وغاض .

وأنشد[1] المعتمد بن عباد يوماً قول المتنبي :

إذا ظفرتْ منك العيونُ بنظرةٍ أثابَ لها مُعْيي المَطِيِّ ورازمُهْ

فجعل المعتمد يردّده استحساناً له فقال عبد الجليل :

لئن جادَ شعرُ ابنِ الحسينِ فإنّما تجيدُ العطايا واللّهى تفتحُ اللّها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروي شعره لتألها

وجلس يوماً المعتمد وبين يديه جارية تسقيه ، فلمع البرق فارتاعت ، فقال :

روّعها البرق وفي كفها برقٌ من القهوة لماعُ
عجبتُ منها وهي شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع

وأنشد الأول لعبد الجليل فاستجازه ، فقال :

ولن ترى أعجبَ من آنسٍ من مثلِ ما يمسكُ يرتاع

ومن شعر عبد الجليل :

غزال يُسْتَطاب الموتُ فيه ويَعْذبُ في محاسنه العَذابُ
يقبله اللثامُ هوىً وشوقاً ويجني ورد خدّيه النقاب

وقال :

سقى فسقى الله الزمانَ من اجله بكأسين من لميائه[2] وعقاره
وحَيّا فحيا الله دهراً أتى به بأطيبَ من ريحانِه وعراره

وكان للمعتمد خادم[3] يسمى خليفة ، فأمره أن يأتي بنبيذ ، فأخذ وعاء يسمى

---

١ ص : وأنشدني .
٢ ص : لمياه .
٣ ص : خادماً .

القمصال [1] وأتى إليهم فعثر ووقع القمصال فانكسر ، ومات خليفة ، فأخبر المعتمد بذلك فقال [2] :

أنأمن والحياة لنا مخيفه ونفرح والمنون بنا مطيفه

[فقال ابن عمار] [3] :

وفي يوم وما أدراك يوم مضى قمصالنا ومضى خليفه

[فقال ابن وهبون] [3] :

هما فخّارتا راحٍ وريحٍ تكسرتا فأشقافٌ وجيفه

٢٤٢

عبد الحق ابن سبعين

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين ، الشيخ قطب الدين أبو محمد المُرْسي الصوفي ، كان صوفياً على قواعد الفلاسفة ، وله كلام كثير في العرفان وتصانيف ، وله أتباع ومريدون يُعرَفون بالسبعينية .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق

١ القمصال : آنية خزفية ، والجمع قماصل (انظر ملحق دوزي) .

٢ أورد المقري هذه القصة في النفح ٣ : ٢٤٣ ووقع فيها ابن زيدون موضع ابن وهبون .

٣ سقط من ص ، وهو ثابت في ر .

٢٤٢ — النجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٢ والشذرات ٥ : ٣٢٩ ولسان الميزان ٣ : ٣٩٢ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٦١ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩١ (وفيات سنة ٦٦٩) وعنوان الدراية ١٣٩ والاحاطة : ٣١٧ (النسخة الكتانية) ونفح الطيب ٢ : ١٩٦ وفيه نقل عن « درة الأسلاك » وله ترجمة في المنهل الصافي وفي الوافي (راجع مقدمة رسائله بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ؛ القاهرة ١٩٥٦) .

العيد قال : جلست مع ابن سبعين من ضَحْوة إلى قريب الظهر وهو يَسرُد كلاماً تُعقَل مفرداته ولا تعقل مركباتُه .

قال الشيخ شمس الدين : واشتهر عنه أنه قال : لقد تحَجَّرَ ابن آمنة واسعاً بقوله « لا نبيّ بعدي » ،فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام ، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين :إنه حقيقة الموجودات ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وحدثني فقير صالح أنه صحب فقراء[1] من السبعينية ، وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك ، قال : وسمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه ، وترك الدم يخرج حتّى تصفى ، ومات بمكة في ثامن عشرين شوال سنة ثمان وستين وستمائة ، وله من العمر خمس وخمسون سنة .

قال الشيخ صفي الدين الهندي : حَجَجْتُ سنة ست وستين ، وبحثت مع ابن سبعين في الفلسفة ،فقال لي : لا ينبغي لك المقام بمكة ،فقال له : فكيف تقيم أنت بها ؟ قال: انحصرت القسمة فيقعودي بها ،فإن الملك الظاهر يَطلُبني بسبب انتمائي إلى أشراف مكة ، واليمن صاحبها له[2] فيّ عقيدة ولكن وزيره حشويّ يكرهني .

قال صفي الدين : وكان ابن سبعين قد داوى صاحب مكة من مرض كان به فبرىء ، فصارت له عنده مكانة ، يقال : إنه نفي من المغرب بسبب كلمة كفر صدرت عنه وهي قوله : لقد حجَّر ابن آمنة كما مرّ في ترجمته. ويقال: إنه كان يعرف السيمياء[3] والكيمياء ،وإن أهل مكة كانوا يقولون إنه أنفق فيهم ثمانين ألف دينار ، وإنه[4] كان لا ينام كل ليلة حتّى يكرر على ثلاثين سطرا من كلام غيره ، فإنه لما خرج من وطنه كان ابن ثلاثين سنة ، وخرج معه جماعة من الطلبة والأتباع

---

١ ص : فقيراً ، وأثبت ما في ر .
٢ ر : لي .
٣ ر : السيما .
٤ ر : وإن .

فيهم الشيوخ ، ولما أبعدوا بعد عشرة أيام أدخلوه الحمام ليزيل وَعثاءَ السفر ، ودخلوا في خدمته، وأحضروا له قيماً، فأخذ القيم يحُك رجليه ويسألهم عن وطنهم لما استغربهم ، فقالوا له من مُرسية ، قال : من البلد الذي ظهر فيه[1] هذا الزنديق ابن أبي[2] سبعين؟ فأومأ إليهم أن لا يتكلموا[3] وقال : نعم ، فأخذ يسبه ويلعنه ، وابن سبعين يقول له : استَقصِ في الحكّ ، وذلك القيم يزيد في اللعن والشتم ، إلى أن فاض أحدهم غضباً[4] وقال له: ويلك هذا الذي تَسُبّه قد جعلك الله تحكّ رجليه وأنت في خدمته أقل غلام تكون، فسكت خجلاً وقال: أستغفر الله .

ويحكون عنه أشياء في الرياضة ، وكلامه مفحل محشو بقواعد الفلاسفة ، وله كتاب « البدّ » يعني لا بدّ للعارف منه وكتاب « الإحاطة » ومجلدة صغيرة في الجوهر ، وغير ذلك ، وله عدّة رسائل بديعة[5] المعنى فصيحة الألفاظ ، منها رسالة « العهد » وهي : يا هذا هل عمرك إلاّ كَلَمْحٍ[6] ، أو عطاء مكدٍ[7] لا سَمْح . وآصالك لهو وعطل[8] ، وأسحارك سهوٌ وعلل؛ وهي على هذا الأسلوب؛ وكانت وفاته كما تقدّم ذكره[9] .

---

١ ر : البلد التي ظهر فيها .

٢ هذه زيادة في ص ر ، ولعل إثباتها يدل على جهل قيم الحمام .

٣ ص ر : أن لا يتكلمون .

٤ ر : غيظاً .

٥ ر : بليغة .

٦ ص : كلح ؛ ر : كملح .

٧ ص : ملد .

٨ ر : وعلل .

٩ ر : كما ذكرنا في سنة ثمان وستين وستمائة .

٢٤٣
ابن عطية المفسر

عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين ، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي ؛ حدث عن أبيه وغيره ، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارعاً في الأدب ، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيال ، ولو لم يكن له إلاّ التفسير لكفى .

ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بحصن لورقة .

٢٤٤
عبد الحق الاشبيلي

عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد ، أبو محمد الأزدي الإشبيلي ويعرف بابن الخراط ؛ روى عن شريح بن محمد ، وأبي الحكم بن برّجان وغيرهم ، وأجاز له ابن عساكر ، ونزل بجاية وقت فتنة الأندلس ، فبثّ بها علمه وصنف التصانيف وولي الخطبة والصلاة بها .

---

٢٤٣ – معجم شيوخ الصدفي : ٢٥٩ وقضاة النباهي : ١٠٩ وبغية الملتمس (رقم : ١١٠٣) والصلة : ٣٧٦ والقلائد : ٢١١ ونفح الطيب ١ : ٦٧٩ (وصفحات أخرى في ج : ٢) وبغية الوعاة : ٢٩٥ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

٢٤٤ – عنوان الدراية : ٢٠ والتكملة ، رقم : ١٨٠٥ والشذرات ٤ : ٢٧١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٤٣ .

وكان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله ، موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع والتقلل من الدنيا ، مشاركاً في الأدب وقول الشعر ، وصنف في الأحكام نسختين كبرى وصغرى ، وجمع بين الصحيحين وبوّبه ، وجمع الكتب الستة ، وله كتاب « في المعتل من الحديث » وله كتاب « الزهد » وكتاب « العاقبة في ذكر الموت » وكتاب « الرقائق » ومصنفات أخر ، وله كتاب حافل في اللغة ضاهى به كتاب الهروي ، وتوفي بعد محنة نالتْه من قبل الولاية ؛ روى عنه أبو الحسن المعافري ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

ومن شعره :

إنّ في الموت والمعادِ لشغلاً ... وادّكاراً لذي النُّهَى وبلاغا
فاغتنم خطتَين قبلَ المَنايا ... صحة الجسمِ يا أخي والفراغا

٢٤٥
شمس الدين الخسروشاهي

عبد الحميد بن عيسى بن عمويه[١] بن يونس بن خليل ، الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو محمد الخسرو شاهي[٢] ؛ ولد سنة ثمانين وخمسمائة بخسروشاه ، وتوفي بدمشق سنة اثنتين وخمسين وستمائة[٣] . اشتغل بالعقليات على الإمام

٢٤٥ – طبقات السبكي ٥ : ٦٠ وابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧٣ وعبر الذهبي ٥ : ٢١١ والشذرات ٥ : ٢٥٥ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٢ والاسنوي ١ : ٥٠٣ وقال ان الذهبي ذكره في التاريخ ؛ وهذه الترجمة لم ترد في المطبوعة .

١ الأسنوي : عمر . ٢ نسبة إلى خسروشاه وهي قرية قريبة من تبريز .

٣ قال ابن أبي أصيبعة : ولما وصل إلى دمشق اجتمعت به فوجدته شيخاً حسن السمت مليح الكلام قوي الذكاء محصلا للعلوم .

فخر الدين ابن خطيب الريّ ، وسمع من المؤيد الطوسي ، وبرع في الكلام وتفنن في العلوم ودرّس وأقرأ ، واشتغل عليه زين الدين ابن المرحل خطيب دمشق والد الشيخ صدر الدين وغيره ، ودفن بقاسيون ، واختصر « المهذب » لأبي إسحاق ، واختصر « الشفا » لابن سينا ، وتمم « الآيات البينات » التي للإمام فخر الدين الرازي ، وهذه « الآيات البينات » غير النسخة الصغيرة التي هي عشرة أبواب .

وكتب إليه سعد الدين محمد بن عربي :

يميناً لقد أحيَيتَ علمَ أفاضلٍ مضوا فرأيناهُ لديك جميعا
ولو لم أكذّبْ قلتُ إنّك منهمُ فلَيتَ لقولي سامعاً ومطيعا
لأنّك أنت الشمس والشمس إنْ تغبْ فإنّ لها بعدَ المَغيبِ طُلوعا

ورثاه عز الدين الضرير الاربلي الغنوي[1] بقوله :

بموتكَ شمسَ الدين ماتَ الفضائلُ وأقفر من ذكرِ العلومِ المحافلُ
أصابَ الرّدى شمسَ الورَى عندما استوَت وأودى ببدرِ الفضلِ والبدرُ كامل
فتًى عالمٌ بالحقّ ، بالخيرِ عاملٌ وما كلّ ذي علمٍ من الناسِ عامل
فتًى بذّ كلّ العالمينَ[2] بصمتِـهِ فكيف إذا وافَيتَهُ وهو قائل
فربعُ الحجى من بعده اليوم قد خلا وجيد المعالي من حلى الفضل عاطل
أتَدري المَنايا مَنْ رَمَتْ بسهامِها وأيّ فتًى أودَى وغال الغوائل
رمتْ أوحدَ الدنيا وبحرَ عُلومِـها ومَن قصّرَتْ في الفضل عنه الأوائل

ورثاه الصاحب نجم الدين ابن[3] اللبودي بأبيات منها :

أيا ناعياً عبد الحميدِ تصبّرَنْ[4] عليّ فإنّ العلم أُدرجَ في كفَنْ

---

١ ص : العنوى . ٢ ابن أبي أصيبعة : القائلين .
٣ ابن : لم ترد في عيون الانباء .
٤ ص : تصبرا .

مضى مفرداً في فضلِهِ وعُلومه وعدتُ فريد الوجد والهمّ والحزن
فيا عينُ سُحّي بالدموعِ لفقدهِ فما حُسن صبري اليومَ من بعده حسن
تلَقّته أصنافُ الملائك بهجةً بمقدمه الأسنى على ذلك السَّنَن
تَقولُ له أهلاً وسَهلاً ومرحباً بخيرِ فتىً وافى إلى ذلك الوطن

٢٤٦

عز الدين ابن أبي الحديد

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد ، عز الدين المدائني المعتزليّ الفقيه الشاعر أخو موفق الدين،ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة ، وهو معدود في أعيان الشعراء ، وله ديوان مشهور ، روى عنه الدمياطي ، ومن تصانيفه « الفلك الدائر على المثل السائر » صنفه في ثلاثة عشر يوماً ، وكتب إليه أخوه موفق الدين :

المثلُ السائرُ يا سيدي صَنَّفتَ فيه الفلكَ الدائرا
لكنّ هذا فلكٌ دائرٌ أصبحتَ فيه المثل السائرا

ونَظَم « فصيح » ثعلب في يوم وليلة ، وشرح « نهج البلاغة » في عشرين مجلد[1] ، وله تعليقات على كتاب « المحصل والمحصول » للإمام فخر الدين .

---

٢٤٦ – الزركشي : ١٦٣ وذيل مرآة الزمان ١ : ٦٢ وابن الشعار ٤ : ٢١٣ وابن خلكان ٥ : ٣٩٢ والبداية والنهاية ١٣ : ١٩٩ وقال فيه ابن الشعار : « خدم في عدة أعمال سواداً وحضرة آخرها كتابة ديوان الزمام ، تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري ثم على أبي الخير مصدق ابن شبيب الواسطي ، واشتغل بفقه الإمام الشافعي وقرأ الأصول ، وكان أبوه يتقلد قضاء المدائن » قلت : راجع أيضاً صفحات متفرقة من الحوادث الجامعة ومقدمة شرح نهج البلاغة (تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) .

١ كذا في ص ر .

ومن شعره :

وحقك لو أدخلتني النار قلتُ للـ ـذين بها قد كنتُ ممن يحبّهُ
وأفنيت عمري في دقيقق علومه وما بغيّتي إلا رضاه وقربه
هَبُوني مسيئاً أوتغ الحلم جهله وأوبقه دون البرية ذَنبُه
أما يقتضي شرعُ التكرّم عفوَهُ أيحسنُ أن يُنْسَى هواه وحبه
أما رد زيغ ابن الخطيب وشكَّهُ وتمويهُ في الدين إذ عزَّ خطبه
أما كان ينوي الحقَّ فيما يقوله ألم تنصرِ التوحيدَ والعدلَ كتبه
وغاية صدقِ الصبِّ أن يعذبَ الأسى إذا كان من يهوى عليه يصبه

فردّ عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى بقوله :

علمنا بهذا القول أنك آخذٌ بقولِ اعتزالٍ جلَّ في الدِّين خطبُهُ
فتزعم أنَّ اللهَ في الحشرِ ما يُرَى وذاك اعتقادٌ سوف يرديك غبّه
وتنفي صفاتِ الله وهي قديمةٌ وقد أثبتتها عن إلاهك كتبه
وتعتقدُ القرآنَ خَلْقاً ومحدثاً وذلك داءٌ عزّ في الناسِ طبّه
وتثبتُ للعبدِ الضعيف مشيئةً يكونُ بها ما لم يقدّره ربه
وأشياء من هذي الفضائح جمة فأيكما داعي الضلالِ وحزبُه
ومن ذا الذي أضحى قريباً إلى الهدى وحامى عن الدين الحنيفيّ ذبُّه
وما ضرّ فخر الدين قولٌ[١] نظمته وفيه شناع مفرط إذ تسبه
وقد كان ذا نورٍ يقودُ إلى الهدى إذا طلعت في حندسِ الشك شُهبه
ولو كنت تعطي قدر نفسك حقّه[٢] لأخمدتَ جمراً بالمحال تَشُبُه
وما أنت من أقرانه يومَ معركٍ وما لك يوماً بالإمام تَشَبُّه

ومن شعره :

---

١ ص ر : قولا .
٢ ص : حقها .

لولا ثلاثٌ لم أخفْ صَرعتي   ليست كما قال فتى العبدِ
أن أنصرَ التوحيدَ والعدلَ في   كلّ مكان باذلاً جهدي
وأن أناجي الله مستمتعاً   بخلوةٍ[1] أحلى من الشهد
وأن أتيهَ الدهرَ كبراً على   كلِّ لئيم أصعر الخدّ
لذاك لا أهوى فتاةً ولا   خمراً[2] ولا ذا[3] ميعة نهد

قوله «ليست كما قال فتى العبد» هو طَرَفة بن العبد حيث يقول وقد سئل عن لذات الدنيا ، فقال : مركب وطي ، وثوب بهي ، ومطعم شهي ، فسُئل امرؤ القيس فقال : بيضاء رُعبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة،وسئل الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صَوْب غادية ؛ قال العَكوك : فحدثت بذلك أبا دُلف فقال :

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادي   واختيالي على متونِ الجيادِ
ورسولٌ يأتي بوعد حبيب   وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى يعارض ابن ابي الحديد[4] :

لولا ثلاثٌ هنّ أقصى المنى   لم أهبِ الموتَ الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي   تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في ردّ الحقوق التي   لصاحبٍ نلتُ به قصدي
وأن أرى الأعداء في صرعةٍ   لقيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم[5] الذي حمّ لي   قد استوى في القرب والبعد

---

١ ص : بجلوة .
٢ ص ر : خمر .
٣ ص ر : ذي .
٤ وقعت هذه القطعة في آخر الترجمة في ر .
٥ ص : لليوم .

وقال حميد الطوسي[1] :

ولولا ثلاث هُنّ من لذة الفتى | وحقّك لم أحفِل متى قام عودي
فمنهنّ سبقي العاذلات بشَربة | كُميتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تزبِد
وكري إذا نادى المضاف محنّباً[2] | كسِيدِ الغضا نبّهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن مُمكنٌ | ببهكنةٍ تحت الخباء المعمد

رجعنا إلى حديث ابن أبي الحديد :

وقال :

عن ريقها يتحدث المسواكُ | أرَجاً فهل شجرُ الأراكِ أراكُ
ولطرفها خنَثُ الجبانِ فإن رنت | باللحظ فهي الضيغم الفتاك
شرك القلوب ولم أخل من قبلها | أن القلوبَ تصيدها الأشراك[3]
يا وَجهَهَا المصقول ماء شبابه | ما الحتفُ لولا طرفك الفتاك
أم هل أتاك حديثُ وقفتها ضُحًى | وقلوبنا بشبا الفراقِ تشاك
لا شيء أفظع من نوى الأحباب أو | سيفِ الوصيّ كلاهما سفّاك

---

١ ر : وحدثت بذلك حميد الطوسي فقال ؛ والمعروف أن هذه الأبيات من معلقة طرفة . انظر السبع الطوال : ١٩٤ ، وديوانه : ٢٨ .

٢ ص : المصاف مجانباً ؛ والمضاف : الذي أدرك وتم اللحاق به ؛ محنباً ، فرساً ناقىء العظام ؛ والسيد : الذئب ، وذئب الغضا أخبث الذئاب .

٣ ص : الأتراك .

٢٤٧
الشيخ تاج الدين الفركاح

عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضيا، العلامة الإمام المفتي فقيه الشام، تاج الدين الفزاري البدري المصري الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة تسعين وستمائة . سمع من ابن الزبيدي وابن المنجا وابن اللتي ومكرم بن أبي الصقر وابن الصلاح والسخاوي وتاج الدين ابن حمُّويه ، وخَرَّجَ له البرزالي مشيخة عشرة أجزاء صغار عن مائة نفس ، وسمع منه ولده الشيخ برهان الدين وابن تيمية والمزي والقاضي ابن صَصرى وكمال الدين ابن الزَّملكاني وابن العطار وكمال الدين ابن قاضي شهبة وعلاء الدين المقدسي وزكي الدين زكرى وغيرهم ، وخرج من تحت يده جماعة من القضاة والمدرسين والمفتين [١] .

درس وناظر وصنف ، وانتهت إليه رياسة المذهب كما انتهت إلى ولده ، وكان ممن بلغ رتبة الاجتهاد ، ومحاسنه كثيرة ، وكان يلثغ بالراء غينا ، وكان لطيف الجثة ، قصيراً أسمر ، حلو الصورة ، ظاهر الدم ، مفركح الساقين ، وكان يركب البغلة ويحف به أصحابه، ويخرج معهم إلى الأماكن النزهة ويباسطهم، وكان مفرط الكرم .

وله تصانيف تدل على محله من العلم وتبحُّره ، وكانت له يَدٌ في النظم والنثر ؛ تفقه في صغره على الشيخ عز الدين ابن عبد السلام والشيخ تقي الدين ابن الصلاح

---

٢٤٧ – طبقات السبكي ٥ : ٦٠ والأسنوي ٢ : ٢٨٧ والزركشي : ١٦٣ وعبر الذهبي ٥ : ٣٦٨ والشذرات ٥ : ٤١٣ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٢٥ ومرآة الزمان ٤ : ٢١٨ والدارس ١ : ٢٨ والنجوم الزاهرة ٨ : ٤١ .

١ ص ر : والمفتيين .

وبرع في المذهب وهو شاب ، وجلس للاشغال وله بضع وعشرون سنة ، ودرس في سنة ثمان وأربعين ، وكتب في الفتاوى وقد كمل الثلاثين ، ولما قدم النواوي[1] من بلده أحضروه ليشتغل عليه ، بعث به إلى الرواحية ليحصل له بها بيت ويرتفق بمعلومها[2] ، وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار ، وإذا سافر إلى القدس يترامى أهل البر على ضيافته، وكان أكبر من الشيخ محيي الدين النواوي بسبع سنين ، وقيل إنه كان يقول : إيش قال النواوي في مزبلته ؟ يعني « الروضة » وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يسميه « الدُّوَيكَ » لحسن بحثه ، وقرأ عليه ولده برهان الدين وكمال الدين ابن الزملكاني وكمال الدين الشهبي وزكي الدين زكرى ، وكان قليل المعلوم كثير البركة ، ولم يكن له إلا تدريس الباذرائية مع ما له على المصالح .

دفن بمقابر باب الصغير ، وشيَّعه الخلق وتأسفوا عليه ؛ عاش ستاً وستين سنة وثلاثة أشهر . وله « الإقليد » في شرح « التنبيه » وهو جيد ، « وكشف القناع في حِلّ السماع » ، رحمه الله .

ومن شعره لما انجفل[3] الناس سنة ثمان وخمسين :

لله أيامُ جَمْعِ الشمل ما برحتْ ... بها الحوادثُ حتى أصبحتْ سمرا
ومُبْتَدا الحزنِ من تاريخ مسألتي ... عنكم فلَمْ ألقَ لا عَيناً ولا أثَرا
يا راحلينَ قدرتم فالنجاء لكُمْ ... ونحن للعجز لا نستعجز القدرا

وقال :

يا كريمَ الآباء والأجدادِ ... وسَعيدَ الإصدارِ والإيرادِ
كنتَ سَعداً لنا بوعدِ كَريمٍ ... لا تكُن في وفـائِهِ كسعادِ

---

١ ر : النووي (حيثما وقعت) .

٢ المعلوم : الدخل أو المرتب .

٣ ص : ان جفل .

وكتب إلى عون الدين ابن العجمي ملغزاً في اسم بيدرا[1] :

يا سيّداً ملأ الآفاق قاطبةً ... بكلّ فنٍّ منَ الألغازِ مبتكرِ
ما اسمٌ مسمّاهُ بدرٌ وهوَ مشتمِلٌ ... عليه في اللفظ إن خففت مبتدرِ[2]
وإن تكن مسقطاً ثانيه مقتصراً ... عليه[3] في الحذفِ أضحى واحدَ البدرِ

فكتب إليه الجواب :

يا أيّها العالِمُ الحبرُ الذي شهِدتْ ... لهُ فضائلُهُ في البدوِ والحضرِ
مقلوب خُمُسَيْ مسمّى أنت ملغزه ... يطوفُ ظاهره[4] نصاً على البشرِ
وما بقي منهُ وحشي مصحفُهُ ... من بعدِ قلبٍ بعكسٍ عند ذي البصرِ
هذا اسمُ من صار سلطان الملاحِ وقد ... حلاه وصفك إذ حلوهُ بالدّررِ

ومن شعره ذوبيت[5] :

ما أطيبَ ما كنتُ من الوجدِ لقيتْ ... إذ أُصبحُ بالحبيبِ صبّاً وأبيتْ
واليومَ صَحا قلبيَ من سكرته ... ما أعرفُ في الغرامِ من أينَ أُتيتْ

٢٤٨

أبو سليمان الداراني

عبد الرحمن بن أحمد ، السيد القدوة أبو سليمان الداراني العنسي — بالنون —

١ لم ترد هذه المقطوعة والتي تليها في المطبوعة .
٢ كذا في ص ر .
٣ ص : علي .
٤ ص : طاهر .
٥ ذوبيت : سقطت من ر .

٢٤٨ — تاريخ بغداد ١٠ : ٢٤٨ وحلية الأولياء ٩ : ٢٥٤ وطبقات السلمي : ٧٥ والأنساب=

أصله من واسط ، قال أحمد بن أبي الحواري : تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في النوم ، فرأيته بعد سنة فقلت له : يا معلم الخير ، ما فعل الله بك؟ قال : يا أحمد ، دخلت من باب الصغير ، فلقيت حِمْلَ شيحٍ ، فأخذت منه عوداً تخلّلت به ثمّ رميتُ به ، فأنا في حسابه من سنة ؛ ماتَ سنة خمس وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى[1] .

٢٤٩

أبو حبيب المغربي

عبد الرحمن بن أحمد ، أبو حبيب ؛ قال ابن رشيق : ولد بالمحمدية وتأدب بالأندلس ، وخالط أشراف الناس وأهل الأقدار ، برز في الأدب وصناعة الشعر وعلم الشروط ، فصار صَدْراً مذكوراً في كل واحد منها ؛ ومن شعره :

أضحى عذولي فيه من عشاقه ... لما بدا كالبَدرِ في إشراقه
وغدا يلومُ ولومُه لي غَيْرَةٌ ... منهُ علَيهِ ليس من إشفاقه
قمَرٌ تَنافَستِ الجوانح والصبا ... في حبّهِ لتَفوزَ عند عناقه
في خدّهِ نَوْرٌ تفتّحَ وردُهُ ... ألحاظُهُ منَعتهُ من عشّاقه
عرَض الوصال وظلّ يعرض دونه ... وتخلق المعسول من أخلاقه

= ٥ : ٢٧١ واللباب (الداراني) وصفة الصفوة ٤ : ١٩٧ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٧٩ البداية والنهاية ١٠ : ٢٥٥ ؛ وقد ترجم له ابن خلكان ٣ : ١٣١ فليست هذه الترجمة مما فاته إثباته ليعيدها الكتبي ، كذلك فإن تاريخ وفاته محط خلاف فقد قال ابن خلكان : وكانت وفاته سنة خمس ومائتين وقيل سنة خمس عشرة ومائتين ، وهذا هو الكتبي يجيء هنا بقول ثالث .

١ الترحم في ص وحدها ، ولم يرد في ر وذلك مطرد في الترجمات التالية ، ولذلك أكتفي بهذه الإشارة إليه .

٢٤٩ – الزركشي : ١٦٤ والمسالك ١١ : ٣٣٠ .

وغدا محاقُ البدرِ موعِدَ بينِهِ ... ورَحيلهُ فمُحقتُ قبلَ محاقِهِ

وقال :

وإني على شَوْقي إليهِ وصَبْوَتي ... أغارُ عليهِ في دُجى الليل إذ يسري
فبتُّ ودمعي مَزْجُ فيض دموعهِ ... أقبلُ ما بين التّرائبِ والنّحر
إذا همَّ أن يمضي جذبتُ بثَوبِهِ ... وأطبقتُ من خوْفي على مُقلَتَي شُفُري
وكم لَيلةٍ هانَتْ عَلَيَّ ذنوبُها ... بما بات يرويني من الريقِ والخمر
أقَبِّلُ منهُ الوردَ في غيرِ حينِهِ ... وألثمُ بدرَ التمِّ في غيبَةِ البدر
إلى أن بَدا نورُ التبلّجِ في الدجَى ... كنور جبينٍ لاح في ظلمة الشَّعْرِ[1]
وهَبّتْ نَسيمٌ للصباحِ كأنّها ... تَهبُّ بريحِ المسك أو خالص العطر
وقد نَبّهَ الساقي الندامى لقَهوةٍ ... كشعلةِ مصباحٍ خلا أنّها تجري

وقال :

مجري جفوني دماءً وهو ناظرها ... ومتلفُ القلبِ وجداً وهو مرتعهُ
إذا بَدا حَالَ دمعي دون رؤيتهِ ... يغار مني عليه فهو بُرْقُعهُ

٢٥٠

الصدفي مؤرخ مصر

عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ، الصَّدَفي المصري الحافظ المؤرخ ، أبو سعيد مؤرخ مصر ؛ ولد سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وتوفي سنة

---

١ إلى هنا تشترك ر مع ص في هذه الترجمة . ثم ينقطع النص لضياع أوراق .

٢٥٠ – الزركشي : ١٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٨٩٨ وعبر الذهبي ٢ : ٢٧٦ والشذرات ٢ : ٣٧٥ وحسن المحاضرة ١ : ٣٥١ ، ٥٥٣ والرسالة المستطرفة : ١٣٣ وليست هذه الترجمة مستدركة على ابن خلكان فقد ترجم له ٣ : ١٣٧ ، وقد أخلت المطبوعة ببعض أجزائها .

سبع وأربعين وثلثمائة ، وكان إماماً في علم التاريخ روى عنه ابن مندة وعبد الواحد بن محمد البلخي وجماعة من الرحالة ، وله كلام في الجرح والتعديل يدل على بصره بالرجال ومعرفته بالعلل ، وعمل لمصر تاريخين : أحدهما[1] — وهو الأكبر — يختص بأهل مصر ، والثاني يختص بذكر الغرباء الواردين على مصر ، وقد ذيلهما أبو القاسم يحيى بن عليّ الحضرمي ، وهو حفيد يونس بن عبد الأعلى صاحب الشافعي . ولما مات رثاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخشاب النحوي العروضي بقوله[2] :

بَثَثْتَ علمكَ تَشريقاً وتَغريباً ... وعدتَ بعدَ لذيذِ العيشِ مندوبا
أبا سَعيدٍ وما يألوكَ[3] إن نُشِرَتْ ... عنك الدواوينُ تصديقاً وتَصويبا
ما زلتَ تلهجُ بالتاريخ تكتبــهُ ... حتّى رأيناكَ في التاريخِ مكتوبا
أرّختُ موتكَ في ذكري وفي صحفي ... لمن يؤرّخهُ إن كنتَ مَحسوبا
نَشَرْتَ عن مصرَ من سكانها علماً ... مبجّلاً لجمالِ القومِ منصوبا
كشفتَ عن فخرهم للقوم[4] ما سجعتْ ... وُرْقُ الحمامِ على الأغصانِ تَطريبا
إنّ المكارمَ للإحسانِ موجِبَةٌ ... وفيك قد ركّبتْ يا عبدُ تركيبا
حجبتَ عنا وما الدنيا بمظهرةٍ ... شخصاً وإن جلّ إلاّ عاد محجوبا
كذلك الموتُ لا يُبقي على أحَدٍ ... مدى الليالي منَ الأحبابِ محبوبا

قوله :

ما زلت تلهجُ بالتاريخ تكتبــهُ ... حتّى رأيناكَ في التاريخِ مكتوبا

---

١ ر : أحدها .

٢ أوردها ابن خلكان ، كما وردت عند القفطي في انباه الرواة ٢ : ١٥٩ في ترجمة عبد الرحمن ابن إسماعيل الخشاب (– ٣٦٦) .

٣ ابن خلكان والقفطي : نألوك .

٤ ابن خلكان والقفطي : للناس .

مأخوذ من خبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أنه كان رجل مجنون في زمانه يمشي أمام الجنائز وينادي : الرحيل الرحيل ، لا تكاد جنازة تخلو منه ، فمرت يوماً جنازة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يره أمامها ، ولم يسمع نداءه ، فسأل عنه فقيل له : هو هذا الميت ، فقال : لا إله إلاّ الله :

ما زال يصرخُ بالرحيلِ منادياً حتّى أناخَ ببابهِ الجمّالُ

وقال الأصمعي : حدثني أبي قال : رأيت رجلاً على قصر أُوَيْس أيام الطاعون وبيده كوز يعدّ الموتى فيه بالحصى ، فعد في أول يوم ثمانين ألفاً ، وعدّ في الثاني مائة ألف ، فمرّ[1] قوم فرأوا على الكوز رجلاً[2] غيره ، فسألوا عنه فقال : وقَعَ في الكوز .

ومثل هذا قول التهامي[3] :

بَيْنَا يُرَى الإنسانُ فيها مُخبِراً حتّى يُرَى خَبَراً من الأخبارِ

٢٥١

أبو شامة

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، الإمام العلامة ذو الفنون

---

١ ص : فمروا .

٢ ص ر : رجل .

٣ ديوان التهامي : ٤٧ .

٢٥١ — ذيل الروضتين : ٣٧ وطبقات السبكي ٥ : ٦١ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٥٠ وغاية النهاية ١ : ٣٦٥ والدارس ١ : ٢٣ وبغية الوعاة : ٢٩٧ والزركشي : ١٠١ والسلوك ١ : ٥٦٣ وعبر الذهبي ٥ : ٢٨٠ وتذكرة الحفاظ : ١٤٦٠ والأسنوي ٢ : ١١٨ وقد عرف بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر .

شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل ، الدمشقي الشافعي الفقيه المقرىء النحوي ؛ ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق ، وكانت وفاته سنة خمس وستين وستمائة ، ودفن بمقابر باب كَيْسان .

قرأ القرآن وله دون العشر ، وجمع القراءات كلها سنة ست عشرة[1] على الشيخ علم الدين السخاوي ، وسمع بالإسكندرية من الشيخ أبي القاسم عيسى ابن عبد العزيز وغيره ، وحصل له سنة بضعٍ وثلاثين عناية بالحديث ، وسمّع أولاده ، وقرأ بنفسه ، وكتب الكثير من العلوم ، وأتقن الفقه ودرّس وأفتى ، وبرع في العربية ، وصنف شرحاً نفيساً للشاطبية ، واختصر « تاريخ دمشق » مرتين : الأول في عشرين مجلد والثاني في عشرة ، و « شرح القصائد النبوية للسخاوي » في مجلد ، وله كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين : النورية والصلاحية » وكتاب « الذيل » عليها ، وكتاب « شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى » وكتاب « ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري » و « المحقق في علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول » وكتاب « البسملة » الأكبر في مجلد ، وكتاب « البسملة » الأصغر ، وكتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » وكتاب « السواك » و « كشف حال بني عبيد » و « الأصول في الأصول » و « مفردات القراء » و « مقدمة نحو » ونظم « المفصل » للزمخشري ، وشيوخ البيهقي ، وغير ذلك .

وذكر انه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون[2] سنة ، وولي مشيخة الاقراء بالتّربة الأشرفية ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية[3] ، وكان متواضعاً مُطَّرِحاً للكلف ، أخذ عنه القراءات الشيخُ شهابُ الدين حسين الكفري والشهاب

---

١ ص ر : عشر .

٢ ص : وعشرين .

٣ نسبة إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ، وكانت هذه التّربة شمال الكلاسة (الدارس ٢ : ٢٩١ وما بعدها) .

أحمد اللبان وزين الدين أبو بكر بن يوسف المزي وجماعة ، وقرأ عليه « شرح الشاطبية » الشيخُ شرف الدين الفزاري الخطيب .

دخل عليه اثنان جبليان إلى بيته الذي بآخر المعمور من طواحين الأشنان ومعهم فتوى ، فضرباه ضرباً مبرّحاً كاد يتلف منه ، ولم يدر به أحد ولا أغاثه . وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشر رمضان ، ودفن بباب الفراديس ، وقيل بباب كيسان .

قال رحمه الله [تعالى] [١] : جـرَتْ لي محنة بداري بطواحين الأشنان فألهم الله الصبر ولطف ، وقيل لي اجتمع بولاة الأمر ، فقلت : أنا قد فوضت أمري إلى الله تعالى وهو يكفينا ، وقلتُ في ذلك :

قلتُ لمن قال أما تَشتكي ... ما قد جرَى فهو عظيمٌ جَليلْ
يُقيّض اللهُ تعالى لنـا ... مَنْ يأخذُ الحقّ ويشفي الغليل
إذا تَوكّلنا عليـه كَفَى ... وحسبنا اللهُ ونعمَ الوَكيل

ومن نظمه في السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلاّ ظلّه :

إمامٌ مُحِبٌّ ناشئٌ مُتَصَدّقٌ ... وباكٍ مُصَلٍّ خائفٌ سطوةَ الباسِ
يظلّهمُ اللهُ الجليـلُ بظلّـهِ ... إذا كانَ يومَ العرضِ لا ظلّ للناس
أشرتُ بألفاظٍ تـدلُّ عليهم ... فيذكرهم بالنظم من بعضهم ناسي

وقال في المعنى :

وقال النبيّ المصطفى إنّ سبعةً ... يظلهمُ اللهُ العظيمُ بظلّـهِ
محبٌّ عفيفٌ ناشئٌ مُتصَدّق ... وباكٍ مصلٍّ والإمامُ بعدلهِ

---

١ زيادة من ر .

٢٥٢
وضاح اليمن

عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كَلال الحميري الخولاني المعروف بوضاح اليمن ؛ قيل انه من الفرس الذين قدموا اليمن مع وهرز لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة ، وكان من حسنه يتقنع في المواسم مخافة العين ، وكان يهوى امرأة من اليمن اسمها روضة ويشبب بها في شعره ، فمن ذلك قوله :

قالت ألا لا تلجَنْ دارنا ... إن أبانا رجلٌ غـائرُ
قلتُ فإنّي طالبٌ غِرَّةً ... وإنَّ سيفي صارمٌ باتر
قالت فإنَّ القصرَ من دوننا ... قلتُ فإني فوقَهُ طائر
قالت فإنَّ البحرَ من دوننا ... قلتُ فإنّي سابحٌ ماهر
قالت فحَوْلي إخوةٌ سبعةٌ ... قلتُ فإنّي لهم حاذِر
قالت فليثٌ رابضٌ دونَنا ... قلتُ فإنّي أسَدٌ عـاقر
قالت فإنَّ الله من فوقنا ... قلتُ فربّي راحمٌ غافر
قالت فقد أعيَيْتَنا حجّةً ... فأتِ إذا ما هَجَعَ السامر
واسقطْ علينا كسقوطِ الندى ... ليلة لا ناهٍ ولا آمِر

وهذه الأبيات عدّها أرباب البديع في المراجعة ؛ وأما هذا المعنى – قوله « واسقط علينا كسقوط الندى » – فقد اشتهر ونظم الشعراء في معناه كثيراً ، وأصله لامرىء القيس حيث قال :

سَمَوْتُ إليها بعدما نام أهلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ

---

٢٥٢ – الأغاني ٦ : ١٩٨ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ٢٩٥ والنجوم الزاهرة ١ : ٢٢٦ .

وما أحسن قول صر درّ في قصيدته التي أولها [1] :

عسى [2] رائحٌ يأتي بأخبار من غدا [3]

وهو :

وحَيٍّ طرقناهُ على غيرِ [4] موعدٍ فما إن وجدنا عند نارهمُ هدى
وما غَفَلَتْ أحراسهم غيرَ أننا سقطنا عليهم مثلَ ما يسقط [5] الندى

ولما وقف بعض الظرفاء على قصيدة وضاح اليمن ووصل إلى قوله : « قلت فربي راحم غافر » كتب على الحاشية : هذا نياك بالدبّوس ما يرجع .

ولما استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الوليدَ بن عبد الملك في الحج أذن لها وهو خليفة ، وهي زوجته ، وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً أن يذكرها أحد منهم ، أو يذكر أحداً [6] ممن معها ، فقدمت مكة وتراءت الناس ، وتَصَدّى لها أهل الغزل والشعراء ، ووقعت عينها على وضاح اليمن فهويته ، وأنفذت إلى كثير عزة وإلى وضاح اليمن أن انسبا بي ، فكره ذلك كثير وشبب بجاريتها غاضرة ، وذلك في قوله [7] :

* شجا أظعان غاضرة الغوادي *

وأما وضاح اليمن فإنه صرح ، فبلغ ذلك الوليد فقتله .

---

١ ديوان صر در : ٣٨ – ٣٩ وهي في مدح زعيم الدولة بركة بن مقلد العقيلي .
٢ الديوان : ترى .
٣ عجزه : وهل يكتم الأنباء من قد تزودا .
٤ الديوان : زور .
٥ الديوان : سقط .
٦ ص ر : أحد .
٧ ديوان كثير : ٢١٩ وعجز البيت : بغير مشورة عرضاً فؤادي ؛ والرواية في ص ر : سقى أظعان . . . وهو وهم . وفي ص ر : أضعان .

وقيل إنه مدح الوليد ، فوعدته أم البنين أن تساعده وتعينه على رِفْدِه ، فقدم على الوليد وأنشده :

صبا قَلْبي إليكِ وَمالَ ميلا   وأرّقَني خيالك يا أثيلا
يمانية تُلمّ بنا فتُبدي   دَقيقَ محاسنٍ وتكنّ غيلا

وهي أبيات مشهورة ، فأحسن رِفْدَهُ ، ثم نما إليه أنه يشبب بأم البنين ، فجفاه وحجبه ودبر في قتله ، واختلسه ودفنه في داره .

وقيل إن أم البنين كانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها ، فإذا خافت وارته في صندوق عندها ، فأهدي إلى الوليد جوهر فأعجبه ، ودعا خادماً وبعث به إلى أم البنين ، فدخل عليها مفاجأة ووضاح عندها ، فرآه وقد وارته في الصندوق ، فقال لها : يا مولاتي هبي لي منه حجراً ، فقالت : يا ابن اللخْناء : لا كرامة [1] فرجع الخادم إلى الوليد وأخبره الخبر ، فقال له كذبت ، وأمر به فَوُجِئت عنقه ، ثم أتى أم البنين وهي تمشط في بيتها [2] ، وقد وصف له الخادم الصندوق ، فجاء فجلس عليه وقال لها : يا أم البنين ما أحب إليك هذا البيتَ من دون البيوت ، فلم تختارينه [3] ؟ قالت : أختاره لأنه يجمع حوائجي كلها ، فأتناولها منه من قريب على ما أريد ، قال لها : هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، فقالت : كلها لك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما أريد كلها وإنما أريد واحداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، قال : هذا الذي جلست عليه ، قالت : غيره خذ فإنّ لي فيه أشياء أحتاج إليها قال : ما أريد غيره ، قالت : خذه ، فدعا بالخدم ، وأمرهم بحمله حتى انتهى به إلى مجلسه، وحفر بئراً عميقاً [4] في المجلس إلى أن وصل إلى الماء، ووضع الصندوق على شفير البئر ، ودنا منه وقال : يا صندوق إنه بلغنا شيء ، فإن كان حقاً فقد

---

١ كذا في ص ر ؛ والأشهر أن يقال : لا ولا كرامة .
٢ ص : بنتها (دون إعجام للباء) .
٣ ص ر : تختاريه .   ٤ الصواب : عميقة .

كفيناك ودفناك وقطعنا ذكرك إلى آخر الدهر . وإن كان باطلاً فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك ، ثم قذف به في البئر وهال عليه التراب ، وسُوّيت الأرض ، وردّ البسط إلى حاله ، وجلس الوليد ، وما رأى الوليد ولا أم البنين في وجه واحد[1] منهما أثراً حتى فرّق الدهر بينهما .

٢٥٣
الرشيد النابلسي

عبد الرحمن بن بدر بن الحسن ابن المفرِّج بن بكّار ، رشيد الدين النابلسي الشاعر المجيد ؛ مدح الناصر وأولاده وأولاد العادل ، وهو عمّ الحافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النابلسي .

قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني رشيد الدين النابلسي ، وقد رأى مليحاً بديع الصورة بين أسودين قبيحي الصورة :

لله مَنْ عايَنَتْ عَيْني محاسِنَهُ يَوْماً فَعوّذتُهُ بالله مِن عَيْني

---

١ ص : واحداً .

٢٥٣ – الزركشي : ١٠١ وابن الشعار ٣ : ٣٧٧ وقال فيه : « كثير الشعر نبيه الذكر ذو نظم مستجاد أحسن في إنشائه وأجاد ، يجمع السهولة والمتانة والعذوبة والرصانة ، امتدح الملوك من بني أيوب ملوك الشام ، وأكرموه بفضل أدبه غاية إكرام ، ثم غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة ، تأدب على أبي اليمن الكندي وقرأ عليه كثيراً من مسموعاته واشتغل في صباه على فتيان الشاغوري ، ورحل إلى بغداد وقرأ المقامات الحريرية على أبي الفضل منوجهر البغدادي الكاتب ، واتصل بأخرته بالملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفي ؛ وكان مشغوفاً بشرب الخمر إلى حين مماته ، وكان نزقاً مر المذاق شرس الأخلاق جافي الطباع ، وديوان شعره يدخل في مجلدين » اهـ . قلت وانظر ابن خلكان ٥ : ٣٦٦ وهو عنده عبد الرحمن ابن محمد بن بدر ، ولقبه مدلويه .

يختالُ كالغصنِ تيهاً في شَمَائله | ما بين عبدين لون الليل عِلْجينِ
فقلت والشوق يطويني وينشرني | لم ألقَ قبلك صبحاً بين ليلين
فمرّ يضحك مِن قولي وقال بلى | كم قد رأى الناس سعداً بين نحسين

وأنشدني لنفسه :

يا مَنْ عيونُ الأنام تَرقبُهُ | رقبةَ شهرِ الصيام والفطرِ
وإنما يُرْقَبُ الهلال فلِمْ | تُرْقب بعدَ الكمال يا بَدري

ومن شعره قصيدة لها أربع قوافي :

كم الحَشا معذّبُ | موجع على المدى | صب الفؤاد مغرمُ
بنـــاره يلتهب | ملذع ما خمدا | أواره والضرم
حكم فيه أشنب | ممنع من الفدا | فهو الأسير المسلم
مُبتعـدٌ مُجتنب | مودع تعمـدا | وهو القريب الأمم
زمـانه تعتب | وولع قد أكدا | مَنْ عزّ فهو يحكم
ما الحبّ إلاّ لهب | ومدمع تجـدّدا | ولوعة وسَقَم
يا هل إليه سبَب | ممتـع يولي يدا | من لبُّهُ مُختَرَم
ما أنا إلاّ أشعب | وأطمع فيما عدا | فما إليهِ سُلَّم

ومن شعره :

مالك والوُرْقُ على أوراقها | تعجمُ ما تعربُ[1] عن أشواقها
دَعْها وما هَيَّجهَـا فإنهَـا | أوالِفٌ تَفَـرق في فرَاقها
وإنما يَريبُ ذا الوجـدِ بها | ملبسها الحليَّ في أطواقها
أفدي الأولىفارقتُهم فَمُهجتي | لا تَطمَعَ الأساةُ في إفراقها[2]

---

١ ص : يعرب .
٢ الأساة : الأطباء ، والافراق : الابلال من مرض .

سَرَوْا بدوراً في دجى غدائرٍ   أعاذها الرحمن مِنْ محاقِها
غَوَارِباً أفْلاكها غَوارِبٌ   تزري بضوءِ الشمس في إشراقها
تُسَاقُ للبَيَن المُشتّ عيسُها   وأنفسُ العشاقِ في سياقها
فكم حشاً يطوى على حريقه   وأدمعٍ تنشر في آماقِها

وقال أيضاً :

هزَّ لَدْناً من قَدّهِ سَمْهَرِيا   ومِنَ اللحظِ صارماً مشرفيا
شادنٌ أرسل الجفونَ سِهاماً   حين أبدى مِنْ حاجبيه قِسيّا
منْ بَنِي الترك ما رنا ورمى حبّـ   ـةَ قلب إلا وأصمى الرميّا
مخطَّف الحصر والسهام وما أر   شَقَ في الرمي راشقاً تركيّا
فهو شاكي السلاح ما زال منقـ   ـل محبيه يركب المنهيّا

وكانت وفاة الرشيد في شهور سنة تسع عشرة وستمائة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله .

٢٥٤

ابن أبي العاص الأموي

عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي أخو مروان ؛ شاعر محسن شهد يوم الدار ، وتوفي في حدود السبعين للهجرة ، وكان حاضراً عند يزيد بن

١ ص ر : بدور .
٢ ص : عشر .
٢٥٤ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر الأغاني ١٥ : ٨١ ، ١٣ : ٢٦٠ قال أبو الفرج : شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه ، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان ؛ وانظر أيضاً ابن خلكان ٦ : ٣٥٩ .

معاوية وقد جيء إليه برأس الحسين ووضع بين يديه في طست، فبكى عبد الرحمن وقال :

أبْلغ أميرَ المُؤمنين فلا تكنْ　　كموترِ قوسٍ ثم ليس لها نبلُ
لهامٌ بجنب الطفّ أدنى قَرَابَةً　　من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل
سميّةُ أمسى نسْلها عَدَدَ الحصى　　وبنت رسول الله ليس لها نسل

قال : فصاح يزيد ، اسكت يا ابن الحمقاء ، ما لك ولهذا ؟

وقال لما ادعى معاوية زياداً [1] :

ألا أبلغ معاويةَ بن حرب　　مغلغلةً من القرمِ الهجانِ
أتغضبُ أن يقال أبوك عفٌّ　　وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد　　كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً　　وصخرٌ من سمية غير داني

فبلغ ذلك معاوية فحلف لا يرضى عنه حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد ، فلما دخل عليه قال : إيهٍ يا عبد الرحمن ، أنت القائل : « ألا أبلغ معاوية بن حربٍ » . . . الأبيات ؟ قال : أيها الأمير ، ما قلت هذا ولكني قلت :

ألا من مبلغ عني زياداً　　مغلغلةً من الرجل الهجانِ
من ابن القرم قرم بني قصي　　أبي العاص ابن آمنةَ الحصان
حلفتُ برب مكة والمصلّى　　وبالتوراة أحلف والقران

---

١ وردت في الأغاني ١٣ : ٢٦٦ منسوبة إليه ووردت عند ابن خلكان (٦ : ٣٥٠) منسوبة لابن مفرغ ، ثم قال ابن خلكان (٦ : ٣٥٩) وفيها خلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد الرحمن بن الحكم ، فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول هكذا :

ألا أبلغ معاوية بن صخر　　مغلغلة عن الرجل اليماني

ومن رواها لعبد الرحمن روى البيت الأول :

ألا أبلغ معاوية بن صخر　　لقد ضاقت بما تأتي اليدان

لأنت زيادة في آل حرب   أحبّ إليّ من وسطى بناني[1]
سررت بقربه وفرحت لما   أتاني الله منه بالبيان
وقلت اني[2] أخو ثقة وعمٌّ   بعون الله في هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتى   فما أدري بغيبٍ ما تراني

فرضي عنه زياد وكتب الى معاوية برضاه عنه . فلما وصل إلى معاوية قال : أنشدني ما قلته[3] لزياد ؛ فأنشده ، فتبسم وقال : قبح الله زياداً[4] فما أجهله ؛ لما قلت الله «لأنت زيادة في آل حرب » . . . البيت ، شرٌّ من الأول ولكنّك خدعته فجازت خديعتك عليه .

٢٥٥

قاضي القضاة ابن بنت الاعز

عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة بن بدر ، قاضي القضاة تقي الدين أبو القاسم ، ابن قاضي القضاة تاج الدين العلامي المصري الشافعي ، المعروف بابن بنت الأعز ؛ كان جدّه لأمّه يعرف بالقاضي الأعز ؛ وزير الملك الكامل [بن] أبي بكر بن أيوب ، وعَلامة — بالفتح والتخفيف — قبيلة من لخم .

١ ص ر : بنان .
٢ الأغاني : له .
٣ ر والأغاني : قلت .
٤ ص : زياد .
٢٥٥ — البداية والنهاية ١٣ : ٣٤٦ وطبقات السبكي ٥ : ٦٤ والأسنوي ١ : ١٥١ والزركشي : ١٦٦ والنجوم الزاهرة ٨ : ٨٢ والشذرات ٥ : ٤٣١ ورفع الأصر ٢ : ٣٢٧ .

سمع من الرشيد العطار وغيره ، وتفقه على ابن عبد السلام وعلى والده ، وكان فقيهاً إماماً مناظراً بصيراً بالأحكام ، جيد العربية ، ذكياً كاملاً نبيلاً رئيساً ، شاعراً محسناً فصيحاً مُفَوهاً ، وافر العقل كامل السؤدد ، روى عنه الدمياطي في معجمه شيئاً من نظمه ؛ توفي كهلاً سنة خمس وتسعين وستمائة .

وولي الوزارة مع القضاء ثم استعفى من الوزارة ، وتولى القضاء بعده الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، امتحن في الدولة الأشرفية على يد شمس الدين ابن السلعوس ثم نجاه الله تعالى منه، ويقال: لما حكم بتعزيره نهره ابن السلعوس وأقامه، فقالوا له:[هذا]تعزير مثل هذا ،فقال: لا بدّ من زيادة، فقالوا : ينزل من القلعة إلى باب زويلة ماشياً ، ولم ينله منه مكروه بعد عزله من القضاء أكثر من هذا ، وسكن القرافة ، وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي، ثم سافر إلى الحج فقضى الفريضة وزار مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنشد بها القصيدة البليغة من نظمه وهي :

الناسُ بين مُرَجِّزٍ ومقَصِّدِ ومطَوّلٍ في مدحه ومُجَوِّدِ
ومخبر عَمَّنْ روى ومعبر عَمّا رآه من العـلا والسؤدد

منها :

ما في قوى الأذهان حصر صفاتك الـ عليا ومالَكَ من كريمِ المحتدِ
ومنِ المحيطُ بكنه معنّى مدهشٍ بهرَ العقول بمصدر وبمورد
فإذا البصائر فيه تنفذ أدركت منـه معاني حسنُها لم ينفد
ورأتك في مرآتها شمس الضحى طلعت بكل تنوفة وبفدفد
فأفادت البصر الصحيح إنارة تقوى على البصر الضعيف الأرمد
وأخو الهوى في طرفه وفؤاده مرضٌ يصدّ عن الطريق الأرشد
جَحَدَ الظهيرةَ نورها وآهاً له حُرِمَ السعادة كلها إن[1] يجحد

---

١ ص ر : لن .

حظ الموفَّقِ أن يتابع دائما أخلاقك الغرّ الكرام ويقتدي

منها في الإسراء :

لم ترتفع لله عن خفضٍ ولم تقربْ إليـه من مكان مبعد
لكن أرى محبوبَهُ ملكوته حتى يشاهدَ فيه ما لم يشهد
وأراه كيف تفاضُلُ الأملاك والـ رسل الكرام وكان غير مقلد
ورأت له الأملاكُ في ملكوته جاهاً وقدراً مثله لم يوجد

منها :

هل جاء قبلك مرسلٌ بخوارقٍ إلا وجئتَ بمثله أو أزيد
فعصا الكليم تبدّلتْ أعراضها وكذا عصاك تبدلت بمهند
نبعتْ عيون الماء من حَجَرٍ لنا والنبعُ في الأحجار كالمتَعَوَّد
إن البعيدَ من العوائد كلها نبعٌ بدا بين الأصابع في اليد
هذي هي الكف التي قد أصبحت بحراً إذا مدحوا لنا الكف الندي

منها :

ومحبة المولى هي الأصل الذي لم يثن عزمك فيه رأيُ مُفَنِّدِ
ومن الذي يجلى عليـه جهرة ذاك الجمال فلم يخرَّ ويسجد
صلواتُ ربك والسلامُ عليك ما حُيِّيتَ من متوجه متعبد

منها :

وجرى بذكرك لفظه في وقفة لخطابه أو جلسة المتشهدِ
وإذا مررتَ على القلوب فكنت كالـ أرج الذكيّ يردُّ روح المكمد
وعلى صحابتك الكرام وآلك الـ بُرءاء من قول الجهول المفسد
وعلى ضجيعيك اللذين تشرّفا بالقرب منك بمقعدٍ وبمرقد
لمكانةٍ في الدين ما خفيتْ على متبصر[1] قرأ العلوم مسدد

---

١ ص : متبصراً .

قاما بنصرك في الحياة عبادةً وجلادةً أزرتْ على المتجلِّد
وتكفلا بعد المماتِ بنصرةِ الـ ـدين الحنيفِ على الكفور الملحد
وتقلدا الأمرَ العظيمَ فأصبحا حُجَجاً على كلٍّ امرىءٍ متقلد
تالله قد جدّا وما ونيا ولا اخـ ـتارا الأخفَّ على الأشق الأجهد[1]
وكلاهما بـِزُلال فضلك يرتوي وبفضل بُرْدٍ من شعارك يرتدي
كانا سعادةَ كلٍّ عبدٍ صالح وشقاوةَ الباغي الجهولِ المعتدي

٢٥٦
ابن المسجف

عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف ، الأديب بدر الدين الكناني العسقلاني ابن المسجف الشاعر ؛ ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة . كان أديباً ظريفاً خليعاً ، توفي فجأة ، وخلف خمسمائة ألف درهم فأخذها الجوادُ صاحب دمشق ، وله أخت عمياء فقيرة ، فمنعها حقها من ميراثها .

وكان بدر الدين يتجر ، وله رسوم على الملوك ، وأكثر شعره في الهجو .

قال القوصي في معجمه : كان الشريف شهاب الدين ابن الشريف فخر الدولة ابن أبي الجن الحسيني رحمه الله تعالى لما ولاه السلطان الملك الناصر أعزه الله تعالى النقابة على الطالبيين من الأشراف اجتمع في داره للتهنية جماعةُ الولاة والقضاة والصدور ، وسألني الجماعة إنشاء خطبة تقرأ أمام قراءة المنشور ، فذكرت خطبة على البديهة جمعت فيها بين فضل أهل البيت عليهم السلام وبين شكر السلطان على توليته

١ ص : الأحمد .

٢٥٦ – الزركشي : ١٦٧ وابن الشعار ٣ : ٤٧٩ .

وما أولاه من الإحسان ، فحضر بدر الدين ابن المسجف رحمه الله تعالى المجلس وأنشد هذه الثلاثة الأبيات لنفسه :

دارُ النقيبِ حوتْ بمن قد حلّها   شرفاً يقصّر عن مداه المطنبُ
أضحت كسوق عكاظَ في تفضيلها   وبها شهابُ الدين قسٌّ يخطب
الفاضلُ القوصيُّ أفصح من غدا   عن فضله في العصر يعرب معرب [1]

وأنشدني المذكور لنفسه في الشرف الحلي الشاعر [2] :

يقولون لي ما بال حظك ناقصاً   لدى راجح رب الفهاهة والجهل
فقلت لهم إني سميُّ ابنِ ملجم   وذلك إسمٌ لا يقولُ به حلّي

وأنشدني لنفسه هذين البيتين ، وكان قد قالهما ببغداد وقد جاء مطر كثير [3] يوم عاشوراء ، وكان فصل الصيف :

مطرت بعاشورا وتلك فضيلة   ظهرتْ فما للناصبيّ المعتدي
والله ِ ما جاد الغمامُ وإنما   بكتِ السماء لرزء آلِ محمد

وأنشدني لنفسه يمدح الكمال القانوني :

لو كنتَ عاينتَ الكمالَ وجَسَّه   أوتارَ قانونٍ له في المجلسِ
لرأيت مفتاحَ السرورِ بكفّه الـ   ـيسرى وفي اليمنى حياةَ الأنفس

وأنشدني لنفسه :

ولقد مدحتهمُ على جهلٍ بهم   وظننتُ فيهم للصنيعة موضعا
ورجعتُ بعد الإختبار أذمّهم   فأضعتُ في الحالين عمري أجمعا

ومثل هذا قول سبط التعاويذي [4] :

---

١ ص : يعرب .   ٢ هو راجح الحلي ، وقد تقدمت ترجمته في حرف الراء .
٣ ص ر : مطراً كثيراً .
٤ الأصوب : سبط ابن التعاويذي ؛ وانظر ديوانه : ٣٦٨ .

قضيتُ شطرَ العمرِ في مدحكم ظناً بكم أنكمُ أهلُه
وعدتُ أفنيه هجاءً لكم فضاع عمري فيكمُ كله

ولابن المسجف :

يا رب كيف بلوتني بعصابةٍ ما فيهمُ فضلٌ ولا إفضال
متنافري الأوصافِ بصدقُ فيهم الـ ـهاجي وتكذبُ فيهم الآمال
غَطّى الثراءُ على عيوبهمُ وكم من سَوْءةٍ غطّى عليها المال
جُبَنَاء ما استنجدتهم لملمة لُؤماء ما استرفدتهم بُخّال
فوجوههم عُوَذٌ[1] على أموالهم وأكفهم من دونها أقفال
هم في الرخاء إذا ظفرتَ بنعمة آلٌ وهم عند الشدائد آل

وقال :

أنا في جيلٍ خسيسٍ وقبيلٍ وزمانِ
أمدح السلطان كي يصـ ـبحَ مالي في أمان
هكذا كان أبو تما مَ قبلي وابن هاني

وقال :

قالوا تلقب بدرَ الدين مفتخراً نجلُ الجنوبيّ من قد زَيَّن الأُمنا
فقلت لا تعجبوا منه فذا لقبٌ وقفٌ على كل نحسٍ والدليل أنا

وقال :

ثلاثة أشياء ثقلن بجلّقٍ على كلّ قلب بالدليل المحققِ
تزهد قاضينا الخويّي وطرحةُ الـ ـشهاب وإسلامُ الحكيمِ الموفق

وقال في ابن القصار الفارقي :

وغريرٍ كأنه غصن تين أحول المقلتين مُرٌّ لَمَاهُ

---

[1] ص ر : عوذاً .

قلت ما الإسمُ قد أطال عنائي   قال مسعود قلت من لا يراه

وقال في جماعة بدمشق :

تسعةُ رهطٍ في جلّق جمعوا   ليس لهم في الفساد من عاشر
الأعور التاج والشُّقَيْشِقَةُ الصفا   ر وابن الخطيب والكافر
. . . .   والفسوة الشاعر[1]
. . . .   يخفي بغاءً دليله ظاهر

وقال يخاطب الملك العادل ، وقد أمر بنزح الماء من الخندق لأجل عمارة البرج :

أرحْ من نزحِ ماء البرجِ قوما[2]   فقد أفضى إلى تعبٍ وعيّ
مُرِ القاضي بوضع يديه فيه   وقد أضحى كرأس الدولعيّ

وقال في جماعة حول الملك الأشرف :

وخمسة عند موسى لا خلاقَ لهم   ما فيهمُ أبداً نفعٌ لمخلوقِ
ابن المحوّر والدخوار والفلك الـ   ـمصريّ وابن جرير وابن مرزوق

وقال يخاطب الملك المعظم لما طولب بالزكاة :

أيا ملِكاً حوى علماً وجوداً   وحاز لِكلّ مكرمةٍ وفضلِ
ومَنْ هو كالمسيحِ اسماً وفعلاً   ونصباً للحياة وجزم محل
يكلفني البهاءُ زكاةَ مالِ   حرام كلهُ مِنْ غير حل
وكيف يقومُ بالزكواتِ مَنْ لا   يَصوم ولا يحجّ ولا يُصلي
فجدْ[3] بهِباتِ ذلك لي فإني   أجِلُّ زكاتكم عَنْ مال مثلي

---

١ كذا ، بياض في هذين البيتين في كل من ص ر ، ولم ترد الأبيات عند الزركشي .
٢ ص : قوم .
٣ ص : فخذ .

وقال :

قالوا علام رفضْتَ الشعر مطرحاً   فقلت من قلة الإنصاف في زمني
لا المدح يورثني مالاً أسر بِهِ   ولا الهجاءُ إلى سؤلي يُقَرِّبني
حتى يُقالَ أديب شاعر فطن   حرٍ امْ كُلٍّ أديب شاعرٍ فطن

وقال في محيي الدين ابن الجوزي رسول الخليفة وكان يتردد إلى الملوك في الرسائل فمات منهم جماعة متقاربون[1] يخاطب الخليفة المستنصر :

يا إمامَ الهدى أبا جعفر المنصو   ر يا مَنْ لهُ الفخارُ الأثيلُ
ما جرى مِنْ رسولك الشيخ محيي الـ   ـدين في هذه البلاد قليل
جاء والأرضُ بالسلاطين تزهو   فغدا والقصورُ منهم طلول
أقفر الروم والشآمُ ومصر   أفهذا مغسِّلٌ أم رسول

وقال في جماعة بدمشق :

خمسُ تيجانَ لا يُساوونَ نعلاً   رثّ في قيمة ولا مقدارِ
الشحيرير والأعيور والقصّا   ر وابن المِصريّ وابن الحواري

وقال في ابن الزكي والجمال يونس المصري :

يقيسون يحيى بالفِعال بيونسٍ   وهذا على ضدّ القياس المؤسسِ
وكيف يصح الحكمُ والحوتُ بالع   لذاكَ ، وهذا بالعٌ حوتَ يونسِ

ومن شعره في الغرز خليل والي دمشق :

ما خَلِيلٌ بخليل لا ولا   صحبه[2] أهلُ صلاح بل فسادِ
لَقّبُوهُ الغرزَ لا جهلاً به   صدقوا لكنهُ غرزُ جراد

وقال يمدح الملك الكامل :

---

[1] ص : متقاربين .   [2] ص : اصحابه .

إذا لبسَ الدِّرْعَ مستلئِماً وكرسيه صهوةُ الصاهلِ
تَرى الأرضَ محمـرّةً بالدما ومخضرةَ اللونِ بالنـائل

وقال على لسان بنت الملك الأشرف في دار السعادة :

قالت مليكة : هذي الدار حين ثوى من شيَّد الدار بعد الملك بالتّرب
لا تحسدوني على دارِ السعادة بل دارُ السعادة كانت في زمان أبي

وصل ابن المسجف في بعض سفراته إلى الموصل بما معهُ مِن التجارة ، فباع الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ[1] الأتابكي متملك الموصل شيئاً معه ، ومدحه ، فتقدم إلى نائبه الأمير أمين الدين لؤلؤ عتيقة بقضاء أشغال له ، فتوقف في أمره ، فقال له بعضُ أصحابِ الباب : لو طاب قلب أمين الدين مشى الحال ، وحصل المقصود ، فقال :

يقولون لو طاب قلبُ الأمين رجعتَ بدرٍ نفيس ثمينِ
فَقُلْتُ أعودُ بلا حبّةٍ ولا طيّبَ الله قلبَ الأمينِ

٢٥٧
ابن أبي حاتم

عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، أبو محمد ابن أبي حاتم التميمي الحنظلي ، الإمام ابن الإمام الحافظ ابن الحافظ ؛ سمع أباه وغيره . قال ابن مَنْده : صنف ابن أبي حاتم « المسند » في ألف جزء ،

١ كذا في ص ر .

٢٥٧ – تذكرة الحفاظ : ٨٢٩ وطبقات الحنابلة ٢ : ٥٥ والبداية والنهاية ١١ : ١٩١ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٥ والشذرات ٢ : ٣٠٨ وعبر الذهبي ٢ : ٢٠٨ .

وكتاب « الزهد » وكتاب « الكنى » و « الفوائد الكبير » و « فوائد[1] الرازيين » و « تقدمة الجرح والتعديل » وصنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار ، وله « الجرح والتعديل » في عدة مجلدات تدل على سَعَة حفظه وإمامته ، وكتاب « الرد على الجهمية » في مجلد كبير ، وله تفسير كبير سائره آثار مسندة في أربع مجلدات .

قال أبو يعلى الخليلي[2] : كان يعد من الأبدال ، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل ، وتوفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٥٨

ابن منده

عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْده ، واسم منده إبراهيم ، بن الوليد ، أبو القاسم ابن الحافظ أبي عبد الله العبدي الأصبهاني ؛ كان كبير الشأن جليل القدر ، حسن الخط واسع الرواية ، له أصحاب وأتباع ، وهو أكبر الإخوة ، والإجازة كانت عنده قوية ، وله تصانيف كثيرة وردود جمة على أهل البدع .

قال السمعاني : سمعت الحسن بن محمد الرضا العلوي يقول ، سمعت خالي أبا طالب بن طباطبا يقول : كنت أشتم عبد الرحمن بن منده إذا سمعت ذكره أو جرى ذكره في محفل ، فسافرت إلى جرداباقان فرأيت أمير المؤمنين عمر بن

---

١ ص : والفوائد . ٢ هو الخليل بن عبدالله صاحب كتاب « الارشاد » في معرفة علماء الحديث.

٢٥٨ – طبقات الحنابلة ٢ : ٢٤٢ والذيل عليها ١ : ٣٤ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٠٥ وابن الوردي ١ : ٣٧٩ والبداية والنهاية ١٢ : ١١٨ والشذرات ٣ : ١٣٧ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧٤ وتذكرة الحفاظ : ١١٦٥ .

الخطاب رضي الله عنه في المنام ويَدُه في يد رجل عليه جُبة زرقاء وفي عينه نكتة ، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وقال : لم تشتم هذا إذا سمعت ذكره ؟ فقيل لي في المنام : هذا عمر بن الخطاب ، وهذا ابنُ منده ، فانتبهت ثم رجعت إلى أصبهان وقصدت الشيخ عبد الرحمن، فلما دخلت عليه ورأيته صادفته على النعت الذي رأيته في المنام وعليه جبة زرقاء ، فلما سلمت عليه قال : وعليك السلام يا أبا طالب، وقبل ذلك ما رآني ولا رأيته، وقال لي قبل أن أكلمه : [ما] حرمه الله ورسوله[1]، يجوز لنا أن نحله ؟ فقلت له : اجعلني في حل ، ونشدته الله وقبلت بين عينيه ، فقال عبد الرحمن لي : جعلتك في حِل مما يرجع إلي .

وتوفي ابن منده سنة سبعين وأربعمائة ، رحمه الله .

٢٥٩
فخر الدين ابن عساكر

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن[2] بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الإمام المفتّي فخر الدين أبو منصور الدمشقي الشافعي ، ابن عساكر شيخ الشافعية؛ تولى تدريس الجاروخية[3] ثم تدريس التقوية[4]، وكان يقيم بالقدس أشهراً وبدمشق أشهراً، وولي تدريس الصلاحية بالقدس، وكان عنده بالتقوية فضلاء الشام حتى كانت تسمى

١ حرمه الله ورسوله : مكررة في ص .

٢٥٩ – طبقات السبكي ٥ : ٦٦ وذيل الروضتين : ١٣٦ وعبر الذهبي ٥ : ٨١ ومرآة الزمان : ٦٣٠ والشذرات ٥ : ٩٢ وطبقات ابن قاضي شهبة : ١٦١ والأسنوي ٢ : ٢١٩ والدارس ١ : ٨٢ وليست هذه الترجمة مما فات ابن خلكان فقد وردت عنده ٣ : ١٣٥ .

٢ ص : الحسين .

٣ بناها جاروخ التركماني وكانت شمالي الجامع الأموي وقد درست (الدارس ١ : ٢٢٥) .

٤ التقوية نسبة إلى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وكانت شرقي الظاهرية (الدارس ١ : ٢١٦) .

نظامية الشام ، وهو أول من درس بالعذراوية ، وكان يتورع من المرور في رواق الحنابلة لئلا يأثموا بالوقيعة فيه ؛ لأن عوامهم يبغضون بني [1] عساكر لأنهم شافعية أشاعرة ، وعرضوا عليه ولايات ومناصب فتركها ، وصنف في الفقه والحديث مصنفات .

وتوفي سنة عشرين وستمائة ، ومولده سنة خمسين وخمسمائة ، رحمه الله [تعالى] .

٢٦٠
الفراسي المغربي

عبد الرحمن بن محمد الفراسي -- بالفاء وبعد الراء الف وسين -- وهي قرية تعرف ببني فراس جوار تونس ، إلا أن مستقرهُ تونس وبها تأدب ؛ كان شاعراً ماجناً خليعاً شريراً ، كثير المهاجاة قليل المداراة خبيث اللسان، توفي بمدينة سوسة ، سقط من سطح وهو سكران فتردّى ، وذلك سنة ثمان وأربعمائة ، وقد نيف على الثلاثين .

لما ولي القاضي[2] عبد الرحمن بن محمد النحوي قضاء تونس قال الفراسي :

يقول فراسي هذا الزمــان ... وما زال في قوله يعـدلُ
متى يملك الأرض دجّالهـا ... فقد صار قاضينا أحول

فبلغ ذلك القاضي فأحفظه[3] ، ودعاه إليه رجل خاصمه ، فلما مثل بين يديه سمع

١ ص : ابن ، والتصويب عن ر .
٢٦٠ -- مسالك الأبصار ١١ : ٢٤٦ ومعجم البلدان (مادة : فراس) .
٢ ص : القضا .
٣ ص ر : فأخفضه .

دعوى خصمه ، ثم سأله فأقرّ فألزمه أداء الحق فامتنع وقال : عليّ يمين أن لا أؤدّيه[1] إلى وقت كذا ، فأطرق القاضي ساعة وقضى عنه ما وجب لغريمه عليه ، فلما خرج قيل له ما صنعت ؟ قال : أردت أن أستحلّ عرضه فحرمه عليّ ، ونظم :

مَنْ كان عندي له مطالبةٌ   فإن بيني وبينه القاضي
قاضٍ قضى عنيَ الحقوقَ على   بُعْديَ منه وفرْطِ إعراضي
أباح لي ماله ليمنعني   من عرضه وهو ساخط راضي
فيا لها رُقْيَةً مسكنةً   لحيَّةٍ ساورتْهُ نضناض

وجلس يوماً إلى شيخ تونس ، وكان نهاية في المجون ، فاجتاز بهما رجل يسأل عن دار ابن عبدون ، فقال له الشيخ : هي تلك الرائقة حيث يقوم أيرك ، قال الفراسي : والله لأنظمنه فما رأيت كهذا المعنى ، وقال من ساعته :

إن شئت أن تعرفَ عن صحةٍ   دارَ الذي يُعْزَى لعبدونهْ
فامشِ فإن أيرك أبصرته   قام فإنَّ الباب مِنْ دونهْ

٢٦١
الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، شمس الدين أبو محمد ابن القدوة الشيخ أبي عمر ، المقدسي الجماعيلي الصالحي الحنبلي الخطيب الحاكم ؛ ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، بالدير المبارك بسَفْح

---

١ ص : أديه .

٢٦١ – ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٠٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٨ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٠٢ والشذرات ٥ : ٣٧٦ وعبر الذهبي ٥ : ٣٣٨ .

قاسيون ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

سمع حضوراً من ست الكتبة بنت الطرّاح ، ومن ابيه وعمه ، وعليه تفقه ، وعرض عليه «المقنع» وشرحه في عشر مجلدات ، وسمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وابن كامل والقاضي أسعد بن المنجا وابن البنا وابن ملاعب والبكري والجلاجلي والشمس البخاري وجماعة كثيرة ، وطلب بنفسه ، وكتب وقرأ على الشيوخ – قرأ على ابن الزبيدي وجعفر الهمداني والضياء المقدسي ، وسمع بمكة من أبي المجد القزويني وابن باسويه ، وبالمدينة من أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد الخفيفي ، وأجاز له ابوالفرج ابن الجوزي وأبو جعفر الصيدلاني ، وروى عنه الأئمة : ابو بكر المناوي وأبو الفضل بن قدامة الحاكم وابن تيمية والحارثي وابن العطار والمزّي والشيخ برهان الدين وإسماعيل الحراني والبرزالي وخلق كثير ، وإليه انتهت رياسة المذهب في عصره ، وكان عديم النظير علماً وحلماً وزهداً ، وولي القضاء أكثر من اثنتي عشرة[1] سنة ، ولم يأخذ عليه رزقاً ثم تركه ، ولما توفي رثاه شمس الدين الصائغ والشيخ علاء الدين ابن غانم ، وتقي الدين ابن تمام ، وشهاب الدين محمود ، رحمه الله تعالى .

٢٦٢
أبو البركات ابن الأنباري

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، أبو البركات النحوي كمال الدين ابن

---

١ ص : اثني عشر .

٢٦٢ – ليست هذه الترجمة من المستدرك على ابن خلكان فقد وردت في الوفيات ٣ : ١٣٩ وانظر انباه الرواة ٢ : ١٦٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢٤٨ ومرآة الجنان ٣ : ٤٠٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٩٠ والأسنوي ١ : ٢٠ وطبقات ابن قاضي شهبة : ١٤٣ والزركشي : ١٦٨ والشذرات ٤ : ٢٥٨ وذكر محقق الانباه أن له ترجمة في الوافي للصفدي ؛ ولم يرد في المطبوعة من هذه الترجمة إلا أسطر معدودات ، ومقطوعته السينية .

الأنباري ؛ قدم بغداد في صباه وقرأ الفقه بالمدرسة النظامية على ابن منصور سعيد بن الرزاز وعلى من بعده حتى برع وحصل طرفاً من الخلاف ، وصار معيداً بالنظامية ، وكان يعقد مجلس الوعظ ، ثم قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي ولازم الشريف ابن الشجري حتى برع وصار من المشار اليهم في النحو، وتخرج به جماعة ، وسمع من ابن خيرون وعبد الوهاب ابن الأنماطي ومحمد بن حبيب العامري وغيرهم ، وحدث وروى الكثير من كتب الأدب .

وكان إماماً ثقة صدوقاً غزير العلم ، ورعاً زاهداً تقياً عفيفاً لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان خشن العيش خشن المأكل لم يتلبس من الدنيا بشيء ، توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وله من المصنفات : « هداية الذاهب في معرفة المذاهب » . « الداعي إلى الإسلام في علم الكلام » . « النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح » . « اللباب المختصر » . « منشور العقود في تجريد الحدود » . « التنقيح في مسلك الترجيح ». « الجمل في علم الجدل » . « الاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار » . « نجدة السوال في عمدة السوال » . « الإنصاف في مسائل الخلاف » . « أسرار العربية » . « عقود الإعراب » . « حواشي الايضاح » . « منثور الفوائد » . « مفتاح المذاكرة » . « كتاب لو » . « كتاب ما » . « كتاب كيف » . « كتاب الألف واللام » . « كتاب حلية العربية » . « كتاب لمع الأدلة » . « الإعراب في علم الإعراب » . « شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل » . « الوجيز في التصريف » . « البيان في جمع أفعل أخف الأوزان » . « المعتبر في الفرق بين الوصف والخبر » . « المرتجل في إبطال تعريف الجمل » . « جلاء الأوهام وجلاء الأفهام في متعلق الظرف في قوله تعالى : أحل لكم ليلة الصيام » . « غريب إعراب القرآن» . « رتبة الأنساب » . « المسائل الخراسانية » . « مقترح السائل في ويل امه » . «كتاب الزهرة في اللغة » . « الأسمى في شرح الأسما » . « كتاب حيص بيص » . « حلية العقود في الفرق

بين المقصور والممدود ». «كتاب ديوان اللغة ». « زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ». « البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ». « كتاب النوادر ». « كتاب الأضداد ». « كتاب فعلت وأفعلت ». « الألفاظ الجارية على لسان الجارية ». « قبسة الأديب في أسماء الذيب ». « الفائق في أسماء المائق ». « البلغة في أساليب اللغة ». « قبسة الطالب في شرح خطبة أدب الكاتب». « تفسير غريب المقامات الحريرية ». « شرح ديوان المتنبي ». « شرح الحماسة». « شرح السبعة الطوال ». « شرح مقصورة ابن دريد ». « المقبوض في العروض ». « الموجز في القوافي ». « اللمعة في صنعة الشعر ». « نزهة الالبّا في طبقات الأدبا ». « الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة ». « تاريخ الأنبار». « نكت المجالس في الوعظ ». « نقد الوقت ». « نغبة الوارد ». « التفريد في كلمة التوحيد». « أصول الفصول في التصوف». « نسمة العبير في التعبير ». ومن شعره :

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني   وأرّقتنيَ أحزانٌ وأوجاعُ
وصار كلّي قلوباً فيك داميةً   للسقم فيها وللآلام إسراع
فان نطقتُ فكلّي فيك ألسنة   وان سمعت فكلي فيك أسماع

ومنه :

دع فؤادي من ذكر دعدٍ وهندِ   وبكائي مغنى العقيق ونجدِ
وادّكاري أطلالَ رامة والجز   ع فذكرُ الأطلالِ ما ليس يجدي
وارتياحي إلى الحمى والأُثَيلا   تِ وما فيه من عرارٍ ورند
واشتياقي الى الأراك وما ضـ   ـمّ حماه من المها والرُّبد
ودعاني بذكر من سكن الخيـ   ـف فخيفي خوفي ونجديَ وجدي
سوق[1] شوق الحبيب يحدو بقلبي   نحو سوق الشوق المبرح وحدي

---

١ ص : شوق .

غيرةً أن يحلَّ فيه سواه   أو يرى فيه ذكرُ مولًى وعبد
هو أنسي إذا تباعد أنسي   وجايسي اذا ذكرت وعندي
جلَّ في الذات والصفات عن الحـ   ـد وفي الطول ِ أن يحد بجد[1][2]
عدٍّ عني ذكر الغواني وهنـــدٍ   والمغاني والجزع بالله عدّي

ومنه :

العلم أوفى حلية ولباسِ   والعقل أوقى جُنّةِ الأكياسِ
كن طالباً للعلم تحيَ فإنما   جهلُ الفتى كالموت في الأرماس
وصنِ العلومَ عن المطامع كلّها   لترى بان العزّ عزّ[3] الياس
والعلم ثوب والعفافُ طرازه   ومطامعُ الانسان كالأدناس
والعلم نور يهتدى بضيائه   وبه يسودُ الناسُ فوق الناس

٢٦٣

الداوودي

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل ابن الحكم بن شيرزاذ ، أبو الحسن ابن أبي طلحة الداوودي جمال الإسلام وشيخ خراسان ، راوي البخاري عن السرخسي ؛ كان من الأئمة الكبار في معرفة المذهب والخلاف والأدب ، مع علو الإسناد ، وله حظ من النظم والنثر . قرأ الفقه

---

١ ص : بمجد .
٢ ص : عن .
٢٦٣ – طبقات السبكي ٣ : ٢٢٨ والأنساب ٥ : ٢٩٥ واللباب (الداوودي) والمنتظم ٨ : ٤٩٦ والأسنوي ١ : ٥٢٥ والزركشي : ١٦٨ والبداية والنهاية ١٢ : ١١٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٩ .

على القفال المروزي وسهل الصُّعلوكي وأبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، وأبي بكر الطوسي ، وأبي سعيد يحيى بن منصور ، وصحب الأستاذ أبا عليّ الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي وفاخر السجزي الضرير ويحيى بن عمار، وقدم بغداد وقرأ على أبي حامد الإسفراييني حتى برع في المذهب والخلاف ، وعاد إلى بوشنج ، وأخذ في التدريس والفتوى والتصنيف ، وعقد مجالس التذكير ورواية الحديث ، إلى أن توفي سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان مولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة .

ومن شعره :

كان اجتماع الناس فيما مضى ... يورّث البهجة والسَّلْوَهْ
فانقلب الأمرُ إلى ضدِّه ... فصارت السلوة في الخلوه

وقال [أيضاً رحمه الله تعالى] [1] :

كان في الاجتماعِ من قبلُ نورٌ ... فمَضَى النورُ وادلَهَمَّ الظلامُ
فَسَدَ النّاسُ والزمانُ جَميعاً ... فعلَى الناسِ والزمانِ السلام

وقال :

إنْ شئتَ عَيشاً طَيّباً ... يَغدُو بِلا مُنازِعِ
فاقنَعْ بِما أوتيتَهُ ... فالعيشُ عَيشُ القانع

---

[1] زيادة من ر .

٢٦٤

ابن دوست

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز بن يزيد الحاكم ، أبو سعيد ابن دوست ، وَدُوَسْت لقب جده محمد ، أحد الأعيان الأئمة بخراسان في العربية سمع الدواوين وحَصَّلها ، وصنف التصانيف المفيدة ، وأقرأ الناس الأدب والنحو ، وله ردّ على الزجاجي فيما استدركه على ابن السِّكِّيت في « إصلاح المنطق » .

وكان زاهداً عارفاً ورعاً ، وعنه أخذ الواحدي اللغة ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . وكان أطروشاً لا يسمع شيئاً ، وكان يقرأ على الحاضرين مجلسه بنفسه . وكان أوجه مَنْ قرأ اللغة على الجوهري صاحب « الصحاح » .

ومن شعره :

ألا يا ريمُ خَبِّرْني عن التفّاحِ مَنْ عَضَّهْ
وحَدّثْ بأبي عَنْ حبِّ لك البكر من افتَضّه
وختْمُ اللهِ بالوَرْدِ على خَدّكَ مَنْ فَضّه
لَقَــدْ أثرتِ العضـ ـةُ في وجنتكَ الغَضّهْ
كَما يكتبُ بالعَنْبـ ـر في جامٍ من الفضّهْ

ومن شعره :

وشادنٍ نادَمْتُ في مجلسٍ قد عُطِّلَتْ فيه أباريقُهُ

---

٢٦٤ — يتيمة الدهر ٤ : ٤٢٥ وابن خلكان ١ : ١٢٩ وانباه الرواة ٢ : ١٦٧ ودمية القصر : ١٨٦ (ط . الطباخ) ، وذكر محقق الانباه أن له ترجمة في الوافي للصفدي ؛ وانظر بغية الوعاة : ٣٠٢ والزركشي : ١٦٩ .

طلبتُ ورداً فأبَى خدّهُ ورُمت راحاً فأبَى ريقهُ

ومنه :

وشادِنٍ قلتُ لَهُ هَل لكَ في المنادمَهْ
فقال : كَمْ من عاشِقٍ سَفَكْتُ بالمُنَى دَمَهْ

ومنه :

عليك بالحفظِ دونَ الجمعِ في كتبٍ فإنّ للكتبِ آفاتٍ تُفَرِّقُها
المــاء يغرقها والنار تحرقهـا والفار يخرقها واللصّ يسرقها

٢٦٥

ابن السنينيرة

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي القاسم ، جمال الدين الواسطي المعروف بابن السنينيرة – تصغير سنورة – الشاعر المشهور ؛ ولد سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي سنة ست وعشرين وستمائة ، طاف البلاد ، ودخل حلب ، ومدح الظاهر ، وجرى قضية يجيء ذكرها إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن خروف علي بن محمد بن يوسف .

وكان عسر[1] الأخلاق صعب الممارسة كثير الدعاوى ، لا يعتقد في أحد

---

٢٦٥ – ابن الشعار ٣ : ٤٦٧ وابن خلكان ١ : ٢١٥ وقال ابن الشعار : « شاهدته بمدينة الموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهو شيخ كبير وسألته عن ولادته فذكر أنه ولد بواسط سنة سبع أو تسع وأربعين وخمسمائة . وكان ينتجع الناس بأشعاره ويطوف البلاد ، وكان من عوام الشعراء قليل البضاعة في صناعة القريض ، ذا بضاعة في الأدب مزجاة إلا أن له طبعاً يعينه في إنشاء الشعر لا غير ؛ وأقام في إربل مدة وقصد صدرها ابن المستوفي » .

١ ر : حسن .

من أقرانه من الشعراء – مثل الأبله وابن المعلم وغيرهما – شيئاً ، ويقول : أنا أسحب ذيلي عليهم فضلاً ومَزِية . ومدح الملك الظاهر غازي بقصيدة يذكر فيها القناة التي أجراها بحلب ، وهي :

دون الصراةِ بدتْ لنا صُوَرُ الدُّمَى ... لا أُدْمُ صيرانِ الصريمِ ولا الحمى
غيدٌ هززنَ من القدودِ ذوابلاً ... لُدْناً ورشْنَ من النواظر أسهما
عنَّتْ وكم دون الخريم أُحِلَّ من ... دم عاشق عانٍ وكان مُحرّما
فنهبنَ أنقاء الصريمِ روادفاً ... ووهبنَ إيماضَ البروقِ تبَسّما
وأعرنَ أنفاس النسيم من الصِّبا ... أرجاً أبَتْ أسراره أن تُكْتَما
وعلى أوانا كم ونَى يوم النوى ... جَلَدٌ وعهد هوىً وهي وتصرّما
أأميم لولا فرط صدّك لم أهم ... ظمأً ولا ألمّاً إلى رشْفِ اللّمى
ولَمّا وقفتُ بسفح سلمى منشداً ... أمحلّتَيْ سلمى بكاظمةَ اسلما
خلفتني بين التجني والقلى ... لا مُمعناً هرباً ولا مُستَسلما
وتركتني تُفني الزمانَ تَعَلّلاً ... نفسي بذكر عسى وسوف وربما
ولَكَم طرقتك زائراً فجعلت لي ... دون الوسادة والمهاد المعصما
ومنحتني ظَلْماً ولثماً لم يكن ... حَوْضُ[1] العفاف بورده متهدّما
فاليومَ طيفك لو ألَمّ لبُخْلهِ ... للصّبِّ في سِنَةِ الكرى ما سلما
يا سعدُ إنَّ حلاوةَ العيشِ التي ... قد كنت تعهدها استحالت علقَما
سِرْ بي فلي في السِّرْبِ قلب[2] سارَ في ... أثَرِ الفريق مُقَوِّضاً ومُخيما
قد فاز بالقِدْحِ المعلّى مَنْ أتَى ... نهرَ المعلّى زائراً ومسلما
لو لم تكن تلك القبابُ منازلاً ... ما قابَلَتْ فيها البدورُ الأنجما
يا ساكني دار السلام عليكمُ ... مني التحيّة مُعْرِقاً أو مُشئما

---

١ ص : خوض .

٢ ص : قلباً .

وعلى حِمى حلبٍ فإن مليكها ما زالَ صَبّاً بالمكارم مغرما
قَرْمٌ ترى في الدرع منه لدى الوغى لبدة ٍ قرماً وصِلاً أرقمـا
ويضمُّ منه الدستُ في يوم الوغى بحراً طمَى كرماً وطَوداً أيهما
رَوّى ثرى حلَب فعادت روضةً أُنُفاً وكانت قبله تشكو الظما
أحيـا رفات عُفاتِها فكأنّـه عيسى بإذنِ الله أحيا الأعظما
لا غرو أن أجرى القناة جداولاً فلَطالَما بقناتهِ أجرى الدما
وبكَفّـهِ للآملينَ أنـامِلٌ منها العُبابُ أو السّحابُ إذا طَما

٢٦٦
ابن المنجم الواعظ المعري

عبد الرحمن بن مروان بن سالم بن المبارك، أبو محمد التنوخي المعرّي المعروف بابن المنجم الواعظ؛ قدم بغداد وعليه مسح على هيئة الوعاظ السياح، فصار له ناموس عظيم، وعقد مجلس الوعظ بدار السلطان، وحضر السلطان مجلسه، وصار له الجاه التام، ونفذه الخليفة رسولاً إلى الموصل، واشتهر ذكره ونما خبره. وكان مشتهراً بتزوج الأبكار، وأكثر من ذلك حتى قيل فيه الأشعار، وصار له جوار يقيّن عليهنّ، وخرج من بغداد هارباً من أيدي الغرماء، ودخل الشام وأقام بدمشق إلى أن توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقد جاوز السبعين.

وكان يعظ بدمشق ونفق سوقُه بها، وكان يعظ في الأعزية؛ أتاه يوماً صغير[1]

---

٢٦٦ – الزركشي: ١٦٩ والشذرات ٤: ١٧٨ والخريدة (قسم الشام) ٢: ٩٢ ويلقب بشمس الدين، وجعل العماد وفاته سنة ٥٦٠؛ وذكر محقق الخريدة أن له ترجمة فيما لم يطبع من تهذيب ابن عساكر.

[1] ص ر: صغيراً.

ليتوب على يده ، فحمله على كتفه فقال :

هذا صَغيرٌ ما أتى كبيرةً فهل كبيرٌ ركب الكبائرا

فضج اهل المجلس بالبكاء . وكان يظهر لكل طائفة أنه منهم حرصاً على التحصيل ، وعمل عزاء أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله في الجامع الأموي بدمشق ، فقام في التعزية ، ورثاه بأبيات ، فخلع عليه صدرُ المجلس ثوبَهُ ، فذكر عادته في الكدية ، وخرج عما كان فيه من التعزية إلى استدعاء موافقة الحاضرين ، فخلع [عليه] بعضهم فقال : أنا المُعَرِّي لا المَعَرّي .

ومن شعره :

حبيبٌ لست أنظره بعيني وفي قلبي له حبٌّ شديدُ
أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

وقال :

جارةٌ قد أجارها ا لحسن من كل جانبِ
فهي بين النساءِ كالـ بدر بين الكواكب

وقال :

وشاربٍ مثل نصفِ الصاد صادَ بهِ قلبي رشأٌ ثغره أنقى من البردِ[1]
كأنما خاله من فوق وجنته سوادُ عينٍ بدا في حمرة الرمد

....

١ ص : الدرر ؛ وهو سهو فيما يبدو .

٢٦٧
ملك الأندلس الداخل

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي الداخل إلى الأندلس ، وهو أول من ملك الأندلس من بني أمية ، وتفلّت من بين يدي بني العباس وأبعد إلى المغرب . أقام ببرقة [١] خمس سنين ، ودخل بدر مولاه يتجسس له الأخبار ، فقال للمضرية : لو وجدتم رجلاً من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه ؟ فقالوا : وكيف لنا بذلك ؟ فقال بدر : هذا عبد الرحمن ابن معاوية ، فأتوا إليه فبايعوه ، فولي عليها ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكان دخوله الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة [٢] .

وكان يوسف الفهري أول من قطع الدعوة عنهم ، فلما دخل عبد الرحمن قاتل يوسف واستولى على البلاد ، وبقي ملك الأندلس بيد أولاده إلى رأس الأربعمائة .

وكان عبد الرحمن من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل في قضاياه، وكانوا يقولون: ملك الدنيا ابنا بربريتين ، يعنون المنصور وعبد الرحمن، وكان المنصور إذا ذكر له عبد الرحمن قال : ذلك صقر قريش ، دخل المغرب وقد قتل قومه ، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى تملك .

قال ابن حزم : خطب عبد الرحمن لأبي جعفر المنصور أعواماً [٣] ، ثم ترك

---

٢٦٧ — لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر في أخبار الداخل : البيان المغرب ٢ : ٤٠ وأخبار مجموعة : ٥٠ والحلة السيراء ١ : ٣٥ وابن خلدون ٤ : ١٢٠ ونفح الطيب ٣ : ٢٧ والزركشي : ١٦٩ والنويري ٢٢ : ١ (الباب الخامس) وابن القوطية : ٤٥ .

١ في المصادر أنه كان بنواحي إفريقية (انظر مثلا الحلة) إذ أن أخواله بنو نفزة .

٢ الحلة : في غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣٨ .

٣ كذا ؛ وعند ابن الأبار أنه فعل ذلك أشهراً دون السنة .

الخطبة ولم يتعرّض لبني العباس ولا تعرضوا له .

وكان بقرطبة جنة اتخذها عبد الرحمن ، وكان فيها نخلة تولدت منها كل نخلة بالاندلس .

وتوفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة .

وقيل إن رجلاً من أهل العلم رأى فيه علائم فقال له إن أمر الأندلس صائر إليك، فهو الذي حثه على الدخول إلى الأندلس ، وبويع له بقرية من قرى اشبيلية ، وطلب قناة تعقد له فيها راية فلم توجد، فعقدوا له ملحفة في قصبة؛ وكانت الأندلس غفلاً من سمة الملك ، فدوّن الدواوين وجنّد الأجناد وفرض الأعطية وأقام للملك أبهة وشعاراً . ومن شعره .

غنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقٍ   بالقفر والايطان والسرادقِ[1]
فقل لمن نام على النمارق   ان العلا شُدَّتْ بهمّ طارق

وقال :

أيها الراكب الميممُ أرضي   أقر مني السلام بعضي لبعضي[2]
إن جسمي كما علمت بأرض   وفؤادي ومالكيه بأرض
قُدِّرَ البين بيننا فافترقنا   وطوى البينُ عن جفونيَ غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا   فعسى باجتماعنا سوف يقضي

---

١ الحلة : بالسرادق .

٢ الحلة : أقر من بعضي السلام لبعضي .

٢٦٨
الزكي القوصي

عبد الرحمن بن وهيب بن عبد الله، زكي الدين القوصي الكاتب ؛ كان فاضلاً في نظمه ونثره متقناً للكتابة، توفي بحماة مخنوقاً بعد الأربعين وستمائة [١] ، بعد وزارته للمظفر صاحب حماة وصحبته له دهراً طويلا ، وكان المظفر قد وَعَده أنه متى ملك حماة أعطاه ألف دينار ، فلما ملكها أنشده :

مولايَ هذا المُلْكُ قَد نلتَهُ ... برغمِ مخلوقٍ منَ الخالقِ
والدهرُ منقادٌ لِما شئتَهُ ... وذا أوانُ الموعدِ الصادقِ

فأقام معه مدة ، ولزمته أسفارٌ أنفق فيها المال الذي أعطاه ، ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال :

ذاكَ الذي أعطوهُ لي جملَةً ... قد استرَدّوهُ قَليلٌ [٢] قَليلْ
فليتَ لم يُعطوا ولم يأخذوا ... وحسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلْ

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها ، فقال :

أتخرجني من كِسْرِ بيتٍ مهدّم ... ولي فيكَ من حسنِ الثناء بيوتُ
فإن عشتُ لم أعدم مكاناً يكنُّني [٣] ... وأنت فتَدري ذكرَ مَن سيَموتُ

٢٦٨ — الطالع السعيد : ٢٨٧ والزركشي : ١٧٠ وسماه الأدفوي : « عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن علي أبو القاسم الكاتب المنعوت بالزكي المعروف بابن وهيب » وقال إن المنذري ذكره في التكملة لوفيات النقلة ، كما أن ابن سعيد ذكره (لعله في المشرق من حلى المشرق) .

١ عند الأدفوي أنه توفي سنة ٦٣١ ، ولا بد أن يكون هذا أصح لاعتماده على المنذري .

٢ كذا في ص ر ، وحقه النصب كما في الزركشي والأدفوي .

٣ الأدفوي والزركشي : يضمني .

فحبسه المظفر فقال : ما ذنبي ؟ فقال : وحسبي الله ونعم الوكيل ، وأمر بخنقه ، فلما أحس بذلك قال :

أعطَيتني الألفَ تَعظيماً وتكرمةً   يا ليتَ شعريَ أم أعطَيتَني ديتي

وكان قد أنشده قصيدةً قبل أن يتملك حماة حين وعده بالألف دينار منها :

متى أراك ومَنْ تهوَى وأنت كما   تهوَى على رغمهم روحين في بدنِ
هناك أنشد والآمالُ حاضرَةٌ :   هنيتَ بالملكِ والأحبابِ والوَطنِ

قال شهاب الدين القوصي في معجمه : أنشدني زكي الدين القوصي لنفسه :

تبدَّتْ فهذا البدرُ من كَلَفٍ بها   وحقِّكَ مثلي في دجى الليل حائرُ
وماسَتْ فشقَّ الغصنُ غيظاً جيوبَه   ألَستَ ترَى أوراقَه تتَناثَرُ

فأجازهما يوسف بن عبد العزيز بن المرصص بقوله :

وفاحتْ فألقى العودُ في النارِ نفسه   كذا نقلَتْ عنه الحديثَ[١] المَجامرُ
وقالت فغارَ الدرُّ واصفرَّ لَوْنُهُ   كذلك ما زالتْ تغارُ الضرائرُ

وكتب إليَّ وأنا بالديار المصرية :

أوحَشتَني واللهِ يا سيِّدي   وزادَ شَوْقي وغرامي إليكْ
إن غبتَ عن عيني برغمي فقد   أقامَ في الحضرةِ قلبي لديكْ
وإن شَمَمتَ الريح مسكيَّةً   فذاكَ من طيبِ ثَنائي عليكْ

وكتب إليَّ :

سيدي سيدي كتابُكَ أحلَى   من زُلالٍ على فُؤادي الصادي
خِلْتُ فيهِ قَميص يوسف لما   ألْصَقَتهُ أناملي بفُؤادي
كَرِّرِ اللَّثْمَ يا فَمي وترَشَّفْ   منهُ آثارَ فضلِ تلكَ الأيادي

---

١ ص ر : حديث .

وقال في المعين الهيتي ، وقد أمر بنفيه من مصر إلى الشام :

لا تحسبِ الهيتيّ يُفْلحُ بَعدها ونحوسه يتبَعنَهُ[1] أنّى سلَكْ
قد غلّقتْ أبوابُ مصرٍ دونهُ بغضاً لطلعتهِ وقالتْ هيت لك

وقال :

فلانٌ والجماعةُ عارفوهُ وظاهره التنسّكُ والزهادَهْ
يموتُ على الشهادَةِ وهوَ حيّ إلهي لا تمتْه على الشهاده

٢٦٩
القاضي نجم الدين ابن البارزي

عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان ، القاضي نجم الدين الجهني الحموي الشافعي المعروف بابن البارزي قاضي حماة وابن قاضيها وأبو قاضيها ؛ ولد بحماة سنة ثمان وستمائة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

كان إماما فاضلاً فقيهاً أصولياً حبراً[2] ، له خبرة بالعقليات ونظر في الفنون ، سمع من القاسم بن رواحة وغيره ، وحكم في حماة[3] بحكم النيابة عن والده ثم ولي بعده ولم يأخذ على القضاء رزقا ، وعُزل قبل موته بأعوام ، وكان مشكور الأحكام وافر الديانة ، محباً للفقراء والصالحين ، درس وأفتى وصنف وأشغل وخرج الأصحاب في المذهب ؛ توجه إلى الحج فأدركته منيته ، وحمل إلى المدينة ودفن

---

١ ص ر : تتبعنه .

٢٦٩ – طبقات السبكي ٥ : ٧١ وابن الفرات ٨ : ١٣ والزركشي : ١٧٢ والأسنوي ١ : ٢٧٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٢ والشذرات ٥ : ٣٨١ وعبر الذهبي ٥ : ٣٤٣ .

٢ كرر في ص لفظة « فاضلا » هنا .

٣ ص : جماعة ، والتصويب عن ر .

بالبقيع ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره في القلم :

ومثقفٍ للخطّ يحكي فعل سُمـ ـرِ الخطِّ إلا أن هذا أصفرُ
في رأسه المسود إن أجروه في الـ ـمبيض للأعداء موتٌ أحمر

ومن شعره وهو تشبيه سبعة أشياء بسبعة :

يقطّع بالسكين بطيخةً ضحىً على طبق في مجلس لأصاحبه
كبدرٍ ببرق قَدَّ شمساً أهلةً لدى هالةٍ في الأفق بين كواكبه

وهذا يشبه قول بعضهم :

ولما بدا ما بيننا منيةُ النفسِ يحز بالسكين صفراء كالورسِ
توهمتُ بدرَ التمّ قَدَّ أهلةً على أنجمٍ بالبرق من كرة الشمس

والأصل في هذا لابن قلاقس الإسكندري حيث قال :

أتاني الغلام ببطيخةٍ وسكينة قد أجيدت صِقالا
فقطّع بالبرقِ شمسَ الضحى وأهدى إلى كلِّ بدرٍ هلالا

ولبعضهم يقول :

خلناه لما حزّ البطيخ في أطباقه بصَقيلة الصَّفَحاتِ
بدرٌ[1] يقدُّ من الشموس أهلةً بالبرق بين الشهب في الهالات

وأول من سبق إلى هذا الباب العسكري حيث قال[2] :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن لوقت إكثار وقِلّهْ
فمن أُدْمٍ وريحان ونَقْلٍ فلم يرَ مثلها سداً لخلّه
فمنها ما تشبهُهُ بدوراً فإن قطعتها رجعت أهلّه

---

١ كذا في ص ر ، وحقه النصب .   ٢ ديوان المعاني ٢ : ٤٢ .

ومن شعر القاضي نجم الدين ابن البارزي ما كتبه إلى الملك المنصور صاحب حماة :

خدمتك في الشبابِ وها مشيبي أكادُ أحلُّ منه اليومَ رمسا
فراعِ لحرمتي عَهداً قَديماً وما بالعهدِ من قدمٍ فينسى

ومنه :

إذا شِمْتُ من تلقاء أرضكم برقا فلا أضلعي تَهدا ولا عبرَتي تَرْقَا
وإن ناحَ فوقَ البانِ وُرْقُ حَمائم سُحيراً فنَوْحي في الدجى علَّم الورقا
فرقُّوا لقلبٍ في ضرامِ غرامِهِ حريقٌ وأجفانٍ بأدمعها غرقَى
سميريَّ من سَعد خذا نحو أرضهم يميناً ولا تَستبعدا نحوها الطرقا
وعوجا على أفقٍ توشَّحَ شيحُهُ بطيبِ الشَّذا المسكي أكرمْ به أفقا
فإنَّ بهِ المغنى الذي بترابِهِ وذكراه يستشفى[1] لقلبي ويسترقى
ومن دونه عرب يرون نفوسَ مَنْ يلوذُ بمغناهم حلالاً[2] لهم طَلْقا
بأيديهمُ بيضٌ بها الموتُ أحمر وسمر لدى هيجائهم تحملُ الزرقا
وقولا محبٌّ بالشآمِ غدا لقىً لفرقة قلبٍ بالحجازِ غدا مُلقَى[3]
تعلَّقكم في عُنْفُوان شَبابِهِ ولم يَسلُ عن ذاك الغرام وقد أنقى
وكان يُمنّي النفس بالقربِ فاغتدى بلا أمَلٍ إذ لا يؤمّل أن يبقى

---

١ ر : يتشفّى ؛ والزركشي : يتشفى .
٢ ص ر : حلال ؛ والتصويب عن الزركشي .

٢٧٠
ابن الاخوة

عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الإخوة ، العطار أبو الفضل ؛ سمع أبا الفوارس طراد الزينبي وأبا الخطاب نصر بن البطر وغيرهم[١] ، وسافر إلى خراسان في طلب الحديث ، وسمع بنيسابور والري وطبرستان وبأصبهان وقرأ بنفسه ، ونسخ ما لا يدخل تحت الحصر ، وكان يكتب خطاً مليحاً ، وكان سريع القراءة والكتابة .

قال محب الدين ابن النجار : رأيت بخطه كتاب « التنبيه » في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد ، وكانت له معرفة بالحديث والأدب ، وله شعر ، وكان يقول : كتبت بخطي ألف مجلدة .

وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بشيراز ، رحمه الله .

ورمي بأنه كان يقرأ « معجم » الطبراني ويقلب ورقتين ويترك حديثاً وحديثين ، رواه السمعاني عن يحيى بن عبد الملك بن أبي المسلم المكي وكان شاباً صالحاً .

ومن شعر ابن الإخوة :

ما الناسُ ناسٌ فسرِّحْ إنْ خلوْتَ بهم ... فأنت ما حضروا في خلوة أبدا
ولا يغرَّنْكَ أثوابٌ لَهُمْ حَسنتْ ... فليس حاملها من تحتها أحَدا
القرْدُ قِرْدٌ وإن حَلَّيْتَهُ ذهَباً ... والكَلبُ كَلْبٌ وإن سمّيته أسدا

---

٢٧٠ – الزركشي : ١٧٢ وله ترجمة في الخريدة (قسم العراق) انظر الحاشية ١ : الصفحة ١٢٦ من الجزء الأول .

١ كذا ، وحقه التثنية .

ومنـه :

أنفقتُ شَرْخَ شبَابي في دياركُمُ فما حَظيتُ ولا أحمدتُ إنفاقي
وخير عمري الذي ولّى وقد ولعت به الهمومُ فكيف الظن بالباقي

ومنه :

ولما التقى للبينِ خدّي وخدُّها تلاقى بهارٌ ذابلٌ وجنى وردِ
ولَفّتْ يدُ التوديع عطفي بعطفها كما لَفّتِ النكباء مائستيْ رند
وأذرى النوى دمعي خلال دموعها كما نُظِمَ الياقوتُ والدرُّ في عقد
وولّتْ وبي من لوعةِ الوجدِ ما بها كما عندها من حرقةِ البَيْنِ ما عندي

ومنه :

الدهرُ كالميزانِ يرفَـعُ ناقصاً أبداً ويخفضُ زائدَ المقـدارِ
وإذا انتحى الإنصافَ عادل عَدلُهُ في الوزنِ بينَ حَديدةٍ ونضار

٢٧١
أبو القاسم القشيري

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيْريّ من أهل نيسابور ؛ كان من أئمة الدين وأعلام المسلمين ، قرأ الأصول على والده وتفسير القرآن والوعظ ،

---

٢٧١ – تبيين كذب المفتري : ٣٠٨ والبداية والنهاية ١٢ : ١٨٧ وطبقات السبكي ٤ : ٢٤٩ وتاريخ عبد الغافر (الموجز الثاني ، الورقة : ٩٣) وابن خلكان ٣ : ٢٠٧ (في ترجمة والده) ومرآة الجنان ٣ : ٢١٠ وعبر الذهبي ٤ : ٣٣ والمنتظم ٩ : ٢٢٠ وطبقات الحسيني : ٧٣ والزركشي : ١٧٣ والأسنوي ٢ : ٣٠٢ وراجع أخبار ما جرى له مع الحنابلة في تاريخ ابن الأثير وانظر مقدمتي على طبقات الفقهاء للشيرازي .

ورزق في ذلك وافر الحظ ، ولازم إمام الحرمين ودرس عليه المذهب والخلاف وبرع في ذلك وجاوز أقرانه ، وقرأ الأدب ونظم ونثر ، وعقد مجلس الوعظ ببغداد ، وظهر له القبول العظيم ، وأظهر مذهب الأشعري ، وقامت سوق الفتنة بينه وبين الحنابلة وثار العوام إلى المقاتلة ، وكوتب الوزير نظام الملك بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه ، فأحضره وأكرمه وأمره بلزوم وطنه ، فأقام يدرس ويعظ ويروي الحديث إلى أن توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة .

كتب إليه فتوى وهي :

يا إماماً حوَى الفضائل طُرًّا ... طِبْتَ أصلاً وزادَكَ اللهُ قدرا
ما على عاشقٍ[1] رأى الحِبَّ مختا ... لاً كغصنِ الأراكِ يحملُ بدرا
فدَنا نَحوَهُ يُقَبِّلُ خَدَّيْـ ... ـهِ غراماً بهِ ويلثمُ ثغرا
وعليه من العفافِ رقيبٌ ... لا يُداني في سُنَّةِ الحبّ غدرا

فأجاب رحمه الله تعالى :

ما على مَنْ يقبلُ الحِبَّ حدٌّ ... غيرَ أنّي أراهُ حاولَ نكرا
امتحانُ الحَبيبِ باللثمِ حَيْفٌ ... لوْ تعفّفتَ كانَ ذلكَ أحرَى
لا تَشَرَّفْ للثمِ خَدٍّ وثَغْرٍ ... فتلاقي من لحظِ نفسك مرّا
واخشَ منهُ إذا تَسامَحتَ فيـه ... غائلات تَجرُّ إثْماً ووزرا
قمعُكَ النفسَ دائماً عن هواها ... لكَ خَيرٌ فألزمِ النفسَ صبرا
مَنْ بَلاهُ إلهُهُ بهَوَى الخلْـ ... ـقِ فقد سامَهُ هواناً وصغرا
فاجتَنبهمْ وراقِبِ الله سِرّاً ... فهو أولى بنا وأعظمُ أجرا
ذا جوابٌ لابنِ القُشَيريّ فاسمعْ ... إن أردتَ السدادَ سرّاً وجَهرا

ومن شعره :

---

[1] ص ر : عاشقاً .

ليالي وصالٍ قد مَضَيْنَ كأنّها لآلي عقودٍ في نحورِ الكَواعبِ
وأيّام هجرٍ أعقبَتْها كأنّها بياضُ مَشيبٍ في سوادِ الذوائب

ومن شعره :

تَقبيلَ ثغركِ أشتَهي[1] أمَــلٌ إليـهِ أنتَـهي
لو نِلتُ ذلكَ لم أُبَلْ بالروحِ منيَ أن تَهي
دنيايَ لــذّةُ ساعةٍ وعلى الحقيقةِ أنتِ هي

٢٧٢
جمال الدين ابن شيث

عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث، القاضي الرئيس جمال الدين الأموي الأسنائي القوصي ، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى ؛ ولد بأسنا سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي سنة خمس وعشرين وستمائة ، نشأ بقوص وتفنن بها وقرأ الأدب ، وكان ورعاً ديناً حبراً حسن النظم والنثر ، ولي الديوان بقوص ثم بالإسكندرية ثمّ بالقدس ، ثم ولي كتابة الإنشاء للمعظم ، وكان يوصف بالمروة وقضاء الحاجة ، وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بقاسيون بتربته .

وكانت بينه وبين المعظم مُداعبات . كتب إليه مرّة أنه لما فارقه ودخل منزله طالبوه أهله بما حصل له من برِّ السلطان فقال لهم : ما أعطاني شيئاً ، فقاموا إليه بالخِفَاف وصفعوه ، وكتب بعد ذلك :

---

١ ص : أشهى .

٢٧٢ – الزركشي : ١٧٤ وصبح الأعشى ٦ : ٣٥٢ والطالع السعيد : ٣٠٥ .

وتخالَفَتْ بيضُ الأكفِّ كأنّها ا   لتصفيق عندَ مجامعِ الأعراسِ
وتَطابَقَتْ سودُ الخِفافِ كأنّها   وقعُ المطارِقِ من يدِ النحاسِ

فرمى المعظم الرقعة إلى فخر القضاة بن بصاقة وقال : أجبه عنها ، فكتب إليه نثراً ، وفي آخره :

فاصبرْ على أخلاقهنّ ولا تكنْ   متخلّقاً إلاّ بخلقِ الناسِ
واعلمْ إذا اختلفتْ عليك بأنّه   «ما في وقوفك ساعةً منباسِ » [1]

ومن شعره :

ما لقلبي إلى السلوّ طَريقُ   أنا من سكرةِ الهوَى لا أفيقُ
ضحكوا يومَ بينهم وبكينا   فتراءتْ سَحائبٌ وبُروقُ
لو تَرانا وللمطالِبِ إخفْا   قٌ إلَينا وللقلوبِ خُفوقُ
لرأيتَ الدليلَ حَيرانَ منّا   كلّما لاحَ للهلالِ شرُوقُ
وسِهام اللحاظِ قد فوّقتْ لي   فلَها كلّما رَمَقَتْ مُرُوقُ
لستُ أدري إذ ضرّمَ اللثْم وجدي   أحريقٌ رشفته أم رَحيقُ
ليدعنْي أهلُ الرشادِ وشأني   ليس يدري ما بالأسيرِ الطليقُ
أقفرت دار من أحبّ وكم ور   قاء كانت بها وغصنٌ وَريقُ
وهفا ثوبها الصفيقُ وللري   ح عليها من حسرةٍ تَصفيقُ
دار لهوي وللهوَى في مَغاني   ها عروق تُنْمى ووجدٌ عريقُ
أي روحٍ وفت هناك لجسمٍ   عندما فارقَ الديّارَ الفريقُ
أشبهتني تلكَ الديار فجسمي   دار ميٍّ ودمع عيني العقيقُ
وكأنّ الثيابَ لفظٌ وجسمي   فيهِ معنى منَ المعمّى دقيقُ
ورشيقِ القوامِ يرشقُ باللّحْ   ظ ولا يستقلُّ منهُ الرشيقُ

---

١ صدر بيت لأبي تمام وتتمته « نقفي ذمام الأربع الأدراس » .

لحظُهُ قاطِـعٌ وما فارَقَ الجفـنَ وفي جفنه عن السيفِ ضيقُ
مُشقتَتْ نونُ حاجبَيه فأبدى ألفَ الحسن قَدُّهُ المَمشوقُ
ولماهُ في صدغه لامهُ والميم فوه والرقّ منهُ الريقُ
فغدا خطُّ حسنهِ وهو مَنشورٌ وأخلاقُهُ علَيهِ خَلوقُ
أحْدَقَ الحسنُ بالحدائق من خدّيهِ لما آذاهما التّحريقُ
مسحةٌ للجمالِ مسح بركنيْها وخدٌ له الشقيقُ شقيقُ
وكأنَّ الخالَ الذي لاحَ في لجةِ خدّيهِ وهو طافٍ غريقُ
طابقَ الحسنُ فيهِ فهوَ إذا[1] يَشْعرُ فيه التجنيسُ والتّطبيقُ
مردفُ الردف وهو مختصرُ الخصْرِ فذا مُفْعَمٌ وهذا دَقيقُ
فاتك الطرف باتك الطرْف عمداً وهو في كلِّ حالةٍ مَعشوقُ
يا خَليلي إنَّ العدوَّ كثيرٌ فاحذَرنْهُ وأينَ أينَ الصديقُ
والرفيقُ الذي يؤمَّلُ منه الرفْقُ قاسٍ فما رفيق رَفيقُ
وبسوقِ الهوانِ يُبتَذلُ الفضلُ فما للفروعِ فيهِ بسُوقُ
فسدَ الناسُ والزمانُ ولا بدَّ بحقّ أن يخلقَ المَخلوقُ
فالكريمُ الذي يغيثُ يغوثٌ واللّئيمُ الذي يعقُّ يَعُوقُ
غيرَ أنَّ المَلكَ المعظمَ فردٌ فاقَ فضلاً وخَصّهُ التوفيقُ

وكان هذا ابن شيث قد رمي من ابن عنين بالداء العُضال فإنه هجاه مرات ، منها قوله[2] :

اللهُ يعلمُ يا ابنَ شيـث ما حصّلتَ من الكتابه
إلاَّ على الداء الذي خُصَّتْ به تلك العصابه

وقال فيه أيضاً[3] :

---

١ ص ر : إن ، والتصويب عن الزركشي .
٢ ديوان ابن عنين : ٢٣٧ .   ٣ ديوانه : ١٤٧ .

أنا وابن شيث والرشيدُ[1] ثلاثةٌ لا يُرْتَجَى فينا لخلقٍ فائدَهْ
من كلِّ من قصُرَتْ يداه عن الندى يومَ الندى وتَطولُ عند المائدَهْ
فكأنّنا واو بعمرٍو أُلْحقَتْ أو إصبَع بَيْنَ الأصابعِ زائدَهْ

ومن شعر ابن شيث :

وشَمعةٍ في المنجنيـ ق وهيَ فيهِ تُشْرِقُ
كأنّها منْ تَحتِهِ شمسٌ عَلاها شَفَقُ

ومنه فيها :

وأنيسةٍ باتَتْ تُساهرُ مُقلتي تبكي وتوري فِعْلَ صَبٍّ عاشقِ
سرَقَتْ دموعي والتهابَ جوانحي فغدا لها بالقَطِّ قَطْعُ السارِقِ

٢٧٣

الدخوار الطبيب

عبد الرحيم بن علي بن حامد الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار ، شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق ؛ وقف داره بالصاغة العتيقة مدرسةً للطب[2] ، ومولده سنة خمس وستين وخمسمائة ، وتوفي سنة سبع وعشرين وستمائة[3] ، ودفن بتربته بقاسيون فوق الميطور .

---

١ يعني رشيد الدين عبد الرحمن النابلسي ، وقد تقدمت ترجمته .

٢٧٣ — ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٣٩ وذيل الروضتين : ١٥٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٧ والبداية والنهاية ١٣ : ١٣٠ والدارس ٢ : ١٢٧ والشذرات ٥ : ١٢٧ وعبر الذهبي ٥ : ١١١ .

٢ سميت المدرسة الدخوارية (الدارس ٢ : ١٢٧) .

٣ عند الذهبي أنه توفي سنة ٦٢٨ .

وكان أعرج، روى عنه القوصي شعراً، وتخرج به جماعة كثيرة من الأطباء، وصنف كتباً منها « اختصار الحاوي » ومقالة في الاستفراغ[1] ، وتعاليق ، ومسائل في الطبّ، وشكوك وأجوبة، وردّ على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين، ورسالة يردّ فيها على يوسف الاسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة ، ونسخ كتباً كثيرة بخطه المنسوب أكثر من مائة مجلد في الطب ، واختصر « الأغاني » الكبير ، وقرأ العربية على تاج الدين الكندي ، وقرأ الطب على الرضيّ الرحبي[2] ، ثم لازم ابن المطران ، وأخذ عن الفخر المارديني وخدم العادل ، ولازم ابن شُكر ، وكانت جامكيته جامكية الموفق عبد العزيز فإنه نزل عليها بعده مائة دينار في الشهر، ومرّض الكامل فحصل له من جهته اثنا عشر ألف دينار وأربع عشرة[3] بغلة بأطواق ذهب، وخلع أطلس، وغير ذلك ، وولاه السلطان رياسة الأطباء في ذلك الوقت بمصر والشام .

وكان خبيراً بكلّ ما يقرأ عليه ، ولازم السيف الآمدي وحصّل معظم مصنفاته ، ونظر في الهيئة والنجوم ، ثم طلبه الأشرف فتوجه إليه ، فأقطعه ما يغلّ في السنة ألفاً[4] وخمسمائة دينار ، ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء، فجاء إلى دمشق لما مَلَكها الأشرف فولاه رياسة الطبّ بها ، وزاد ثقل لسانه حتى إنه لم يفهم كلامه ، وكان الجماعة يبشحون بين يديه ويجيب هو ، وربما كتب لهم ما أشكل في اللوح ، واجتهد في علاج نفسه واستفرغ مرات واستعمل المعاجين الحارّة

---

١ ألفها بدمشق في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٢ .

٢ كذا سماه أيضاً في عيون الانباء ، وذكر صاحب الشذرات (٥ : ١٤٧) أنه « الرخي » نسبة إلى الرخ ناحية بنيسابور ؛ وهذا وهم من صاحب الشذرات تابعه عليه محقق العبر للذهبي فغير « الرحبي » إلى « الرخي » . وقد ترجم ابن أبي أصيبعة له (٢ : ١٩٢) وقال إنه ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وأقام أيضاً بنصيبين وبالرحبة سنين ، وقال أيضاً إن والده من بلد الرحبة ؛ وابن أبي أصيبعة أعرف بذلك لأنه لقي الرحبي وعرفه وتحدث إليه وأخذ عنه .

٣ ص : وأربع عشر .   ٤ ص : ألف .

فعرضت له حمى قوية فأضعفت قوّته ، وظهرت به أمراض قوية كثيرة ، وأسكت ، وسالت عينه .

واتفق له في مبادي خدمته للعادل أشياء قربته من خاطره وأعلت محله عنده ، منها : أنه اتفق له مرض شديد ، وعالجه الأطباء وهو معهم فقال يوماً لا بد من الفصد فلم يرَ[1] الاطباء به ، فقال : والله لئن لم يخرج دماً ليخرجنّ بغير اختياره ، فاتفق أن رُعِفَ السلطان وبرىء ؛ ومنها : أنه كان يوماً على باب دور السلطان ، فخرج إليهم خادم ومعه قارورة ، فرأوها ووصفوا لها علاجاً ، فأنكر هو ذلك العلاج وقال : ليس هذا داء ، يوشك[2] أن يكون هذا من حناء اختضبت به، فاعترف الخادم لهم بذلك .

ومن شعره ما كتب به إلى الحكيم رشيد الدين أبي خليفة[3] في مرضةٍ مرضها شعراً :

حُوشيتَ من مرض تعاد لأجله وبقيتَ ما بقيت لنا أعراضُ
إنا نعدك جوهراً في عصرنا وسواك إن عدُّوا فهم أعراض

وقال ابن خروف يهجو الدخوار :

لا ترجونّ من الدخوار منفعةً فلو شفى علتيه العُجْبَ والعَرَجَا
طبيبٌ إن رأى المطبوبُ طلعتَهُ لا يرتجي صحة منها ولا فرجا
إذا تأمل في دستوره سحراً وقال: أين فلان؟ قيل: قد دَرَجا
فشربة دخلت مما يركبه جِسمَ العليل وروحٌ منه قد خرجا

وقال فيه :

إن الأعيرج حاز الطبَّ أجمعه أستغفر الله ، إلا العلم والعملا

---

١ ص : يرى .

٢ ر : ويوشك .

٣ ص ر : حليقة ؛ ورشيد الدين هذا هو عم مؤلف عيون الأنباء (٢ : ٢٤٦) .

وليس يجهل شيئاً من غوَامضه إلا الدلائل والأمراض والعللا
في حيلة البرء قلّتْ عنده حيلٌ بعد اجتهاد ويدري للردى حيلا
الروح يسكن جُثمانَ العليل على علاته فإذا ما طَبّهُ رحلا

وقال فيه :

طَبّعَ المهذبُ طبّهُ سيفاً وصال على المهجْ
بابُ السلامة لا يرى منه ولا باب الفرج

٢٧٤

ابن الزويتينة

عبد الرحيم بن علي، جمال[1] الدين ابن الزويتينة — تصغير زيتونة — الرحبي ؛ وصل إلى مصر رسولاً من عند صاحب حمص، وكانت وفاته بعد الخمسين وستمائة لما بنى الأشرف جامع التوبة بالعُقَيْبة ، وكان حانةً فيما مضى [2] ، وكان لمدرسة ست الشام إمام يعرف بالجمال السبتي ، وكان في صباه على ما قيل يلعب بالجغانة [3] ، ثم لما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح ، فذُكر للملك الأشرف

٢٧٤ — ابن خلكان ٥ : ٣٣٥ — ٣٣٦ (في ترجمة الملك الأشرف موسى) والزركشي : ١٧٥ والشذرات ٥ : ١٤٨ .

١ ص : بن جمال .

٢ قال ابن خلكان (٥ : ٣٣٤) وكان بالعقيبة ظاهر دمشق خان يعرف بابن الزنجاري قد جمع أنواع أسباب الملاذ ويجري فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف . . . فهدمه (الأشرف) وعمره جامعاً غرم عليه جملة مستكثرة وسماه الناس جامع التوبة . . .

٣ لم يضبط ابن خلكان هذه اللفظة وإنما عرفها بأنها « شيء من الملاهي » وفي معجم اشتاينجاس أن « جغان » أداة موسيقية ، وأن « چغانه » عصا تشبه الصولجان يثبت فيها أجراس صغيرة ، وتحرك فتحدث نوعاً من الموسيقى مصاحباً لآلة أخرى .

فولاه خطابة الجامع المذكور، ثم لما توفي رتب مكانه العماد الواسطي الواعظ، وكان متهماً باستعمال الشراب، فنظم ابن الزويتينة هذه الأبيات وكتب بها إلى الصالح عماد الدين إسماعيل :

يا مليكاً أوْضَحَ الحقَّ لدينا وأبانَهْ
جامعُ التوبة قد قلـ ـدني منه أمانه
قال قل للملك الصالح أعْلى الله شانه
يا عمادَ الدين يا من حمدَ الناسُ زمانه
كم إلى كم أنا في ضُرٍّ وبؤس وإهانه
لي خطيبٌ واسطِيٌّ يعشق الخمرَ ديانه
والذي قد كان من قبل يُغَنِّي بالجغانه
فكما كنت وما زلـ ـنا ولا أبرح حانه
رُدَّني للنَّمطِ الأو ل واستبق ضمانه

٢٧٢

ابن الفوطي

عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصابوني ، الشيخ الإمام المحدث المؤرخ الأخباري الفيلسوف ، المعروف بابن الفوطي صاحب التصانيف ؛ ولد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الشيباني ، أسر في واقعة بغداد ، وصار للنصير

٢٧٥ — الدرر الكامنة ٢ : ٤٧٤ والشذرات ٦ : ٦٠ والبداية والنهاية ١٤ : ١٠٦ ولسان الميزان ٤ : ١٠ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٦٠ وذيل العبر : ١٢٨ وطبقات السبكي ٥ : ١٧٥ والسلوك ٢ : ٢٥٢ ومقدمة مجمع الآداب .

الطوسي ، فاشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وبالآداب والنظم والنثر ، ومَهَرَ في التاريخ ، وله يد بيضاء في ترصيع التراجم ، وذهن سيال ، وقلم سريع ، وخط بديع إلى الغاية ، قيل إنه يكتب من ذلك الخط الفائق الرائق أربع كراريس ، ويكتب وهو نائم على ظهره ، وله بصر بالمنطق وفنون الحكمة . باشَرَ خزانة الرصد أكثر من عشرة أعوام بمراغة ولهج بالتاريخ ، واطلع على كتب نفيسة ، ثم تحوّل إلى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية ، فأكبّ على التصنيف وسوّد تاريخاً كبيراً جداً وآخر دونه سماه « مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب » في خمسين مجلداً ، وألف كتاب « درر الأصداف في غرر الأوصاف » مرتب على وضع الوجود من المبتدا إلى المعاد ، يكون عشرين مجلداً ، وكتاب « تلقيح الأفهام في المؤتلف والمختلف » مجدْوَلاً ، والتاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد ، و « الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة » وله شعر كثير بالعربي والعجمي رحمه الله تعالى [وعفا عنه] .

٢٧٦

أبو طالب المأموني

عبد السلام بن الحسين ، أبو طالب المأموني ، من أولاد المأمون ؛ توفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وردَ الريَّ وامتدح الصاحب بن عبّاد بقصائد ، فأعجبه نظمه وتقدم عنده ، فَدَبّتْ عقاربُ الحسد له ، ورماه نُدماء الصاحب بالدعوة في بني العباس ، وبالغوا في النصب واعتقاد كفر الشيعة والمعتزلة وبهجاء الصاحب ، وينتحلون عليه الشعر ويحلفون أنه له ، حتى سقطت منزلته عند الصاحب ، وقال

٢٧٦ – يتيمة الدهر : ١٦١ والزركشي : ١٧٥ .

١ ص : المأموني .

قصيدته الغراء وطلب الإذن للرحيل ، وأولها :

يا ربعُ لو كنتُ دمعاً فيك منسكبا قضيتُ نحبي ولم أقضِ الذي وجبا
لا ينكرَنْ ربعُكَ البالي بلى جسدي فقد شربت بكأس الحب[1] ما شربا
ولو أفضتُ دموعي حَسْبَ واجبها أفضتُ من كلّ عضوٍ مدمعاً سربا
عهدي بربعك للذات مرتبعاً فقد غدا لغوادي السحب مُنتحبا
فيا سقاك أخو جفني السحابُ حَياً يحبو ربى الأرض من نور الرياض حبا
ذو بارق كسيوف الصاحب انتُضِيَتْ[2] ووابلٍ كعطاياه إذا وهبا

منها :

وعصبةٍ بات فيها الغيظُ متقداً إذ شيدْتَ لي فوق أعناق العلا رتبا
فكنتُ يوسف والأسباط هم وأبو الـ أسباط أنت ودعواهم دماً كذبا[3]
ومن يَرُدُّ ضياءَ الشمس إن شرقت ومن يسدُّ طريقَ الغيثِ إن سكبا
قد ينبحُ الكلبُ ما لم يلق ليثَ شرًى حتى إذا ما رأى ليثاً مضى هربا
أرى مآربكم في نظم قافيةٍ وما أرى ليَ في غير العلا أربا
عَدُّوا عن الشعر إن الشعرَ منقصةٌ لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعرُ أقصرُ من أن يستطالَ به أكان مبتدعاً أم كان مقتضبا

ومنها :

أسيرُ عنكَ ولي في كلّ جارحَةٍ فَمٌ بشكرك يحوي منطقاً ذربا
إني لأهوَى مقامي في ذراك كما تَهوَى يمينك في العافين أن تَهبا
لكنْ لسانيَ يهوَى السيرَ عنك لأن يُطَبِّقَ الأرضَ مَدحاً فيك منتخبا
أظنّني بينَ أهلي والأنامُ هُمُ إذا ترحلت عن مغناك مغتربا

---

١ ص : الحي .
٢ ص : انتصبت .
٣ وقع هذا البيت متأخراً كثيراً عن هذا الموضع في اليتيمة .

وكان يمنّي نفسه أن يقصد بغداد ويدخلها في جيش ينضم إليه من خُرَاسان ، وتسمو همته إلى الخلافة ، فاعتلّ بالاستسقاء ، وتوفي كما ذكرنا في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

فلستُ وإن حُكْتُ القريضَ بشاعر ... فأُعطى على[1] ما قلته القلَّ والكُثْرَا
ولكنَّ بحرَ العلم بين أضالعي ... طَمى فرمى من درّه النظمَ والنثرا
ولو كان لي مال بذلتْ رِقابَهُ ... لمن يعتفيكم أو يذيعُ لكم شكرا
فقد قنعتْ والحمدُ للهِ همّتي ... وفزتُ وما أبغي بمدحكمُ أجرا
وما طلبي إلاّ السرير وإنّما ... سريتُ إليكم أبتغي بكمُ النصرا

وقال :

ما ترى النارَ كيف أسقمها القـ ... ـرّ فأضحت تخبو وحيناً تَسَعَّرْ
وغدا الجمرُ والرمادُ عليه ... في قَميصين مذهبٍ ومعنبَرْ

وقال أيضاً :

وحَمّامٍ لَهُ حرُّ الجَحيمِ ... ولكن شابَهُ بَرْدُ النّسيمِ
قذفتُ به ثواباً في عقابٍ ... وزُرتُ به نَعيماً في جَحيمِ

---

[1] على : سقطت من ر .

٢٧٧

ابن برجان

عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن ، أبو الحكم اللخمي الإفريقي الإشبيلي الصوفي العارف المعروف بابن بَرّجان .

سمع وحدث ، وله تواليف مفيدة : منها « تفسير القرآن العظيم » لم يكمله ، و « شرح أسماء الله الحسنى » ؛ وكانت وفاته سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٧٨

مجد الدين ابن تيمية

عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي ، الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات ابن تيمية الحراني ، جد الشيخ تقي الدين ؛ ولد في حدود التسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

تفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين ، ورحل إلى بغداد[١] وهو ابن بضع عشرة[٢] سنة في صحبة ابن عمه السيف[٣] ، وسمع بها وبحَرّان ، وروى

---

٢٧٧ — لسان الميزان ٤ : ١٣ والاستقصا ٢ : ٧٦ والتكملة رقم: ١٧٩٧ وابن خلكان ٤ : ٢٣٦ (في ترجمة ابن الزكي) وأعمال الأعلام : ٢٤٨ والشذرات ٤ : ١١٣ .

٢٧٨ — غاية النهاية ١ : ٣٨٥ وذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٢٤٩ وعبر الذهبي ٥ : ٢١٢ والشذرات ٥ : ٢٥٧ .

١ كانت رحلته إلى بغداد سنة ٦٠٣ .

٢ ص ر : بضعة عشر .

٣ هو سيف الدين عبد الغني بن محمد بن القاسم بن محمد بن تيمية (— ٦٣٩) انظر ذيل طبقات الحنابلة (٢ : ٢٢٢) .

عنه الدمياطي وولده عبد الحليم وجماعة . وكان إماماً حجّة بارعاً في الفقه والحديث ، وله يد طُولى في التفسير ومعرفة تامة في الأصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط ، ولم يكن في زمانه مثله . وله المصنفات النافعة كـ « الأحكام» ، و « شرح الهداية » وصنف « أرجُوزة في القراءات » وكتاباً في أصول الفقه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي ، قال لي الشيخ تقي الدين : كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول : أُلِينَ للشيخ مجد الدين الفقه كما أُلين لداود الحديد . وشيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء ، وشيخه في القراءات عبد الواحد ، وشيخه في الفقه أبو بكر بن غنيمة صاحب ابن المني . توفي يوم عيد الفطر بحَرَّان . وحكى البرهان المراغي أنه اجتمع به فأورد نكتة عليه ، فقال مجد الدين : الجواب عنها من مائة وجه[1] : الأول كذا ، والثاني كذا ، وسَرَدَها إلى آخرها ، ثمّ قال للبرهان : قد رضينا منك الإعادة ، فخضع له وانبهر ، رحمه الله تعالى وإيانا .

٢٧٩
عبد السلام الحنبلي

عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي ، أبو منصور الفقيه الحنبلي البغدادي ؛ قرأ الفقه على أبيه ، ودرّس بمدرسة جدّه الشيخ عبد القادر بعد وفاة والده ، ودرّس بالمدرسة الشاطبية ، وولي النظر بالرباط الناصري مدة ،

---

١ ذيل الطبقات : من ستين وجهاً .

٢٧٩ – ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٧١ ومرآة الزمان : ٥٧١ والشذرات ٥ : ٤٥ وذيل الروضتين : ٨٨ وتاريخ ابن الأثير ١٢ : ٣٠٥ .

ثمّ ظهر له أشياء كتبها بخطه من العزائم وتبخير الكواكب ومخاطبتها وأنها المدبِّرة للخلق فأحضر بدار الخلافة وأوقف على ذلك ، فاعترف أنه إنما كتبه تعجباً منه لا معتقداً له ، فأخرجت تلك الكتب وأحرقت بعد صلاة الجمعة ، وكان يوماً مشهوداً .

وتوفي سنة إحدى عشرة وستمائة .

وكان قد رتب بعد تلك الواقعة عميداً ببغداد مستوفياً للمكوس والضرائب ، فشرع في ظلم الناس وارتكاب ما نهَى الله عنه من سفك الدماء وضرب الأبشار وأخذ الأموال بغير حق ، ولم يزل كذلك حتّى عزل واعتقل بالمخزن ، ثم أطلق ومكث خاملاً ، وعمل وكيلاً للأمير أبي الحسن علي ابن الإمام الناصر ، ولم يزل كذلك حتّى مات ، وكان دَمِثَ الأخلاق لطيفاً ظريفاً .

ومن شعره في مليحٍ لابسٍ أحمر :

قالوا ملابسُهُ حُمرٌ فقلتُ لهم ... هذي الثياب ثياب الصيدِ والقَنَصِ

ترمي بسهم لحاظ طالما أخذت ... أسد القلوب فتلقيها لدى قفص

فاللون في الثوبِ إما من دما مهجٍ ... أو انعكاس شعاعِ الخدِّ بالقُمُص

٢٨٠

أبو محمد التكريتي

عبد السلام بن يحيى بن القاسم بن المفرج ، أبو محمد التكريتي أخو عبد

---

١ ص : وما المهج ، والتصويب عن ر .

٢٨٠ – ترجم السبكي (٥ : ١٤٩) ليحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي (–٦١٦) وهو فيما يبدو والد عبد السلام المذكور هنا، وانظر الاسنوي ١ : ٣١٣ والحاشية ؛ ولم أجد ذكراً لعبد السلام هذا .

الرحمن ، وهو الأكبر ؛ تفقه على والده وحفظ القرآن وقرأ الأدب وبَرَع فيه ، وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الأدبية ، ولد سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفي سنة [. . .][1] وستمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

مَتى يفيقُ منَ الأشواقِ سكرانُ ... ويَرْتوي من شرابِ الوَصل عطشانُ
ويرجعُ العيش غضّاً بعد ما يبست ... منه بطول الجفا والصدّ أغصان
أفي اصطباري صَدوحٌ غاب واحدها ... فكم لها في فروعِ الأيكِ ألحان
باتت تَنوحُ على غصنٍ تَميلُ به ... ريح الصّبا وكأنّ الغصنَ نَشوان
حزينةُ الصوتِ تَشجو قلبَ سامعها ... قريحَةٌ قلبُها المفجوعُ حنان
تَبكي بغيرِ دموع والبكا خلقٌ ... بالدمع لي وكذاك الوجد ألوان
آهاً على عَيشنا الماضي ولذّتهِ ... إذ غصنه باجتماع الشمل فَيْنان

وقال :

أُمَنّي فؤادي[2] ساعةً بَعدَ ساعة ... لِقاكُم ولولا ذاك كنت أطيشُ
فما العيش إلاّ عيش من نال وَصلكم ... وهيهات من فارقتموهُ يَعيشُ

٢٨١
[الجماهيري]

عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد النحوي الدمشقي ، أبو الفتوح الجماهيري ؛ بغدادي المولد والدار ، أسمعه أبوه في صباه من محمد بن عبد الملك بن خيرون

١ بياض في ر ص .   ٢ ص : قلبي .
٢٨١ — الزركشي : ١٧٦ وهو ممن يتوقع المرء أن يكون له ترجمة في الخريدة (قسم العراق) ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة .

ومحمد بن السلال الورّاق والحافظ ابن ناصر وغيرهم . وقرأ هو بنفسه الكثير على ابن البطي وأبي محمد بن التعاويذي ، وكتب بخطه كثيراً ، وكان شيخاً برباط زاخي[1] يعظ على المنابر ، وكان صالحاً متديناً ، وله نظم ونثر ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، ودفن بسفح قاسيون ، كان قدم دمشق يسترفد صلاح الدين فأعطاه ذهباً .

ومن شعره :

أظن الصبا النجديَّ فيــه رسالـةٌ أرى العيسَ قد حنّتْ وقد طرب الركبُ
وقد مالَ غصن البانِ مصغٍ كأنّهُ يسائلها بالوهمِ ما فعل الركب
فحطّا عن الأكوارِ رحليَ وانزلا إلى أين ترحالي وقد نزل القلب

وقال :

على ساكني بطن العقيقِ سَلامُ وإن أسهرونا بالفراقِ وناموا
حظرتم علينا النومَ وهوَ محلّلٌ وحلّلتُمُ التعذيبَ وهوَ حرام
إذا غبتُمُ عن حاجرٍ وحجرتُمُ على السمعِ أن يدنو إليه سَلام
فلا ميّلتْ ريحُ الصّبا فرع بانَةٍ ولا سجعتْ فوقَ الغصونِ حمام
ولا قهقَهتْ فيه الرعودُ ولا بكَتْ على حافتَيهِ بالعشيّ غمـام

---

١ كذا في ص ر .

٢٨٢
أمين الدين ابن عساكر

عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الأمناء أبي البركات الحسن بن محمد ابن عساكر ، الإمام المحدث الزاهد أمين الدين أبو اليمن ، الدمشقي الشافعي نزيل الحرم ؛ سمع من جده ومن الشيخ الموفق ومن ابن البن وأبي القاسم ابن صَصرى وابن الزبيدي وابن غسان والقاضي أبي نصر ابن الشيرازي ، وأجاز له المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي وطائفة ، وحدّث بالحرمين بأشياء ، وكان عالماً فاضلاً جيد المشاركة في العلوم ، وله نظم ، وهو صاحب عبادة ، كل من يعرفه يثني عليه . ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وتوفي سنة سبع وثمانين وستمائة ؛ وكان شيخ الحجاز في وقته ، وله تواليف في الحديث .

قال الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود العطار قدّس الله روحه : لما ودعت الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى بنَوى حين أردت السفر إلى الحجاز حمّلني رسالة في السلام عنه للامام جار الله أبي اليمن عبد الصمد ابن عساكر ، فلما بلغته سلامه رد عليه السلام وسألني عنه أين تركته ، فقلت : ببلده نوى ، فأنشدني بديهاً :

أمخيمين على نَوى أشتاقكم ... شوقاً يجدد لي الصبابة والجوى
وأروم قربكمُ لأني مرتجي ... يا سادتي قربَ المقيم على نوى

وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين محمود وأرسلها إليه إلى مكة :

---

٢٨٢ - الزركشي : ١٧٧ والشذرات ٥ : ٣٩٥ والعقد الثمين ٥ : ٤٣٢ (وجعل وفاته سنة ٦٨٦) وفيه نقل عن ذيل تاريخ بغداد لابن رافع وعن تاريخ شمس الدين الجزري ؛ وقال : ذكره ابن رشيد في رحلته .

أترى يرجع عهد العلمِ … وزمانُ الوصلِ في ذي سَلَمِ
وعهودي بالحمى رَوّى الحمى … مَدمَعُ المشتاق قبل الدِّيَم
زمن هَيَّجَ أشواقي به … وعهودي فيه طولُ القدم
كلما أملت تجديداً بـه … عَقَلَ الحظُّ مطايا هممي
وحقيقٌ أنا بالسعي ولـو … ناب طرفي في السُّرَى عن قدمي
طالما قد مرَّ لي عيشٌ به … كان أحلى من دوام النعم
في حمى من إضمٍ مَن حلَّه … راجياً أو لاجياً لم يُضَم
نمتُ في البعد ولولا أملي … أن أراه في الكرى لم أنم
وبرغمي بعد طول الوصل أن … صرتُ أرجو زورةً في الحلم
صرت أبكي خيم الوادي وقد … عشت دهراً بين تلك الخيم
فحنيني دام إذ فارقتها … ونعيمي بعدها لم يدم
جيرة الوادي وحُبّي لكمُ … فهو عندي من أبرِّ القسم
وليالٍ بمنىً كانت لنا … بسناكم مشرقاتِ الظلم
والتزام العهد فيما بيننا … بين ذاك الركن والملتزم
وأحاديث رضًى كانت إذا … مرض القلب شفاءَ السَّقَم
ما ذكرتُ العهدَ إلا سفحت … نار شوقي عوضَ الدمع دَمي
إن قلبي سار في الركب الذي … بالسُّرَى قد أمَّكم من أمَم
عارض النوق بشوقٍ لم تطق … حملَ شيء منهُ حُمْرُ النّعم
سار في ذمة إحسانكمُ … مستجيراً بأُهَيْلِ الذمم
ندمي إذ بعت أيام الحمى … أترى يرجع بيعي ندمي
فهنيئاً لكمُ إحرامكم … كلما شئتم بذاك الحرم
وجوار أنتم الآن بـه … شرفاً أهل الصفا والعلم
ليتكم أن تذكروا مَنْ خصّكم … دونه السعد بأوفى القسم
أو تنادوا قلبه المضنى عسى … أن يلبي بعد طول الصمم

وإذا لم يَكُ أهلاً فعسى عطفكم يجعله في الخدم
واشركوه معكم جوداً وَمَنْ هو أولى منكُمُ بالكرم

٢٨٣

عبد الصمد ابن المعذل

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البحتري بن المختار ، كان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والمنشأ ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة ، لا يسلم منه من مدحه من الهجو فضلاً عن غيره ، توفي في حدود الأربعين ومائتين ، وله ذكر في ترجمة أخيه أحمد ، وهما طرفا نقيض .

ومن شعره :

استبقِ قلبك لا يموتُ صبابةً حذَرًا لبَين أخ له يتوقعُ
إن حان بينهمُ وقلبك بائنٌ فبأيّ قلبٍ بعد ذلك تجزع

ومنه :

إنَّ العيونَ إذا أمكنَّ من رجلٍ يفعلنَ بالقلب ما لا تفعل الأسَلُ
وليس بالبَطَلِ الماشي إلى بطلٍ في الحرب تخمد أحياناً وتشتعل
لكنه مَنْ لوى قلباً إذا رشقت فيه العيون فذاك الفارس البطل

ومنه :

برعت محاسنُهُ فجلَّ بها عن أن يقومَ بوصفها لفظُ

---

٢٨٣ — طبقات ابن المعتز : ٣٦٨ والأغاني ١٣ : ٢٢٨ والسمط : ٣٢٥ والموشح : ٥٢٨ والزركشي : ١٧٧ .

نطق الجمال بعُذرِ عاشقه   للعاذلاتِ فأخرس الوعظ
ما للقلوب إذا التبسن به   منه سوى حسراتها حظ
ما ضرَّ من رَقَّت محاسنه   لو كان رقَّ فؤاده الفَظُّ

٢٨٤

سيدوك الواسطي

عبد العزيز بن حامد بن الخضر ، أبو طاهر الشاعر من أهل واسط ، كان يعرف بسيدوك ، روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان وأبو الجوائز الواسطيان؛ توفي سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

تاركتي في الهوى حديثاً   بكثرة الدمع بين صحبي
هَبكِ تجنبتِ لاجتنابِ   طيفُكِ يجفو لأي ذنب ؟
خذي حياتي بلا مِكاسٍ   يا نورَ عيني ونار قلبي

وقال :

شربنا في شعانين النصاري   على وردٍ كأردية العروسِ
تغنينا بناتُ الرومِ فيه   بألحانِ الرهابن والقسوس
فيا ليل نعمنا في دجاه   بحاجات تردَّد في النفوس
رياضُكَ والمدامَةُ والتداني   شموسٌ في شموس في شموس

وقال :

---

٢٨٤ – اليتيمة ٢ : ٣٧٢ والزركشي : ١٧٧ .
١ ص : تاركي .

إن داءَ العداةِ[1] أبرحُ داء   وطبيبي سريرةٌ ما تبوحُ
تحسبوني إذا تكلمت حياً   ربما طار طائر[2] مذبوح

وله البيتين المشهورة التي[3] لم يعمل مثلهما في طول الليل وقصره ، وهي :

عهدي بنا ورداءُ الوصل يجمعنا   والليلُ أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليليَ مذ غابوا فديتهمُ   ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر

٢٨٥

الجليس ابن الجباب

عبد العزيز بن الحسين بن الجبابِ – بالجيم والباء الواحدة المشددة وبعد الألف باء[3] – الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس ابو المعالي[4] ؛ قال ابن نقطة : سمي الجليس لأنه كان يعلم الظافر وأخويه أولاد الحافظ القرآن الكريم والأدب ، وكانت عادتهم يسمون مؤدبهم الجليس ؛ وقال العماد الكاتب[5] : مات سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وقد أناف على السبعين ، وتولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال .

---

١ ر : الغداة .   ٢ ص : طائرا .

٣ كذا في ص ر ؛ وصوابه : وله البيتان المشهوران اللذان ؛ ولم أر ضرورة لتغييره .

٢٨٥ – الخريدة (قسم مصر) ١ : ١٨٩ والنكت العصرية : ٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٢ ، ٣٧١ والزركشي : ١٧٨ .

٤ هذا الضبط لم يرد في المطبوعة ؛ وبه يتأكد الوجه الصواب لهذا الاسم ، وقد ورد في الخريدة « الحباب » بالحاء المهملة ، وأثبته في وفيات الأعيان ٧ : ٢٢٣ بالجيم وقلت هنالك : والشكل الذي أثبته هنا بخط المؤلف (أي ابن خلكان) .

٥ أبو المعالي . . . الكاتب : سقط من المطبوعة .

ومن شعره :

ومن عجبي أن الصوارمَ والقنا[1] تحيضُ بأيدي القوم وهي ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنها في أكفهم تأجَّجُ ناراً والأكفُّ بحور

ومنه :

حَيّا بتفاحة مخضبةٍ مَنْ شَفّني حبُّهُ وتيمني
فقلت ما إن رأيت مشبهها فاحمرَّ من خجلةٍ فكذّبني

ومنه[2] :

وأصل بَليِتّي مَنْ قد غزاني من السقم الملحّ بعسكرينِ
طبيبٌ طبه كغراب بينٍ يفرّق بين عافيتي وبيني
أتى الحُمّى وقد شاخت وباخت فعاد لها الشباب بنسختين
ودبّرها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاه عن سنانٍ أو حنين
وكانت نوبةً في كلّ يومٍ فصيرها بحذقٍ نوبتين

ومنه :

يا وارثاً عَنْ أبٍ وجدٍّ فضيلةَ الطبّ والسداد
وحاملاً[3] ردَّ كلّ نفس هَمَّتْ عن الجسم بالبعاد
أقسم لو قد طَبَبَتَ دهراً لعاد كوناً بلا فساد

ومنه :

قد أهملتْ كلُّ الأمورِ فما يعنى بمصلحة ولا يغنى
بسداد مختلفين ما لهما إلا فساد أمورنا معنى

---

١ الخريدة : أن السيوف لديهم .
٢ من قطعة كتبها في مرضه يشكو طبيباً يقال له ابن السديد على سبيل المداعبة (الخريدة ١ : ١٩٢) .
٣ الخريدة : وكاملا .

يأتي فيكتبُ ذا ويكشط ذا فنعودُ بعدهما كما كنا

وقال :

ربّ بيضٍ[1] سللن باللحظ بيضاً مرهفات جفونهنّ جفونُ
وخدود للدّمع فيها خدود وعيون قد فاض فيها عيون

وقال :

حبذا متعةُ الشباب التي يُعْـ ـذَرُ في حبها الخليع العذارِ
إذ بذات الخِمار أمتع ليلى وبذات الخُمّار ألهو نهاري
والغواني لا عن وصالي غوانٍ والجواري إلى جِوَاري جَوَاري

وكان القاضي الجليسُ ابن الجباب كبير الأنف ، وكان الخطيب أبو القاسم هبة الله ابن البدر المعروف بابن الصياد[2] مولعاً بأنفه وهجائه ، وذكر انفه في أكثر من ألف مقطوع ، فانتصر له أبو الفتح ابن قادوس[3] الشاعر فقال[4] :

يا من يعيب أنوفنا الـ ـشمّ التي ليست تُعَابُ
الأنف خلقة ربنا وقرونك الشمُّ اكتسابُ

وقال الجليس يرثي والده وقد مات غريقاً في البحر لريح عصفت :

وكنت أهدي مع الريح السلام له ما هبت الريحُ في صبح وإمساءِ
احدى ثقاتي عليه كنت أحسبها ولم أخل أنها من بعض أعدائي

وقال :

ألمت بنا والليلُ يزْهى بلمة دَجُوجية لم يكتهل[5] بعدُ فوداها

---

١ ص : بيضاً .
٢ انظر ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٤٢ .
٣ هو محمود بن إسماعيل بن حميد الفهري (– ٥٥١) انظر الخريدة ١ : ٢٢٦ .
٤ الخريدة : ١ : ٢٤٥ .
٥ الخريدة : لم يكتمل ، وما هنا أصوب .

فأشرق ضوءُ الصبح وهو جبينها   وفاحت أزاهير الربى وهي ريّاها
إذا ما اجتنت من وجهها العين روضة   أسالت[1] خلال الروض بالدمع أمواها
وإني لأستسقي السحابَ لربعها   وإن لم تكنْ إلا ضلوعيَ مأواها
إذا استَعرَتْ نارُ الأسى بين أضلعي   نَضَحتُ على حرّ الحشا برد ذكراها
وما بيَ أن يَصلى الفؤاد بحرّها   ويضرم لولا أنَّ في القلب سكناها

٢٨٦

الصفي الحلي

عبد العزيز بن سَرَايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سَرَايا ، هو الإمام العلامة البليغ المفوّه ، الناظم الناثر ، شاعر عصرنا على الإطلاق، صفي الدين الطائي السنبسي الحلي ، شاعر أصبح به راجحُ الحليُّ ناقصاً ، وكان سابقاً فعاد على كعبه ناكصا ، أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء فما قدر زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة . مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة ، دخل إلى مصر في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، واجتمع بالقاضي علاء الدين ابن الأثير كاتب السر ومَدَحه ، ومدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها :

* بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا *

١ الخريدة : سفحت .

٢٨٦ — الدرر الكامنة ٢ : ٣٧٩ والنجوم الزاهرة ١٠ : ١٣٨ والزركشي : ١٧٨ وبدائع الزهور ١ : ١٧٣ ، ٢١٠ .

وهي[1] :

أسبلن من فوق النهود ذوائبا فجعلن حباتِ القلوب ذوائبا
وجلَوْنَ من صبح الوجوه أشعةً غادرن فَودَ الليل منها شائبا
بيضٌ دعاهنَّ الغبيُّ كواعباً ولو استبانَ الرشدَ قال كواكبا
سفّهنَ رأي المانوية عند ما أسبلن من ظُلم الشعور غياهبا
وسفرن لي فرأين شخصاً حاضراً شدهت بصيرته وقلباً غائبا
أشرقن في حلل كأنَّ أديمها شفق تَدَرَّعُهُ الشموس جلاببا
وغربن في كِلَلٍ فقلت لصاحبي «بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا»
ومعربدِ اللحظاتِ يثني عطفه فيُخَال من مرح الشبيبة شاربا
حلو التعتّبِ والدلالِ يروعُهُ عتبي ولستَ تراه[2] إلاّ عاتبا
عاتَبتُهُ فتضرَّجتْ وجناتُه وازورَّ ألحاظاً وقَطَّبَ حاجبا
فأرانيَ الخدَّ الكليمَ وطرفه ذو النون إذ ذهبَ الغَداةَ مغاضبا
ذو منظر تغدو القلوبُ بحُسنه نَهْباً وإن مَنَحَ العيونَ مواهبا
لا غرو[3] أن وهب اللواحظَ حظوةً من نوره ودعاهُ قلبي ناهبا
فمواهب السلطان قد كَسَتِ الوَرى نعماً وتدعوه القَساورُ سالبا
الناصر الملك الذي خضعت لـه صِيدُ الملوكِ مشارقاً ومغاربا
ملكٌ يرَى تعبَ المكارم راحةً ويعدُّ راحاتِ الفراغِ متاعبا
لم تخلُ أرضٌ من ثناه وإن خَلَتْ من ذكره ملئت قَناً وقواضبا
بمكارم تَذَرُ السباسب أبحراً وعزائمٍ تذرُ البحارَ سباسبا
ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمانِ مسالماً ومحاربا

---

١ ديوانه : ٩٥ .
٢ الديوان : أراه .
٣ الديوان : لا بدع .

فإذا سطا ملأ القلوبَ مَهابة وإذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالغيثِ يبعثُ من عطاه نائلاً سَبطاً ويرسلُ من سطاه حاصبا
كالليثِ يحمي غابه بزئيرهِ طوراً ويُنشِبُ في القَنيص[1] مخالبا
كالسيف يبدي للنواظرِ منظراً طلقاً ويمضي في الهياج مضاربا
كالسيل تحمد منه عَذْباً واصلاً ويعده قوم[2] عذاباً واصبا
كالبحر يهدي للنفوس نفائساً منه ويبدي للعيون عجائبا
فإذا نظرتَ نَدَى يديهِ ورأيه لم تلقَ إلاّ صَيِّباً أو صائبا
أبقى قَلاوونُ الفخارَ لولده إرثاً فَفازوا بالثناء مكاسبا
قومٌ إذا سَئموا الصوافنَ صَيَّروا للمجدِ أخطارَ الأمورِ مراكبا
عشقوا الحروبَ تيَمّناً بلِقا العدا فكأنّهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنّما ظَنّوا السيوفَ سوالفاً واللدنَ قَدًّا والقِسيَّ حَواجبا
يا أيّها الملكُ العزيزُ ومَنْ لهُ شرَفٌ يجرُّ على النجومِ ذوائبا
أصلحتَ بينَ المسلمينَ بهِمّة تذر الأجانبَ بالوفود[3] أقاربا
ووهبتهم زمن الأمانِ فمَنْ رأى ملكاً يكون لهُ الزمانُ مواهبا

ومنها :

فأقمت تقسم للوحوشِ وظائفاً فيها وتصنعُ للنسورِ مآدبا
وجعلتَ هاماتِ الكُماةِ منابراً وأقمتَ حدَّ السيفِ فيها خاطبا
وبذَلتَ للمُدّاحِ صفوَ خلائقٍ لو أنّها للبحر طابَ مشاربا
فرأوك في جنب النّضارِ[4] مُفَرّطاً وعلى صلاتك والصلاة مواظبا
أولَيتني فيكَ[5] المديحَ عنايةً وملأتَ عيني هيبةً ومواهبا

١ ص : القميص . ٢ ص ر : قوماً .
٣ الديوان : بالوداد .
٤ ص : النضائر .
٥ الديوان : قبل ؛ وهي قراءة أجود من المثبتة .

ورفعتَ قدري في الأنامِ وقد رأوا ... مثلي لمثلك خاطِبــاً ومخاطبا
في مجلسٍ ساوى الخلائق في الندى ... وترتّبتْ فيه الملوكُ مراتِبا
وافيْتُهُ في الفُلكِ أسعى جالساً ... رغماً[1] على من قال أمشي راكبا
وسقتنيَ الدنيا غداةَ وردتــه ... رِيّاً وما مطرَتْ عليّ مصائبا
فطفقتُ أملأ من ثناك وشكره[2] ... حقباً وأملأ من نَداك حَقائبا
أُثني فتثنيني صفاتك مُظهراً ... عيّاً وكم أعيتْ صفاتك خاطبا
لو أنّ أعضانا جَميعاً ألسن ... تثني عليك لما قضينا[3] الواجبا

وأنشده الصاحب شمس الدين ابن السنيدي أبيات سليم الهوى النيلي المصغرة ألفاظها التي أوّلها :

* بُرَيْقٌ بالأبيرِق في الفُجير *

وذكر ان ناظمها نظمها غزَلاً لصاحب الديوان علاء الدين الجويني ولم يمكنه نظم بيت واحد[4] مديحاً ؛ إذ شأن المدح التعظيم ، فنظم صفي الدين الحـلي[5] :

نُقَيطٌ من مُسَيكٍ في وُرَيْدِ ... خُوَيْلُكَ أم وُشَيْمٌ في خُدَيدِ
وذياك اللُوَيمع في الضُّحيَا ... وُجَيهك أم قُمَيرٌ في سُعيد
وجيهُ شُويدن فيه شُكَيلٌ ... أدقّ معينياتٍ من خويد
ظُبَيّ بل صُبَيّ في قُبَيٍّ ... مريْهيبُ السطيوةِ كالأُسَيد
معيشيق الحُرَيكَةِ والمُحيّا ... مُمَيْشيقُ السّويلفِ والقُديد

---

١ الديوان : فخراً .
٢ الديوان : ونشره .
٣ الديوان : قضين .
٤ ص : بيتاً واحداً .
٥ صفي الدين الحلي : سقطت من ر .

معيسيلُ اللُّميّ لهُ ثُغَيرٌ   رُوَيْقَتهُ خمير في شُهيد
ظبيّ في مقيلته نُبيـــلٌ   مويقعه أُفَيْـــلاذ الكبيد
شويمِيٌّ اللفيظِ فما أُحَيـــلى   عذيب قويله لي يا سويدى
تريكيٌّ للحيظ له جُسَيْم   تريف لمسه لينٌ الزبيــد
مُجَيْديلُ القُدَيد له خُصَيرٌ   يجاذبُه كُفَيلٌ كالطُوَيد
فويق صُلَيْته لوُفَيرَتيه   لُبَيْلٌ من فويحمه الجعيد
رويدك يا بنيّ فلي قُلَيب   مسيليبُ النجيدة والجُليد
جُفَيْني من هُجَيْرك في سُهَيْر   أطيول من مطيلك للوعيد
ولست حويذراً[1] لصريف دهري   رويبَ حويدث يضني جُسَيدي
صُرَيف الدهر يعجز عن عبيد   سُنَيد ظهيره نجل السنيدي
نزلت جويرَه فقضى حقيقي   وصار جويني ورعى عهيدي
وراش جُنَيحي وحمى ظُهيري   وزاد حُرَيمي وبنى مجيدي
وحن على كُسير من قُليبي   كما حنّ الأُبيُّ على الوُليد
رويقده مُقَيلَةُ وافديهِ   كأنهمُ طفيل في مهيد
نظرت حُوَيسديه وهم نُوَيس   منيظرهم سميعك[2] بالمعيدي
دُوَينك يا أهيلَ الجود مني   نظيماً في وصيفك كالعقيد
أُحَيسنُ من قُصَيِّدِ من قبيلي   وأشبق من نُظَيمٍ من بعيدي
أريشق من غُزَيِّلهم مُدَيحي   وأحلى من هُزَيلهم جُدَيْدي
حُسَيبُ مُكَيْنَتي وعلى قُدَيري   ووسع طويقتي وقُوَى جُهَيْدي

وقال[3]:

---

١ ص : حويذر .
٢ ر ص : كسمعك .
٣ الديوان : ٣٩٤ .

ترى سكرت عطفاه من خمر ريقه | فمالت به أم من كؤوس رحيقهِ
مليح يغيرُ الغصنَ عند اهتزازه | ويُخْجِلُ بدرَ التم عند شروقه
فما فيه شيء ناقصٌ غير خَصْره | ولا فيه شيء بارد غير ريقه
ولا ما يسوء النفس غير نفاره | ولا ما يروعُ القلبَ غير عقوقه
عجبتُ له يبدي القساوةَ عندما | يقابلني من خدّه برقيقه
ويَلْطُفُ بي من بعدِ إعمال لحظه | وكيف يردّ السهم بعد مروقه
يقولون لي والبدرُ في الأفق مشرقٌ | بذا أنت صبّ ؟ قلت : بل بشقيقه
فلا تُنكروا قتلي بدقّةِ خصره | فإن جليلَ الخطبِ دون دقيقه
وليلةَ عاطاني المــدامَ ووجْههُ | يرينا صَبُوحَ الشربِ حالَ غَبوقه
بكأسٍ حكاها ثغره في ابتسامه | بما ضمّه من درّه وعقيقه
لقد نلت إذ نادمته من حَديثِهِ | من السكر ما لا نِلْتُهُ من عتيقه
فلم أدرِ من أيّ الثلاثةِ سكرَتي | أمن لحظهِ أم لفظهِ أم رحيقه
لقد بعتُه قلبي بخلوةِ ساعةٍ | فأصبح حقاً ثابتاً من حقوقه
وأصبحتُ ندماناً على خُسرِ صفقتي | كذا من يبيعُ الشيء في غير سوقه

وقال أيضاً[1] :

غيري بحبلِ سواكمُ يتمسّكُ | وأنا الذي بترابكم أتَمسّكُ
أضَعُ الخدودَ على مَمرّ نعالكم | فكأنّني بترابِهــا أتبَرَّك
ولقد بذلتُ النفسَ إلاّ أنّني | خادعتُكم وبذلتُ ما لا أملك
شرطي بأن حُشاشتي رِقّ لكُم | والشرطُ في كلّ المذاهبِ أملك
قد ذقتُ حبّكمُ فأصبحَ مهلكي | ومن المطاعم ما يُذاق فيهلك
لا تعجلوا قبلَ اللقاء بقتلتي | وصِلوا فذلك فائتٌ يستدرك
ولقد بكيتُ لدهشتي بقُدومكُم | وضحكتُ قبلُ وهجركم لي مهلك

---

١ الديوان : ٣٩٦ .

ولربّما أبكي السرورُ إذا أتى فرطاً وفي بعضِ الشدائدِ يضحك
زعم الوُشاةُ بأن هويتُ سواكمُ يا قوتلَ الواشي فأنّى يؤفك
عارٌ عليَّ بأن أكونَ مشرّعاً دين الهوى ويقال إنّي مشرك

وقال[1] :

جلَّ الذي أطلعَ شمس الضحى مشرقةً في جنحِ ليلٍ بهيمْ
وقدَّرَ الخالَ على خدّه « ذلك تقدير العزيز العَليمْ »
بدرٌ ظننّا وجهه جنّةً فمسّنا منها عذابٌ أليمْ
ينفر كالريمِ ألا فانظرُوا إلى بخيلٍ وهوَ عندي كريم
لما انحنى حاجبهُ وانثنى يهزُّ للعشاقِ قداً قويم
عجبتُ من فرطِ ضلالي وقد بدا ليَ المعوَجُّ والمستقيم
داوِ حبيبي يا طبيبَ الهوَى وخلّني إنّي بحالي عَليم
فخصْرُهُ واهٍ وأجفانُهُ مريضةٌ واللحظُ منهُ سقيم

وقال[2] :

رعى الله من لم يرع ليحقَّ صحبةٍ وسلم من لم يَسْخُ لي بسلامهِ
وفي ذمةِ الرحمن من ذمَّ صحبتي ولم أك يوماً ناقضاً لذمامه
وإني على صبري على فرط هجره وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاولُ طرفي لحظة من خياله ويشتاقُ سمعي لفظةً من كلامه
ويومَ وقفنا للوداع وقد بدا بوجه يحاكي البدرَ عند تمامه
شكوتُ الذي ألقى فظلَّ مقابلاً بُكاي وشكوى حالتي بابتسامه
بدمع يحاكي لفظه في انتثاره وعتبٍ يحاكي ثغره في انتظامه
فما رقّ من شكوايَ غير خدوده ولا لان من نجواي غير قوامه

---

١ الديوان : ٣٩٦ .
٢ الديوان : ٣٩٧ .

وقال في غلام كفله صغيراً ورباه فحسد عليه [1] :

هويته تحت أطمار مشعثةٍ وطالبُ الدرّ لا يغترّ بالصَّدَفِ
وخبرتني معانٍ في مراسمه به كما خبر العنوانُ بالصحف
ولاح لي من أمارات الجمال به ما كان عن لحظ غيري بالخمول خفي
فظلتُ أرحضُ [2] ما يبديه من دَرَن به وأدحض ما يخفيه من جنف
حتى إذا تم معنى حسنه وبدا كالبدر في التمّ أو كالشمس في الشرف
ولاح كالصارم المصقول أخلصه تتبُّع القين من شين ومن كلف
وجال في وجهه ماء الحياء كما يجولُ ماء الحيا في الروضة الأنُف
وولّد الحسنُ في أحداقه حوَرَاً وضاعف الدلُّ ما بالجسم من ترف
أضحتْ به حدَقُ الحساد محدقةٌ ترنو إليه بطرف غير منطرف
وظل كل صديق يرتضي سَخَطي فيه وكل شقيق يرتجي تلفي
يا للرجال أما للحبِّ منتصرٌ لضَعف كُلِّ محب غير منتصف
ما أطيبَ العشقَ لولا أن سالكه يمسي لأسهُم كيد الناس كالهدف

وقال [3] :

يا ربِّ أعطِ [4] العاشقين بصبرهم في الخلدِ غاياتِ النعيم المطلقِ
وأذقهمُ بردَ السرور فطالما صبروا على حرِّ الغرام المقلق
حتى يرى الجبناءُ عن حمل الهوى غاياتِ عزمهمُ التي لم تلحق

وقال [5] :

---

١ الديوان : ٣٩٨ .
٢ ص ر : أرخص .
٣ الديوان : ٣٩٩ .
٤ ص : أعطى .
٥ الديوان : ٤٠١ .

حرّضوني على السلو وعابوا لك وجهاً[1] به يعاب البدرُ
حاش لله ما لعذريَ وجهٌ في التسلّي وما لوجهك عذر

وقال[2] :

قلوبنا مُودَعةٌ عندكم أمانةٌ نعجز[3] عن حملها
إن لم تصونوها بإحسانكم ردّوا الأماناتِ إلى أهلها

وقال[4] :

أقول للدار إذ مررتُ بها وعبرتي في عِراصها تَكِفُ
ما بال وعد السحاب أخلف مغ ناك فقالت في دمعك الخلفُ

وقال[5] :

يا من حكت شمسَ النهار بحسنها وبعاد منزلها وبهجة نورها
هلا عَدلتِ كعدلها إذ صيرتْ للناس غيبتها بقدر حضورها

وقال[6] :

قيل إن العقيق قد يبطل السحـ ـر بتختيمه لسرٍّ حقيقي
فأرى مقلتيك تنفثُ سحراً وعلى فيك خاتماً من عقيق

وقال[7] :

الوجهُ منك عن الصواب يُضِلني وإذا ضللتُ فإنه يهديني

---

١ ص : وجه .
٢ الديوان : ٤٠٧ .
٣ النون غير معجمة في ص .
٤ الديوان : ٤١٣ .
٥ الديوان : ٤٢٠ .
٦ الديوان : ٤٢٥ .
٧ الديوان : ٤٢٧ .

وتميتني الألحاظُ منك بنظرة   وإذا أردتَ بنظرة تحييني
وكذاك من مرض الجفون بليّتي   وإذا مرضتُ فإنها تشفيني
فلذاك أشري الوصلَ منك بمهجتي   وأبيع دنيائي بذاك وديني

وقال[1] :

ما يقول الفقيه في عبد رقٍّ   لحبيب لم يرضَ منه بعتقِ
زاره في الصيام يوماً وأولا   ه جميلاً من بعد بعد وسحق
فإذا ضم قدَّه وعصى الشه   وة فيه من غير نيةِ فسق[2]
هل عليه في لثم فيهِ جُناح   إن غدا مضمراً محبة صدق

وقال[3] :

شكَوْتُ إلى الحَبيبِ أنينَ قلبي   إذا جَنَّ الظّلامُ فقالَ إنّا
(من الأنين)
فقلتُ لهُ أظنّك غير راضٍ   بما كابَدتُ فيكَ فقال إنّا
(بمعنى نعم)
فقلتُ أترتضي أن ناء قلبي   بأثقالِ الغرامِ فقال إنّا
(بمعنى حمل)
فقلتُ فإنّكُمُ لولاةُ أمْـرٍ   على أهلِ الغرامِ فقال إنّا
(ان واسمها)

وقال[4] :

قلبي لكم بشروعهِ وشروطِه   وسروبُهُ ملكٌ لكم وحقُوقُهُ
حرٌّ تحيطُ به حدودٌ أربعٌ   فيها تعين رَحْبُهُ ومَضيقه

---

١ الديوان : ٤٢٨ .
٢ سقط هذا البيت من الديوان .
٣ الديوان : ٤٢٧ .
٤ الديوان : ٤٢٨ .

الودّ أولها وثانيها الوَفـا   والثالثُ العهدُ السليمُ وثيقه
والرابعُ المسلوكُ صدقُ محبّتي   لكمُ وفيـهِ بابهُ وطريقُهُ

وقال :

حسدتُ الشّعرَ منهُ وقد تَدَلّى   على كفلٍ له كالطّودِ عبْلِ
وقلتُ له أيا مَنْ طابَ عَيْشاً   بما استوجبتَ ذلك منه قبـلي
وأنت شبيه حَظّي منه لَوْناً   ولَستَ على الحقيقة ربَّ فضل
فقال يكونُ ذا منهُ نَصيبي   وتزعمُ أن حظّك منه مثلي

وقال[1] :

للترك ما ليَ تَرْكُ   ما دِينُ حبيَ شِرْكُ
أخلصتُ دينَ هَواهم   فحبّهم ليَ نسك
خاطَرتُ بالنفسِ فيهم   ومسلكُ العيشِ ضَنْك
قنعتُ بالودّ منهـم   إنّ القناعةَ ملك
وبي أغَـنُّ غريرٌ   ملامَـتي فيـهِ إفك
بحاجبَيـهِ وعَيَنيـهِ   للمحبّينَ هتك[2]
حواجبٌ وعيُـونٌ   لهـا بقلبيَ فتـك[3]
كالقوس تُصمي وهذي   تشكي المحبّ وتشكو

وقال :

وذي مَرَح عارضتُهُ في طريقه   فلما رآني قال إمض لِشانكا
فقلتُ لهُ فألٌ سعيدٌ مبشّر   بتصحيفه أنّي أمصُّ لسانكا

---

١ الديوان : ٤٣٠ .
٢ في الأصل : فتك .
٣ لعل هذا البيت كان تعديلا لسابقه .

وقال [1] :

إن غبتَ عن عِياني   يا غايةَ الأمـاني
فالفكرُ في ضَميري   والذكرُ في لساني
ما حَـالَ عنك عهدي   ولا انثَـنى عِناني
شوقي إليكَ بـاقٍ   والصبرُ عنكَ فاني

وقال :

خلّيـاني من فترةِ النّسوانِ   وانعِشاني بِنَشطَةِ الغلمانِ
أبدِلاني من نَفحةِ المِسك والندِّ   بريح الكيمختِ والزعفران
ذاك عطري ما زالَ يعبقُ في بُرْ   دَيَّ من موزةٍ ومن قفطان
ليس يَصبو لربّةِ القُلبِ قَلْبي   بل لربٍّ الأقراطِ حنَّ جناني
فاخليا من فلانة خرتَ سمعي   واملأا مسمعي بذكر فلان
واتركا الفتنةَ التي قيل عنهـا   إنّها من حبَائلِ الشيطان
أينَ مني ذاتُ الخِمارِ بحمّا   م وفي موكبٍ وفي بستان
فلهذا لا أرتَضي العيشَ إلاّ   مع حبيبٍ تراه حيث تراني
إن رآه ذوو البصائر قالوا :   « غيرُ مستحسن وصالُ الغواني » [2]
فلوَ انّي فُوّضتُ في جنّة الخلـ   ـدِ وصُرّفتُ في نَعيمِ الجنان
لم أكنْ مائلاً إلى طيبِ وصل الـ   حورِ إلاّ مع عزة الولدان

وقال :

بأبي قدارٌ منك وابن زرارة   أدْنَيتَ حتْفَ المستَهامِ العاني

---

[1] الديوان : ٤٣٣ .

[2] صدر بيت ، وعجزه « بعد ستين حجة وثمان » ، وهو مطلع قصيدة للشريف أبي إبراهيم ، بعث بها إلى أبي العلاء المعري فأجابه عنها بقصيدته :

عللاني فإن بيض الأماني   فنيت والظلام ليس بفان

فلَوَ انّ إسمَ أبي مُعاذٍ قلبُه ما كان في البَلْوَى أبا حسّان[1]

وقال[2] :

بُعِثْتَ بآياتِ الجمالِ فآمَنَتْ بحسنك أبصارٌ لنا وبصائرُ
وأبديتَ حسناً باللحاظِ مُمنعاً[3] فلا خاطرٌ إلاّ وفيك يُخاطر
ولما بدت زهرُ الثغورِ وتاهت الـ خواطرُ وامتدت إليك النواظر
ختَمتَ على درّ الثنايا بخاتمٍ عقيق وتحتَ الختم تُخبْا الجواهر

وقال أيضاً[4] :

إلى مُحيّاك ضوء البدر يعتذر وفي محبتك العشاق قد عُذروا
وجنّة الخلد في خدّيك مونقَةٌ ونار حبّك لا تُبقي ولا تذر
يا من يهزُّ دلالاً غصنَ قامته الغصنُ هذا فأين الظلّ والثمر
ما كنتُ أحسبُ أن الوصلَ ممتنعٌ وأن وعدكَ برْقٌ ما به مطر
خاطرتُ فيك بغالي النفس أبذلُها إنّ الخطيرَ عليهِ يسهل الخطر
لما رأيت ظلامَ الشعر منك بدا خُضتُ الظلامَ ولكن غرّني القمر

وقال من الموشح المضمن ، وهو من مخترعاته الّتي لم يُسبق إليها ، والأبيات المضمنة منحولة إلى أبي نواس[5] :

وحقّ الهوى ما حُلْتُ يوماً عن الهوى ولكنّ نجمي في المحبّةِ قد هوَى
ومَن كنتُ أرجو وصله قتْلّي نَوَى وأضنى فؤادي بالقطيعةِ والنوى

---

١ قد شرحت الكنايات في هذين البيتين (ووضعت في درج الكلام في ص وفوق الأسطر في ر)، فقدار تمني (سالف) وابن زرارة (حاجب) وأبو معاذ (جبل) وأبو حسان (ثابت) . .
٢ الديوان : ٤٣٨ .
٣ ص ر : ممتعاً .
٤ الديوان : ٤٣٩ .
٥ الديوان : ٤٥٣ .

ليس في الهوى عجب إنْ أصابني النّصَبُ
حاملُ الهوى تَعِب يَستفزُّه الطّربُ

أخو الحبّ لا ينفكّ صباً متيّما غريق دموع قلبُهُ يَشتكي الظّمَا
لفرط البكا قد صار جلداً وأعظما فلا عجب أن يمزج الدمع بالدما

الغـــرامُ أنْحَلـه إذ أصابَ مقتلـه
إنْ بَكَى يحقّ لـه ليس ما به لعب

ألا قل لذاتِ الخال يا ربّة الذكا ومَنْ بضياء الوجه فاقت على ذُكا
شكوتُ غرامي لو رثَيتِ لمن شكا وأطلقت دمعي لو شفى الدمعُ من بكى

فانثنيتِ ساهيـــةً والقلوبُ واهيـةً
تضحكين لاهيـــةً والمحبُّ ينتحب

أسرتِ فؤادي حين أطلقتِ عبرتي وبدّلتني من مُنيتي بمنيّتي
ولما رأيتُ السقمَ أنحلَ مُهجتي تعجبتِ من سقمي وأنكرتِ قتلتي

صرتِ إذ بدا ألمي عندما أرقْتِ دَمي
تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

تحجّبت عن عيني فأيقنتُ بالشّقا وآيسني فرطُ الحجاب من البقا
فلما أميطَ السّتر وارتحتُ للّقـا غضبتِ بلا ذنب وغادرتني لَقى

حين تُرْفَعُ الحجب منك يصدر الغضب
كلّما انقضى سبَب منك عادَ لي سبب

وقال في الزنبق والورد[1] :

قد نَشرَ الزنبقُ أعلامَـهُ وقال كلُّ الزهرِ في خدمتي

---

[1] الديوان : ٥٥٤ .

لو لم أكنْ في الحسنِ سلطانَهُ ما رفعتْ من دونهِ رايتي
فقهقهَ الوردُ به هازيــاً وقال ما تحذر من سطوتي ؟
وقال للسوْسَنِ ماذا الذي يقولهُ الأشيبُ في حضرَتي ؟
فامتعضَ الزنبقُ من قولِــهِ وقال للأزهارِ يا رفقتي
يكونُ هذا الجيشُ بي محدقا ويضحاك الوردُ على شيبتي ؟

وقال أيضاً ، وفيها ستة[1] تشبيهات طيّ ونشر[2] :

خلّياني أجرُّ فَضْلَ برودي راتعاً في رياضِ عين البرودِ[3]
كم بها من بَديع زهرٍ أنيــقٍ كفصولٍ مَنظومَةٍ وعقود
زنبق بينَ قُضْبِ آسٍ وبَانٍ وأقاحٍ وعَبْهَرٍ وورود
كجبينٍ وعارضٍ وقَــوامٍ وثغــورٍ وأعينٍ وخدود

وقال[4] :

ولم أنسَ إذ زارَ الحبيبُ بروضةٍ وقد غفلت عنا وُشاةٌ ولوَّامُ
وقد فرش الوردُ الخدودَ ونُشرَتْ لمقدمه للسوسن الغضّ أعلام
أقول وطرفُ النرجسِالغضّ شاخصٌ إلينا وللنّمام حوليَ إلمام
أيا رب حتّى في الحدائق أعينٌ علينا ؟ وحتّى في الرياحين نمام ؟

وقال في مليح راقص[5] :

جاء وفي قده اعتدالٌ مهفهفٌ ما له عديلُ
قد خففت عطفهُ شمال وثَقَّلَتْ جفنَهُ شَمول

---

١ ص : ست .
٢ الديوان : ٥٥٦ .
٣ عين البرود : إحدى ضياع ماردين .
٤ الديوان : ٥٥٩ .
٥ الديوان : ٤٨٠ .

ثم انثنى راقصاً بقَدٍّ تُثنى إلى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه فيه مياه الحيا تجول
فرنّحَ الرقصُ منه عطفاً حفّ به اللطفُ والدخول[1]
فعطفه داخلٌ خفيفٌ وردفه خارجٌ ثقيل

وقال في مليح قلع ضرسه[2] :

لحا الله الطبيبَ فقد تَعدّى وجاء لقطع ضرسك بالمحالِ
أعاق الظبي في كلتا يديه وسلّط كلبتين على غزال

وديوانه الذي دوّنه بنفسه ثلاث مجلدات وكله جيد .

وبلغنا وفاته في أوائل سنة خمسين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعنا ، بمنه وكرمه .

٢٨٧
الشيخ عز الدين ابن عبد السلام

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ، شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي ؛ ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ستين وستمائة .

سمع من الخشوعي وعبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي والقاسم ابن عساكر

١ ص : والذحول .

٢ الديوان : ٤٧٥ .

٢٨٧ – طبقات السبكي ٥ : ٨٠ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢٠٨ وذيل الروضتين : ٢١٦ والسلامي : ١٠٤ والبداية والنهاية ١٣ : ٢٣٥ والأسنوي ٢ : ١٩٧ وعبر الذهبي ٥ : ٢٦٠ والشذرات ٥ : ٣٠١ ورفع الأصر ٢ : ٣٥٠ وحسن المحاضرة ١ : ٣١٤ ، ٢ : ١٦١ .

وابن طبرزد وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم ، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً عوَالي . روى عنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وغيرهم . وتفقه على الإمام فخر الدين ابن عساكر ، وقرأ الأصول والعربية ، ودرّس وأفتى وصنف ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقَصَدَه الطلبة من البلاد ، وتخرج به أئمة ، وله الفتاوى السديدة[1] .

وكان ناسكاً ورعاً ، أمّاراً بالمعروف نهاء عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم ؛ ولي خطابة دمشق بعد الدولعي ، فلما تملك الصالح إسماعيل دمشق وأعطى الفرنج صفد والشقيف ، نال ابن عبد السلام منه على المنبر وترك الدعاء له ، فعزله وحبسه ثمّ أطلقه ، فنزح إلى مصر ، فلما قدمها تَلَقّاه الصالح نجم الدين أيوب وبالغ في احترامه ، واتفق موت قاضي القضاة شرف الدين ابن عين الدولة ، فولي بدر الدين السنجاري قضاء القاهرة ، وولي ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر .

ثم إن معين الدين ابن الشيخ بنى بيتاً على سطح مسجد بمصر ، وجعل فيه طبل خاناه معين الدين ، فأنكر ذلك ابنُ عبد السلام ، ومضى بجماعته وهدّمَ البنيان ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعزّلَ نفسه عن القضاء ، فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له اعزله عن الخطابة وإلاّ شَنّع عليك على المنبر كما فعل في دمشق ، فعزله فأقام في بيته يشغل الناس .

وكان مع شدّته فيه حُسنُ محاضرة[2] بالنادرة والشعر ، وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد . وأرسل إليه السلطان لما مرض وقال : عيّنْ مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال : ما فيهم مَنْ يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ، ففُوِّضت إليه .

ولما مات شهد الظاهر جنازته والخلائق ، رحمه الله .

---

١ ص : الشديدة .　　٢ ص : محاظرة .

واختصر « نهاية المطلب » وله « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » و « مقاصد الرعاية » وغير ذلك ؛ والناسُ تقول في المثل : ما أنت إلا من العوام ، ولو كنت ابن عبد السلام . ويقال إنه لما حضر بيعة الملك الظاهر قال له : يا ركن الدين ، أنا أعرفك مملوك البندقدار ، فما بايعه حتى جاء مَنْ شهد له بالخروج عن ملكه إلى الملك الصالح ، وعتقه ، [رحمه الله تعالى ورضي عنه] .

ولما كان بدمشق سمع من الحنابلة أذى[1] كثيراً .

٢٨٨

الرفيع الجيلي

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل ، قاضي القضاة بدمشق ، رفيع الدين الجيلي الشافعي ، الذي فعل بالناس تلك الأفاعيل[2] ؛ كان فقيهاً مناظراً متكلماً متفلسفاً ، قدم الشام وولي القضاء ببعلبك أيام صاحبها الصالح إسماعيل ووزيره أمين الدولة السامري[3] ، فلما ملك الصالح دمشق ولاه القضاء بدمشق ، فاتفق هو والوزير [المذكور في الباطن][4] على المسلمين ، وكان عنده شهود زور ومن يدعي زوراً ، فيحضر الرجل المتمول إلى مجلسه ، ويحضر المدعى عليه

١ ر : اذاء .

٢٨٨ – ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧١ (وذكر أنه توفي سنة ٦٤١) والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٠ ومرآة الزمان : ٧٤٩ والبداية والنهاية ١٣ : ١٦٢ والشذرات ٥ : ٢١٤ والدارس ١ : ١٨٨ وعبر الذهبي ٥ : ١٧٢ وذيل الروضتين : ١٧٣ .

٢ سيشرح المؤلف بعض تلك الأفاعيل في ما يلي .

٣ أمين الدولة أبو الحسن الطبيب الوزير كان سامرياً ببعلبك ، قتل سنة ٦٤٨ (انظر عبر الذهبي ٥ : ١٩٩) .

٤ ثبت في ر وحدها .

بألف دينار أو بألفين فينكر ، فيحضر الشهود فيلزمه ويحكم عليه ، فيصالح غريمه على النصف ، أو أكثر أو أقل ، فاستبيحت أموال الناس .

قال أبو المظفر ابن الجوزي : حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة دُهْرياً مستهتراً بأمور الشرع ، يجيء إلى الصلاة سكران ، وأنّ داره كانت مثل الحانة .

قال الشيخ شمس الدين : بلغني ان الناس استغاثوا إلى الصالح ، فخاف الوزير وعجل بهلاكه ليمحو التهمة عنه ؛ وقيل إنّ السلطان كان عارفاً بالأمور ، والله أعلم .

وقبض على أعوان الرفيع وكبيرهم حسين بن الرواس الواسطي ، وسجنوا وعذبوا بالضرب والعصر والمصادرة ، ولم يزل ابن الرواس في العذاب إلى أن فقد .

وفي ثاني عشر الحجة سنة اثنتين وأربعين وستمائة أخرج الرفيع من داره ، وحبس بالمقدمية ، ثم أخرج ليلاً وسجن في مغارة في نواحي البقاع [1] ، وقيل ألقي من شاهق ، وقيل بل خنق .

قال ابن واصل : حكى لي ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى شقيف أرنون : فعرف أني أريد أرميه ، فقال : بالله عليك دعني أصلي ركعتين ، فأمهلته حتى صلاهما ثم رميته فهلك .

ولما كثرت الشكاوى عليه أمر الوزير بكشف ما حمل إلى الخزانة ، وكان الوزير لا يحمل إلى الخزانة إلاّ القليل ، فقال الرفيع : الأمور عندي مضبوطة ، فخافه الوزير ، وخوّف السلطان من أمره ومن عاقبته ، فقال : أنت جيت به وأنت تتولى أمره ، فأهلكه الوزير .

وقال ابن أبي أصيبعة : كان من الأكابر والمتميزين في الحكمة والطبيعي

---

١ يقال لها مغارة افقه (وتصحفت في مرآة الزمان إلى : افته) .

والطب وأصول الدين والفقه .

وحكى بعض الذين باشروه أنه لما أرمَوْه في تلك الهوّة تحطم في نزوله ، وكأنّه تعلّق في بعض جوانبها بثيابه ، فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام ، وكلما مرَّ [يوم] يضعف ويخفى حتّى تحققنا موته ورجعنا عنه ، نسأل الله تعالى حسن العـاقبة .

٢٨٩

شيخ الشيوخ عبد العزيز

عبد العزيز بن محمد بن عبد[١] المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، الإمام العلامة الأديب الشاعر ، شيخ الشيوخ شرف الدين ابن القاضي أبي عبد الله الأنصاري الأوسي الدمشقي الشافعي الحموي الصاحب ، ابن قاضي حَماة ؛ ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق ، وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة .

رحل به والده وسمعه « جزء ابن عرفة » من ابن كليب ، وسمّعه « المسند » كله من عبيد الله بن أبي المجد الحربي ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب على الكندي ، وسمع من جماعة ، وبَرَع في العلم والأدب ، وكان من الأذكياء المعدودين[٢] ، وله محفوظات كثيرة ، وسكن بعلبك مدة ؛ وسكن دمشق مدة ثم سكن حَماة ، وكان صدراً كبيراً نبيلاً معظماً وافر الحرمة كبير القدر ؛ روى عنه الدمياطي وأبو الحسين اليونيني وابن الظاهري وقاضي القضاة بدر

٢٨٩ – عبر الذهبي ٥ : ٢٦٨ والشذرات ٥ : ٣٠٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٢١٤ وطبقات السبكي ٥ : ١٠٨ والزركشي : ١٨٣ والمؤلف ينقل عن الوافي للصفدي ، كما أن ابن تغري بردي أشار إلى أنه أفاض في ترجمته في المنهل الصافي ، وانظر عقود الجمان لابن الشعار ٤ : ٢٠ .

١ عبد : سقطت من ر .

٢ ص : المعدومين .

الدين ابن جماعة ، وجماعة كثيرة .

قال الشيخ صلاح الدين حرسه الله تعالى : لا أعرف في شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها مَنْ نظم أحسنَ منه ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا أسرى ولا أكثر ، فإن له لزوم ما لا يلزم مجلد كبير ، وما رأيت له شيئاً إلاّ وعلقته لما فيه من النكت والتوريات القاعدة والقوافي المتمكنة والتركيب العذب واللفظ الفصيح والمعنى البليغ ؛ فمن ذلك قوله :

غدوتُ فكنتَ شمسي في صباحي ورحتُ فكنتَ بدري في مسائي
وجدتك إذ عدمت وجود نفسي فأهـلاً بالفراق وباللّقـاء
فإن أغفيتُ كان عليك وقفي أو استيقظتُ كان بك ابتدائي
فيا سعدي إذا ما دام سكري عليّ وإن صحوتُ فيا شقائي
وقلتُ لصاحبي لما لَحَـاني : عليك بما عناك ولي عنـائي
أصَمَّكَ سوءُ فهمك عن خطابي وأعماك الضلال عن اهتدائي
وهُنْتَ فكنتَ في عَيْني صَبِيّـاً أخاطبـهُ بألفـاظِ الهجاء
فلو أصبحت ذا حـاء وسين لمـا عَنَّفْتَ في جاء وبـاء

وقال :

ما لم يغير عكسُه لَفظَـهُ مثاله « قد نبل البندقُ »
وما إذا صحف معكوسه عاد إلى صيغته « فستق »

وقال :

لائمي في العشقِ مُخْطي وعلى العشقِ مَحَطّي
ما لكم يا مَن لحـوني رمتمُ باللّوم صَبْطي
لا تحطّـوني إلى أبْ جدَ قد جاوزتُ حُطّي

كم شرحتم ما أعمّي   وكشفتم ما أغطّي
وتهدّدتم وقلتم   إنّ أمري ليس يبطي
خبروني هل أخذتم   عملتي من تحت إبْطي
قد تخلّيتُ عن العقل   فخلّوني وخبْطي
شفّني أغيدُ ، قلبي   منه في قبضٍ وبسْط
وحياتي ومماتي   في رضًى منهُ وسُخْط
ولحاني في هواهُ   كلّ واهي العقل زُطّي
يُشْهر اللحظ يماني[1]   ويهزُّ القدّ خطّي
زيّن الخدّ بخالٍ   وعذارٍ هو شرطي
أبدع الحسنُ به ما   شاء من شكلٍ ونقط
مدّ أطرافَ بنانٍ   حسنها يقطعُ وسطي
ثمّ عاطاني[2] سُلافاً   مثلها من فيه يعطي
عُتّقت عند شيوخ   من شيوخ الدير شُمْطِ
فلها بذْلي ومنْعي   ولها حلّي وربْطي
خلّني أفسدُ مالي   في الذي يصلح[3] خلطي
مذهبي هذا الذي أفْ   ني به صحبي ورهْطي
وبه فاشهدْ على نطْ   قي وخذ إنْ شئتَ خطّي

وقال :

أرقت لبارقِ مزن أضا   على الأثلاتِ بذات الأضا
كما نبض العرقُ ثمّ انبرى   كإدمانِ رامٍ إذا أنبضا

---

١ ص ر والزركشي : يمان .
٢ ص والزركشي : أعطاني .
٣ الزركشي : التي تصلح .

فأذكرني بالغضا جيرةً تولَّوْا وأصليتُ جمرَ الغضا
أضاء الدجى ليَ لما دنَوا وبانوا فضاق عليَّ الفضا
وطوّل في حبهم لائمي فعرَّض قلبي لما عرَّضا
رأى النارَ في كبدي تلتظي وفي جوفه الماء ما خضخضا
بروحي غزالٌ بألحاظه وُعودٌ بألحاظنا تُقتضى
سقانيَ من ريقه خمرةً شفاني بها وبها أمرضا
رنا وانثنى فقضى حسنه عليّ ولي وَطرٌ ما انقضى
فمن قَدِّه ذابلٌ مُشرَعٌ ومن لحظه صارمٌ مُنتضى
أبثك وجداً كساني الضنى فأعجزني السقمُ أن أنهضا
وعَمَّم فودي بوخط المشيب فسوَّد حالي بما بيَّضا
بعيَني أقيك فنَمْ وادعاً وإن كان جفنيَ ما أغمضا
فَزِدني صدوداً أزدْ صبوةً وفي حالة السخط لا في الرضى[1]
أعد نظراً منك في أمر مَن إلَيك مقاليدَهُ فوَّضا
وفاضَ على خدِّه دَمعُهُ فذهّبهُ بعدما فضضا
وعاود أطرابَهُ بعد ما نضا من شَبيبتهِ ما نضا

وقال :

قرأتُ خطَّ عذاريهِ فأطمعني بواو عطفٍ ووصلٍ منه عن كَثَبِ
وأعربَتْ ليَ نونُ الصدغ معجمةً بالحاء عن نجح مقصودي ومُطَّلبي
حتى رنا فسبت قلبي لواحظهُ «والسيف أصدق أنباء من الكتب»

وقال :

حيثُ ترامت بيَ الجهاتُ فلي إلى وجهكَ التفاتُ

---

[1] ناظر إلى قول الشاعر :

وفي حالة السخط لا في الرضى يبين المحب من المبغض

جيراننا باللّوى أجيروا ولهـانَ أودى به الشّتاتُ
إليكُمُ هجرتي وقصدي وفيكُمُ الموتُ والحيـاةُ
أمنتُ أن توحشوا فؤادي فأنسوا مقاتي ولا تو

وقال :

نَفحاتٌ مُعَنْبَرَهْ عن رياضٍ مُحَبَّرَهْ[1]
وغمامٌ معربدٌ ببروقٍ وزَمْجَرَهْ
ترك الروضَ ناظراً[2] بعيونٍ مخضّرهْ

وقال أيضاً :

كبدٌ تلتظي ودمعٌ غريقُ هكذا هكذا يكونُ المَشُوقُ
نَفَّسُوا عن خناقِ نفسٍ كئيبٍ كُلِّفَتْ بالغرامِ ما لا تطيق
ما لنا في الهوى حقوقٌ عليكم بل لكم سادتي علينا الحقوق
مثلكم في جمالكم ليس يُلْفى وغرامي بغيركم لا يَليق
عَقَّني لؤلؤ المَدامع فيكم ووفَى لي دمعٌ حكاهُ العقيق
فبعيني أفدي سيوفَ جفون لدمي من جفون عيني تُريق[3]
يا حبيباً له بصدري ودادٌ رَحْبُ صدرِ الفضاء عنه يضيق
دقّ معناي فيك مذ كنت طفلاً لستُ أدري بكم يباعُ الدقيقُ
إنّني ربُّ غلظةٍ لعذولي ولداعي هواك عبدٌ رقيقُ
بَهَرَتْ منك مقلتي عينُ شمس يتهادى بها قَضيبٌ وَريق
فبتعريق حاجبَيك افتتاني كلّما ماس قدّك الممشوق
وبتعليق ذا العذار اشتغالي عن دروسي والضرب[4] والتعليق

1 ر : مخبره .
2 ر ص : ناضراً .
3 ص : بريق .
4 ص : والظرب .

وقال :

أفنَيتُ عمريَ في دهرٍ مكاسبه نطيعُ أهواءنا فيـهِ وتعصينا
تسعاً وعشرين مَدّ الدهر شُقّتَها حتى توَهمتها عشراً وتسعينا

وقال :

أكملتُ ستاً وأربعينَ بهـا أخلَتْ همومي من راحتي رَبْعي
وجُزْتُ في السبع خائفاً وجلاً كأنني جائرٌ[1] على السبع

وقال :

مررتُ وبدره في عقربيهِ فصدّ فبان لي صِدْقُ النّجامَهْ
فديتك لو رأيتَ لهيب قلبي إذن لرَحمتَ دمعي وانسجامه
وخدُّك في العذارِ بديعُ حسنٍ وأحسنُ منه ساقك في الحجامه

وقال :

ستٌّ عيونٍ من تأتَّتْ له كانت له شافيةً كافيهْ
العلمُ والعلياء والعفو والـ عزّة والعفّة والعـافيه

وقال :

سألته من ريقـهِ شربَةً أطفي بهـا من ظمإي[2] حَرَّهْ
فقال أخشى يا شديدَ الظما أن تتبـعَ الشربةَ بالجره

وقال :

إن قوماً يَلْحَوْنَ في حبّ سُعْدى « لا يكادون يَفقهون حَديثا »
سمعوا وَصفَهـا ولاموا عليها « أخذوا طيباً وأعطوا خبيثا »

---

١ ص ر : جائزاً ، وقد وردت صحيحة عند الزركشي .
٢ الزركشي : ظمأ .

وقال :

زعموا أنّني هويتُ سواكم | كذبوا ما عرفتُ إلاّ هواكمْ
قد علمتم بصدقِ مُرْسل دمعي | فسَلُوهُ إن كان قلبي سلاكم
قال لي عذّلي متى تُبصرُ الرشـ | ـدَ وتسلو فقلتُ يومَ عماكم
حاولوا سلوّتي بلومي فأغرو | ني فمن ذا بصدّكم أغراكم
لا تحيلوا قلبي على حسن صبري | أحسن الله في اصطباري عزاكم

وقال أيضاً[1] :

شرحتُ لوجدي في محبتكم صدرا | وصبّرَني صحبي فلم أستطعْ صبرا
ومن ظنّ سلواني من البرّ والتقى | فإنّني إلى الرحمن من ذنبه[2] أبْرا
فيا يوسفَ الحسنِ الذي مذ علقته | بسيارةٍ من فكرتي قلتُ يا بُشرَى
لقد حلّ من قلبي بوادٍ مقدّسٍ | ليقبسَ من قلبي الكليم به جمرا
لئن خوّفتْني من تجنيه عُذّلٌ | فإن مع العسر الذي زعموا يُسرا
وقلتُ لعذالي ألم[3] تعرفوا الهوى | لقد جئتُمُ شيئاً بعذلكمُ نُكرا
لعمري لقد طاوَعتُ زائدَ لَوعتي | عليكم وما طاوعتُ زيداً ولا عمرا
شفينا غليلَ الشوقِ منهُ بنزلةٍ | فطوبَى لمن يَحْظى به نزلةً أخرى[4]
فلا تَعجبوا للسيل والسيف واعجبوا | لأجفانه الوَسنَى ومقلتيَ العَبْرى
وإن بان ذلي وانكساري لبينـهِ | فمن قيصرٌ عند الوصال ومن كسرى
وأيّ عذول كان في الحبّ عاذري | فذاك الذي قد يسر الله[5] لليسرى
خليليّ ها سقط اللوى قد بدا لنا | فلا تَقطعاه بل قفا نبك ِمن ذكرى

١ قال الزركشي : وأنشد لنفسه في « تذكار الواجد » يمدح الملك الناصر .
٢ ص : دونه ؛ ر : ذمه ؛ والتصويب عن الزركشي .
٣ ص : إلى كم .
٤ وقع هذا البيت عند الزركشي بعد قوله « خليلي ها سقط اللوى » وهو أكثر ملاءمة للسياق .
٥ الزركشي : فذاك ممن يسر الله .

بدا فاسترقَّ العالمين جَمالُـهُ فمن أجل هذا جلَّ بالعينأن يُشرَى
وأذكرَ آياتِ الخليـل عذارُهُ لجنته الخضراء في ناره الحَمْرا
تَباعد مَسرًى شامنا من حجازه وقد زارنا لَيلاً فسبحان من أسرَى

وقال أيضاً :

طاوَعتكُم فعصيتُم أمـري وحفظتكم فأذعتُم سرّي
وشغلتُ قلبي واللسانَ بكم في الحبّ عن زيد وعن عمرو
لم تَخفَ أشجاني ولا ظَهرَت فضَنيتُ بينَ السرِّ والجهر
جودوا على مقدارِ فضلكُمُ وذروا مكافاتي على قدري
لا تعرضوا عني بلطفكُمُ مَن ذا بحالي غيركم يَدْري

منها :

ما في صباحي والمساء سَناً لولاك يا شمسي ويا بدري
وقف الهوى بي حيث أنت فلي وَقْفاً[1] عليك مدامع تجري
ذَرْني ووجدي يا عذول[2] بمن كاونتهم[3] مذ كنت في الذَّر
أفنَيتُ عمري في مَحبّتهم فلئن سلَوتهم فـواعمري
إن بيـعَ بالأرواح وصلهمُ فقد اشتريتُ بذلك السعر

وقال[4] :

لا حَظَّ في الدنيا لمستيقظٍ يلمحُها بالفكرة البـاصرَهْ
إن كدَّرتْ مشربَهُ مَلّها وإن صفتْ كدَّرَتِ الآخرهْ

وقال أيضاً :

---

١ ص ر : وقف .
٢ ص ر والزركشي : عذولي .
٣ ر : كاويتهم ؛ وكاونتهم يريد بها أنه كان معهم في وقت واحد .
٤ لم يرد البيتان في المطبوعة .

خذ في وقارك واتركني ووسواسي   فليس في ولهي في الحبّ من باس
إن أنتَ لم تَقفُ إثري في الغرام فقف   عني لأجري إلى اللذات أفراسي
ولا تَقِسْني على مَن لا يُشاكلني   فإن أمريَ شيء غيرُ مُنْقَاس

منها :

قضيب آس تبدى مثمراً قمراً   وجدي القديم به أطرى من الآس
لها معاطفُ تُغْرِيني برقّتها   ولينها أن أقاسي قلبها القاسي
باتت مُوَسِّدَةً رأسي على يدها   عطفاً وكانت يدي منها على راسي

وقال أيضاً :

أأسودُ غيلٍ أم ظباء كِناس   هدمت تُقَايَ وأسَّسَتْ وسواسي
وتغزُّلي من بينها بغزَيِّلٍ   خلس النفوسَ بطرفه الخلاّسِ
أشكو إليهِ وأينَ عزّ جمالهِ   من ذلّتي وغناه من إفلاسي
ماذا ترى أذنبَتُ في شرعِ الهوى   حتّى بُليتُ بكلّ قَلبٍ قاسي
مولايَ تذكرُ إذ زماني[1] قائم   فيما أمرتَ وأنتَ من جُلاّسي
حُوشِيتَ من نسيان عهدٍ لم يزلْ   يُنسينيَ الإيحاشَ بالإيناسِ
ولئن غدرتَ لقد وفت لك عبرتي   والدمعُ منهُ خاذلٌ ومواسي
إن لم تزر فإذا مررت فقف بنا   « ما في وقوفك ساعةً من باسٍ »
يا صاح لا تخدعْ فما لصُحاتنا   شبهٌ سوى الأمواتِ في الأرماس
فإذا السرورُ عصىّ عليك ولم يطعْ   فخذ المدامَ ودع كلام الناس
لا تُكْذَبَنّ فلست أتركُ شربها   في الدّير بين القسّ والشمّاس
عنفتني فيما مضى وعذرت[2] إذ   نادمتني وشربت فضلة كاسي
هذا ولو أدركتَ فضلة نَشْوتي   قبلت رجلي أو حلفت براسي

---

١ ص : رماني .
٢ ص : وغدرت .

وقال أيضاً :

أقسمتُ ما خَدُّه القاني من الخجلِ ... أرقّ من دمعيَ الجاري ولا غزَلي

غزال إنسٍ غضيضُ الطرف ناظره ... خلوٌ من الكُحلِ مملوءٌ[1] من الكَحَل

لاهٍ عدَلتُ إليه بالهوى ولَه ... جورٌ عليَّ بقَدٍّ منه معتدل

فماس غُصْناً ولكن غيرَ مهتصرٍ ... واهتزّ رمحاً ولكن غيرَ معتقل

يا نظرةً ما جلَتْ لي حسنَ طلعته ... حتى انقضَت وأدامتني على وَجَل

عاتَبتُ[2] إنسانَ عيني في تسرُّعه ... فقال لي خلق الإنسان من عجل

يا عاذلي ليس مثلي من تخادعه ... وليس مثلك مأموناً[3] على عَذَلي

ما دمت خلواً فما تنفك متهماً ... اعشق وقولُك مقبولٌ عليَّ ولي

وقال أيضاً :

سألت سوارها المثري فنادى ... فقيرُ وشاحِها : الله يفتحْ

لها طرفٌ يقول الحرب أولى ... ولي قلبٌ يقول الصلح أصلح

٢٩٠

الزكي ابن أبي الإصبع

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد، الأديب أبو محمد ابن

---

١ ص ر : مملواً .

٢ الزركشي : عاينت .

٣ ص ر : مأمون .

٢٩٠ – ابن الشعار ٤ : ١٩٩ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٧ والشذرات ٥ : ٢٦٥ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٧ والزركشي : ١٩١ ومقدمة كتابه «تحرير التحبير» ، ومقدمة «بديع القرآن» .

أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الإمام في الأدب ؛ له تصانيف حسنة في الأدب ، وشعره رائق ، عاش نيفاً وستين سنة ، وتوفي بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

تصدقْ بوصلٍ إنَّ دمعيَ سائلُ   وزَوِّدْ فؤادي نظرةً فَهْوَ راحلُ
جعلتك بالتمييز نصباً لناظري   فلم لا رَفَعتَ الهجرَ والهجرُ فاعل

وقال :

فديتُ التي[1] إذ وَدَّعتنيَ أودعت   من اللفظ سمعي ساعةَ البينِ جوهرا
فلما التقينا رَدَّ دمعي لنَحرهـا   وديعتَها فهي اللآلي التي تـرَى
بكتْ ورنَتْ نحوي فجرَّدَ لحظها   من الجفن سيفاً بالدموع مجوهرا

وقال :

مَن يذُمُّ[2] الدنيا بظلم فإني   بطريقِ الإنصافِ أثني عليها
وعظتنا بكلّ شيء لو انّا   حين جادت بالوعظ من مصطفيها
نَصَحَتنا فلم نرَ[3] النصح نصحاً   حين أبدت لأهلها مـا لديّها
أعلمتنا أن المـآل يقينـاً   للبلى حينَ جدَّدت عصريها
كم أرَتنا مصارعَ الأهلِ والأحـ   باب لو نَستفيقُ بين يَديها
ولكم مهجةٍ بزهرتهـا اغتـَ   رَّتْ فأدمت ندامةً كفيّها
أتراها أبقتْ على سبَإٍ من   قبلنا حينَ بدَّلَتْ جنتيها
يومُ بؤسٍ لها ويَومُ رخاء   فتزوَّدْ ما شئتَ من يوميها
وتيقّن زوالَ ذاك وهذا   تَسْلُ عن ما تراه من حادثيها

---

١ ص ر والزركشي : الذي .   ٢ ص : يضم .
٣ ص ر والزركشي : نرى .

دار زادٍ لمن تزوَّد منهـا وغرورٍ لمن يميـلُ إليها
مهبطُ الوحي والمصلّى التي كم عفرت صورة بها خديها
مَتْجر الأولياء قد ربحوا الجنـ ـةَ فيها وأوردوا عينَيها
رَغَّبَتْ ثم رَهَّبَتْ ليرَى كلُّ لَبيبٍ عقباه من حالتيها
فإذا أنصفتْ تعيّن أن يُثْـ ـني عليها ألبرُّ من ولديها

وقال :

انتخب للقريبِ لفظاً رقيقـاً كنَسيمِ الرياضِ في الأسحارِ
فإذا اللفظُ رَقَّ شَفَّ عن المعـ ـنى فأبداه مثلَ ضوء النهار
مثلما شَفّتِ الزجاجةُ جسماً فاختفَى لونها بلونِ العُقار

وقال في قيم حمام :

وقيمٍ كلَّمتْ جسمي أنامله بغير ألسنَةٍ تكليمَ خرْصانِ
إن أمسكَ اليدَ مني كادَ يكسرها أو سَرَّحَ الشعرَ من فَوْدَيَّ أدماني
فليسَ يُمْسِكُ إمساكاً بمعرفة ولا يُسَرّحُ تَسريحاً بإحسان

وقال [رحمه الله تعالى] :

أرانيَ لا ينفكُّ نَجميَ هابطاً نراه براه ربّنا حَسْبُ للرّجْمِ
جفتْني الليالي فاغتدَيتُ كأنّني أفتش دهري في التّراب على نجمي
فصرتُ إذاً قوساً وعقليَ رامياً ورأيي الذي أصمي الرمايا به سهمي

وقال :

وساقٍ إذا ما ضاحك الكأسَ قابلتْ فواقعُها من ثغره اللؤلؤَ الرطبا
خشيتُ وقد أمسى ضجيعي على الدجى فأسبلتُ دون الصبح من ثغره حُجبا
وقسّمتُ شمسَ الطاسِ بالكاس أنجماً ويا طولَ لَيلٍ شمسه قسّمتْ شُهُبْا

وقال :

إذا ما سقاني ريقه وهو باسم — « تذكّرت ما بين العذيب وبارقِ »
ويذكرني من قدّه ومدامعي — « مجرَّ عوالينا ومجرى السوابق[1] »

وقال :

أيا عَبْلَةَ الأردافِ لحظك عنترٌ — وما لي على غاراته في الحشا صبرُ
نعم أنت يا خَنْساء خَنْساء عصرنا — وشاهدُ قولي أن قلبك لي صَخْرُ

وقال :

رأيتُ بفيهِ إذ تَبَسَّمَ أدمُعاً — فقلتُ رثى لي إذ بكَى فمه حزنا
أجادَ له في النظم شاعر ثغره — ولكنه من مقلتي سَرَقَ المعنى

وقال :

تبسَّمَ لما أن بكيتُ من الهجرِ — فقلت ترى دمعي فقال أرى ثغري
فديتك لما أن بكيتُ تنظمت — بفيك لآلي الدمع عقداً من الدر
فلا تَدَّعي يا شاعرَ الثغرِ صنعةً — فكاتبُ دمعي قال ذا النظم من نثري

٢٩١

الحافظ زكي الدين المنذري

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد ، الحافظ الإمام زكي الدين أبو محمد المنذري المصري الشافعي ؛ ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، غرة شعبان بمصر ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ؛ قرأ القرآن على الأرتاحي ،

١ قد ضمن في البيتين مطلع قصيدة للمتنبي .

٢٩١ — طبقات السبكي ٥ : ١٠٨ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١٢ والنجوم الزاهرة ٧ : ٦٣ والشذرات ٥ : ٢٧٧ والأسنوي ٢ : ٣٣٢ وانظر دراسة عنه للأستاذ بشار عواد معروف (النجف ١٩٦٨).

وتفقه على أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشي ، وتأدب على أبي الحسين ابن يحيى النحوي ، وسمع من عبد المجيد ابن زهير وإبراهيم بن البتيت ومحمد بن سعيد المأموني والمطهر ابن أبي بكر البيهقي والحافظ ربيعة اليمني وأبي الجود غياث ابن فارس والحافظ ابن المفضل ، وبه تخرج وهو شيخه ؛ وبمكة من يونس الهاشمي وأبي عبد الله بن البناء ، وخرج لنفسه معجماً كبيراً مفيداً .

روى عنه الدمياطي وأبو الحسين اليونيني وإسماعيل ابن عساكر وعلم الدين الدواداري وتقي الدين ابن دقيق العيد وخلق كثير ؛ ودرس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة ؛ ثم ولي مشيخة دار الحديث الكاملية وانقطع بها نحواً[1] من عشرين سنة ، رحمه الله تعالى .

٢٩٢

جمال الدين التبريزي

عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى ، القاضي الخطيب جمال الدين التبريزي الحراني الدمشقي الشافعي ؛ مولده في نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة بحران ، واشتغل ونشأ بدمشق وتفقه .

قال الشيخ شمس الدين ، ذكر لي قال : ماتت أمي ابنة عشرين سنة ، وكان أبي تاجراً ذا مال ، فقدم بي إلى دمشق وأنا ابن ست سنين ، فمات وكفلني عمي عبد الخالق ، ورجع بي إلى حرّان ، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً ، وردً بي[2] إلى دمشق ، فقال لي يوماً : امضِ بنا نتفرّج ، فمضى بي نحو ميدان الحصى

١ ص ر : نحو .

٢٩٢ — الدرر الكامنة ٣ : ٧ والزركشي : ١٩٦ ، والكتبي ينقل أيضاً عن الصفدي .

٢ كذا ، ولعله : وردني أو وورد بي .

وعرَّج بي ثم نهض عليَّ فخنقني فغشي علي ، فرماني في حفرة وطَمَّ عليَّ المدَرَ والحجارة ، فبقيت كذلك ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الرابع مر رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ثلاثين سنة ، نزل من الصالحية ومرّ بجسر ابن شواش وهو يتلو ، ثم إلى القطائع ، فجلس يبول ، وأنا أحرك رجلي ، فرأى المَدَرَ يتحرك فظنه حيّة ، فقلب الحجر فبدت رجلي في خف بلغاري ، فاستخرجني فقمت أعدو إلى الماء فشربت من شدّة عطشي ، ووجدت في خاصرتي فزراً من الحجارة وفي رأسي فتحاً ، وأراني أثر ذلك ، ودخلت البلد إلى إنسان أعرفه ، فمضى بي إلى ابن عم لنا وهو الصدر الحجندي ، وكان مختفياً بالصالحية ، وله غلامان ينسخان ويطعمانه ، اختفى لأمور بدت منه أيام هولاكو ، فأقمت مدة لا أخرج ، وبلغت وحفظت القرآن ، فمررت بعد مدة بالديماس ، فرآني عمي فقال : ها ، جمال ؟ امشِ بنا إلى البيت ، فما كلمته وتغير لوني ، وكان معي رفيقان فقالا لي : ما بك ؟ فسكت وأسرعت ، ثم رأيته مرة أخرى بالجامع ، ثم خاف من عاقبتي فأخذ أموالي ودخل إلى اليمن وتقدم عند صاحبها ووزَرَ له ، ومات في تلك البلاد عن أولاد ، وأما أنا فإني جودت الختمة على الزواوي ، وتفقهت على النجم الموغاني ، وتردّدت إلى الشيخ تاج الدين ، ثم وليت القضاء عن ابن الصائغ ، انتهى كلام الشيخ شمس الدين .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هذا القاضي جمال الدين جاء إلينا إلى صفد قاضياً من جهة جمال الدين الزرعي ، وأقام أشهراً ، فلما تولى قاضي القضاة جلال الدين عزله ، ثم توصل ودخل عليه فولاه ثم عزله وقرر له مرتباً يأخذه ولا يتولى الأحكام ، فلما توجه قاضي القضاة جلال الدين إلى الشام وتولى عز الدين ابن جماعة ولاه قضاء دمياط ، فلم يزل بها حاكماً إلى أن مات في سنة أربعين وسبعمائة . وكان فصيح العبارة ، مليح الشكل ، أحمر الوجه مستديره ، منور الشيبة ، عذب الكلام ، ينظم نظماً عذباً مُنْسجماً ، وعمل مجلدة خطب ، رحمه الله .

ومن شعره في الشبابة :

وناطقةٍ بأفـــواه ثمان   تميلُ بعقل ذي[1] اللبّ العفيفِ
لكلّ فمٍ لسانٌ مُستَعارٌ   يخالفُ بينَ تقطيع الحروفِ
تخاطبُنـــا بلفظٍ لا يعيه   سوى من كان ذا طبع لطيفِ
فضيحةُ عاشقٍ ونديم راع   وعزّة موكبٍ ومدام صوفي

وقال :

جاءت تهزُّ اختيـالاً   قدّ القضيبِ المنعمْ
تجرُّ إثـــرَ خطاهـا   أذيالَ مِرْطٍ مُسَهَّم
قد أنجد الردفُ والخَصْـ   ـرُ غار لُطفاً وأتْهَم
يا وَيحَ خصرٍ شقيٍّ   من جَوْر ردفٍ منعم
وبات بدري بصدري   حتّى إذا الصبحُ أنجَم
ودّعتـــهُ وهوَ يبكي   ويَمزج الدمعَ بالدم
في موقفٍ لو تَـــرانا   لكنت ترثي وترحم

٢٩٣
أبو بكر الجرجاني

عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور ؛ أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن علي الفارسي ، وكان من كبار أئمة العربية ،

---

١ ص ر : ذا .

٢٩٣ – طبقات السبكي ٣ : ٢٤٢ والأسنوي ٢ : ٤٩١ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٠٨ ونزهة الألباء : ٢٤٨ وانباه الرواة ٢ : ١٨٨ وبغية الوعاة : ٣١٠ والشذرات ٣ : ٣٤٠ ومرآة الجنان ٣ : ١٠١ والبلغة : ١٢٦ والزركشي : ١٩٧ .

صنف « المغني في شرح الإيضاح » في نحو ثلاثين مجلداً ، « والمقتصد في شرح الإيضاح » أيضاً في ثلاث مجلدات ، و « إعجاز القرآن » وكتاب عروض ، و « العوامل المائة » و « المفتاح » و « شرح الفاتحة » في مجلد ، وله « العمدة في التصريف » و « الجمل » و « التلخيص » شرحه ، وكان شافعي المذهب أشعري الأصول ، مع دين وسكون ؛ توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

لا تأمَنِ النفثةَ من شاعرٍ ما دام حياً سالماً ناطقا
فإن من يمدحكم كاذباً يُحسنُ أن يهجوكمْ صادقا

وله أيضاً :

كَبِّرْ على العقل يا خليلي ومِلْ إلى الجهلِ مَيْلَ هائمْ
وكن حماراً تَعِشْ بخير فالسعدُ في طالع البهائم

وله أيضاً :

أرخ باثنين وخمسينـــا فليت شعري ما قضى فينا
نسرّ بالحول إذا ما انقضى وفي تقضيـــهِ تقضينا

٢٩٤

الاستاذ أبو منصور

عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي ، أبو منصور الفقيه

٢٩٤ – طبقات السبكي ٣ : ٢٣٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٥٣ وانباه الرواة ٢ : ١٨٥ والحسيني : ٤٧ والأسنوي ١ : ١٩٤ والبداية والنهاية ١٢ : ٤٤ ومرآة الجنان ٣ : ٥٢ والموجز الأول=

الشافعي ؛ ولد ببغداد ونشأ بها ، وسافر مع أبيه[1] إلى خراسان ، وسكنا بنيسابور إلى أن ماتا .

تفقه أبو منصور على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفراييني ، وقرأ عليه أصول الدين ، وكان ماهراً في فنون عديدة ، خصوصاً في علم الحساب ، وله فيه تواليف نافعة : منها كتاب « التكملة » وكان يدرس في سبعة وعشرين فناً ، وكان عارفاً بالفرائض والنحو والشعر ، وكان ذا مال وثروة ، ولم يكتسب بعلمه مالاً ، وأربَى على أقرانه في الفنون ، وجلس بعد أستاذه أبي إسحاق للإملاء في مسجد عقيل فأملى سنين ، واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه ، مثل ناصر المروزي وزين الإسلام القُشَيري ؛ وتوفي سنة عشرين وأربعمائة[2] ، بمدينة اسفرايين ، ودفن إلى جانب شيخه ، رحمهما الله تعالى .

ومن شعره :

طلبتُ من الحبيبِ زكاةَ حُسْنٍ ... على صغرٍ من الحسن البهيِّ
فقال : وهل على مثلي زكـاة ... على قول العراقيِّ الزكيِّ ؟
فقلت : الشافعي لنـا إمامٌ ... وقد فرضَ الزكاةَ على الصبيِّ

وهذا مثل قول الأمير أبي الفضل الميكالي :

أقول لشادنٍ في الحسنِ فَرْدٍ ... يصيد بلحظه قلبَ الكميِّ
ملكتَ الحسنَ أجمعَ في نصابٍ ... فأدِّ زكاةَ منظركَ البَهيِّ
وذاك بأن تَجودَ لمُستهـامٍ ... برَشْفٍ من مُقَبَّلك الشهيِّ
فقال : أبو حنيفةَ لي إمـامٌ ... وعندي لا زكاةَ على الصبيِّ

= من سياق تاريخ نيسابور : ٥٥ والزركشي : ١٩٧ وابن قاضي شهبة : ٩٤ وليست هذه الترجمة من المستدرك على ابن خلكان فقد وردت أصيلة هنالك ، انظر ٣ : ٢٠٣ .

١ ص : أبوه .

٢ أكثر المصادر على أن وفاته كانت سنة ٤٢٩ .

وتممها سيدنا ومولانا قاضي القضاة تقي الدين السبكي أدام الله أيامه بقوله :

فقال اذهَبْ إذن فاقبضْ زكاتي برأي الشافعيّ من الوليّ
فقلتُ له فديتك من فقيهٍ أيطلب بالوفاء سوى المليّ ؟
نصابُ الحسنِ عندك ذو امتناعٍ بلحظك والقوام السَّمْهَرَي
فإن أعطَيتنا طوعاً وإلاَّ أخذناه بقولِ الحنبَلي[1]

ومن شعر أبي منصور :

شبابي وشيبي دليلا رحيلي فسَمعاً لذاك وذا من دليلِ
وقدْ مات من كان لي من عديلٍ وحسبي دَليلاً رحيلُ العديلِ

ومنه أيضاً :

يا سائلي عن قصّتي دعني أمت في غُصّتي
المال في أيدي الوَرى واليأسُ منهُ حِصّتي

ومن تصانيفه : « تفسير القرآن » . « تأويل متشابه الأخبار » . « فضائح المعتزلة » . « الكلام في الوعد والوعيد » . « الفاخر في الأوائل والأواخر » . « إبطال القول بالتولد » . « فضائح الكرامية » . « معيار النظر » . « تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر » . « الإيمان وأصوله » . « الملل والنحل » . « التحصيل في أصول الفقه » . « الفرق بين الفرق » . « بلوغ المدى في أصول الهدى » . « نفي خلق القرآن » . « الصفات » .

---

١ ص : الشافعي .

٢٩٥
الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي

عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست ، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، الشيخ أبو محمد الجِيلي الحنبلي المشهور الزاهد ، صاحب المقامات والكرامات وشيخ الحنابلة ، رحمه الله تعالى ؛ قدم بغداد ، وتفقه على القاضي أبي سعد ، وسمع الحديث ، وكان يأكل من عمل يده ، وتكلم في الوعظ وظهر له صيت ، وكان له سَمْت وصَمْت .

قال الشيخ شمس الدين : ولد بجِيلان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وتوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة ؛ وقدم بغداد شاباً ، وتفقه على أبي سعد المخرّمي ، وسمع من أبي بكر أحمد بن المظفر بن سوسن ومن غيره ، وروى عنه أبو سعد السمعاني وعمر بن علي القرشي وولداه عبد الرزاق وموسى والحافظ عبد الغني والشيخ الموفق ويحيى بن سعد الله التكريتي وغيرهم . وكان إمام زمانه وقُطْبَ عصره وشيخ شيوخ الوقت بلا مُدافعة .

قال أبو الحسين اليونيني : سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : ما نُقِلت إلينا كرامات أحد بالتواتر ، إلاّ الشيخ عبد القادر .

وكان الشيخ عبد القادر قد لازم الأدبَ على أبي زكريا التبريزي ، واشتغل

---

٢٩٥ — المنتظم ١٠ : ٢١٩ ومرآة الزمان : ٢٦٤ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧١ والشذرات ٤ : ١٩٨ وعبر الذهبي ٤ : ١٧٥ وتاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٢٣ وطبقات الشعراني ١ : ١٠٨ وذيل طبقات الحنابلة ١ : ٢٩٠ ونسبه عنده « عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي » وقال ابن رجب : « قد جمع المقرىء أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات وكتب فيها الطم والرم » . وأورد مؤلف الأعلام نسبه على النحو التالي « عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست » .

بالوعظ إلى أن برّز فيه ، ثم لازم الخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة والسهر والمقام في الخراب والصحراء ، وصحب الشيخ أحمد الدباس[1] وأخذ عنه علم الطريق ، ثم إن الله أظهره للخلق وأوقع له القبول العظيم ، وعقد المجلس سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، وأظهر الله الحكمة على لسانه ، ثم جلس في مدرسة أبي سعد للتدريس والفتوى سنة ثمان وعشرين ، وصار يقصد بالزيارة ، وصنف في الفروع والأصول ، وله كلام على لسان أهل الطريق .

قال : طالبتني نفسي بشهوة ، فكنت أضاجرها[2] وأدخل في درب وأخرج إلى درب أطلب الصحراء ، فبينما أنا أمشي إذ رأيت رقعة ملقاة فإذا فيها : ما للأقوياء والشهوات ؟ إنما خلقت الشهوات للضعفاء يتقوون[3] بها على طاعتي ، فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي .

وقال : كنت أقتات بخرنوب الشوك وورق الخس من جانب النهر ؛ وكان يقول : الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجاب عن ربك . ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك ؛ وكان يقول : الدنيا أشغال[4] ، والآخرة أهوال ، والعبد فيما بين الأشغال حتى يستقر قراره [إمّا][5] إلى جنة وإما إلى نار ؛ وكان يقول : الأولياء عرائس الله ، لا يطلع عليهم إلا ذا محرم ؛ وكان يقول : فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام ، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع .

وقال عبد الرزاق ولده : ولد لوالدي تسعة وأربعون ولداً سبعة[6] وعشرون ذكراً والباقي إناث .

---

١ سماه في مرآة الزمان حماد الدباس .
٢ ابن رجب : أدافعها .
٣ ص : يتقووا ؛ وعند ابن رجب : ليتقووا .
٤ ص : اشتغال .
٥ سقطت من ص .
٦ ص : سبع .

٢٩٦
الطائع لله

عبد الكريم بن الفضل بن جعفر بن أحمد ، أمير المؤمنين الطائع لله ابن المطيع ابن المقتدر ابن المعتضد ؛ تولى الخلافة في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقبضوا عليه في شعبان سنة إحدى وثمانين ، وكانت خلافته سبع عشرة [1] سنة وتسعة أشهر وستة أيام .

قال أبو علي ابن شاذان : رأيته رجلاً مربوعاً ، كبير الأنف أبيض أشقر ، وفي أنفه يقول ابن الحجاج :

خليفة في وجهه رَوْشن خربشته قد ظلل العسكرا
عهدي به يمشي على دجلة وأنفه قد صعد المنبرا

وكان الطائع شديد الحيل ، في خلقه حدة ، خلعه بهاء الدولة ابن عضد الدولة بإشارة الأمراء ومعونتهم وسملوا عينيه ، ولما جلس القادر في الخلافة أسكنه معه في زاوية من قصره رقّة له ، وكان يحسن إليه ويحتمل غلظة كلامه ، ويقضي معظم ما يستقضيه من الحوائج ، وكلفه يوماً حاجةً لم يقدر عليها واعتذر إليه بأن الديلم غالبون على الأمر ، فلما توسط النهار وقدم الطعام أتوه بعدس مطبوخ فلمسه وقال : ما هذا ؟ قالوا : عدسية ، قال : أمن هذا أكل أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ، قال : إذا كان هذا أكله ، وجاهه ما رأيناه أول النهار ، كان الأولى به أن يقعد

---

٢٩٦ — تاريخ بغداد ١١ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٧٩ ونكت الهميان : ١٩٦ وتاريخ الخميس ٢ : ٣٥٤ وتاريخ الخلفاء : ٤٣٧ والروحي : ٦٣ والفخري : ٢٥٨ وخلاصة الذهب المسبوك : ٢٥٨ .

١ ص : سبعة عشر .

في البَطيحة ، ولا يتعنى ولا يتكلف مشقة الخلافة ، فضحك القادر وقال : منعناه من راحة البصر فلا نمنعه من راحة اللسان .

وكان الطائع قد استعرض جارية فأعجبته وأمر بشراها ، فنظرت إليه ورأت عظم أنفه فقالت : ما يقدم على أن يُباع عندكم إلا من يُوَطِّن نفسه على المرابطة في سبيل الله ، فضحك الطائع وقال : اشتروها فإن لم يكن عندها أدب الملوك فعندها نوادر الظرفاء .

وتوفي، رحمه الله [تعالى] ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وصلى عليه القادر وكبر خمساً ، وحُمل إلى الرصافة ، وشيعه الأكابر ، ورثاه الشريف الرضي بقصيدة موجودة في ديوانه [١] .

٢٩٧

الرافعي

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم [٢] بن الفضل ، الإمام العلامة إمام الدين أبو القاسم الرافعي [٣] القزويني ، صاحب « الشرح الكبير » ؛ ذكره ابن الصلاح وقال : ما أظن في بلاد العجم مثله ، وكان ذا فنون ، حَسَنَ السيرة ، صنف

---

١ ديوان الرضي ٢ : ١٩٧ .

٢٩٧ – طبقات السبكي ٥ : ١١٩ والشذرات ٥ : ١٠٨ وعبر الذهبي ٥ : ٩٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٦ وطبقات المفسرين : ٢١ ومرآة الجنان ٤ : ٥٦ والحسيني : ٨٣ والأسنوي ١ : ٥٧١.

٢ ص : بن عبد بن عبد الكريم .

٣ قال الأسنوي، الرافعي: نسبة إلى رافعان من بلاد قزوين ثم أضاف نقلا عن جلال الدين القزويني: ليس بنواحي قزوين بلدة يقال لها رافعان بل هو منسوب إلى جد يقال له رافع ، وقيل إلى رافع ابن خديج .

شرح « الوجيز » في اثني عشر مجلد[1] لم يشرح الوجيز بمثله .

وقال الشيخ محيي الدين النواوي : الرافعي من الصالحين المتمكنين ، كانت له كرامات كثيرة ظاهرة .

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الإسفراييني في « الأربعين » تأليفه : هو شيخنا إمام الدين وناصر السنة ، كان أوحد عصره في العلوم الدينية أصولاً وفروعاً وكان له مجلس بقَزْوين في التفسير وتفسير الحديث ، صنف شرحاً لمسند الشافعي وأسمعه ، وصنف شرحاً للوجيز ثم صنف آخر أوجز منه ، وكان زاهداً ورعاً متواضعاً ، وتوفي بقزوين ، رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

٢٩٨

كريم الدين الكبير

عبد الكريم بن هبة الله بن السّديد المصري القاضي الجليل النبيل المدبر ، كريم الدين الكبير ، ابن العلم ، وكيل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وناظر خواصه ومدبر دولته ؛ بلغ فوق ما يبلغه الوزراء ، ونال فوق ما يناله الكتاب من الوجاهة والحرمة والتقدم ، أسلم كهلاً أيام الجاشنكير وكان كاتبه ، وكان لا يُصْرَف على السلطان شيء إلا بقلمه ، ويقال إن السلطان طلب مرّة إوزّة ، ولم يكن كريم الدين حاضر ، فلم يصرف . ولما هرب الجاشنكير وأخذ الخزاين معه وردّ السلطان من الكرك تطلب كريم الدين أشدّ طلب .

---

١ كذا في ص .

٢٩٨ — الدرر الكامنة ٣ : ١٥ والبداية والنهاية ١٤ : ١١٦ والشذرات ٦ : ٦٣ والنجوم الزاهرة ٩ : ٧٥ (وصفحات أخرى من هذا الجزء) وأخباره في السلوك (ج : ٢) وفي الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر للدواداري ، والكتبي ينقل عن الصلاح الصفدي ؛ وقد أبقيت هذه الترجمة صورة أمينة لما في ص .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي ، حكى لي فتح الدين ابن سيد الناس قال : جاء كريم الدين إلى الأمير علم الدين الجاولي وقال : قد جيت إليك فقال : ما في يدي لك فرج ، ولكن للسلطان مملوك يقال له طغاي الكبير ، وهو لا يخالفه ، فأريد أجتمع به وأعرفك ما يكون ، ثم اجتمع به فقال : أحضره ، وقام دخل على السلطان وهو يضحك وقال له : إن حضر كريم الدين إيش تعطيني ؟ ففرح وقال : عندك هو ؟ أحضره ، فخرج وقال للأمير علم الدين : أحضره ، فأحضره ، فقال له : مهما قال لك السلطان قول نعم ، ودعني أنا أدبر أمرك ، ودخل به عليه ، فلما رآه استشاط غيظاً وقال له : احمل الساعة الف الف دينار فقال : نعم ، وخرج ، فقال : لا ، كثير ، احمل خمسمائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل ثلثمائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل الساعة مائة ألف دينار ، فقال : السمع والطاعة ، وخرج ، فقال له سيف الدين طغاي : لا تسقّع دقنك وتحضر الجميع ، ولكن هات الآن منها عشرة آلاف دينار ، فأتى بها ودخل بها على السلطان ، فسكن غضبه ، وبقي كل يومين وثلاثة يحمل ثلاثة آلاف دينار ومرّة الفين ومرة ألفاً ، ولم يزل طغاي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش يُصلحان أمرَه حتى رضي عنه السلطان وولاه ناظر الخاص[1] ، وهو أول من باشر هذه الوظيفة ولم تكن تعرف أوّلاً ، ثم تقدم عنده وأحبه محبة لم يحبها لآخر مثله ، وكان يخلع عليه أطلس أبيض ، والفوقاني بطرز ، والتحتاني بطرز ، والقبع زركش[2] على ما استفاض ، وكانت الخزاين جميعها عنده في بيته ، وإذا أراد السلطان شيء نزّل إليه مملوك إلى بيته واستدعى منه ما يريده فيجهزه ، وكان يخلع على أمراء الطبلخانات الكبار من عنده .

وقيل إن السلطان نزل يوماً من الصيد وقال له : يا قاضي كريم الدين ، اعرض أنت صيود الأمراء فإن لي ضرورة ، ودخل الدهليز ، ووقف القاضي كريم الدين

---

١ ناظر الخاص هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان (صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥ وما بعدها) .
٢ القبع والجمع أقباع : غطاء الرأس (ملحق دوزي) .

على باب الدهليز[1] ، وكان الأمراء يحضرون صيودهم على طبقاتهم بين يديه وهو يخلع عليهم .

وحج هو والخوندة طغاي زوجة السلطان واحتفل بأمرها ، وكان كل سماط في الغدا والعشاء يحضر لها البقولات طرية والجبن المقلي سخن ، أخذ معه البقر الحلاّبات وحمل الخضر في مزارعها بترابها على ظهور الجمال ، وكان يخدم كل أحد من الأمراء الكبار المشايخ والخاصكية الكبار وأرباب الوظايف[2] والجمدارية الصغار حتى الأوشاقية[3] في الإصطبل .

وكان في أول الأمر ما يخرج القاضي فخر الدين صلاة الصبح إلا ويجد كريم الدين راكباً وهو ينتظره ، ويطلع في خدمته إلى القلعة ؛ ودام الامر ستة أشهر أو ما حولها ، ثم ان فخر الدين كان يركب إلى بابه ويقف في خدمته ليطلع معه إلى القلعة .

وكان في كل يوم ثلاثا يحضر إلى دار فخر الدين ويتغدّى عنده ، ويحضر من داره مخفيتين لا يعود إليه شيء من ماعونهما الصيني أبداً ؛ وكان يركب في عدة مماليك أتراك تقارب السبعين مملوكاً أو أكثر بكنابيش الزركش والطرز الذهب، والأمراء في خدمته ؛ وبالجملة فما رأى أحد من المتعممين ما رآه كريمُ الدين .

وقيل إنه طلبه السلطان يوماً إلى الدور ، فدخل وبقيت الخزندارة تروح مرات فيما تطلبه الخوندة طغاي ، فقال له السلطان : يا قاضي إيش حاجة لهذا التطويل ؟ بنتك ما تختبي منك ، ادخل إليها أبصر ما تريده افعله ، فقام ودخل إليها وسير السلطان يقول لها : أبوك هنا أبصري له ما ياكل ، فأخرجت له طعاماً ، وقام السلطان بروحه إلى كرمة في الدار وقطع منها قطف عنب وأحضره وهو ينفخه من الغبار وقال : يا قاضي كل من عنب دورنا .

---

١ ر : الدين .

٢ ص : الوضايف .

٣ قد مر من قبل شرح الجمدارية والأوشاقية .

وكان السلطان إذا أراد أن يعمل سوّ ويراه قد أقبل يقول : جاء القاضي وما يدعنا نعمل ما نريد ، فيحدثه في إبطال ما كان همّ به من الشر ، ومدة حياته لم يقع من السلطان إلا خير .

وأما مكارمه فإليها المنتهى ، قيل إنه حضرت إليه امرأة رفعت قصة تطلب منه إزاراً ، فوقع لها بثمانمئة درهم ، فلما رأى الصيرفي القصة أنكر ذلك ، وحضر إليه ، وقال : يا سيدي هذه سألت إزاراً ، والإزار ما ثمنه هذا المبلغ ، فقال : صدقت ، وأخذ القصة وقال : هذه متاع الله ، وزادها ثمانين درهم وقال : ما أردت إلا ثمانين ولكن الله أراد الثمانية ، فوزن الصيرفي للمرأة ثمان مئة وثمانين .

وقيل إنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يصرفه لمن سأله شيئاً ، وإن الصيرفي أحضر له مرة وصولات عديدة ليست بخطه فأنكرها ، فقال الصيرفي : هذا في كل وقت يحضر مثل هذه الوصولات ، فقال : إذا حضر فأمسكه وأحضره ، فلما جاء أمسكه وأحضره إلى بابه ، فقيل له إن الصيرفي وقع بالمزوِّر ، فقال : سيّبوه مالي وجه أراه ، ثم قال : عليّ به ، فلما حضر بين يديه قال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ، قال له : كلما احتجت إلى شي اكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفي ، وارفق فإن علينا كلفاً كثيرة ، وقال للصيرفي : كلما جاء إليك خطه شيئاً فاصرفه إليه .

وقيل إنه قبل إمساكه ضيع بعض بابية[1] مماليك بكتمر الساقي حياصة ذهب ، فقال صاحبها للأمير ، فقال الأمير : إن لم يحضر الحياصة وإلا روحوا به إلى الوالي ليقطع يده ، فنزلوا بذلك البابا . فوجد القاضي كريم الدين آخر النهار طالع إلى القلعة ، فوقف له وشكا إليه حاله ، فقال : أخروا أمره إلى غد ، ولما نزل إلى داره قال لعبده : خذ معك غداً حياصة ذهب لتعطيها لذلك البابا المسكين ، فلما

---

١ البابية : جماعة العمال في الطشت خاناه الذين يقومون بغسل الملابس وصقلها (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٠) .

أصبح وطلع إلى القلعة أُمسك واشتغل الناس بأمره ، وطلب البابا ، وجهز إلى الوالي فقال له رفقاه : ما كان القاضي كريم الدين وعدك ؟ روح إليه ، فقال : يا قوم إنسان قد أمسك وصودر أروح إليه ؟ فقالوا له : روح إليه فراح إليه ، وكان قد أُمر له بالمقام في القرافة ، فلما دخل عليه شكا إليه حاله ، فقال له : يا ابني جيت لي وأنا في هذه الحال؟ ثم رفع جنب المقعد وقال: خذ هذه الدراهم استعين بها، وكانت قريب الألفين ، فلما أخذها وخرج قال لذلك العبد : ما كنت قد أعطيتك حياصة لهذا البابا ؟ قال: نعم ، فها هي، فقال : هاتها ، فأخذها ودفعها إلى البابا وقال : هذه الحياصة أعطيهم إياها ، والدراهم أنفقها عليك ، فطلع بالحياصة وأعطاها للمملوك ، فدخل بها إلى الأمير سيف الدين بكتمر ، فأحضره وقال : قول لي أمر هذه الحياصة ، فحكى له ما جرى له مع كريم الدين ، فقيل إن بكتمر الساقي لطم على وجهه وقال : يا مسلمين ، مثل هذا يمسك ؟ وكان قد أمسك بغير رضاه .

وقيل إن علاء الدين ابن عبد الظاهر ونجم الدين ابن الأثير قعدا يوماً على باب القلعة ، وأجريا ذكر كريم الدين ومكارمه ، فقال علاء الدين : ما مكارمه إلا لمن يخافه فهو يصانع عن نفسه ، فما كان بعد يومين أو ثلاث حتى احتاج نجم الدين إلى رصاص يجعله قدور حمام ، فكتب ورقة إلى كريم الدين يسأله بيع جملة من الرصاص بديوان الخاص ، فحمل إليه جملة كثيرة فضلةً عما طلب بثلاثون قنطاراً ، ولم يأخذ له ثمن . وأما علاء الدين ابن عبد الظاهر فإنه تركه يوماً وهو في بستانه وانحدر إليه في البحر، فلم يشعر به إلا وقد أرست حراقته على زربية [1] علاء الدين ، فنزل إليه وتلقاه واندهش لقدومه ، فحلف أنه ما يأكل ما يحضره إليه من

---

١ وردت في المصادر : زريبة – بتقديم الياء المثناة – ولا أستبعد أن يكون هذا الشكل للفظة خطأً ، وأن الصواب ما أورده المؤلف ، وعلى هذا فإن الزربية هي التي ذكرها دوزي (في مادة : زربية) وعرفها بأنها كوخ جدرانه من جرائد النخل ، يتخذه المرء مأوى يرتاح فيه (ويبدو أنها كانت تتخذ على النيل) .

خارج البستان ، وإلا مهما كان طعام ذلك اليوم يحضره ، فأحضر له ما اتفق حضوره له وقال : يا مولانا أنا ما أعلمتك بمجيئي ، ولكن أنا مثل اليوم ضيفك ، ولكن لا ألتقي هذه العمارة على هذه الصورة وشرع رتبها على ما أراد ، وراح من عنده ، فلم يشعر علاء الدين إلا بالمهندسين والصناع والفعول والمراكب قد أرست على زربيته بأنواع الأخشاب وآلات العمارة من الطوب وأفلاق النخل والجبس وكل ما يحتاج إليه ، وأخذوا في هدم ذلك المكان وشرعوا في بنائه على ما قاله ، ولم يأتي خمسة أيام إلا وقد تكمل ورخم وزخرف وفرغ منه ، فلما كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب موسق بأنواع الغنم والإوز والدجاج الفائق والسكر والأرز وغيره وجميع ما يطبخ حتى المخافي والماعون الصيني والجبن ومن يقليه ، فعمل الطعام الفايق المختلف ، ومد السماط العظيم ، ونزل كريم الدين ومعه من يختاره ، فلما حضر مد السماط فأكل هو ومن معه ، وأحضر أنواع الفاكهة والحلوى والمشروب . ولما فرغ من ذلك أحضر كريم الدين بقجة كبيرة ، وأخرج منها ما يصلح للنساء من القماش الإسكندراني وغيره ، وما يصلح لملبوس علاء الدين ، وقال : هذه خمسة آلاف درهم يكسو بها مولانا عبيده وجواره[1] على ما يراه ، وهذا توقيع تصدق به مولانا السلطان على مولانا فيه زيادة معلوم دراهم وغلة وكسوة ولحم وجراية ، ونزل ليركب ، فنزل معه علاء الدين ، فلما ركب وفارقه قال له: والله يا مولانا علاء الدين هذه الأشياء أفعلها طبعاً ، وأنا لا أرجوك ولا أخافك ، وكان قد صدق أخبار البرامكة .

ومن رياسته أنه كان إذا قال نعم فهي نعم وإذا قال لا فهي لا ، وهذا تمام الرياسة . قدم من الثغر نوبة حريق القاهرة ، ونسب إلى النصارى ، فغوّث به الغوغاء ورجموه ، فغضب السلطان وقطع أيدي أربعة ، ثم إنه مرض في ذلك العام الماضي قبل الواقعة ، ولما عوفي زينت القاهرة وتزاحم الخلق واختنق رجل .

---

١ كذا في ص ر ، ولعل المقصود « وجواريه » .

وكان قد ولي نظر البيمارستان المنصوري ، فكان إذا دخل إليه تصدق بعشرة آلاف درهم .

وقيل شرب مرة دواء ، فجمع كل ورد في القاهرة وحمل إلى داره ، وبسط إلى كراسي بيت الماء ، وداس الناس ما داسوه وأخذ ما فضل فأباعه الغلمان بثلاثة آلاف درهم .

وكان وقوراً عاقلاً ذا هيبة ، جزل الرأي بعيد الغور ، عمر بالزربية جامعاً وميضأة ، وعمر في طرق الرمل البيارات ، وأصلح الطرق ، وعمر جامع القبيبات والقابون ، ووقف عليهما ؛ ثم انحرف عليه السلطان ونكبه ، وأقام في بيت الأمير سيف الدين أرغون النايب ثلاثة أيام ، وكان الأمير سيف الدين قجليس يروح إليه ويجي في الرسائل عن السلطان ، ثم رسم بنزوله إلى القرافة ، ثم أخرج إلى الشوبك ثم إلى القدس ، ثم طلب إلى مصر وجهز إلى أسوان ، وبعد قليل أصبح مشنوقاً بعمامته .

وكان يحترم العلماء ، وسمع البخاري ، وقيل إنه لما أحس بقتله صلى ركعتين وقال : هاتوا ، عشنا سعدا ، ومتنا شهدا .

وكان الناس يقولون : ما عمل أحد ما عمل السلطان مع كريم الدين ، أعطاه الدنيا والأخرة ، رحمه الله تعالى ؛ وكانت واقعته سنة أربع وعشرين وسبعمائة .

٢٩٩
صدر الدين الخجندي

عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف بن ثابت بن الحسن الخجندي، أبو القاسم صدر الدين ؛ كان يتولى الرياسة بأصبهان على قاعدة أجداده، وكانت له المكانة

٢٩٩ — الأسنوي ١ : ٤٩١ والزركشي : ١٩٨ .

عند السلاطين والملوك والعوام ، وكان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً صدراً مهيباً جليلاً نبيلاً حسن الأخلاق متواضعاً ، سمع من ابي القاسم غانم بن خالد بن عبد الواحد التاجر وأبي الوقت عبد الأول السّجزي وغيرهم .

قدم بغداد حاجّاً في عدد كثير من أتباعه وأشياعه، وعقد مجلس الوعظ وأحسن وأجاد ، وخلع عليه من الديوان ، ولما عاد من الحج وصل إلى همذان[1] ودخل الحمام[2] فأصابه فالج في الحمام فمات في الحال وحمل إلى أصبهان ودفن بها ، سنة ثمانين وخمسمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

بالحمى دار سقاها مدمعي[3] يا سقى الله الحمى من مربعِ
ليت شعري والأماني ضلةٌ هل إلى وادي الحمى من مرجع
أذنت علوة للواشي بنا ما على علوة لو لم تسمع
أو تحرّت رشداً فيما وشى أو عفت عني فما القلب معي

وقال :

رمانا يوم رامة طرفُ غاده تعوَّدَ قتلنا والخيرُ عاده
فذكرنا الصِّبا والعود رَطب وثغر العيش يبسم عن[4] رغاده
يشوّش طيبَ عيشٍ كنت فيه رعى الله المشوش لو أعاده
روَت عيني وقد كحلت بشوكٍ أحاديثَ الصبابة عن قتاده
بطرفك والسقام وبي سقامٌ ولكن لا علاجَ ولا عياده[5]

---

١ ر ص : همدان .
٢ ر : ودخل همدان ودخل الحمام .
٣ ص : أدمعي ، والتصويب عن ر والزركشي .
٤ ر : من .
٥ ر : إعادة .

٣٠٠

موفق الدين عبد اللطيف

عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد ، العلامة موفق الدين البغدادي الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف بابن اللباد ؛ لقبه تاج الدين الكندي بالجدي المطجَّن لرقة وجهه وتجعده ويبسه . ولد ببغداد في أحد[١] الربيعين سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة.

سمّعه أبوه من ابن البطي وأبي زرعة المقدسي وشهدة وجماعة ، وروى عنه جماعة : المنذري والضياء وابن النجار والقوصي ، وحدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداذ ، وكان أحد الأذكياء المضلعين[٢] من الآداب والطب وعلم الأوائل، إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه، وكان دميم[٣] الخلقة نحيلاً قليل لحم الوجه ، وكان يتنقل في البلاد .

ومن كلامه : اللهم أعذنا من جموح الطبيعة ، وشموس النفس [الردية][٤]، وسلّس لنا مقار[٥] التوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق ، يا هادي العمي ، يا مرشد

---

٣٠٠ — طبقات السبكي ٥ : ١٣٢ والأسنوي ١ : ٢٧٣ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٠١ وانباه الرواة ٢ : ١٩٣ والشذرات ٥ : ١٣٢ وعبر الذهبي ٥ : ١١٥ وحسن المحاضرة ١ : ٥٤١ وبغية الوعاة : ٣١١ وانظر « مقالتان في الحواس » (ط. الكويت ١٩٧٢) حيث احتوى إلى جانب عدد من رسائله دراسة وتعريفاً به وبمؤلفاته وذكراً لعدد من الدراسات الحديثة الّتي تناولته ، ويذكر ابن خلكان (٦ : ٧٦ – ٧٧) أنه اطلع على سيرة لعبد اللطيف كتبها لنفسه وقد أورد ابن أبي أصيبعة طرفاً منها .

١ ص : إحدى .

٢ كذا في ص ر .

٣ ص ر : ذميم .

٤ زيادة من عيون الأنباء .

٥ ابن أبي أصيبعة : مقاد .

الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ، ونجنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالإخلاص لك والتقوى ، إنك مالكُ الدنيا والآخرة ، سبحان من عمّ بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود ، تلألأت بنور وجهك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأيّ إشراق .

ومن تصانيفه : « غريب الحديث » ، والمجرد منه ، « الواضحة في إعراب الفاتحة ». « كتاب الألف واللام ». « شرح بانت سعاد ». « ذيل الفصيح » . « خمس مسائل نحوية » . « شرح مقدمة ابن بابشاذ » . « شرح الخطب النباتية » . «شرح سبعين حديثاً ». « شرح أربعين حديثاً طبية». « الرد على فخر الدين الرازي في تفسير سورة الإخلاص » . « شرح نقد الشعر لقدامة » . « قوانين البلاغة [1] » . « الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات » . « مسألة أنت طالق في شهر قبل ما بعد [2] رمضان ». كتاب « قبسة العجلان » في النحو. « اختصار العمدة » لابن رشيق . « مقدمة حساب » . « اختصار كتاب البيان [3] » . « اختصار كتاب الحيوان [4] » . واختصر كتباً كثيرة في الطب ، « كتاب أخبار مصر » الكبير . « الإفادة في أخبار مصر » . « تاريخ يتضمن سيرته ». «مقالة في الرد على اليهود والنصارى » . «مقالة في النفس» . «مقالة في العطش » . « مقالة في السقنقور » . «كتاب في العلم الإلهي » . «كتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي» زهاء عشر مجلدات. «شرح الراحمون يرحمهم الرحمن». «اختصار الصناعتين» للعسكري. «اختصار مادة البقاء» للتميمي. كتاب « بلغة الحكيم » . « مقالة في الماء » . « مقالة في الحركات المعتاصة » . « مقالة في العادات » . « الكلمة في الربوبية » . « مقالة في حقية الدواء والغذاء » .

١ عمله بحلب سنة ٦١٥ (عيون الانباء) .
٢ ابن أبي أصيبعة : ما بعد قبله .
٣ ر وابن أبي أصيبعة : النبات .
٤ كتاب الحيوان لارسطاطاليس وله أيضاً اختصار كتاب الحيوان للجاحظ .

« مقالة في التأذي بصناعة الطب » . « مقالة في الراوند » . « مقالة في الحنطة » . « مقالة في البحران » . « مقالة ردّ فيها على ابن رضوان في اختلاف جالينوس وأرسطو » . « كتاب يعقب حواشي ابن جميع على القانون » . « مقالة في الحواس » . « مقالة في الكلمة والكلام » . « كتاب السبعة » . كتاب « تحفة الآمل » . كتاب « الحكمة العلائية » . كتاب « الدرياق » . « حواشي على كتاب البرهان للفارابي » . « حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس » . « مقالة في ميزان الأدوية والأدواء من جهات الكيفيات » . « مقالة في تعقب أوزان الأدوية » . « مقالة أخرى في المعنى » . « مقالة في النفس والصوت والكلام » . « مقالة في تدبير الحرب » . « جواب مسألة سئل عنها في ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائغ في الطبع وفي العقل كما هو سائغ في الشرع » . « مقالتان في المدينة الفاضلة » . « مقالة في العلوم الضارة » . « رسالة في الممكن » . « مقالة في الجنس والنوع » . « الفصول الأربعة المنطقية » . « تهذيب كلام أفلاطون » . « مقالة في كيفية استعمال المنطق » . « مقالة في القياس » . « كتاب في القياس » كبير يدخل في أربع مجلدات . « السماع الطبيعي » مجلدان . « شرح الأشكال البرهانية » . « مقالة في تزييف الشكل الرابع » . « مقالة في تزييف ما يعتقده ابن سينا » . « مقالة في القياسات المختلطات » . « مقالة في تزييف المقاييس الشرطية » . « مقالة في إبطال الكيمياء » . « عهد إلى الحكماء » . « كتاب القولنج » . « مقالة في البرسام » . « مقالة في الرد على ابن الهيثم » . « مقالة في اللغات وكيفية تولدها » . « مقالة في القدر » .

أقام موفق الدين عبد اللطيف بمصر مدة ، فلما توفي الملك العزيز توجّه إلى القدس وأقام به مدة يشغل الناس بالجامع الأقصى ، ثم توجه إلى دمشق ونزل بالعزيزية سنة أربع وستمائة ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه في أصناف من العلوم ، ثم سافر إلى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام ، وكان له منه الجامكية الوافرة والصِّلات المتواترة ، وصنف باسمه

عدة مصنفات ، ثم توجه إلى ملطية وعاد إلى حلب وتوفي ببغداد في التاريخ المذكور أول ترجمته ، رحمه الله .

٣٠١

ابن عبدون

عبد المجيد بن عبدون ، أبو محمد الفهري ؛ روى عن أبي عاصم بن أيوب وأبي مروان ابن سراج والأعلم الشنتمري ، وتوفي سنة عشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وكان أديباً شاعراً كاتباً مترسلاً ، عالماً بالخبر والأثر ومعاني الحديث ، أخذ الناس عنه ، وله مصنف في الانتصار لأبي عبيد على ابن قتيبة .

ومن شعره قصيدته الرائية التي رثى بها ملوك بني الأفطس وذكر فيها من أباده الحدثان ، من ملوك كل زمان ، وهي :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاءُ على الأشباح والصورِ
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرةً ... عن نومةٍ بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنْكَ[1] من دنياك نومتها ... فما صناعةُ عينيها سوى السهر
تَسرّ بالشيء لكن كي تغرَّ به ... كالأيم ثار إلى الجاني منَ الزهر
والدهر حربٌ وإن أبدى مسالمة ... والسود والبيض مثل البيض والسمر
ما لليالي أقال الله عثرتَنا ... من الليالي وغالتها يدُ الغِيَر
هوت بدارا وفلّت غربَ قاتله ... وكان عَضباً على الأملاك ذا أثر

٣٠١ – الصلة : ٣٨٢ والقلائد : ١٤٥ والذخيرة (القسم الثاني) والمغرب ١ : ٣٧٤ والمطرب : ٢٧ ، ١٨٠ وصلة الصلة : ٤٢ ، وله أخبار في المعجب للمراكشي ونفح الطيب ، والزركشي : ٢٩٨ وانظر شرح البسامة لابن بدرون ، وهو شرح لهذه القصيدة الرائية التي أثبتها المؤلف .

١ ص : ..

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت   ولم تدع لبني يونانَ من أثر
وأتبعت أختها طسماً وعاد على   عادٍ وجرهمَ منها ناقضُ المدر
وما أقالت ذوي[1] الهيآت من يمنٍ   ولا أجارتْ ذوي الغاياتِ من مضر
ومزقت سبأ[2] في كلِّ قاصية   فما التقى رائح منهم بمبتكر
وأنفذت في كُليبٍ كلمها ورمتْ   مُهلهلاً[3] بين سمع الأرض والبصر
ودوّخت آلَ ذبيان وجيرتَهم   لَخماً وعَضّت بني بدر على النهر
وما أعادت على الضِّلِّيل صحته   ولا ثنت أسداً عن ربها حُجُر
وألحقت بعَدِيٍّ بالعراق على   يد ابنه أحمر العينين والشعر
وبلغت يزدَجردَ الصينَ واختزلت   عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ولم تكُفَّ مواضي رستم وقنا   ذي حاجب عنه سعداً في انتها العمر
ومرّغت جعفراً بالبيضِ واختلست   من غِيله جمرة الظلاّم للجزر
وأشرفت بخُبيب فوق قارعةٍ   وألصقت طلحةَ الفياض بالعَفر
وخضبتْ شيبَ عثمان دَماً وخطَت   إلى الزُّبير ولم تستحي من عمر
ولا رعتْ لأبي اليقظان[4] صحبته   ولم تزَوِّدْه غير [الضّيح] في الغمْر
وأجزرت سيفَ أشقاها أبا حسن   وأمكنت من حسين راحتي شَمر
وليتها إذ فدت عمراً بخارجة   فدت علياً بمن شاءت من البشر
وفي ابن هندٍ وفي ابن المصطفى حسنٍ   أتت بمعضِلة الألباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد   وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر
وأردتِ ابنَ زيادٍ بالحسين ولم   يبؤْ بشسعٍ له قد طاح أو ظُفُر
وعممت بالظُّبا فوْدي أبي أنس   ولم تردَّ الردى عنه قنا زفر

---

١ ص : ذوو .
٢ ص : بسبا .
٣ ص : مهلهل .
٤ ص : اليقضان ؛ وأبو اليقظان هو عمار بن ياسر .

وأنزلت مصعباً من رأس شاهقة كانت به مهجة المختار في وزر
ولم تراقب مكانَ ابنِ الزبير ولا رعت عياذتهُ بالبيت والحجر
ولم تدع لأبي الذبان قائمةً ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
وأظفرت بالوليد ابن اليزيد ولم تبق الخلافةَ بين الكاسِ والوتر
ولم تعد قُضُبُ السفّاح نابية[1] عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعةَ الروح الأمين على دم بفخّ لآل المصطفى هَدَرَ
وأخفرت في الأمين العهدَ وانتدبت لجعفر في ابنه والأعبُدِ الغدر
وأشرقت جعفراً والفضلُ ينظره والشيخَ يحيي بريقِ الصارم الذكر
ولا وَفَت بعهود المستعين ولا بما تأكد للمعتزّ من مرَر
وأوثقت في عُراها كلَّ معتمد وأشرقت بقذاها كلَّ مقتدر
وَرَوَّعتْ كلَّ مأمونٍ ومؤتمن وأسلمت كلَّ منصور ومنتصر
بني المظفَّر والأيامُ ما برحت مراحلا[2] والورى منها على سفر
سحقاً ليومكم يوماً ولا حَملتْ بمثله ليلةٌ في سالفِ[3] العمر
مَن للأسرَّة أو من للأعِنَّة أو مَن للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثةٍ أو قمع رادفة أو ردع حادثة تعيي على القدر
ويح السماح ويحَ البأسِ لو سلما وحسرةَ الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضلِ والعباسِ هاميةٌ تُعزى إليهم سماحاً لا إلى المطر
وَمرَّ من كل شيء فيه أطيبهُ حتى التمتعُ بالآصالِ والبكر
أين الجلالُ الذي غضت مهابتهُ قلوبَنا وعيون الأنجم الزهر
أين الإباء الذي أرْسَوا قواعده على دعائمَ من عزّ ومن ظفر
أين الرواءُ الذي أصفوا شرائعه فلم يَرِد أحد منها على كدَر

---

١ ص : نائية .

٢ ص : مراحل .

٣ شرح البسامة : مقبل .

على الفضائل إلا الصبر بعدهم سلامُ مرتقبٍ للأجر منتظر
يرجو عسى وله في أختها طمع والدهر ذو عُقَبٍ شتى وذو غير

وقد سلك مسلك هذه القصيدة أبو جعفر الأعيمى فقال قصيدة أولها :

قِفا حَدِّثاني عن فُلٍ وفلان لعلي أرى باقٍ على الحدَثانِ

وهي مذكورة في ترجمته[1] .

ومن شعر ابن عبدون :

وافاك من فلقِ الصباح تبسمُ وانساب من غَسَق الظلام تجهمُ
والليلُ ينعى بالأذان وقد شدا بالأيك طيرُ البانةِ المترنم
ودموع طلٍّ الليل تخلق أعيناً يرنو بها من ماء دجلة أرقم

وقال أيضاً[2] :

مضوا يظلمون الليل لا يلبسونه وإن كان مسكيّ الجلابيبِ ضافيا
يؤمون بيضاً في الأكنة لم تزلْ قلوبهمُ حباً عليها أداحيا
وأغربةُ الظلماء تنفضُ فيهم قوادمها مسلولة والخوافيا
اذا مرقوا من بطن ليل رقت بهم إلى ظهر يوم عزمةٌ هي ما هيا
وان زعزعتهم روعة زعزعوا الدجى إليها كماةً[3] والرياح مذاكيا
ولو أنها صلت لكان امامها ثنا عمر في فحمة الليل هاديا
همامٌ أقام الحرب وهي قعيدة[4] وروّى القنا فيها وكانت صواديا
شريفُ المطاوي تحت ختم ضلوعه تميمةُ تقوى ردَّتِ الدهر صاديا
إذا قرئت لا بالنواظر طابقت سرى أختها ذات البروج مساعيا

١ انظر الترجمة رقم : ٤٠ في ما تقدم .
٢ من هنا حتى آخر القصيدة الحائية لم يرد في المطبوعة .
٣ ص : كماتاً .
٤ ص : فقيدة .

وهدي لواستشفى [المحبّ] [1] بروحه ... لما كان بالوجد المبرّح صاليا
ورقة طبعٍ لو تحلّى بها الهوى ... لأعدى على عصر الشباب البواكيا
اليك أكلت الأرض بالعيس ثائراً ... وقد أكلت منها الذرى والحواميا
حوافي لا ينعلن والبعد آذن ... على نفسه إلا الوجى والدياجيا
فجاءته لم تبصر سوى البشر هاديا ... إليه [2] ولم تسمع سوى الشكر حاديا
ألكني ألكني والسيادة بيننا ... إلى مولعٍ بالحمد يشريه غاليا
إلى آمر في الدهر ناهٍ إذا قضى ... على كل من فيه أطاعوه قاضيا
وحيّوْهُ لا راجين منه تحيةً ... وإن كان جوداً لا يخيِّبُ راجيا
اليك ابن سيفيْ يعرب زفّ خاطري ... عقائل لا ترضى البروج مغانيا
وإني لأستحيي من المجد أن أرى ... عليّ لمأمول سواك أياديا
وإني وقد أسلفتني قبل وقته ... من البرّ ما جازت خطاه الأمانيا
وأيقظتَ من قدري وما كان نائماً ... وأبعدتَ من ذكري وما كان دانيا
ولكن نبا من جنس ذكرك في يدي ... أظن حساماً لم يجد فيه نابيا
ولولم يكن ما خفت لاخفت لم أجد ... على غير ما أخدمتنيه اللياليا
إلى من إذا لم تشكني أنت والعلا ... أكون لما ألقى من الدهر شاكيا
وأنت على رفعي ووضعيَ حجةٌ ... فكن بي على أولاهما بك جازيا
وكون مكاني من سمائك عاطلاً ... ولولا مكاني الدهر ما كان خاليا
فردّ المنى خضراً ترفُّ غصونها ... بمبسوطةٍ تندى ندىً وعواليا [3]
عوالٍ اذا ما الطعن هزَّ جذوعها ... تساقطت الهيجا عليك معاليا
وعاونَ على استنجاز طبعي بهبة ... ترقصُ في ألفاظهن المعاليا
وعزَّ على العلياء أنِ تلقيَ العصا ... مقيماً بحيث البدرُ ألقى المراميا

---

1 بياض في ص . ... 2 ص : وسله .
3 ص : وغواليا .

ومن قام رأي ابن المظفر بينه   وبين الليالي نام عنهن لاهيا

وقال أيضاً :

سقاها الحيا من معانٍ فساحِ   فكم لي بها من معانٍ فصاحِ
وحلّى أكاليلَ تلكَ الرُّبَى   ووشّى معاطفَ تلك البطاح
فما أنسَ لا أنسَ عهدي بها   وجرّيَ فيها ذيولَ المراح[1]
فكم ليَ في اللّهوِ من طَيْرَةٍ   إليها بأجنحةِ الإرتياح
ونـــومٍ على حبرات الرياض   تجاذبُ برديَ أيدي الرياح
وليلٍ كرجعةِ طرفِ المريب   لم أدره شفقاً من صبــاح
كعمر عِداتِكَ يومَ الندى   وعمرِ عُداتِكَ يومَ الكفاح
إليك رمى أمــــلي بي ولا   هُويّ مصفّقةٍ بالريــاح
إذا عمرٌ هطلت كَفُّـــهُ   فلا حملت سحبٌ من رياح

وقال أيضاً :

وما أنسَ بين النهر والقصر وقفةً   نَشَدتُ بها ما ضلَّ من شارد الحبّ
رَميتُ بلحظي دُميةً سَنَحت به   فلم أنتبه إلاّ ومحرابُها قلبي

٣٠٢

ابن حمود الحلبي

عبد المحسن بن حَمّود بن عبد المحسن ابن عليّ ، أمين الدين التنوخي

١ ص : المزاح .

٣٠٢ – الزركشي : ١٩٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٣ والشذرات ٥ : ٤٢٠ وابن الشعار ٤ : ١٠٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٧٧ .

الحلبي الكاتب المنشىء البليغ ؛ ولد سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

رحَلَ وسمع بدمشق من حنبل وابن طبرزد والكندي وغيرهم ، وعُـني بالأدب ، جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلد[1] روى فيه بالسند ، وله ديوان شعر ، وديوان ترسل ، وكتاب « مفتاح الأفراح في امتداح الراح » وكتب لصاحب صرخد عز الدين أيبك ووزَر له ، وكان دَيّناً خيراً كامل الأدوات ، ومن شعره :

اشتغلْ بالحديثِ إن كنت ذا فهـ ـم ففيهِ المرادُ والإيثـارُ
وَهُوَ العلم مَعْلَمٌ وبه يبـ ـن ذوي الدّينِ تحسن الآثار
إنّما الرأيُ والقياسُ ظلامٌ والأحاديثُ للوَرَى أنـوار
كن بما قد علمته عاملاً فالـ ـعلم دَوْحٌ منهنّ تُجتنَى الثمار
وإذا كنتَ عالماً وعليمـاً بالأحاديثِ لن تمسَّكَ نـار

وقال يعاتب صديقاً له :

سألتك حاجةً ووثقتُ فيهـا بقول نعم وما في ذاك عابُ
ولم أعلم بأنّي من أُناسٍ ظَمِوا قبلي وغرَّهمُ السّرابُ

وقال في المعنى :

ظننتُ به الجميلَ فجئتُ أرضا[2] إليه كهمّتي طولاً وعرضا
فلمّا جئته ألفيتُ شخصاً حمى عَرَضاً له وأباحَ عِرْضا

وقال أيضاً :

كأنّما نارنا وقـد خَمَدَتْ وجمرها بالرمـاد مستورُ

---

١ كذا في ر ص ، ووردت صحيحة في الزركشي .
٢ الزركشي : أرضي .

دَمٌ جرَى من فوَاختٍ ذبحت　　من فوقه ريشهنّ منثورُ

وقال أيضاً :

أتانا بكانون يُشَبُّ ضرامه　　كقلب محبّ أو كصدر حسودِ
كأن احمرار النار من تحت فحمه　　خدود عذارى في معاجرَ سود

وقال في غلام جميل الصورة لابس أصفر :

قد قلت لما أن بصرتُ به　　في حلة صفراء كالورس
أو ما كفاه أنه قمرٌ　　حتى تدَرّعَ حلّةَ الشمس

وقال :

أقول لنفسي حين نازل لمّتي　　مشيبي ولما يبقَ غير رحيلي
أيا نفس قد مر الكثير فأقصري　　ولا تحرصي لم يبق غير قليل
ولا تأملي طول البقاء فإنّني　　وجدتُ بقاءَ الدهرِ غيرَ طويل

وقال :

باللهِ هل يا ملُولُ　　إلى الوصالِ وصولُ ؟
أم هل إلى سلسبيلٍ　　من ريق فيك سبيل
صِلْني فما ذا التجافي　　من ذا الجمالِ جميل
حالت[1] لبعدك حالي　　ولستُ عنك أحُول
قَضَى اعتدالك فينا　　أنْ ليسَ عنك عدول
ما مال قَدُّكَ إلاّ　　عليّ ظلماً يَميل
فهل شمائلُ ريح　　مرّتْ به أم شَمُول
إن كنت تنكرُ أنّي　　بمقلتيك قتيل
فها دمي كادَ من خد　　ك الأسيل يَسيل

---

[1] ص ر : سالت ، والتصويب عن الزركشي .

وذا الدلالُ على مـــا بي من هواك دليل
لكن يهون على الغمـ ـر في الهوى ما يهول

٣٠٣
تقي الدين الاسنائي

عبد الملك بن الأعز بن عمران الثقفي[١] الأسنائي ؛ كان أديباً شاعراً ، قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي ، وله ديوان شعر .

قال كمال الدين جعفر الأذفوي : اجتمعتُ به كثيراً ، وكان متهماً بالتشيع ، وتوفي بأسنا سنة سبع وسبعمائة ، ومن شعره رحمه الله[٢] :

جفـــوني مـــا تَنام إلاّ لعَلّي أن أراكْ
فزر قد براني الشوق يا غُصن الأراك
وطرفي ما رأى مثلك وقلبي قـــد حوَاك

فَهُوْ لك لم يزلْ مسكنْ فسبحانَ الذي[٣] أسكن
وحسنكْ كم به أفتنْ وما قصدي ســـواك
حبيبي آه ما أحـــلى هواني في هَـــواك

فخلّي الصدّ والهجران ولا تَسمع مـــلام
وصلني يا قضيبَ البان فَفي قلـــبي ضرام

---

٣٠٣ – لقبه « تقي الدين » ثبت في العنوان في حاشية كل من ص ر ؛ وانظر ترجمته في الزركشي : ٢٠٠ والطالع السعيد : ٣٤١ والدرر الكامنة ٣ : ٢٩ .

١ اعتقد أن « الثقفي » يجب أن تقرأ « التقي » كما في الطالع ، وهذا هو لقبه ، وإلا فلا معنى لورود اللقب في الهامش وعدم الإشارة إليه في المتن .

٢ هذه القصيدة لا بد أن تقرأ ملحونة .

٣ ص : من .

وجـــد للهائم الولهان يا بدرَ التمـــام
وزرْ يا طلعةَ البـــدرِ ودعْ يا قاتلي هجري
وأرفقْ قد فني صبري وعد ايّـــام وَفاكْ
واسمحْ أن أقبـــلْ يا مليحْ باللهِ فـــاك
إذا ما زادَ بي وجدي ولا ألقـــى معـين
وصارْ دمعي على خدّي كما المـــــاء المعين
أفكرْ ألتقيكْ عنـدي يطيبْ قلبي الحزين
لأنّك نزهة الناظر وشخصك في الضمير حاضر
وحبي فيك بلا آخر وقولي قـــد كفاك
فجدْ واعدلْ وصلْ واوصل رضائي من رضاك
جبينك يشبه الاصباح بنورُ قـــد هدى
وريقك من رحيق الراح به يروى الصدى
وخدّك يبهر التفـــاح مكلّـــلْ بالنّدى
سباني لونه القاني فخلاني كئيبْ عاني
تجـــافى النوم أجفـاني فهل عيـــني تراك
فذاك اليومْ فيه خدي أعفر في ثـــراك
عذولي لا تطلْ واقصرْ ودع صبٌّ كئيب
تأمّل من هويت وابصرْ إلى وجـــه الحبيب
وكن يا صاح مستبصر ترى شيئـــاً عجيب
ترى من حسنه مبدع كبدر التّمّ إذ يطلع
تحيرْ لم تدرِ ما تصنع ولا تعرف هداك
وتبقى مفتكرْ حيران إلاّ إنْ هــــداك

٣٠٤
عبد الملك ابن صالح

عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو عبد الرحمن الأمير ؛ ولي المدينة والصوائف للرشيد ، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين ، وتوفي سنة ست وتسعين [1] ومائة ، وحَدَّثَ عن أبيه ومالك بن أنس .

وكان أفصح الناس وأخْطَبَهم ، ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته ، قيل ليحيى بن خالد البرمكي وقد ولّى الرشيدُ عبدَ الملك المدينة : كيف ولاّه المدينة من بين أعماله ؟ قال : أحَبَّ أن يُباهي به قريشاً ، ويعلمهم أن في بني العباس مثله .

ودخل على الرشيد يوماً وقد توفي له ولد وجاءه ولد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سَرَّكَ الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرّك ، وجعل هذه بهذه ، جزاء للشاكر ، وثواباً للصابر .

وقيل له إن أخاك عبد الله يزعم أنك حَقُود ، فقال :

إذا ما امرؤ لم يحقد الوتر لم تَجد لديه لدى النعما [2] جزاءً ولا شكرا

ووجه إلى الرشيد فاكهة في أطباق الخيزران وكتب إليه : أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به ، دخلت إلى بستان لي أفادنيه كرمك ، وعمرتْهُ لي نعمُك ، قد أينعت أشجاره ، وآنت ثماره ، فوجهت إلى أمير المؤمنين من

٣٠٤ — أخباره في تاريخ الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون . . . الخ ؛ وانظر النجوم الزاهرة ٢ : ٩٠ ، ١٥١ وزبدة الحلب ١ : ٦٤ وابن خلكان ٦ : ٣٠ .

١ ص ر : وسبعين . ٢ ر ص : النعماء .

كل شيء شيئاً على الثقة والإمكان ، في أطباق القُضْبان ، ليصلَ إليّ من بركة دعائه ، مثلُ ما وصلَ إليّ من كثرة عطائه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، لم أسمع بأطباق القُضبانِ ، فقال الرشيد : يا أبله ، إنه كَنَى عن الخيزران إذ كان اسماً لأمِّنا .

ولما ودّعه الرشيدُ وقد توجه[1] إلى الشام ، قال له الرشيد : ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بيني وبينك بيت يزيد بن الطثْرية[2] حيث يقول :

فكوني على الواشينَ لَدّاءَ شَغْبَةً ... كما أنا للواشي ألَدُّ شَغُوبُ

ثمّ إن الرشيد جعل ابنه القاسم في حِجْرِ عبد الملك بن صالح ، فقال عبد الملك يحض[3] الرشيد على أن يوليه العهد بعد أخويه الأمين والمأمون :

يا أيها الملكُ الـــذي ... لو كان نجماً كان سعدا
للقاسم اعْقِـــدْ بيعةً ... وأقدْ له في الملك زَنْدا
اللهُ فردٌ واحـــدٌ ... فاجعَلْ ولاة العهدِ فردا

فجعله الرشيد ثالثهما .

ثم وشى به بعد ذلك الناس ، وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرشيد ، فدخل عليه في بعض الأيام وقد امتلأ قلب الرشيد فقال له : أكُفْراً بالنعمة وغدراً بالإمام ؟ فقال عبد الملك : قد بُؤْتُ إذاً بأعباء الذم[4] واستحلال[5] النقم ، وما ذاك يا أمير المؤمنين إلاّ بغي حاسدٍ نافسٍ فيك وفي تقديم الولاية ومودّة

---

١ ر : وجهه .
٢ ص ر : يزيد بن الدثنية ، والبيت منسوب ليزيد بن الطثرية عند ابن سلام : ٥٩٠ وورد في الأغاني ٤ : ٢٦٩ (دار الثقافة) منسوباً لكثير عزة ، وانظر ديوانه : ٥٢٣ .
٣ ص ر : يحظ .
٤ ص : للذم ؛ ر : النقمة .
٥ ص : واستحال ؛ ر : استحلال .

القرابة ؛ يا أمير المؤمنين إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأمينه على عِتْرَته ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدل في حكمها والتثبُّتُ في حادثها ، فقال الرشيد : هذا قمامة كاتبُك يخبر بفساد نيتك وسوء سيرتك ، ثم أمر بإحضاره ، وقال له الرشيد : تكلّم غير خائف ولا هائب ، فقال : أقول : إنه عازم على الغدر بك يا أمير المؤمنين والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب عليّ مِنْ خَلْفي مَن يَبْهَتني في وجهي ؟ فقال الرشيد : فهذا عبدُ الرحمن ابنك يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك وفساد نيتك ، وأنت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعْدَلَ من هذين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عبدُ الرحمن بين مأمورٍ أو عاقّ ، فإن كان مأموراً فمعذور ، وإن كان عاقّاً فهو عدوّ أخبر الله بعداوته وحذّر منها فقال جلّ ثناؤه في محكم كتابه : ﴿إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم﴾ (التغابن : ١٤) فنهض الرشيد فقال : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذي يُرْضي الله فيك فإنّه الحكَم بيني وبينك ، فقال عبد الملك : رضيت بالله حكَماً وبأمير المؤمنين حاكماً ، فإني أعلم أنه يُؤثِرُ كتابَ الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

ثمّ إنه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرُدَّ عليه الرشيد ، فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال : ما أظنُّ الأمر إلاّ كما قلت يا أبا عبد الرحمن ، فأنت محسَّد ، وأمير المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة . ثم دعا عبد الملك بشربة ماء ، فقال له الرشيد : ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : سحيق الطبرزد بماء الرمان ، فقال : بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظمأ ويلذان المذاق ، فقال عبد الملك : صفتك لهما يا أمير المؤمنين ألذّ من فعلهما .

ثم إن الرشيد تنكّر له بعد ذلك فحبسه عند الفضل بن الربيع ، ولم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد ، فأطلقه الأمين وعقَد له بالشام ، وجعل للأمين

عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو حيّ لا يعطي للمأمون طاعة ، فمات قبل قتل الأمين ودفن في دار الإمارة بالرّقة ، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن عبد الملك : حَوِّلْ أباك من داري ، فنبشت عظامه وحُوِّلت .

وكتب إلى الرشيد وقد تغير عليه[1] :

أخلاّيَ لي شَجْوٌ وليس لكم شجو وكل امرىء من شَجْوِ صاحبه خِلْوُ
مِنَ ايّ نواحي الأرض أبغي رضاكمُ وأنتم أناسٌ ما لمرضاتكم نحو
فلا حَسَنٌ نأتي بهِ تَقبلونَهُ وَلا إن أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها قال : والله إن كان قالها فقد أحسن ، وإن كان رواها فقد أحسن :

وكتب إليه من السجن :

قل لأميرِ المؤمنينَ الذي يشكره الصادرُ والواردُ
يا واحدَ الأملاكِ في فضله ما لك مثلي في الورى واحد
إن كان لي ذنبٌ ولا ذنب لي حقاً كما قد زعم الحاسد
فلا يَضِقْ عَفْوُكَ عني فقد فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو في السجن :

لئن ساءني سَجْني لفقدِ أحبّتي وأنيَ فيهم لا أُمِرُّ ولا أُحْلي
لقد سرّني عزّي بترك لقائهمْ وما أتشكّى من حجابي ولا ذلي

ولما أخرجه الأمين من السجن دفع إليه كاتبه وابنه ، فقتل كاتبه ، وهشم وجه ابنه بعمود ، رحمه الله تعالى .

[1] منها بيت في الاشارات الالهية : ٢٦ .

٣٠٥

عبد الملك ابن مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف الأموي ، أمير المؤمنين ؛ بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على مصر والشام وابنُ الزبير على باقي البلاد مدّة سبع سنين ، ثم غلب عبدُ الملك على العراق وبقية البلاد ، وقَتَل ابن الزبير ، واستوسق الأمر له .

كان عابداً ناسكاً بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين .

قال ابن سعد : واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة [١] ، وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية ؛ وأوّل من سمي عبد الملك في الإسلام عبد الملك ابن مروان .

قال أبو الزناد : فقهاء المدينة : سعيدُ بن المسيب وعبد الملك بن مروان [٢] وعروة ابن الزبير وقبيصة بن ذؤيب .

وعن ابن عمر قال : وَلَدَ الناسُ أبناء ، وولد مروان آباء [٣] .

وقال يحيى بن سعيد : أوّل من صلّى في المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان .

وقال ابن عائشة : أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحفُ في حجره ، فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك [٤] .

---

٣٠٥ — مصادر ترجمته وأخباره في كتب تاريخية وأدبية تعز على الحصر .

١ ص : ستة عشر .

٢ عن مقام عبد الملك في الفقه انظر طبقات الفقهاء للشيرازي : ٦٢ .

٣ ص : ابناً . . . أباً .

٤ هذا من قبيل الأخبار التي تصور كراهية الأتقياء للتحول من حياة الفقه والعلم إلى ممارسة السياسة .

وكان له سبعة عشر ولداً[1] ، ومات في شوّال سنة ست وثمانين[2] للهجرة .

وكان يلقب برَشْحِ الحجر لبخله ، وكان رَبْعَة أبيض ، ليس بالبادن ولا النحيف ، مقرون الحاجبين كبير العينين مُشْرف الأنف كثير الشعر مفتوح الفم مشبك الأسنان بالذهب ، أبخر ، كان يلقب « أبا الذبان » يزعمون أن الذبانة إذا مرّت بفيه ماتت لشدّة بَخَرِه .

ولد يوم [بويع][3] عثمان بن عفان ، وكان مدّة ملكه إحدى[4] وعشرين سنة ، ولما مات صلّى عليه ابنه الوليد .

وفي أيامه حُوّلت الدواوين إلى العربية ، ونُقِشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين ، وكان على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية ، وعلى الدراهم كتابة بالفارسية .

كتب إلى الحجاج مرة : قد بلغني عنك إسراف في القتل وتبذير في المال وهاتان خلّتان لا أحتمل عليهما أحداً ، وقد حكمت عليك في العمد بالقَوَد ، وفي الخطأ بالدية ، وفي الأموال أن تردّها إلى مواضعها ، وكتب في آخرها :

وإن تَرَ مني غفلَةً قرشيةً ... فيا ربما قد غَصَّ بالماء شاربُهْ
وإن تَرَ مني غَضْبَةً أموية ... فهذا وهذا كلٌّ ذا أنا صاحبه
سأُملي لذي الذنب العظيمِ كأنّني ... أخو غفلة عنه وقد جُبَّ غاربه
فإن كفَّ لم أعجلْ عليه وإن أبَى ... وثَبْتُ عليه وَثْبَةً لا أراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناسَ فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد ، فلست بالخليفة المستضعَفِ ، ولا الخليفة المُداهن ، ولا الخليفة المأفون ، ألا وإنّ مَنْ كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه

---

١ ص : ولد .   ٢ ص : إحدى وستين .
٣ زيادة لتمام المعنى .
٤ ص : أحد .

الأموال ، ألا وإني لا أداهن هذه الأمة إلاّ بالسيف حتى تستقيم لي قَناتكم ، تكلفوننا[1] أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون من أعمالهم ، فلن تزدادوا إلاّ اجتراحاً ولن تزدادوا إلاّ عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا وبينكم ، هذا عمرو بن سعيد قرابتُه قرابتُه وموضعُه موضعُه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا ، ألا وإنّا نحتمل كلّ شيء إلاّ وُثوباً على منبر أو نَصْبَ راية ، ألا وإن الجامعة[2] التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله لا يَفْعَل أحد فِعْلَه إلاّ جعلتها في عنقه ، ثم لا تخرج نفسه إلاّ صُعُداً .

وزادوا فيها : والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه ، ثم نزل فركب ناقة وأخذ بزمامها وقال :

فصَحَّت ولا شَلّتْ وضرّت عدوَّها يَمينٌ أراقت مُهْجَةَ ابنِ سعيدِ

قيل إن صَحّت هذه الزيادة التي في هذا الخبر فعبدُ الملك بن مروان أول من نهى عن المعروف في الإسلام ، وهو أول من غدر في الإسلام ، لأن والدَه عهد لعمرو بن سعيد بن العاص فقتله عبدُ الملك ، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء ، وكان الناس قبله يراجعون الخلفاء ويعترضون عليهم فيما يفعلون ، وهو أول خليفة بُخِّل .

---

١ ر ص : تكلفونا .

٢ الجامعة : القيد .

٣٠٦
أبو الفضل ابن النطروني

عبد المنعم بن عبد العزيز بن أبي بكر بن عبد المؤمن ، أبو الفضل القرشي العَبْدَري المعروف بابن النطروني الإسكندري ؛ قدم بغداد وأقام بها ، ومدح الإمام الناصر بعدّة قصائد ، وكان فقيهاً مالكياً أديباً حسن الشيبة حسن السَّمْت ، ورتب شيخاً برباط العميد بالجانب الغربي ثم نفذَ رسولاً من الديوان إلى يحيى ابن غانية الميورقي فأقام هناك مدة طويلة ، وولده عبد العزيز ينوبه ، ثم عاد وقد حصل له مال طائل ، ورتب ناظر البيمارستان العضدي ، وتوفي سنة ثلاث وستمائة ، رحمه الله .

ومن شعره :

باتت تصدُّ عن الكرى[١] وتقول : كم تتغرّب ؟
إن الحياة مع القنا عة والمقام لأطيب
فأجبتها : يا هذه غيري بقولك يُخْلب
إنّ الكريمَ مُفارقٌ أوطانَهُ أو يُجْدِب
والبدرُ حينَ يَشينهُ نقصانه يتغيّب
لا يَرتَقي دَرَجَ العلا مَنْ لا يَجدُّ ويتعب

وقال أيضاً :

يا ساحرَ الطرفِ ليلي ما له سَحَرُ وقد أضرَّ بجفني بعدَك السهرُ

---

٣٠٦ — الزركشي : ٢٠٠ والغصون اليانعة : ٨٩ وتاريخ ابن الأثير ١٢ : ٢٥٨ وابن الشعار ٤ : ١٤٠ .

١ كذا في ص ر ؛ وفي الزركشي « النوى » وهي أوفق للسياق .

يكفيك مني إشاراتٌ بعين ضَنًى[1] ... لم يبقَ مني بــه عينٌ ولا أثَر
أعاذَكَ اللهُ من شرّ الهوَى فلَقَد ... أذكَى على كبدي ناراً لها شرَر
غرَّرتُ فيه بروحي بعدما علمت ... أن السلامةَ من أسبابه غَــرر
وكان عَذْباً عَذابي في بدايتهِ ... فصار في الصّبرِ طَعماً دونه الصَّبِر
ولستأدري وقد مثّلتُ شخصك في ... قلبي المَشوقِ أشمسٌ أنت أم قمر
ما صَوَّرَ اللهُ هذا الحسنَ في بشَرٍ ... وكان يمكن أن لا تُعبَد الصور
مَن لي بردٍّ غُدَيّاتٍ بذي سلَمٍ ... حيثُ النسيمُ عليلٌ والثرَى عَطِر
والنور يضحك في وجهِ السحابِ إذا ... أبدى عبوساً وأبكى جفْنَه المطر
والوُرْقُ تدّرع الأوراقَ إن نظرَت ... سهامَ قَطْر بذاك القطر تنحدر
وللغصونِ مناجاةٌ[2] إذا سمعت ... من النسيمِ أحاديثاً[3] لها خطر
ما كنتُ أحسبُ أن العيشَ يخلفُ ما ... قد كان من صفوه فيما مضى كدَرُ
ولا تخيَّلْتُ أن الساكنينَ رُبَى ... نجدٍ تُغَيّرهم من بعدنا الغِيَرُ
ما حرّموا غير وصلي في محرمهم ... وحانَ[4] في صفرٍ ما بيننا سفر
واحرَّ قلباه إن لم يدنُ لي وطَنٌ ... عما قليل وإنْ لم يُقْضَ لي وَطَرُ
لو كنت يا بينُ تدري ما صنعتَ بنا ... لكنتَ في عاجلِ الأحوال تعتذرُ

---

١ ص : رضى .
٢ ص ر : مناجات .
٣ ص ر : أحاديث .
٤ ص : وخان .

٣٠٧
الجلياني

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ، أبو الفضل حكيم الزمان الجلياني الغساني الأندلسي ؛ كان أديباً فاضلاً طبيباً حاذقاً، له معرفة بعلوم الباطن ، وكلام على طريق القوم ، وكان مليح السَّمْت حسن الأخلاق ، رَحَلَ من الأندلس ودخل بغداد ، وروى عنه محب الدين ابن النجار ، ومدح السلطان صلاح الدين الكبير ؛ مولده سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ؛ وتوفي سنة اثنتين وستمائة بدمشق ، رحمه الله .

قال ابن أبي أصيبعة : كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل ، بارعاً في الأدب وصناعة الشعر ، وعُمِّر طويلاً ، وكان له حانوت في اللبادين لصناعة الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يرى له ويحترمه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وصنّف له كتباً ، وكان يعاني صناعة الكيمياء ، وله عشرة[1]

٣٠٧ — صلة الصلة : ١٥ والتكملة: رقم ١٨١٥ والذيل والتكملة ٥ : ٥٧ والمقتضب من التحفة: ٩٠ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٥٧ وابن الشعار ٤ : ١٢٦ والزركشي : ٢٠١ ومعجم البلدان (جليانة) ؛ وترجم له صاحب النفح ثلاث مرات : أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي (٢ : ٦١٤) عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي (٢ : ٦١٤) وباسمه كما أورده الكتبي هنا (٢ : ٦٣٥) ؛ وجليانة التي ينسب إليها عبد المنعم من عمل وادي آش ، وهذا كله غير بعيد عن مالقة . ولكن ابن سعيد ترجم في الغصون اليانعة لعبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني (١٠٤ — ١٠٨) وجعل وفاته سنة ٦٠٣ وذكر أنه ولد بجليانة ، ولكن المادة التي أوردها تنطبق على حكيم مغربي آخر هو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي ، أصله من المرية وقد ولد باليمن (ترجم له ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٤٤ وابن خلكان ٣ : ١٢٣) وهذا الثاني توفي سنة ٥٤٩ وقد ذكره العماد في خريدته وابن الدبيثي ، وليس له علاقة بصلاح الدين . ولا أدري كيف وقع ابن سعيد في هذا الخلط .

١ ص : عشر .

دواوين : الأول ديوان الحكم ومنثور الكلم ، الثاني ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى ، الثالث ديوان أدب السلوك ، الرابع ديوان نوادر الحيّ ، الخامس تحرير النظر ، السادس سر البلاغة وصناعة البديع ، السابع ديوان المبشرات ، الثامن ديوان الغزل والنسيب والموشحات والذوبيت ، السابع ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاجي وأوصاف وخمريات ، العاشر ديوان ترسل ومخاطبات ، وله أيضاً كتاب « منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر » .

ومن شعره :

كِليني لكَرِّ الخيلِ يا أمَّ مالكٍ ... فما الأين[1] إلاّ في متون الصّواهلِ
فبحرُ الوغى لولا السوابحُ صادرت ... بنا لجة لم نحظَ منها بساحل
[فلا تخطبي يا هندُ لي غادةً سبت ... بنُطقِ وِشاحٍ أو بصمتِ خلاخل][2]
فليست ذيولٌ فوق حِجْلٍ تَرُوقني ... ولكنْ خيولٌ تحتَ سُحبِ قساطل
فلا هلكَ إلاّ في نحورِ نواهد ... ولا ملك إلاّ في صدور عوامل
ولا مَلِكٌ يأتي كيوسفَ[3] آخراً ... كما لم يجيء مثلٌ له في الأوائل
فتًى ركب الأهوالَ خيلاً سروجُها ... عزائمُ شُدّت للثبات بكاهل

ومنه :

فأبخس شيء[4] حكمةٌ عند جاهل ... وأهونُ شيء فاضلٌ عند ظالمِ
فلو زُفَّتِ الحسناء للذئبِ لم يكُن ... يرى قربها إلاّ لأكلِ المَعاصم

ومنه :

أؤمل لقياكم وإن شطَّتِ النوى ... وأزجرُ قرباً في مرور السوانحِ

---

١ كذا في ص ر . وفي المطبوعة : « الأمن » .
٢ سقط البيت من ص ، وثبت في ر .
٣ يوسف : صلاح الدين الأيوبي .
٤ ص ر : شيئاً .

ويُذكي اشتياقي زندُ تذكار عهدكم — وما الشوقُ إلاّ بعضُ نارِ الجوانح

ومنه :

قالوا : نرى نَفَراً عند الملوك سمَوا — وما لهم همّةٌ تَسمو ولا وَرَعُ
وأنت ذو همّةٍ في الفضل عالية — فلم ظمئتَ وهم في الجاه قد كرَعوا؟
فقلت : باعوا نفوساً واشتروا ثمناً — وصُنتُ نفسي فلم أخضع كما خضعوا
قد يُكرَمُ القردُ إعجاباً بخسته — وقد يُهانُ لفرطِ النخوةِ السبعُ

وقال أيضاً :

بذلت وقتاً للطب كي لا — ألقى بني الملك بالسؤالِ
وكان وجهُ الصوابِ في أن — أصونَ نفسي بلا ابتذال
لا بدّ للجسم من قوامٍ — فخذه من جانب اعتدال
واقرب من[1] العز في اتضاع — واهرب من الذلّ في المعالي

٣٠٨

شرف الدين الدمياطي

عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف ، الشيخ الإمام البارع الحافظ

---

١ ص : في .

٣٠٨ — الدرر الكامنة ٣ : ٣٠ وطبقات السبكي ٦ : ١٣٢ والنجوم الزاهرة ٨ : ٢١٢ والأسنوي ١ : ٥٥٢ والبداية والنهاية ١٤ : ٤٠ وتذكرة الحفاظ : ١٤٧٧ والسلامي : ١٢٠ وغاية النهاية ١ : ٣٧٢ وحسن المحاضرة ١ : ٣٥٧ ، ٤٢١ والشذرات ٦ : ١٢ والدارس ١ : ٢٢ وذكر ابن تغري بردي أن له ترجمة في المنهل الصافي ؛ وكان الدمياطي يعرف بابن الجامد ، وكان جميل الصورة جداً حتى كان أهل دمياط إذا بالغوا في وصف العروس قالوا كأنها ابن الجامد ؛ ومعجم شيوخه في أربع مجلدات .

النسابة المجوّد الحجة ، علم المحدثين عمدة النقاد ، شرف الدين الدمياطي الشافعي ، صاحب التصانيف ؛ مولده بتونة قرية من عمل تِنِّيسَ ، ولد عام ثلاثة عشر وستمائة ، ووفاته [في خامس عشر ذي القعدة][1] سنة خمس وسبعمائة ، [ودفن بمقبرة باب النصر خارج القاهرة][1] .

وكان منشؤه بدمياط ، وتميز في المذهب وقرأ القرآن وطلب الحديث وقد صار له ثلاث وعشرون سنة ، فسمع بالإسكندرية في سنة ست وثلاثين من أصحاب السِّلَفي ، ثم قدم القاهرة وعُني بهذا الشأن رواية ودراية ، ولازم الحافظ زكي الدين حتى صار مُعيدَه ، وحج سنة ثلاث وأربعين وسمع بالحرمين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين ، وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين ، وكتب العالي والنازل ، وصنف وحدث وأملى في حياة كبار مشايخه ، وكان مليح الهيئة ، حسَنَ الأخلاق ، بَسّاماً فصيحاً نحوياً لغوياً مقرئاً سريع القراءة ، جيد العبارة كثير التفنن ، جيد الكَتْبِ مكثراً مفيداً ، حسن المذاكرة حسن العقيدة ، كافاً عن الدخول في الكلام .

سمع من ابن المقير ويوسف بن عبد المعطي المخيلي والعلم ابن الصابوني وابن العليق وابني قميرة وموهوب ابن الجواليقي وهبة الله بن محمد بن مفرج الواعظ وشعيب ابن الزعفراني وابن رواج وابن رواحة وابن الجميزي والرشيد ابن سلمة ومكي[2] بن علان ، وسمع من أصحاب السلفي وشهدة وابن عساكر وخلق من أصحاب ابن شاتيل والقزاز وابن بري النحوي وابن كليب وأصحاب ابن طبرزد وحنبل والبوصيري والخشوعي . وكتب عنه طائفة منهم الصاحب كمال الدين ابن العديم وأبو الحسين اليونيني والقاضي علم الدين الاخنائي والشيخ علاء الدين القونوي والشيخ أثير الدين أبو حيان وفتح الدين ابن سيد الناس والمزي

---

١ لم يرد هذا في ص ، وأبقيته اعتماداً على المطبوعة وهو موافق لما في المصادر .
٢ ص : ومكه .

وقاضي القضاة تقي الدين السبكي وفخر الدين النويري وخلق كثير من الرحالين، وطال عمره وتفرد بأشياء ، وحمل عن الصغاني عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة ، وسكن دمشق مدة وأفاد أهلها ، وتحوّل إلى مصر ونشر بها علمه ، وكان مُوَسَّعاً عليه في الرزق ، وله حرمة وجلالة ، وولي مشيخة الظاهرية بين القصرين .

ومن تصانيفه : « كتاب الصلاة الوسطى » مجلد لطيف . « كتاب الخيل » مجلد : « قبائل الخزرج » مجلد . « العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن » مجلد . « الأربعون المتباينة » . « الإسناد في حديث أهل بغداد » مجلد . « مشيخة » تشهد له بالحفظ والعلم . « مختصر السيرة النبوية » . وما زال يسمع الحديث إلى أن مات فجأة في ذي القعدة ، وصلي عليه بدمشق غائباً ، رحمه الله تعالى .

٣٠٩
صفي الدين المغني

عبد المؤمن بن فاخر ، صفي الدين ؛قال العز الإربلي الطبيب : كان كثير الفضائل ، ويعرف علم كثير[١] منه العربية ونظم الشعر ، وعلم الإنشاء كان فيه غاية ، وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ، ولم يكن في زمانه من يكتب المنسوب مثله ، وفاق فيه الأوائل والأواخر ، وبه تقدم عند الخليفة ، وكانت آدابه كثيرة وحرمته وافرة وأخلاقه حسنة ، واجتمعت به في مدينة

---

٣٠٩ — هو صاحب دائرة البحور والأوزان ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب (رقم ٥٠٩/ ٤ فنون جميلة) وإذا كان هو الأرموي ، فهو أيضاً صاحب « الدر النقي في فن الموسقي » وغيره من الرسائل في فن الموسيقى .

١ كذا في ص .

تبريز في سنة تسع وثمانين وستمائة ، وأخبرني قال : وردت بغداد صبياً ، وأثبتّ فقيهاً بالمستنصرية شافعياً أيام المستنصر ، واشتغلت بالمحاضرات والأدب والعربية وتجويد الخط ، فبلغت فيه الغاية ، ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليّتي فيه أعظم من الخط ، لكني اشتهرت بالخط ، ولم أعرف بغيره في ذلك الوقت ، ثم إن الخلافة وصلت إلى المستعصم فعمر خزانة كتب وأمر أن يختار لها كاتبان يكتبان ما يختاره ، ولم يكن في ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكي الدين وكنت دونه في الشهرة ، فرتبنا في ذلك ، ولم يعلم الخليفة انني أُحْسِن ضرب العود ، وكان ببغداد مغنية تعرف بلحاظ فائقة الجمال تغني جيداً ، فأحبها الخليفة وأجزل لها العطاء ، فكثر خُدّامها وجواريها وأملاكها ، فاتفق أن غنّت يوماً بين يديه بلحن طيّب غريب ، فسألها عنه ، فقالت : هذا لمعلمي صفي الدين ، فقال : عليّ به ، فأُحضِرْت بين يديه وضربت بالعود فأعجبه ، وأمرني بملازمة مجلسه ، وأمر لي برزق وافر جزيل ، غير ما كان ينعم به عليّ ، وصرتُ أسفِر بين يديه وأقضي للناس الحوائج ، وكان لي مرتب في الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار يكون عنها دراهم مبلغ ستين ألف درهم ، وأحَصِّلُ في قضاء أشغال الناس مثلَها وأكثر . وحضرت بين يدي هولاكو وغنيته ، فأضعف ما كان لي في أيام المستعصم ، واتصلت بخدمة علاء الدين عطا ملك الجويني وأخيه شمس الدين ووليت في أيامهما كتابة الإنشاء ببغداد ، ورَفَعاني[1] إلى رتبة المنادمة وضاعَفا عليّ الإنعام والإحسان ، وبعد موت علاء الدين وقَتْل شمس الدين زالت سعادتي ، وتقهقرت إلى ورا في رزقي وعمري وعيشي ، وعلتني الديون ، وصار لي أولاد وأولاد أولاد ، وكبرت سني وعجزت عن السعي .

قال الشريف صفي الدين ابن الطقطقى : مات صفي الدين عبد المؤمن محبوساً على دين لمجد الدين غلام ابن الصباغ مبلغه ثلثمائة دينار ، وكانت وفاته

---

١ ص : ورفعناني .

ثامن عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، رحمه الله ، وكان ينفق ماله على الملاذّ ، ويبالغ في عمل الحضرات البديعة ، وكان يكون ثمن الفاكهة والخضرة أربعمائة درهم ، وكان يتنعم كثيراً ، عفا الله عنه[1] .

٣١٠

ابن الفقيه الموصلي

عبد الواحد بن إبراهيم بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد ، أبو منصور المعروف بابن الفقيه ؛ ولد بالموصل سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وتوفي سنة ست وثلاثين وستمائة ، سمع من أبي[2] الفضل ابن الطوسي حضوراً ، وكتب الخط المليح وقال الشعر ، وروى عنه محب الدين ابن النجار ، وأورد له ، رحمه الله تعالى

نفسي الفداء لمن سميري ذكره ... وحشاشتي في أسره ووثاقه
رشأ لَوَ انّ البدرَ قابل وجهه ... في تمّه لكساه ثوبَ مُحاقه
ينآد ليناً قدُّه فكأنّه ... غصنُ الأراك يميسُ في أوراقه
فمعاطفُ الأغصان في أثوابه ... ومطالعُ الأقمارِ من أزياقه
في ريقه طعمُ السُّلاف ولونها ... في خدّه واللطفُ في أخلاقه
غفل الرقيب فزارني فوشى به ... في ليل طُرّته سنا إشراقه
يشكو إليّ غرامه وأبثّه ... وجدي وما لاقيتُ من أشواقه
حتّى إذا ما الليلُ مدّ رواقَهُ ... وقضى بجمع الشملِ بعد فراقه

---

١ ر : رحمه الله تعالى .

٣١٠ — الزركشي : ٢٠١ وابن الشعار ٤ : ١٥٦ .

٢ ص : أبو .

هجم الصباحُ على الدجى بحسامه فظننتُ أن الصبحَ من عشاقه

وأورد له أيضاً :

ما هَبَّ من أرضِ العراق نسيمُ إلاّ دَعاني للغرامِ غَرِيمُ
فإلامَ ويلك تلومُ جَهْلاً بالهوى قَصِّرْ فإفْراطُ الملامة لوم
أنّى يحلّ العذل من سمعي وفي قلبي لتكرارِ الكلامِ كُلُوم ؟
يا أيها القمرُ الذي لم يخلُ من يهواه من لاحٍ عليه يلوم[1]
إن العذولَ على هواك أعدُّهُ من حاسديَّ ولا أقول رحيم
فإلامَ أحملُ ثقلَ هجرك والهوى والهجرُ حامل ثقله مرحوم
وإلى متى أرعى النجومَ تعلّلاً حتّى كأنّني للنجومِ نَديم
ومن العجائب أن قلبي يَشتكي شوقاً إليك وأنت فيه مقيم

٣١١

ابن برهان النحوي

عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن بَرْهَان ، أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي ، صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب ؛ قرأ عـلى عبد السلام البصري ، وكان أول أمره منجماً فصار نحوياً ، وكان

١ سقط هذا البيت من المطبوعة .

٣١١ – الزركشي : ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٢ : ٩٢ وانباه الرواة ٢ : ٢١٣ والجواهر المضية ١ : ٣٣٣ ، تاريخ أبي الفدا ٢ : ١٨٥ وبغية الوعاة : ٣١٧ وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٥٦) وانظر ابن خلكان ٣ : ٤٤٣ – ٤٤٤ ، ٥ : ٣٥٩ ودمية القصر : ٣٠٩ (ط . ا لباخ) والشذرات ٣ : ٢٩٧ ولسان الميزان ٤ : ٨٢ ومرآة الجنان ٣ : ٧٨ وميزان الاعتدال ٢ : ٦٧٥ والنجوم الزاهرة ٤ : ٧٥ ونزهة الألباء : ٢٤٣ .

حنبليّاً فصار حنفياً[1] ، وكانت فيه شَراسة على من يقرأ عليه ، ولم يكن يلبس سراويل[2] ولا على رأسه غطاء ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وأربعمائة ، ببغداد .

وكان قد سمع من ابن بطة كثيراً وصحبه ، وكان إذا ذكر المتنبي يعظمه ، وكان يخرج من داره وقد اجتمع على بابه من أولاد الرؤساء جماعة ، فيمشي وهم معه، ويلقي على ذا مسألة وعلى ذا مسألة، وكان يتكبر على أولاد الأغنياء ، وإذا رأى الطالب غريباً أقبل عليه ، وكان يعجبه الباذنجان ويقول في تفضيله : إنّ الناس يأكلونه ثمانية أشهر في العام ، وهم أصحاء ، ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فُلِجوا .

ولما ورد الوزير عميد الملك الكندري إلى بغداد استحضر ابن بَرْهان ، وأعجبه كلامه ، وأمر له بمال فأبَى أن يقبله ، فأعطاه مصحفاً بخط ابن البواب وعكازاً مليحة حُمِلت إليه من بلاد الروم ، فأخذهما وعبر إلى منزله ، فدخل عليه أبو علي بن الوليد المتكلم ، فأخبره بالحال ، فقال له : أنت تحفظ القرآن وبيدك عصاً تتوكأ عليها ، فلم تأخذ شيئاً[3] فيه شبهة ؟ فنهض ابن برهان ودخل على قاضي القضاة أبي عبد الله بن الدامغاني وقال له : قد كدت أهلك لولا نبهني أبو عليّ بن الوليد ، وهو أصغر مني سناً ، وأريد أن تعيد هذه العكازة وهذا المصحف على عميد الملك ، فما يصحباني ، فأخذهما وأعادهما إليه .

وكان مع ذلك يحب المليح مُشاهدة ؛ وإذا حضر أولاد الأمراء والأتراك وأرباب النعم يُقَبّلهم بمحضر من آبائهم ، ولا ينكرون عليه ذلك لعلمهم بدينه وورعه .

وكان يقول : لو كان علم الكيمياء حقاً لما احتجنا إلى الخراج ، ولو كان

---

[1] ص : حنيفياً .

[2] ص : سراويلا .   [3] ص : شيء .

علم الطلاسم حقاً لما احتجنا إلى الجند ، ولو كان علم النجوم حقاً لما احتجنا إلى الرسل والبريد .

وكان يحضر حلقته فتى مليح الوجه ، فانقطع عنه ، فسأل عنه فقيل له إن عميد الملك اعتقل والده ، فانحدر إلى باب المراتب ، فصادف الكندري جالساً ، فحين رآه أقبل عليه مسلماً والناس من حوله ، فقال له ابن برهان :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

فوجم الكندري ، وسأل عن من في حَبْسه ، فأخبر بالرجل ، وأن ولده يغشى مجلس الشيخ للاقتباس ، فأطلقه ووهبه ما كان عليه ، وكان ثمانية عشر ألف دينار .

ومن شعر ابن برهان ، رحمه الله تعالى :

أحبتنا بأبي أنتُمُ وسَقْياً لكم أينما كنتُمُ
أطَلْتم عذابي بإبعادكم وقلتم تَزوروا وما زرتمُ
فإن لم تجودوا على عبدكم فإن المعزَّى به أنتمُ

٣١٢
أبو الرضى المعري

عبد الواحد بن الفرج بن نوت ، أبو الرضى المعرّي ، توفي في حدود الثمانين وأربعمائة ؛ ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال : كان مغفلاً صاحب بديهة ،

٣١٢ – لم ترد هذه الترجمة في المطبوعة ؛ وانظر في ترجمة أبي الرضى هذا ، الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٦٨ وذكر المحقق أن له ترجمة في الوافي ؛ وراجع الزركشي : ٢٠٢ .

وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك انه مرّ على قرية يقال لها سياث من أعمال المعرة وفيها دار تنقض فقال[1] :

مررتُ[2] بربع من سياثَ فراعني ... به زَجَلُ الأحجار تحت المعاولِ
تناولها رحب الذراع كأنّما ... رمى الدهرُ فيما بينها حربَ وائل
فقلتُ له شلّت يمينك خلّها ... لمعتبرٍ أو زاهدٍ أو مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم أرَ أحلى من حديث المنازل

وقال من أبيات :

نسري فيغدو من نعال جيادنا ... قبسٌ يُضيء الليل وهو بهيمُ
فكأنَّ مبيضَ النعالِ أهلّةٌ ... وكأنَّ محمرَّ الشرارِ نجوم[3]

٣١٣

مجد الدين ابن سحنون

عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون ، الحكيم البارع الخطيب مجد الدين ، خطيب النيرب ؛ روى عن خطيب مردا ، وله شعر وأدب وفضائل ، وكان من فضلاء الحنفية ، درس بالدماغية[4] ، وعاش خمساً وسبعين سنة ، وتوفي

---

١ نسبها ياقوت (سياث) للقاضي أبي يعلى عبد الباقي بن أبي حصين المعري ، ونسبها ابن العديم في الانصاف والتحري : ٤٩٤ إلى أبي الهيثم عبد الواحد أخي أبي العلاء .

٢ الخريدة : عبرت .

٣ الخريدة : رجوم .

٣١٣ – الزركشي : ٢٠٣ والشذرات ٥ : ٤٢٦ وعبر الذهبي ٥ : ٣٨٣ .

٤ نسبة إلى منشئتها زوجة شجاع الدين ابن الدماغ مضحك العادل ، كانت للشافعية والحنفية بحضرة باب الفرج (الدارس ١ : ٢٣٦) .

سنة أربع وتسعين وستمائة .

وكان طبيب مارستان[1] الجبل رحمه الله ؛ من شعره :

لا تجزعنَّ فما طولُ الحياةِ سوى   روحٍ تردّد في سجنٍ من البدنِ
ولا يهولك أمرُ الموتِ تكرهه   فإنّما موتنا عودٌ[2] إلى الوطن

وسمع قول مجير الدين ابن تميم في تفضيل الورد :

من فَضَّلَ النرجس وهو الذي   يرضى بحكم الوردِ إذ يُغرَسُ
أما ترى الوردَ غدا جـالسا   إذ قامَ في خدمته النرجس[3]

فأجاب من غير روية :

ليس جلوسُ الوردِ في مجلس   قام به نرجسه يوكسُ
وإنّما الوردُ غدا باسطاً   خدّاً تمشّى فوقه النرجس

وقال في مشاعلي :

بأبي غزالٌ جاء يحملُ مشعلاً   يكسو الدجى بملاء ثوبٍ أصفرِ
فكأنّه غصنٌ عليهِ بـاقةٌ   من نرجسٍ أو زهرة من نوفر

وقال وقد أهدى نَرْجساً :

لما تحجّبتَ عن عيني وأرّقني   بُعدي ولم تحظَ عيني منك بالنظرِ
أرسلتُ مشبهها من نرجسٍ عطرٍ   كيما أراك بأحداقٍ من الزهر

وقال :

للهِ حسن الياسمين يلوح فو   قِ الورد للجلساء والندمانِ
مثل الثنايا والخدود نواضراً   أو كالفَراش هوًى على النيران

[1] ص : مرستان .
[2] ص : عوداً .
[3] سقط من المطبوعة .

وقال :

وورد أبيض[1] قد زاد حسناً فعند الصدّ[2] للخجل احمرارُ
يمثّله النديمُ إذا رآهُ مَداهِنَ فضة فيها نُضَار

وقال :

يا حسنه[3] نيلوفراً في مائه طافٍ وفي أحشاهُ نارٌ تسعرُ
يحكي أناملَ غادةٍ مضمومةً جُمعت وزيّنها خضابٌ أخضر

٣١٤
القاضي عبد الوهاب

عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد ، القاضي أبو محمد البغدادي المالكي ؛ سمع وروى ، وكان شيخ المالكية في عصره وعالمهم .

وقال الخطيب في تاريخه : كتبت عنه ، وكان ثقة لم ألقَ أفقه منه ، ولي القضاء ببادرايا ، وخرج آخر عمره إلى مصر ، فمات بها في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقيل هو من أولاد مالك ابن طَوْق صاحب الرحبة ، وصنف « التلقين » وهو مع صغره من خيار الكتب ، وله « المعرفة في شرح الرسالة » ، وله « عيون

---

١ ص : ووردا أبيضا .   ٢ ص : الضد .   ٣ ص : حسن .

٣١٤ — تاريخ بغداد ١١ : ٣١ والزركشي : ٢٠٢ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٧٦ والشذرات ٣ : ٢٢٣ ومرآة الجنان ٣ : ٤١ وطبقات الشيرازي : ١٦٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ وقضاة النباهي : ٤٠ والبداية والنهاية ١٢ : ٣٢ ؛ وليست هذه الترجمة مستدركة على ابن خلكان إذ قد ترجم للقاضي عبد الوهاب ، انظر ٣ : ٢١٩ وله ترجمة في القسم الأخير من الذخيرة الخاص بالغرباء .

المسائل » و « النصرة لمذهب مالك » وكتاب « الأدلة في مسائل الخلاف » و «شرح المدوّنة» . وخرج إلى مصر في آخر عمره لإملاق به ، وفي ذلك يقول :

بغداذُ دارٌ لأهلِ المالِ طيّبةٌ ... وللمفاليس دارُ الضنكِ والضيقِ
ظللتُ حيرانَ أمشي في أزقّتها ... كأنّني مصحفٌ في دار زنديق

واجتاز في طريقه بمعرة النعمان ، وأضافه أبو العلاء المعري ، وفي ذلك يقول[1] :

والمالكي ابن نصر زار في سفرٍ ... بلادَنا فحمدنا النأيَ والسّفَرَا
إذا تفقه أحيْا مالكاً جـدلاً ... وينَشرُ الملكَ الضليلَ إن شعرا

ومن شعر القاضي عبد الوهاب :

سلامٌ على بغداد في كلّ موطنٍ ... وحقّ لها مني سلامٌ مضاعَفُ
فوالله ما فارقتها عن قِلًى لها ... وإنّي بشطّيْ جانبيها لعارف
ولكنها ضاقتْ عليّ بأسرهـا ... ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعف
فكانت كخلٍّ كنتُ أرجو دنُوّه ... وأخلاقُهُ تنـأى به وتخالف

وقال[2] :

متى تصل العِطاش إلى ارتواءٍ ... إذا استقت البحارُ من الرّكايا
ومن يثني الأصاغرَ عن مراد ... وقد جلسَ الأكابرُ في الزوايا
وإنّ ترفّعَ الوُضَعاء يَـوماً ... على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوتِ الأسافلُ والأداني ... فقـد طابت مُنادمةُ المنايا

وقال أيضاً :

ونائمَـةٍ قبّلتهـا فتنبّهتْ ... وقالت تعالَوْا فاطلبوا اللصّ بالحدّ

---

١ شروح السقط : ١٧٤٠ .

٢ قال ابن خلكان : وكان على خاطري أبيات لا أعرف لمن هي ، ثم وجدتها في عدة مواضع للقاضي عبد الوهاب المذكور .

فقلتُ لها إنّي فديتك غاصبٌ وما حكموا في غاصب بسوى الردّ
خذيها وكُفّي عن أثيمٍ ظُلامَةً وإن أنت لم تَرْضَيْ فألفاً على العد
فقالت قصاصٌ[1] يشهدُ العقلُ أنّه على كبد الجاني ألذُّ من الشّهد
فباتت يميني وهي هِمْيانُ خصرها وباتت يساري وهي واسطةُ العقد
فقالت ألم أُخْبَرْ بأنّك زاهد فقلتُ لها ما زلتُ أزهدُ في الزهد

٣١٥

شرف الدين ابن فضل الله

عبد الوهاب بن فضل الله ، القاضي شرف الدين ، يمين الملوك والسلاطين ، القرشي العمري — وقد ذكرنا تمام نسبه في ترجمة ابن أخيه شهاب الدين ؛ مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ؛ كان كاتباً أديباً مترسلاً كتب المنسوب الفائق ، ومُتِّعَ بحواسّه لم يفقد منها شيئاً ولم تتغير كتابته ، ومات وهو جالسٌ ينفذ بريد[2] إلى بعض النواحي ، وكان مَخاديمُه يحترمونه ويعظّمونه ، مثل حسام الدين لاجين والملك الأشرف والملك الناصر والأمير سيف الدين تنكز ، كان كل وقت يذكره ، وكان كاملاً في فنه ، ما كتب عن ملوك الأتراك أحد مثله .

رآه الملك الأشرف مرة وقد قام ومشى يلقى أميراً ، فلما حضر عنده قال : رأيتك قمت من مكانك وخطوت خطوات ، فقال : يا خوند كان الأمير سيف الدين بيدرا النائب قد جاء وسلّم عليّ ، فقال : لا تَعُد تقم[2] لأحد أبداً ،

---

١ ص : قصاصاً .

٣١٥ — الزركشي : ٢٠٤ والدرر الكامنة ٣ : ٤٢ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٠ والشذرات ٦ : ٤٦ وذيل العبر : ٩٤ والسلوك ٢ : ١٧٩ .

٢ كذا في ص ر .

أنت تكون قاعداً عندي وذاك واقف .

وحكي أنه كان يوماً بالمرج يقرأ على تنكز كتاب بريد جاء من السلطان ، والمماليك قد رموا جلمة على عصفور ، فاشتغل تنكز بالنظر إليها ، فبطل شرف الدين القراءة وأمسكه وقال : يا خوند إذا قرأت عليك كتاب السلطان اجعل بالك كلّه مني ، ويكون ذهنك عندي ، لا تشتغل بغيري أبداً ، وافهمه لفظة لفظـــة .

وما رأى أحد ما رآه من التعظيم في النفوس؛ وكان في مبدأ أمره يلبس القماش الفاخر ويأكل الأطعمة الشهية ويعمل السماعات ، ويعاشر الفضلاء مثل بدر الدين ابن مالك وابن الظهير وغيرهم [1]، ثم انسلخ من ذلك كله لما داخل الدولة، وقَتّر [2] على نفسه واختصر في ملبسه وانجمع عن الناس انجماعاً كلياً ، ولما مات خلف نعمة طائلة .

وكان الملك الناصر قد نقله من مصر إلى الشام عِوَضاً عن أخيه محيي الدين ؛ لأن السلطان كان قد وعد القاضي علاء الدين ابن الأثير لما كان معه بالكرك بالمنصب ، فأقام بدمشق إلى سنة سبع عشرة [3] وسبعمائة ، وتوفي في رمضان رحمه الله تعالى .

ورثاه شهاب الدين محمود وهو بمصر وكتب بها إلى القاضي محيي الدين أخيه :

لتبكِ المعالي والنُّهَى الشّرَفَ الأعلى ... وتبكي الورى الإحسان والحلم والفضلا
وتنتحب الدنيا لمن لم تَجِدْ لـهُ ... وإن جَهِدَتْ في حسن أوصافه مِثْلا
ومَنْ أتعبَ الناسَ اتّباعُ طريقهِ ... فكفّوا وأعيتهم طريقته المُثْلى
لقد أثكَلَ الأيّام حتى تجهّمت ... وإن كانتِ الأيامُ لا تعرف الثكلا
وفارق منه الدسْتُ صدراً معظّماً ... رحيباً يردُّ الحَزْنَ تدبيرُه سَهْلا

....

١ كذا في ص ر . ٢ ص : وفتر .
٣ ر ص : عشر .

فكم حاطَ بالرأي الممالكَ فاكتفتْ ... له أن تعدَّ الخيل للصون والرَّجْلا
وكم جرَّدَتْ أيدي العدا نَصْلَ كيدهم ... فرَدَّ إلى أعناقهم ذلك النصلا
وكم جلَّ خَطْبٌ لا يُحَلُّ انعقادُهُ ... فأعملَ فيه صائبَ الرأي فانحلا
وكم جاء أمرٌ لا يُطاق هجومه ... فلما تولّى أمرَ تدبيره وَلّى
وكم كَفَّ محذوراً وكم فكَّ عانياً ... وكم ردَّ مكروهاً وكم قد جلا جُلّى
وقــد كانَ لِلاَّجِينَ ظلاًّ فقلصت ... يدُ الموتِ عَدَوْا عنهمُ ذلك الظلا
سأندُبُه دهــري وأرثيــه جاهداً ... وأكثر فيه من بكائي وإن قلا
ولم لا وقد صاحبتُهُ جُلَّ مــدّتي ... أراه أباً بَرّاً ويعتدُّني نجــلا
ولم يرنا في طول مدّتنا امرؤ ... فيحسَبُنا إلاَّ الأقاربَ والأهلا
وكم أرشدتني في الكتابةِ كتبــه ... ولو زلَّ عن إرشادها خاطري ضلا
وكم[1] مشكلاتٍ لم تَبِنْ لمحدِّقٍ ... إليها جلاها فانجلتْ عند ما أملى
فَمَنْ هذه حالي وحالتــهُ معي ... أيحسن أن أبكي على فقده أم لا
وعهــدي به لا أبعــد الله عهده ... وأقلامه أنّى جرَتْ نشرت عدلا
لقد كان لي أنسٌ به وهو نازحٌ ... كأن التنائي لم يفرّقْ لنا شملا
وقد زال ذاك الانسُ واعتضتُ بعده ... دموعاً إذا أنشأتها أنْشَتِ الوبــلا
فلا مدمعي الهامي يجفُّ ولا الأسى ... يخفُّ جواه إن أقلْ لهما مهلا
ولا حُرَقِي تخبو وإن يُطْفَ وَقْدُها ... بماء دموعي صار فيها غضاً جزلا
إلى الله أشكو فَقْدَ صحب رزئتهم ... وفقدُ ابن فضلِالله قد عَدَلَ الكلا
ولم يترك الموتُ الذي حُمَّ منهــمُ ... حميماً ولا خَلّى الرَّدى منهم خِلاً
وعمهمُ داعي الحمـــامِ فأسرعوا ... جميعاً وألغى قولنا فيهم إلا
وكم يُزْجيء الساري النوى عن رفاقه ... إذا ركْبهم يوماً بدارهم[2] حَلاَ

---

١ ص : ومن .
٢ ص : بدراهم .

أيطمعُ من قد جازَ معتركَ الردى بإبطاله عَمّنْ تقدمه ؟ كلا
ولا سيما مَنْ عاود الداءُ جسمَهُ يعاوده بَدْءاً إذا ظنّه وَلّى
عزاءكَ محيي الدين في الذاهب الذي قضى إذ قضى فرضَ المناقب والنفلا
فمثلك مَنْ يلقى الخطوبَ بكاهلٍ يُقِلُّ الذي تَعْيا الجبال له حملا
وفي الصبرِ أجرٌ أنت تعرفُ فضلَهُ وآثارَهُ الحسنى فلا تَدَعِ الفضلا
وسلّمْ لأمرِ الله وارضَ بحكمهِ تحزْ منه فضلاً ما برحت له أهلا
ولا زالَ صوبُ المزنِ والعفو دائماً يؤمّانهِ حتى إذا وَصَلا انهلا

ومن شعر شرف الدين يمدح الملك المنصور قلاوون الألفي :

تهبُ الألوفَ ولا تهابُ لهم ألفاً إذا لاقَيتَ في الصفِّ
ألفٌ وألفٌ في نَدًى ووغًى فلأجلِ ذا سموك بالألفي

ومنه لما ختن الملك الناصر :

لم يروّعْ له الختانُ جناناً قد أصابَ الحديدُ منه حديدا
مثل ما تنقصُ المصابيحُ بالقطّ فتزدادُ في الضياء وقودا

وقال :

كتبتُ والشوقُ يدنيني إلى أملٍ من اللقاء ويقصيني عن الدارِ
والحبُّ يضرمُ فيما بين ذاك وذا بين الجوانح أجزاءً من النار

٣١٦

المثقال

عبد الوهاب بن محمد الأزدي المعروف بالمثقال ؛ قال ابن رشيق في « الأنموذج » : شاعر مطبوع قليل التكلف سهل القافية ، خبيث اللسان ماجن ، لا يمدح أحداً ، كان يألف غلاماً نصرانياً خماراً واشتهر بحبه ، وأقام ببابه في الحانة ثلاث سنين ، ويدخل معه الكنيسة في الآحاد والأعياد طول هذه المدة، حتّى حفظ كثيراً من الإنجيل وشرائع أهله ؛ وهجره مرة فاستعان عليه وتحيّل فلم يجد له عليه سبيلاً[1] ، وزعم أنّ عليه قَسَماً شديداً[2] أن لا يكلمه إلى شهر ، فدعا بالفاصد وفصد إحدى يديه ، ثم دعا بفاصد آخر وفصد الأخرى ، ودخل داره وأغلق بابه وحل الفصادين ، فما شعر أهله إلاّ بالدم يدفع من سدة الباب ، وبلغ الغلام أنه يدّعي أنه قتله فصالحه خوفاً على نفسه .

ومن شعره :

خيالك زائري من غير وعدٍ ... وأكثر منك بي برّاً وحبا
فلما أن رآك أطلتَ بعدي ... ولم تمنحْ محبّك منك قربا
سَرَى وَهْناً فقبّلني وآلى ... يمينَ اللهِ لا عذبتُ صبا
فأحيا مُهجَةً بلغت غراماً ... وقلباً لم يفق دَنَفاً وكربا
وكان الطيفُ أرأفَ منك نفساً ... وألينَ منك أعطافاً وقلبا

وقال :

---

٣١٦ – الزركشي ٢ : ٢٠٣ .

١ ص : سبيل .   ٢ ص : شديد .

هم بالوجوه مِنَ البدو رِ وبالقدودِ منَ الغصونِ
ودروعهم صبغ الحيا وسيوفهم لحظُ العيونِ

وقال :

لما تناهَى وكملْ وتمَّ لي فيهِ الأملْ
أعرضَ واستبدلَ بي كذلك الدنيا دُوَلْ

وقال :

قد زارني طيفُ من أهوى يعللني عند الصباح وخيط الفجر قد طلعا
فطرتُ شوقا لعلمي [1] أنَّ قبلته في النوم تحدث لي في وصله طمعا

وقال ابن رشيق : أنشدته من قصيدة لي :

والثريا قبالةَ البدر تحكي باسطاً كفه ليأخذَ جاما

فاستطرفه ، وأنشدته أيضاً لي :

رأيت بهرامَ والثريا والمشتري في القِران كرَّهْ
كراحةٍ خُيِّرت فحارت ما بين ياقوتةٍ ودره

فأنشدني :

يا ساقيَ الراح سقِّ صحبي وواسني إنني أُواسي
وانظر إلى حيرةِ الثريا والليلُ قد شدَّ باندماس
ما بين بهرامها الملاحي وبين برجيسها المواسي
كأنها راحةٌ أشارت لأخذِ تفاحةٍ وكاس

وقال :

أهدى إليَّ مدامة صفراءَ صافيةً حميا

---

[1] ص والزركشي : لعلي .

فكأنهـا وحبابهـا بدرٌ تكلّلَ بالثريا
فشربتها من كفه وسكبتُ فاضلها عليا

وقال :

طاف بالراح حبيبي قائلا بين صحابي
هاك خذها يا فتى الفتـ ـيان واسمع من خطابي
فهي من خدي ولحظي ونسيمي ورُضابي

وقال وقد مات محبوبه النصراني بالإسكندرية :

أخي بودادٍ لا أخي بديانـةٍ وربَّ أخٍ في الودِّ مثل نسيبِ
وقالوا أتبكي اليوم من ْلستَ صاحبا غداً ؟ إن هذا فعلُ غير لبيب
فقلت لهم هذا أوانُ تلهفي وشدةُ إعوالي وفرط كروبي
ومالي َ لا أبكي حبيباً فقدتـه إذا خاب منه في المعاد نصيبي ؟
فيا ناصحي مهلاً فلست بمرشد ويا لائمي أقصر فغيرُ مصيب
وسلمانُ أودى حيث لا أنا حاضرٌ أعلّله يوما بوصف طبيب
وأجعل كفي تحت جيبٍ مكرم عليَّ وخدٍ بالنحول خضيب

وكانت وفاة [1] المثقال بعد الخمسمائة .

---

١ ص : وفاته .

٣١٧
أبو الفضل الميكالي

عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ابن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن سور بن سور بن سور بن سوار، أربعة من الملوك؛ ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور، أبو الفضل الميكالي؛ مات يوم عيد الأضحى سنة ست وثلاثين وأربعمائة، كان أوحد خراسان في ذلك العصر أدباً وفضلاً ونسباً؛ حسن الخلق مليح الوجه والشمائل؛ كثير القراءة دائم العبادة سخي النفس؛ سمع بخراسان من الحاكم أبي أحمد الحافظ وأبي عمرو بن حمدان؛ وعقد له مجلس للإملاء؛ وأبوه أمير مشهور جليل القدر.

سمع قول الصاحب.

لئن هو لم يكفف عقاربَ صُدغهِ فقولوا له يسمحْ بدرياقِ ريقهِ

فقال:

لدَغَتْ عينك قلبي إنما عينك عقربْ
لكن المصةُ من ريقك درياقٌ مجرّبْ

وله من التصانيف كتاب «المنتحل». كتاب «مخزون البلاغة»[١]. ديوان رسائله. ديوان شعره. كتاب «ملح الخواطر ومنح الجواهر».

---

٣١٧ – اليتيمة ٤ : ٣٥٤ والزركشي : ٢٠٥ واللباب ٣ : ٢٠٢ وثمار القلوب (صفحات متفرقة، ويشير إليه باسم السيد أحياناً إذ خدم بهذا الكتاب خزانته).

١ أورد الثعالبي في اليتيمة فصولا من هذا الكتاب.

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

إذا ما جاد بالأموالِ ثنّى ولم تدركه في الجودِ الندامَهْ
وإن هَجَست خواطره بجمعٍ لريبِ حوادثٍ قال الندى مَهْ

وقال :

مبدعٌ في شمائلِ المجد خيماً ما اهتدينا لأخذه واقتباسِه
فهو فيضٌ بالمال وقت نداه وجواد بالعفو في وقت باسه

وقال :

ألا ربَّ أعداءٍ لئامٍ قريتهم متونَ سيوفٍ أو صُدورَ عَوالِ
إذا كلبهم يوما عوى لي رميتهم بكلبٍ إذا عاوى الرجال عوى لي

وقال :

عجبت لوغدٍ قد جذبتُ بضبعه فأصبح يلقاني بتيه وبيسما[1]
يريد مُساماتي ومن دونها السما وكيف يباريني سمُوًّا وبي سما

وقال :

لقد راعني بدرُ الدجى بصدوده ووكَّلَ أجفاني برَعْي كواكبِهْ
فيا جزَعي مهلاً عساه يعود لي ويا كبدي صبراً على ما كواكِ به

وله :

صل مُحبّاً أعياه وصفُ هواه فضناه ينوبُ عن ترجمانه
كلما راقه سواك تصدّتْ مقلتاه بدمعه ترجُمانِه

وله :

---

[1] أي : وبئس ما يلقاني به .

يا ذا الذي أرسل من طرفه علي سيفاً قدّني أو فرى
شفاءُ نفسي منك تجميشةٌ تغرس في خدك نيلوفرا

وقال :

أما حان أن تشفيَ المستهامَ بزورَةِ وصلٍ وتأوي لَهُ
يجمجمُ عن سؤله هيبةً ويعلم علمك تأويلهِ

وقال :

سَقياً لدهر مضى والوصلُ يجمعنا ونحن نحكي عناقاً شكلَ تنوينِ
فصرتُ إذ علقت نفسي حبائلكم بسهم هجرك ترمي ثم تنويني

وقال :

إن كنتَ تأنسُ بالحبيب وقربه فاصبر على حكم الرقيبِ ودارِهِ
إنّ الرقيبَ إذا صَبرْتَ لحكمه بوّاك في مثوى الحبيب وداره

وقال :

شكوتُ إليه ما ألاقي فقال لي : رويداً ففي حكم الهوى أنت موتلي
فلو كان حقا ما ادّعيتَ من الهوى لقلَّ بما تلقى إذاً أن تموت لي

قال :

ومعشوقٍ يتيه بوجه عاجِ شبيه الصدغ منه بلامِ زاجِ
إذا استسقيته راحاً سقاني رضاباً كالرحيق بلا مزاج

وقال :

ظبيٌ يحارُ البرقُ في بريقه غنَيتُ عن إبريقه بريقه
فلم أزل أرشفُ من رحيقه حتّى شفيت القلب من حريقه

وقال :

إن لي في الهوى لساناً كتوماً وجناناً يخفي حريقَ جواه
غير أني أخاف دمعي عليه سرّاه يُفشي الذي سرّاه

وقال :

تفرق[1] قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريقُ
[إذا ظمئت نفسي أقول له اسقني وإن لم يكن راحا لديك فريقُ][2]

وقال :

أهدت جفونك للفؤا دِ من الغرام بلابلا
فالشوقُ منه بلا مدى والوجد فيه بلا بلى

وقال أبو القاسم الكرخي : كنتُ ليلةً عند الصاحب ابن عباد ومعنا أبو العباس الضبي وقد وقف على رؤوسنا غلامٌ كأنه فلقة قمر ، فقال الصاحب :

• أين ذاك الظبي أينَهْ؟ •

فقال أبو العباس :

• شادن في وصف قينهْ •

فقال الصاحب :

بلسان الدمع تشكو أبداً عينيَ عينه

فقال أبو العباس :

ليَ دَينٌ في هواه ليته أنجزَ دَينهْ

فقال الميكالي :

لا قضى الله ببينٍ أبداً بيني وبينه

---

١ ص : لفرط .
٢ سقط من ص ، وزدته من المطبوعة .

وأنشد بعض الحاضرين :

أحسنُ من روضةِ حَزْنٍ ناضره ْ   قد فتح النرجسُ فيها ناظرَهْ

فقال الميكالي :

طلعةُ معشوقٍ لدينا حاضره   ناضرةٌ تجلو العيونَ الناظره

ومن شعره :

روضٌ يروض همومَ قلبي حسنُهُ   فيه لكاسِ اللهو[1] أيُّ مَساغِ
[واذا بدت][2] قضبانُ ريحانٍ به   خيتْ بمثلِ سلاسلِ الأصداغ

وقال :

تصوغُ لنا كفُّ الربيع بدائعاً[3]   كعقد عقيقٍ بين سمط لآلِ
وفيهنّ أنوارُ الشقائقِ قد حكت   خدودَ عذارىَ نُقِّطتْ بغوال

وقال في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا   تحتَ هلالٍ لونه يحكي اللهبْ
ككرةٍ من فضةٍ مجلوّةٍ   أوفى عليها صولجانٌ من ذهب

وقال في طلوع الفجر :

أهلاً بفجرٍ قد نضا ثوبَ الدُّجى   كالسيفِ جُرِّدَ من سواد قرابِ
أو غادةٍ شَقّتْ إزاراً[4] أزرقا   ما بينَ ثغرتها إلى الأقرابِ

وقال :

---

١ اليتيمة : الحسن .
٢ في ص : إن ، وبعدها بياض ، وصوبته اعتماداً على اليتيمة .
٣ اليتيمة : حدائقاً .
٤ اليتيمة : صداراً .

يا مهدياً لي بنفسجاً أرجاً يرتاحُ قلبي له وينشرحُ
بشرني عاجِلاً مصحفه بأن ضيق الأمور ينفسح

وقال في ذمه :

يا مُهدياً لي بنفسجاً سمجاً وددتُ لو أن أرضه سبخُ
بشرني[1] عاجلاً مُصَحّفـه بأن عَقْدَ الحبيبِ ينفسخ

وقال :

ومدامة زفت إلى سلسالِ تختالُ بين ملابسٍ كالآلِ
قد نالها[2] حتّى إذا ما اقتضّها بالمزجِ أمهرها عقودَ لآلي

وقال :

لنا صديقٌ إن رأى مهفهفـــاً لاطفه
فإنْ يكنْ في دهرنا ذو ابنةٍ لاط فهو

وقال :

لنا صديقٌ يجيد لَقْماً راحتُنا في أذى قفاهُ
ما ذاق من كسبه ولكنْ أذى قفاهُ أذاقَ فاه

---

١ اليتيمة : ينذرني .
٢ اليتيمة : فبنى بها ؛ وقد تقرأ في ص : فدنا لها .

٣١٨
عبيد الله الوزير

عبيد الله بن سليمان بن وهب ، أبو القاسم الكاتب الوزير ، وزير المعتضد ، مولده سنة ست وعشرين ومائتين ، ووفاته سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكانت مدّة وزارته للمعتضد عشر سنين ، وهو الذي قال فيه ابن المعتز :

قد استوى الناسُ ومات الكمال وقال صرفُ الدهرِ : أين الرجالْ
هذا أبو العباس[1] في نَعشه قوموا انظروا كيف تسيرُ الجبالْ

ولما دخل ابن المعتز على ابنه القاسم بن عبيد الله قال[2] :

إني معزيك لا أني على ثقــة من الخلودِ ولكن سنّةُ الدينِ
فما المعزّى بباقٍ بعد صاحبه ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

ولما حمل على أعناق الرجال قال ابن المعتز :

وما كان ريح المسكِ ريحَ حَنوطه ولكنه هذا الثناءُ المخلفُ
وليس صريرُ النعشِ ما تسمعونه ولكنه أصلابُ قومٍ تَقَصَّفُ

ولما تقدم القاسم للصلاة عليه قال ابن المعتز[3] :

قَضَوْا ما قَضَوْا من أمره ثم قَدَّموا إماماً لهم والنعشُ بين يديهِ

---

٣١٨ — الوزراء والكتاب : ٢٥٢ وابن خلكان ٣ : ١٢١ ، ١٢٢ (في ترجمة عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر) والفخري : ٢٣٠ وتاريخ ابن الأثير (ج : ٧) وصفحات كثيرة من الوزراء للصابي ومن نشوار المحاضرة للتنوخي .

١ كذا في ص ، وكنية المرثي أبو القاسم ، انظر الديوان ٤ : ١٦٣ .

٢ لم ترد هذه القطعة والتي تليها في الديوان .

٣ الديوان : ١٨٢ .

فصلّوا عليه خاشعينَ كأنّهم وقوفٌ[1] خضوعٌ للسلامِ عليه

ولما استتر عند ابن أبي عون التاجر دخل عليه يوماً فقام له ، فقال له ابن أبي عون : يا سيدي اخبأ لي هذا القيام إلى وقت أنتفع به ، فما كان إلاّ قليل حتّى ولي الوزارة ، فاستدعاه ، فصار إليه وهو في مجلسه بخلعته والناس عنده ، فقام إليه وعانقه وقال : هذا وقت يُنْتَفَع بقيامي ، وأجلسه معه على طرف الدَّسْت ، فما مضت ساعة حتّى استدعاه المعتضد ، فدخل عليه وغاب ، ثم حضر وأخذ بيده إلى مكان خَلْوة وقال له : الخليفة طلبني بسببك ، لأنه كوتب بخبرنا وأنكر عليّ وقال : تبذل مجلس الوزارة لتاجر ، ولو كان ملك أو وليّ عهد كان كثيراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين لم يذهب عليّ حق المجلس ولكن لي عذر ، وأخبرته خبري معك فقال : أما الآن فقد عذرتك ، ثم قال لي : إني قد شهرتك شهرة إن لم يكن معك مائة ألف دينار مُعَدّةً للنكبة هلكت ، فيجب أن نحصّلها لك لهذه الحالة فقط ، ثم نحصل لك نعمة بعدها ، ثم قال : هاتم فلاناً[2] الكاتب ، فجاء ، فقال : أحضر الساعة التجار وسَعِّر مائة ألف كُرٍّ من غلات السلطان بالسواد عليهم ، فخرج وعاد وقال : قد قررت معهم ذلك ، فقال : بع على أبي عبد الله هذه الغلة بنقصان دينار مما[3] قررت السعر مع التجار ، وبعه له عليهم بالسعر الذي قررته معهم ، وطالبهم الساعةَ بفضل ما بين السعرين ، وأخّرهم بالثمن إلى أن يتسلّموا الغلال ، واكتب إلى النواحي بتقبيضهم ذلك ، فقام ابن أبي عون من المجلس وقد حصل له مائة ألف دينار ، فقال له الوزير : اجعل هذه أصلاً لنعمتك ، ولا يسألنك أحد من الخلق شيئاً إلاّ أخذتَ رقعته ووافقته على أجرة ذلك ، وخاطِبْني فيه . وكان يعرض عليه في كل يوم ما يصل إليه بما فيه ألوف دنانير ويدخل في المكاسب الجليلة ، وكان

---

١ الديوان : قيام .

٢ ص : فلان . ٣ ص : بما .

ربما قال له في بعض الرقاع : كم قرروا لك على هذه ؟ فيقول : كذا ، فيقول الوزير : هذه تسوى أكثر من ذلك ، ارجع إليهم ولا تفارقهم إلاّ بكذا .

وكان ممن خدمه في أيام نكبته رجل يعرف بيعقوب الصايغ ، وكان عامياً ساقطاً ، فقلده لما ولي الوزارة حِسْبَة الحضرة ، فعزم الوزير في بعض الأوقات على السفر ، فجلس للنظر فيما يحمل معه من خزانته ومَنْ يسافر معه من أصحابه وخدَمه ، ويعقوب حاضر ، فأمر الوزير بما يحمل معه ، فلما انتهى إلى فصل قال يعقوب بغباوته وعاميته : ويحمل أيضاً معه كفن وحنوط ، فتطير الوزير من ذلك وأعرض عنه ، وأخذ يأمر وينهى ، ولما انتهى إلى فصل من كلامه كرر يعقوب ذلك القول ، فأعرض عنه ضجراً ، وفعل ذلك ثالثاً ، فقال الوزير : يا هذا أتخاف عليَّ إن أنا متّ أن أصْلَب أو أطرح على قارعة الطريق بغير كفن ؟ إن تعذر الكفن لفّوني في ثيابي ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

٣١٩

الوراق التميمي

عتيق بن محمد ، أبو بكر الوراق التميمي ؛ قال ابن رشيق : دخلت الجامع فوجدته في حلقة يقرأ الرقائق والمواعظ ، ويذكر أخبار السلف الصالحين ومَن بعدهم من التابعين ، وقد بدا خُشُوعُه وترقرقت دموعه ، فما كان إلاّ أن جئته عشية ذلك اليوم إلى بيته فوجدته وفي يده طنبور وعن يمينه غلام مليح ، فقلت له : ما أبعد ما بين حاليك في مجلسيك ! فقال : ذلك بيت الله ، وهذا بيتي ، أصنع في كل واحد منهما ما يليق به وبصاحبه ، فأمسكت عنه .

ومن شعره يصف شاذرواناً :

---

٣١٩ – الزركشي : ٢٠٥ .

كأنّه فلكٌ غصّت كواكبه وجهُ المعزِّ المعلّى بينها قمرُ
إذا بدا فيه قرنُ الشمس قارنه كأنّها منه أو منه بها أثر
مذ زاحمَ الجوَّ فاحتلَّ السحابَ به فليس يفقدُ في أرجائهِ مطر
فرحمةُ الله عنه غيرُ نازحة ونعمةُ اللهِ ما فيها به قصر
ترى الغمائم بيضاً تحتهُ بُكَراً مثل الكواكب فوق الأرض تنتثر

وقال :

كلّما أذنب أبدى وجهه حجّةً فهو مَليٌّ بالحججْ
كيف لا يفرطُ في إجرامــهِ مَنْ متى شاء من الذنبِ خرج؟

وقال :

بدرٌ له إشراقُ شمسٍ على غُصْنٍ سبا قلبي بنوعينِ
يكادُ من لينٍ ومن دقّةٍ في خصره ينقــدُّ نصفين
إدباره ينسيك إقبــاله كأنّما يَمشي بوجهين

وقال ووزنه خارج عن أبحر العروض :

أوردَ قلبي الردي لام عــذار بدا
أسْوَدُ كالغيِّ في أبيضَ مثلِ الهدى

وقال :

تَعَبي راحتي وأنسي انفرادي وشفائي الضنى ونومي سهادي
لستُ أشكو بُعادَ مَنْ صَدَّعني أيُّ بُعدٍ وقد ثوى في فؤادي ؟
هو يختالُ بين عيني وقلبي وهو ذاك الذي يرى في سوادي

وقال في الهجاء وبالغ :

لو أن أكفانهم من حُرِّ أوجههم قاموا إلى الحشر منها مثل ما رقدوا
خُزْرُ العيون إذا ما عوتبوا ، وإذا ما عاتبوا أنفذوا باللحظ ما قصدوا

٣٢٠

ابن خمارتاش الهيتي

عثمان بن خمارتاش بن عبد الله ، أبو القاسم ، من أهل هيت ؛ كان أديباً فاضلاً مليح الشعر ، لطيف الطبع ، كيساً طيب العشرة ظريفاً .

قال محب الدين ابن النجار : كان متهاوناً بالأمور الدينية ، عفا الله عنه ، وتوفي سنة تسع عشرة وستمائة . ومن شعره :

المال أفضلُ ما ادّخرتَ فلا تكن   في مريةٍ ما عشتَ من تفضيلِهِ
ما صَنّفَ الناسُ العلومَ بأسرها   إلاّ لحيلتهم على تحصيله

وله لما تزوج :

كان رأيي أن لا يكون الذي كا   ن فيا ليتني تُرِكْتُ برائي
لا يزالُ الإنسانُ يخدمهُ السع   دُ إلى أن يقول بيت حمائي

وقال :

شيئان لم يبلغهما واصفٌ   فيما مضى بالنظمِ والنثرِ
مدحُ ابنةِ العنقود في كأسها   وذمُّ أفعالِ بني الدهر

وقال :

قالوا هداك الشيبُ يا ليتني   دام ضلالي وعدمتُ الهدى

وقال[1] :

ولي قلبٌ لشقوتهِ ألوفٌ   يُنغّص عيشتي طول الليالي

---

٣٢٠ — الزركشي : ٢٠٦ وابن الشعار ٤ : ٢٧٤ .

١ سقط البيتان من المطبوعة .

فلو أنّي ألفتُ الهجرَ يوماً بكيتُ عليه في زمنِ الوصال

وقال :

لا تخضعنّ ولو بدتْ زُرْقُ الأسنّة منك حُمرا
لا بدّ من وِرْدِ الحما م فمتْ كريمَ النفسِ حرّا

وقال :

إنّي لأعجبُ من ضراعةِ سائلٍ في جودِ مقتدرٍ على الإحسانِ
كيف استمالهما خداعُ رذيلة وكلاهما عمّا قليلٍ فاني

٣٢١
عثمان الطفيلي

عثمان بن دراج الطفيلي ؛ كان في زمن المأمون ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب « الأغاني » : كان فيه أدب وله شعر صالح ، قيل له يوماً : إن فلاناً اشترى رؤوساً ودخل بستاناً مع جماعة، فخرج إليهم فوجدهم قد لوحوا العظام، فوقف ينظر إليها ثمّ استَعْبَرَ باكياً ، وتمثل بقول الرقاشي :

آثار ربعٍ قدما أعيا جوابي صَمَما
كان لسعدى علما فصار وحشاً رمما

وقيل له : ما هذه الصفرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة بين القصعة ومن خوفي من نفاد الطعام قبل أن أشبع .

ومن شعره :

---

٣٢١ — الأغاني ١٦ : ١٨٦ .

لَذّةَ التطفيلِ دومي وأقيمي لا تَريمي
أنت تشفين غَليلي وتُسَلّينَ همومي

وقيل له يوماً : كيف تصنع بالعرس إذا لم يُدْخِلْكَ أصحابه ؟ فقال : أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك ، فيدخلوني .

وقيل له : أتعرف بستانَ فلان ؟ فقال : إي والله وإنه لَلْجَنّة الحاضرة في الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه وتأكل من ثماره وتجلس تحت أشجاره وتسبح في أنهاره ؟ فقال : لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلاّ بدم عراقيب الرجال .

وقال يوماً : مررت بجنازة ومعي ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول : يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ، ولا ضياء[1] ولا غطاء ، ولا خبز ولا ماء ، فقال ابني : يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون به .

٣٢٢

معين الدين ابن تولوا

عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تَوْلُوَا ، الأديب معين الدين الفهري المصري ؛ ولد بتنيس سنة خمس وستمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وستمائة[2] .

قال الشيخ شمس الدين : أنشدنا عنه أبو الحسين اليونيني وغيره ، وتوفي

---

١ الأغاني : ضيافة .

٣٢٢ – الزركشي : ٢٠٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٩ والشذرات ٥ : ٣٩٢ وعبر الذهبي ٥ : ٣٥٤ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٨ .

٢ زاد في الزركشي : سمع القاضي أبا نصر ابن الشيرازي وغيره ، وقفت على ديوانه بخطه واخترت منه مقاطيع عدة .

بالقاهرة ، وعليه تخرج الحكيم شمس الدين ابن دانيال وبه تأدب ، وله معه حكايات ، كان يسخر به ويضحك منه الناس ؛ ومن شعره :

جَمْعُكَ بين الكثيب والغُصُنِ فَرَّقَ بين الجفونِ والوسَنِ
يا فتنةً ما وقيتُ صرعتها مَعْ حذَري دائماً من الفتَن
باللفظِ واللحظِ كم ترى أبداً تسخر بي دائماً وتسحرني
وقد ألفت الغرام فيك كما فرّقت بين الحياة والبدن

وقال :

أما السماحُ فقد أقْوَتْ معالمه فما على الأرض مَن تُرْجى مكارمه
فلا يَغُرَّنْكَ مَنْ يلقاك مبتسماً فطالما غرَّ برقٌ أنت شائمه
لا تتعبِ النفسَ في استخلاص راحتها مِنْ باخلٍ لؤمه في الجودِ لائمه
آخى المذلّة إعزازاً[1] لدرهمه ويصحبُ الذلَّ من عزّت دراهمه
ماذا أقولُ لدهرٍ عاش جاهله غنًى ومات بسيفِ الفقرِ عالمه
قد سالم النقصَ حتّى ما يحاربه وحاربَ الفضلَ حتّى ما يسالمه

وقال :

يا أهل مصرٍ وجدتُ أيديَكُمْ عن بَسطِها بالنوالِ منقبضَهْ
[فمذ عدمتُ الغذاء عندكمُ][2] أكلْتُ كتبي كأنّني أرضه

---

١ ص : إعزاز .
٢ بياض في ص ؛ وأكملته من الزركشي .

٣٢٣

ابن أبي عمامة

عثمان بن علي بن المعمر بن أبي عمامة ، أبو المعالي البقال ، أخو أبي سعد المعمر بن علي الواعظ ؛ قرأ الأدب على عبد الواحد بن برهان ، وأبي محمد الحسن ابن الدهان ، وكان غير مرضي السيرة ، يخل بالصلوات ويرتكب المحظورات ، روى عنه أبو المعمر الأنصاري وأبو طاهر السِّلَفي . وتوفي سنة سبع [١] عشرة وخمسمائة .

ومن شعره :

أرى شعرةً بيضاء في الخدّ نابتَهْ ... لها لوعةٌ في صفحةِ الصدر ثابتَهْ
ومن شؤمها أني إذا رمتُ نتفها ... نتفتُ سواها وهي تضحكُ شامته

وقال [٢] :

أيا جمالَ الدولةِ المرتجى ... لكلّ خيرٍ كم أناديكا
ما بي على أنّيَ أخفي الذي ... ما بي وبالخيرِ أباديكا
أجلس في الحمام من شقوتي ... أغسل أثوابي المراديكا
والديك في دارك ذو بسطةٍ ... يروحُ عنها ويغاديكا
فكلِّمِ البوابَ في الإذنِ لي ... مقرّباً أو كشكشِ الديكا
وعشْ كما تؤثر في نعمةٍ ... تكبتُ بالذلّ أعاديكا

---

٣٢٣ — لم أجد له ترجمة في مصدر آخر .

١ ص : سبعة .

٢ لم ترد هذه المقطوعة في المطبوعة .

٣٢٤
أبو الفتح البلطي

عثمان بن عيسى بن هيجون[١] ، أبو الفتح البلطيُّ الأديب النحوي ؛ له شعر ومجاميع في الأدب ، وكان طويلاً ضخماً كبير اللحية ، ويلبس عمامة كبيرة وثياباً كثيرة في الحر ، تصدَّر بالجامع العتيق بمصر وروى ؛ وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

وبَلَطَ : بليدة قريبة من الموصل .

وكان قد أقام بدمشق مدّة يتردد إلى الزبداني للتعليم ، ولما ملك الملك الناصر مصر انتقل إليها وحظي بها ، ورتب له صلاح الدين على جامع مصر جارياً يقرىء به النحو والقرآن، ولما كان في آخر سنة الغلاء توفي ، وبقي في بيته ثلاثة أيام ميتاً ، لأنه كان يحب الانفراد والخلوة ، وكان يتطيلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله ، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر ، وكانوا يقولون له : أنت في الشتاء من حشرات الأرض ، وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن ، فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة وصبَّ عليه الماء الحار الناضج بيده الأخرى ، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه ، يفعل ذلك مراراً ويقول : أخاف من الهواء .

وكان إماماً نحوياً مؤرخاً شاعراً . وله « العروض الكبير » نحو ثلثمائة ورقة ، وكتاب « العروض الصغير » وكتاب « العظات الموقظات » وكتاب « النير في العربية » وكتاب « أخبار المتنبي » وكتاب « المستزاد على المستجاد في فعلات

---

٣٢٤ - معجم الأدباء ١٢ : ١٤١ والزركشي : ٢٠٧ وبغية الوعاة : ٣٢٣ ومعجم البلدان (بلط) .

١ الزركشي ومعجم البلدان والبغية : منصور .

الأجواد» وكتاب « علم أشكال الخط » وكتاب « التصحيف والتحريف » وكتاب « تعليل العبادات » .

وحضر يوماً عند البلطي بعض المطربين ، فغناه صوتاً أطربه ، فبكى البلطي وبكى المغنّي ، فقال له البلطي : أما أنا فإني طربت ، فأنت علامَ بكيت ؟ قال : تذكرت والدي فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى ، فقال له البلطي : فأنت والله إذن ابنُ أخي ، وخرج فأشهد على نفسه جماعةً من عدول مصر بأنه ابن أخيه ولا وارث له سواه ، ولم يزل ذلك المطرب يعرف بابن أخي البلطي .

وكان البلطي ماجناً خليعاً خميراً متهتكاً منهمكاً على الشراب واللذات ومن شعره :

دعوه على ضعفي يجور ويشتطُّ فما بيَدي حلٌّ لذاك ولا ربطُ
ولا تعتبوه فالعتابُ يزيده ملالاً وإني لي اصطبار[1] إذا يسطو
تنازعتِ الآرامُ والدرّ والمها له شبهاً والغصنُ والبدرُ والسقط
فللريم منه اللحظُ واللونُ والطلا وللدرِّ منه اللفظ واللحظُ والخط
وللغصنِ منه القدُّ ، والبدرِ وجهه وعينُ المها عينٌ بها أبداً يسطو
وللسقط منه ردفه فإذا مشى بدا خلفه كالموج يعلو وينحط

ومدح القاضي الفاضل بموشحة ، وهي :

ويلاه من روّاغ بجـوره يقضي
ظبي بني يزداد منه الجفـا حظي

قد زاد وسواسي مذ زاد في التيه
لم يلقَ في الناسِ مـا أنـا لاقيـه
من قيّم قاسي بـالهجر يغريه
أروم إينـاسي به ويثنيـه

---

١ ص : ولي اصطباراً ، ر : اصطباراً .

إذا وصال ساغ بقربه .يرضي
أبعده الأستاذ لا حيطّ بالحفظ

وكلّ ذا الوجد بطول إبراقه
مضرجُ الخدّ من دم عشاقه
مصارع الأسد في لحظ أحداقه
لو كان ذا ودّ رق لعشاقه

شيطانه النزاغ علَّمَهُ بغضي
واستحوذ استحواذ بقلبه الفظ

دع ذكره واذكر خلاصةَ المجد
الفاضلَ الأشهرْ بالعلم والزهد
والطاهرَ المتزر والصادق الوعد
وكيف لا أشكر مولى له عندي

نعمى لها إسباغ صائنة عرضي
من كفّ كاسٍ غاذ والدهر ذو عظّ

منّة مستبقٍ ضاق بها ذرعي
قد أفحمت نطقي واستنفدت وسعي
وملكت رقي لمكمل الصنع
دافع عن رزقي في موطن الدفع

لما سعى ابياغ دهريَ في خفضي
أنقذني إنفاذ مَن همّهُ حفظي

ذو المنطق الصائب في حومةِ الفضل

ذكاؤه الثاقبْ يجلُّ عن مثل[1]
فهو الفتى الغالب كلَّ ذوي النبل
من عمروُ والصاحبْ ومن أبو الفضل ؟

لا يستوي الافراغ بواحد الأرض
أين من الآزاذ نفاية المنظ[2]

يا أيها الصدرُ فُتَّ الورى وصفا
قد مسني الضرُّ والحال ما يخفى
وعبدك الدهرُ يسومني خَسفا
وليس لي عذر ما دمتَ لي كهفا

من صرفِ دهرٍ طاغْ أنّى له أغضي
مَن بكَ أمسى عاذ لم يخشَ من بهظ

وقال من أبيات حصر قوافيها ، ومنع أن يزاد فيها :

بأبي مَن تهتكي فيه صَونُ ربَّ وافٍ لغادر فيه خَوْنُ
بين ذلّ المحب في طاعة الحبِّ وعزّ الحبيب يا قوم بَون
أين مضنًى يحكي البهارةَ لوناً من غرير له من الورد لون
لي حبيبٌ ساجي اللواحظ أحوى مترف زانه جمال وصون
يلبسُ الوشيَ والقباطيّ جون فوق جون ولون حالي جون
إن رماني دهري فإنّ جمال الدين ركني وجودهُ لي عون
عنده للمسيء صفحٌ وللأسرار مستودعٌ وللمال هَون

١ ص ر : مثلي .
٢ الأزاذ : نوع جيد من التمر ؛ والمنظ : كذا في ص ر – بالنون – ولعلها « المظ » وهو الرمان البري .

زانه نائلٌ وحلمٌ وعدلٌ ووفاءٌ جَمٌّ ورفقٌ وأون
أنا في رَبعهِ الخصيب مقيمٌ ليَ من جوده لباس وَمونْ
لا أزالَ الإلهُ عنه نعيماً وسروراً ما دام للخلق كون

٣٢٥
عروة بن حزام

عروة بن حزام العذري ، أحد متيّمي العرب ومن قتله الغرام ، ومات عشقاً في حدود الثلاثين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهو صاحب عفراء التي كان يهواها ، وكانت ترباً له يلعبان معاً ، فألف كل واحد منهما بصاحبه ، وكان عمه عقال يقول لعروة : أبشر فإن عفراء امرأتك إن شاء الله تعالى ، فلم يزالا إلى أن التحق عروة بالرجال وعفراءُ بالنساء ، وكان عروة قد رحل إلى عم له باليمن ليطلب منه ما يمهر به عفراء لأن أمها سامته كثيراً في مهرها ، فنزل بالحيّ رجل ذو يسار ومالٍ من بني أمية فرأى عفراءَ فأعجبته ، فبذل لها كثيراً[1] من المال ، فلم تزل أمّها بأبيها إلى أن زوَّجها منه ، فلما أهديت إليه قالت :

يا عُروَ إن الحيَّ قد نقضوا عهدَ الإله وحالفوا الغدرا

وارتحل الأمويّ بعفراء إلى الشام ، وعمد أبو عفراء إلى قبر فجدّده وسوّاه وسأل أهلَ الحي كتمان أمرها ، ثم وفد عروة بعد أيام فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر ، وبقي مدة يختلف إليه ، فأتته جارية من الحي فأخبرته بالقصة

---

٣٢٥ — الشعر والشعراء : ٥١٩ والأغاني ٢٣ : ٣٠٠ وذيل الأمالي ٣ : ٣٧ والخزانة ١ : ٥٣٣ ومواضع متفرقة من مصارع العشاق ؛ وقد جمع شعره الدكتوران : إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، العدد الرابع ١٩٦١) .

١ ص : كثير .

فرحل إلى الشام وقصد الرجل وانتسب له في عدنان فأكرمه ، وبقي عنده أياما[1] ، فقال لجارية عفراء : هل لك في يد تولينيها ؟ قالت : وما هي ؟ قال : هذا الخاتم تدفعينه[2] إلى مولاتك، فأبت عليه، فعرّفها وقال: اطرحي هذا الخاتم في صبوحها فإن أنكرته قولي: إن ضيفك اصطبح قبلك، ووقع من يده ، فلما فعلت الجارية ذلك عرفت عفراء الخبر ، فقالت لزوجها : إن ضيفك ابن عمي ، فجمع بينهما وخرج وتركهما وأوقف من يسمع ما يقولانه ، فتشاكيا وتباكيا طويلاً ، ثم أتته بشراب وسألته [أن] يشربه فقال : والله ما دخل جوفي حرام قط ولا ارتكبته وأنت حظي من الدنيا، وقد ذهبت مني وذهبتُ منك فما أعيش بعدك، وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأنا مستحي منه ولا أقيم بمكانه بعد علمه بي ، وإني لأعلم اني أرحل إلى منيتي ، ثم بكى وبكت ، وجاء زوجها فأخبره الخادم بما جرى بينهما فقال لها : يا عفراء امنعي ابنَ عمك من الرحيل ، قالت : لا يمتنع ، فدعاه وقال : يا أخي اتّقِ الله في نفسك فقد عرفت خبرك ، وإن رحلت تلفت ، ووالله ما أمنعك من الاجتماع بها أبداً ، وإن شئت فارقتها ، فجزاه خيراً وقال : كان الطمع فيها آفتي ، والآن فقد صَبَّرْتُ نفسي ويئست منها ، واليأس يُسلي ، ولي أمور ولا بدّ من الرجوع إليها ، فإن وجدت بي قوة لذلك ، وإلا عدت إليكم وزرتكم حتى يقضيَ الله في أمري ما يشاء ، فزوّدوه وأكرموه ، وأعطته عفراء خماراً لها ، فلما سار عنها نُكس بعد صلاحه وأصابه غشي وخفقان ، وكان كلما أغمي عليه ألقى عليه غلامه ذلك الخمار فيفيق ، فلقيه في الطريق ابن مكحول عرّاف اليمامة ، فجلس عنده وسأله عما به ، وهل هو خبل أم جنون ؟ فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم ، فأنشأ عروة يقول[3] :

أقول لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيبُ

---

١ ص : أيام .

٢ ص : تدفعيه .

٣ ديوانه : ٢٩ .

فواكبدا أمست رُفاتاً كأنما يلذّعها بالموقدات لهيب
عَشيّةَ لا عفراءُ منك قريبةٌ فتسلو ولا السلوان منك قريب
فوالله ما أنساك ما هبّت الصَّبا وما أعقبتها في الرياح جنوب
عشيةَ لا خلفي مَكرّ ولا الهوى أمامي ولا يهوى هوايَ غريب
وإني لتغشاني لذكراكِ فترة كأن لها بين الضلوع دَبيب

قال الأخباريون : ومات في سفرته تلك قبل أن [يصل] إلى حيه بثلاث ليال ، وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعاً شديداً ، وقالت ترثيه :

ألا أيها الركبُ المخبّون ويحكم أحقاً نعيتم عروة بن حزامِ
فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبةٍ بسلام
وقل للحبالى لا يرجين غائباً ولا فَرحاتٍ بعده بغلام[1]

ولم تزل تنشد الأشعار وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل .

وعن أبي صالح قال : كنت مع ابن عباس بعرفة ، فأتاه فتيان يحملون فتى لم يبق إلا خياله ، فقالوا : يا ابن عمٍّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعُ الله تعالى له ، قال : وما به ؟ فقال الفتى[2] :

بنا من جوى الأحزانِ في الصدر لوعةٌ تكادُ لها نفسُ الشفيق تذوبُ
ولكنما أبقى حُشاشةَ مُعوِلٍ على ما به عود هناك صليب

قال : ثم خفَتَ في أيديهم فإذا هو قد مات ، فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى في عشيته إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى ، قال : وسألت عنه فقيل لي : هذا عروة بن حزام .

---

١ روايته في الديوان : ٣٧ – ٣٨ :
فلا وضعت أنثى تماماً بمثله ولا فرحت من بعده بغلام
وقد سقط البيت من المطبوعة .
٢ الديوان : ٣١ .

ومن شعر عروة[1] :

خليليّ من عُليا هلال بن عامر ... بصنعاء عوجا اليومَ وانتظراني
ولا تزهدا في الأجر[2] عندي وأجملا ... فإنكما بي اليومَ مبتليان
ألمّا على عفراءَ انكما غداً ... بوشك النوى والبين معترفان
فيا واشيي عفراءَ ويحكما بمن ... ومن وإلى مَن جئتما تشيان
بمن لو أراه[3] عانياً لفديته ... ومن لو رآني عانياً لفداني
متى تكشفا عني القميصَ تبينا ... بيَ السقمَ من عفراءَ يا فتيان
فقد تركتني لا أعي لمحدّثٍ ... حديثاً وإن ناجيته ودعاني
جعلتُ لعرافِ اليمامة حكمه ... وعرافِ نجدٍ إن هما شفياني
فما تركا من حيلةٍ يعلمانها ... ولا شربة إلا وقد سقياني
ورَشّا على وجهي من الماء ساعةً ... وقاما مع العواد يبتدران
وقالا : شفاك الله ، والله ما لنا ... بما ضُمّنت منك الضلوعُ يدان
فويلٌ على عفراء ويلٌ كأنه ... على الصدر والأحشاء حدُّ سنان
أحبُّ ابنة العذريَّ حباً وإن نأت ... ودانيتُ منها حيثما تريان
إذا رام قلبي هجرها حال دونه ... شفيعان من قلبي لها جدِلان[4]
إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا ... جميعاً على الرأي الذي يريان
تحملتُ من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسياتِ يدان
فيا ربِّ أنت المستعانُ على الذي ... تحملتُ من عفراءَ منذ زمان
كأن قطاةً علّقت بجناحها ... على كبدي من شدّة الخفقان

---

١ الديوان : ٩ وما بعدها .
٢ الديوان : الذخر .
٣ ص : أراني .
٤ ص : شقيقان . . . خدلان .

٣٢٦

عروة ابن أذينة

عروة بن أذينة الليثي الشاعر الحجازي المشهور ؛ سمع ابن عمر ، وروى عنه مالك في « الموطأ » وكان من فحول الشعراء . وتوفي في حدود الثلاثين ومائة رحمه الله .

ومن شعره[1] :

لقد علمت وما الإسرافُ من خلقي ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلبه ... وإن قعدتُ أتاني لا يعنيني
فإن حظّ امرىءٍ غيري سيبلغه ... لا بدّ لا بدّ أن يحتازه دوني
لا خير في طمع يدني لمنقصة ... وغفّةٌ من كفاف[2] العيش تكفيني
كم من فقيرٍ غنيّ النفس تعرفه ... ومن غنيّ فقيرِ النفس مسكين
ومن عدو رماني لو قصدت به ... لم آخذ النّصف منه حين يرميني
ومن أخٍ لي طوى كشحاً فقلت له ... إن انطواءك عني سوف يطويني
إني لأنظر فيما كان من أرَبي ... وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني
لا أبتغي وصل مَن يبغي مقاطعتي ... ولا ألينُ لمن لا يبتغي ليني

أتى هو وجماعة من الشعراء إلى هشام بن عبد الملك فتبينهم ، فلما عرف عروة قال له : ألست[3] القائل :

---

٣٢٦ – الشعر والشعراء : ٤٨٣ والأغاني ١٨ : ٢٤٠ والمؤتلف : ٥٤ والسمط : ٢٣٦ والزركشي : ٢٠٨ وله مقطعات في أمالي المرتضى والزهرة ، وقصائد في منتهى الطلب ؛ وقد جمع شعره الدكتور يحيى الجبوري (بغداد : ١٩٧٠) .

١ ديوانه : ٣٨٥ .

٢ ص : وعفة من عفاف .

٣ ص : البيت .

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي

قال عروة : نعم ، قال : فهلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك ؟ وغفل عنه هشام فخرج عروة من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ، فافتقده هشام فلم يره[1] ، وقيل له : رجع إلى الحجاز ، فأتبعه بجائزته وقال للرسول : قل له أردت أن تكذبنا وتصدّق نفسك ، فلحقه وأبلغه الرسالة ودفع إليه الجائزة ، فقال : قل له : صدّقني الله وكذبك .

٣٢٧

الصاحب علاء الدين الجويني

عطا ملك بن محمد بن محمد ، الأجل علاء الدين الجويني صاحب الديوان الخراساني ، أخو الصاحب الكبير شمس الدين ؛ كان إليهما الحل والعقد في دولة أبغا[2] ، ونالا من الجاه والحشمة ما يتجاوز الوصف . وفي سنة ثمانين قدم بغداد مجد الملك العجمي[3] ، فأخذ صاحب الديوان وغله وعاقبه ، وأخذ أمواله وأملاكه ، وعاقب سائر خواصه .

ولما عاد منكوتمر[4] من الشام مكسوراً حمل علاء الدين معهم إلى همذان وهناك

---

١ ص : يراه .

٣٢٧ – ترد أخباره وأخبار أخيه شمس الدين في جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الهمذاني (الجزء الثاني ، القسم الأول والثاني) .

٢ أبغا (آباقاخان) هو الابن الأكبر والأرشد لهولاكوخان ، وقد أصبح ابنه أرغون سلطاناً من بعده.

٣ مجد الملك اليزدي كان أبوه يدعى صفي الملك ، وكان يقيم بالخدمة عند أتابكة يزد ، وقد اتصل بشمس الدين الجويني فرعاه ووكل إليه مهام الأمور ثم دب التحاسد بينهما (راجع رشيد الدين ٢/٢ : ٧٣ وما بعدها) .

٤ منكوتمر (منكوتيمور) هو الابن الحادي عشر لهولاكوخان من زوجته أولجاي خاتون .

مات أبغا ومنكوتمر ، فلما ملك أرغون ابن أبغا طلب الأخوين فاختفيا، وتوفي علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ثم أخذ ملك اللور أماناً لشمس الدين من أرغون ، وأحضره إليه ، فغدَر به وقتله ، ثم فوض أمر العراق إلى مجد الملك العجمي ومجد الدين ابن الأثير والأمير علي بن جكيبان[1] ، ثم قتل أرق[2] وزير أرغون الثلاثة بعد عام .

وكان علاء الدين وأخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور وعدل ورفق بالرعية وعمارة البلاد ، وبالغ بعض الناس فقال : كانت بغداد أيام الصاحب علاء الدين أجود ما كانت أيام الخليفة ، وكان الفاضل إذا عمل كتاباً ونسبه إليهما يكون جائزته ألف دينار ، وكان لهما إحسان إلى العلماء والفضلاء ، ولهما نظر في العلوم الأدبية والعقلية .

ومن شعر علاء الدين :

أبادية الأعراب عني فإنني ... بحاضرة الأتراك نيطتْ علائقي
وأهلَكِ يا نجل العيونِ فإنني ... بليتُ بهذا الناظرِ المتضايقِ

٣٢٨

المؤيد الآلسي

عطاف بن محمد بن علي ، أبو سعيد الآلسي الشاعر المعروف بالمؤيد ؛ ولد بآلس قرية بقرب الحديثة، سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، وتوفي سنة سبع وخمسين

---

١ رشيد الدين : علي جكيبان (انظر ٢/٢ : ٩٨) .

٢ هو آروق بن بوقان في جامع التواريخ .

٣٢٨ – ليس هذا من المستدرك على ابن خلكان ، فقد ترجم له باسم «المؤيد بن محمد الألوسي» =

وخمسمائة . وكان قد نشأ بدجيل ودخل بغداد ، وصار جاويشاً في أيام المسترشد، ونظم الشعر وعرف به ومدح وهجا ، ولجأ إلى خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، وتفسّح في ذكر الإمام المقتفي وأصحابه بما لا ينبغي، فقبض عليه وسجن بعد ما كان أثرى واقتنى عقاراً وأملاكاً ، وأقام في السجن عشر سنين إلى أن عشي بصره من ظلمة السجن ، وأخرج في زمان المستنجد ، وكان زيه زيّ الأجناد ، ثم سافر إلى الموصل وتوفي بعد خروجه بثلاث سنين .

وكان قبل خروجه عُرض على المقتفي قصة فوقع عليها « يفرج عن هذا » وكان ضاحي نهار ، فأفرج عنه ومضى إلى بيته واجتمع بزوجته ، وبرز العصر توقيع الخليفة ينكر الإفراج عنه والقبض على صاحب الخبر ، فإنه الذي عرض القصة ، وأعيد بعد العصر إلى المطمورة ، وجاءه ولد[1] يدعى محمداً كان قد علقت به امرأته في ذلك اليوم عند حضوره إليها من الحبس .

ومن شعره[2] :

لعتبةَ من قلبي طريفٌ وتالدٌ ... وعتبةُ لي حتى المماتِ حبيبُ
وعتبةُ أقصى منيتي وأعزّ من ... عليّ وأشهى من إليه أثوب
غلاميةُ الأعطافِ تهتز للصبا ... كما اهتز من ريح الشمالِ قضيب
تعلقتها طفلاً صغيراً ويافعاً ... كبيراً وها رأسي بها سيشيب
وصيّرتها ديني ودنيايَ لا أرى ... سوى حبها إني إذاً لمصيب
وقد أخلقت أيدي الحوادث جدتي ... وثوبُ الهوى ضافي الدروع قشيب

= (٥ : ٣٤٦) وذكر ان ابن النجار ترجم له باسم «عطاف بن محمد» . وانظر معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ والشذرات ٤ : ١٨٥ ، وقد ترجم له العماد في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ١٧٢ وفاتني ذكر ذلك عند تحقيق ابن خلكان ؛ والآلسي كما ثبت بخط المؤلف ، أو الألوسي نسبة إلى القرية المعروفة باسم آلس أو آلوسة أو ألوس ؛ ووقعت في المطبوعة مصحفة إلى « بالس » .

١ ص : ولداً .

٢ ذكر العماد ٢ : ١٧٤ هذه القصيدة وقال انها من الأبيات السائرة التي يغنى بها .

سقى عهدها صوبُ العهاد بجوده مُلثّ كتيَّار الفرات سكوب
ولَيلتنا والغربُ ملقٍ جرانهُ وعودُ الهوى داني القطوفِ رطيب
ونحن كأمثالِ الثريا يضمنّا رداءٌ[1] على ضيقِ المكانِ رحيب
إلى أن تقضّى الليلُ وامتدّ فجره وعاود قلبي للفراقِ وجيب
فياليت دهري كان ليلاً جميعه وإن لم يكن لي فيه منك نصيب
أحبُّكِ حتى يبعثَ الله خلقه ولي منك في يوم الحساب حسيب
وألهجُ بالتذكارِ باسمك دائماً وإني إذا سُمّيتِ لي لطرُوب
فلو كان ذنبي أن أديم لودكم حياتي بذكراكم فلستُ أتوب
إذا حضرت هاجت وساوس مُهجتي وتزداد بي الأشواقُ حين تغيب
فوا أسفا لا في الدنوّ ولا النوى أرى عيشتي يا عُتب منك تطيب
بقلبيَ من حبيك نارٌ وجنةٌ ولي منك داء قاتل وطبيب
فأنتِ التي لولاكِ ما بتُّ ساهراً ولا عاودتني زَفرة ونحيب

ومنه :

لنا صديقٌ يغرُّ الأصدقاء ولا نراهُ مذ كان في ودٍّ له صَدَقا
كأنه البحرُ طول الدهر تركبه وليس تأمنُ منه الخوفَ والغرقا

٣٢٩

العمي الشاعر

عكاشة بن عبد الصمد العمي ؛ كان من فحول الشعراء ، وكان يهوى جارية

١ ص : ودار .

٣٢٩ – الزركشي : ٢٠٩ والأغاني ٣ : ٢٤٢ ، والعمي نسبة إلى بني العم وهم قوم نزلوا ببني تميم بالبصرة أيام عمر فأسلموا وحسن بلاؤهم فقيل لهم أنتم إخواننا وأهلنا وبنو العم ، فلقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

لبعض الهاشميين تدعى نعيماً ، وكان لا يراها إلا في الأحيان ، وربما اجتمع بها مع صديقه حميد بن سعيد فيشربون وتغنيهم وتنصرف ، إلى أن قدم قادم من بغداد فاشتراها ورحل بها عن البصرة إلى بغداد ، فعظم أسف عكاشة وجزعه عليها ، واستحالت صورته وطبعه ، وكان ينوح عليها بأشعاره ويبكي .

ومن شعره :

ألا ليت شعري هل يعودنَّ ما مضى ... وهل راجعٌ ما فات من صلة الحبلِ
وهل أجلسن في مثل مجلسنا الذي ... نعمنا به يومَ السعادةِ بالوصل
عشيةَ صبّتْ لذةُ الوصلِ طيبها ... علينا وأفنانُ الحياة جنى النحل[1]
وقد دار ساقينا بكأسٍ رويّةٍ ... ترحّلُ أحزانَ الكئيب مع العقل
وشُجّتْ شَمولٌ[2] بالمزاج فطيرتْ ... كألسنة الحيات خافت من القتل
فبتنا وعينُ الكاسِ سحٌّ دموعُها ... بكلٍّ فتىً يهتزُّ للمجدِ كالنَّصل
وقينتنا كالظبي تحتجّ[3] للهوى ... وبثٍّ تباريح الفؤادِ على رِسل
إذا ما حكت بالعود رَجعَ لسانها ... رأيت لسانَ العود من كفها يملي
فلم أر كاللذاتِ أمطرتِ الهوى ... ولا مثلَ يومي ذاك صادفه مثلي

ومن شعره :

وجاءوا إليه بالتعاويذِ والرقى ... وصبوا عليه الماء من ألم النكسِ
وقالوا به من أعين الجنَ نظرةٌ ... ولو صدقوا قالوا به أعينُ الإنس

وقال من قصيدة طويلة[4] :

هذا وكم من مجلسٍ لي مونقٍ ... بين النعيم وبين عيشٍ دانِ

---

١ الأغاني : البذل .
٢ الأغاني : وشج شمولا .
٣ الأغاني : تسجع ؛ واقرأ « تجنح » .
٤ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في المطبوعة .

نـازعته أردانَهُ فلبستها مع ظبية في[1] عيشنا الفينان
تنسي الحليمَ من الرجال معاده بين الغناء وعودها الحنّان
حتى يعودَ كأنّ حبةَ قلبه مشدودة بمثالث ومثاني
ظلّتْ تغنّيني وتعطفُ كفّها بالعود بين الراح والريحان
فسمعتُ ما أبكي وأضحك سامعاً فسكرتُ من طربٍ ومن أشجان
ومشيتُ في لجج الهوى متبختراً ومشى إليّ الموتُ[2] في ألوان
فعلمت أن قد عاد قلبي عائدٌ من بين عودٍ مطرب وبنان

ومنه :

اذ نحن نسقاها شَمولاً قرقفاً تدع الصحيح بعقله مرتابا
حمراءَ مثلَ دم الغزالِ وتارةً بعد المزاج تخالها زريابا
من كف جارية كأن بنانها من فضةٍ قد قُمّعتْ عُنّابا
تزداد[3] حسناً كاسها في كفها ويطيبُ منها نشرها أحقابا
وإذا المزاج علا فشجَّ جبينها بقيت بألسنة المزاج حبابا
وتخال ما جمعت فأحدق سمطه بالطوق ريقَ جنادبٍ[4] ورضابا
والعود متّبع غناء خريدة غرداً[5] يقول كما تقول صوابا
وكأنّ يمناها إذا نطقتْ به تلقي على يدها الشمال حسابا

وكانت وفاته بعد المائتين ، رحمه الله تعالى .

---

١ ص : طيبة في ؛ ر : طيبة من .
٢ الأغاني : اللهو .
٣ ص : يزداد .
٤ الأغاني : حبائب .
٥ ص : غزراً ؛ ر : عرراً ، والتصويب عن الأغاني .

٣٣٠
علوان الأسدي

علوان بن علي بن مطارد الأسدي الضرير ؛ سمع منه سلمان الشحّام ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

أوجهُكَ أم شمس النهار أم البدرُ ... وثغرك أم درٌّ وريقُك أم خمرُ
وقدك أم غصنٌ ترنحه الصَّبا ... وغنجٌ أراه حشوَ جفنك أم سحر
تبدى لنا والليلُ مُلْقٍ جرانَهُ ... فعاد نهاراً قبل أن يطلع الفجر
أعاذلتي ما أقتل الحب للفتى ... إذا كان من يهواه شيمتُهُ الغدر
ويا معشرَ العشاق ما أعجبَ الهوى ... يرى مرّة عذباً وأعذبُهُ مرّ
ولم أنسَ حالي يوم زُمَّت ركابهم ... أقام بجسمي الضرُّ وارتحل الصبر
فما للنوى لا ألّفَ الله شملها ... وما لغرابِ البين لا ضمّه وكر
وليلٍ كيومِ الحشرِ معتكرِ الدُّجى ... طويلِ المدى لا يستبينُ له فجر
أراعي نجوماً ليس يلفى زوالها ... ولا مؤنسٌ إلا التسهُّدُ والفكر
أرى أسهمَ الأيام تقصدُ مهجتي ... كأنّ صروفَ الدهر عندي لها وتر
ألا أيها الدهر المكدرُ عيشتي ... رُويدكَ مثلي لا يروّعه ذعر
أتحسب أن ألفى لغدركَ ضارعاً ... فأنّي وفخر الدين لي في الورى ذُخر

ومنه في غلام أسود :

سواد عينيَّ فدى أسودٍ ... في داخل القلب له نُقطه

---

٣٣٠ – نكت الهميان : ٢٠٣ والزركشي : ٢٢٩ .

البدر ما استكمل في حسنه حتّى اكتسى من لونه خطّه
مخطط بالحسنِ لكنما قلبي من الخطّةِ في خُطّه

٣٣١
الباز الأشهب

علوي بن عبد الله بن عبيد ، الشاعر الحلّي المعروف بالباز الأشهب ؛ كان أديباً متفنناً مليح الإيراد للشعر ، توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

سلِ البانةَ الغنّاء هل مُطِر الحمى وهل آن للورقاء أن تترنما
وهل عَذباتُ الرند نبهها الصَّبا لذكر الصّبا قدماً فقد كنَّ نوّما
وإن تكنِ الأيامُ قصّت جناحَها فقد طالما مدّت بناناً ومعصما
بكتها الغوادي رحمةً فتنفستْ وأعطت رياضَ الحَزْنِ سراً مكتما
وشقّت ثياباً كنَّ ستراً لأمرها فلما رآها الأقحوان تبسما
خليليَّ هل من سامعٍ ما أقوله فقد منَعَ الجهالُ أن أتكلما
عرفت المعالي قبل تعرفُ نفسها ولا سَفرّت وجها ولا فغرت فما
وأوردتُها ماء البلاغةِ منطقاً فصارت لجيد الدهر عقداً منظّما
وكانت تناجيني بألسنِ حالها فأدركُ سرَّ الوحي منها توهما
فما لليالي لا تقرّ بأنني خلقتُ لها منها بدوراً وأنجما
وربِ جهولٍ قال لو كان صادقاً لأمكنتِ الأيامُ أن يتقدما

٣٣١ — الزركلي : ٢٢٩ .

ولم يدر أني لو أشاء حويتها ولكن صرفتُ[1] النفسَ عنها تكرما
أبى الله أن ألقى بخيلاً بمدحة وقد جعل الشكوى إلى المدح سلما
إذا المرء لم يحكم على النفس قادراً يمُتْ غيرَ مأجورٍ ويحيَ مذمما
سلامٌ على الماء الذي طاب مورداً وإن صيَّرته وقفةُ الذلّ علقما
فقد كنت لا أبغي سوى العز مطعماً ولا أرتضي ماءً ولو بلغ الظما
وكنتُ متى مثّلتُ للنفس حاجةً أرى وجهَ إعراضي ولو كان أينما
وأحسبُ أن الشيبَ غيَّرَ حالتي وصير حليَ الغانياتِ محرما

٣٣٢

ابن سعد الخير

عليّ بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير ، أبو الحسن الأنصاري البلنسي ؛ كان مع تقدمه في العربية وتفننه في الآداب منسوباً إلى غفلة تغلب عليه ، وله رسائل بديعة وتواليف : منها كتاب « الحلل في شرح الجمل » للزجاجي ، وكتاب « جذوة البيان وفريدة العقيان » وكتاب « القرط على الكامل » ؛ وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

ومن شعره[2] :

ألا سائل الركبان هل ظلّ لعلعٌ كما كان مطلولَ الأصائل سجسجا
وهل وردوا ماء العذيب مناهلاً اذا صافحت كفَّ النسيم تأرّجا

---

١ ر : صدفت .

٣٣٢ – الزركشي : ٢٣٠ وزاد المسافر : ١٠٣ والمقتضب من التحفة : ٥١ والتكملة رقم : ١٨٦٧ والذيل والتكملة ٥ : ١٨٧ والمغرب ٢ : ٣١٧ ونفح الطيب ٣ : ٦٠٢ ، ٦٠٤ .

٢ لم ترد هذه القطعة في المطبوعة .

وعن جزعات الحيّ مالي وما لها　　تجدّد لي شوقاً اذا الركب عرّجا
وعن أثلات الجزع هل مال ظلّها　　وهل تخذت ريحُ الصبا منه مدرّجا
لئن ظمئت نفسي اليها فطالما　　وردت بمغناهنّ أشنبَ أفلجا
بحيث يشف السترُ عن ماء مبسمٍ　　أرى بـاب صبري عنه أبهم مرتجا

وقال :

بأبي من بني الملوكِ غريرٌ[1]　　قد تردّيتُ فيه بُردَ التصابي
ضاعفتْ حسنَهُ ضفيرةُ شعرٍ　　هي منه طرازُ بردِ الشباب
تتلوى على الرداءِ مراحاً　　كحبابٍ ينساب فوق حباب

وقال في سحابة :

وساريةٍ سحبتْ ذيلها　　وهزتْ على الأفق أعطافَها
تسل البروقَ بـأرجائها　　كمـا سلت الزّنجُ أسيافها

وقال :

بدا البدر في أفقه لابساً　　ثيـاباً من الشّفَقِ الأحمرِ
فشبهته والدجى حـائلٌ　　عروساً تُزَفّ إلى أسمر

وقال في رمانة مفتحة :

وساكنة من ظلالِ الغصونِ　　بخـدر تروقُكَ أفنانُهُ
تُضـاحِكُ أترابهـا عندما　　غدا الجوُّ تدمع أجفانُه
كما فتَحَ الليثُ فـاه وقد　　تضرجَ[2] بـالدم أسنـانه

وقال في إبرة في لباد أحمر :

---

١ ص : غزيز ؛ ر : غريز .
٢ ص : تضرم .

ومخيّطٍ ضاق عنه وصفي   يعجز عن فعله اليماني
يكمنُ في لبدةٍ ويبدو   كالعرقِ في باطنِ اللسان

وقال في حقلة كتان اصطفت بها غربان[1] :

ومخضرةِ الأرجاءِ قد طلّها الندى   وقابلها أنف الصّبا بتنفّسِ[2]
تبدّى بها سطراً دقيقاً[3] كما بدت   ضفيرة شعرٍ[4] فوق بردة سندس

وقال :

لله دولابٌ يفيضُ بسلسلٍ   في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائمُ شجوها   فيجيبها ويرجّعُ الألحانا
فكأنه دنفٌ يدورُ بمعهدٍ   يبكي ويسأل فيه عن من كانا
ضاقت مجاري جفنه عن دمعه   فتفتحت أضلاعه أجفانا

وقال في مليح أرمد ، وقد لبس ثياباً حمراً[5] :

ومهفهفٍ يجري بصفحة خده   ولماهُ من ماءِ الحياة عُبابُهُ
ما زال يهتكُ باللحاظِ قلوبنا   حتّى تضرجَ طرفه وثيابه
فبدا بحمرةِ ذا وحمرةِ هذه   كالسيف يدمى حدّه وقرابُه

---

١ ر : غزلان .
٢ ص : يتنفس .
٣ دقيقاً : سقطت من ر ص .
٤ ص : ظفيرة شعره .
٥ ص : حمر .

٣٣٣
ابن الثردة الواعظ

عليّ بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفا ، المعروف بابن الثردة الواعظ الواسطي الأصل البغدادي المنشأ ؛ سألته عن مولده فقال : بكرة الإثنين ثاني عشرين شعبان سنة سبع وتسعين وستمائة .

قدم إلى دمشق مرات ٍ ووعظ بها بالجامع الأموي ، ثم حصل له خلط سوداويّ فتغير حاله ، وكان يدّعي في هذه الحالة أنه كانت له ببغداذ كتب تقدير ألفي مجلدة ، وأن جماعة من التجار الذين قدموا دمشق اغتصبوها وقدموا بها دمشق وأباعوها ، وكان ذلك كله من مخيلة السوداء ، فساءت حاله وأضرّت به ، والتحق بعقلاء المجانين ، وكان يتخذ كارة[1] يحملها تحت إبطه لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً، بحيث انه كان إذا دخل الحمام أو الطهارة يكون جالساً وهي تحت إبطه ، وكلما وجد خيطاً أو حبلاً شدها به ، فلا تزال في نمو وزيادة وهو حاملها ، وكان يقول : لو دُفع لي فيها ملك مصر ما أبعتها ، ويقول : هي أشهى إليّ من خاتمة الخير ، والله لو خيُيرت بين دخول الجنة بلا كارتي أو دخول النار وكارتي معي اخترت دخولَ النار على دخول الجنة . وكان ينظم الشعر الجيد في هذه الحالة ، وكان إذا دفع إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها لا يقبل منه ، ويقول : مَن أنت ؟ أظنُّ عندك شي من كتبي فأنت تُبرطلني على ذلك ، ولا يقبل لأحدٍ شيئاً إلا بعد الجهد ؛ وكانت وفاته بمارستان ابن سويد في اوائل سنة خمسين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

---

٣٣٣ — الزركشي : ٢٣٠ والدرر الكامنة ٣ : ٧٦ وفي نسبه « يعقوب » بدل « معتوق » والفردة بدل « الثردة » ؛ وصاحب الدرر ينقل عن الصفدي .

١ الكارة : مكيال للدقيق أو وعاء .

ولما توفي فتحت كارته فما وجد فيها سوى جزاز بخطه وكراريس وعظيات وشعر تغزل وغيره[1] .

أنشدني لنفسه :

أضحى جمالك للورى أعجوبةً كلٌّ الورى قد قيدوا بقيادهِ
فوحقّ من سوّاك يا بدرَ الدجى ما أنت إلا فتنةٌ لعبادهِ

وقال :

لي حبيبٌ خياله نُصبُ عيني أينما كنت وجهه[2] مرآتي
يتجلى لطور سيناء قلبي فتراني أخرُّ من صعقاتي
ليتني لا عدمته من حبيب أتراءاه من[3] جميع جهاتي
وإذا لاح أو تجلَّى لعيني كدت أقضي من شدّة الحسرات
هو ناري وجنّتي ومماتي وحياتي في السر والخلوات
لستُ مهما حييتُ أنساه أصلاً لا ولا ساعةً من الساعات

وأنشدني لنفسه :

سبحان من أبدى جمالك للورى عجباً يحار العقلُ في تصويره
وصفوك غاية وصفهم لكنهم لم يدركوا مقدارَ عشر عشيره
لو كان يوسفُ في زمانك فُقتهُ حسناً وكنت تكونُ فوق سريره
اعطفْ على عبدٍ ملكت قياده فالعبدُ لم يرحمه غيرُ أميره

وأنشدني لنفسه :

يا دار علوةَ لا عداكِ غمامُ مني عليك تحية وسلامُ

---

١ بعد هذا في ر : رحمه الله تعالى وعفا عنه .
٢ ر : ووجهه .
٣ ر : في .

فلقد تَقضَّت لي بربعك عيشةٌ   زمنَ الصبا إذ لستُ فيك ألام
مع فتيةٍ حلوا ببطحاء الحمى   ولهم بقلبي مربعٌ ومقام
يحمون بالبيض النزيلَ حمية   ومن استجار بهم فليس يُضام
انظر إليهم كيف تُضرمُ نارهم   للطارقين إذا ألم ظلام
ترَهُم إذا ما الليلُ جنَّ عليهمُ   وهمُ سجودٌ في الدجى وقيام
لولاهمُ ما كان يعرف ما الهوى   كلا ولا بيع النفوس يُسام

وقال أيضاً عفا الله عنه :

بالجامعِ الأمويّ ظبيٌ أهيفٌ   ما في الملاح كحسنه وجمالِه
هو بدر تمٍّ والقلوبُ بروجُهُ   يخفي البدورَ بنور عزِّ جلاله
وإذا تثنَّى مائساً في مشيه   فضحَ الغصونَ بلينه ودلاله

وقال :

ولما تجلى مَن أحِبُّ لناظري   خررتُ من الأشواقِ صعقا إلى الأرضِ
وإني لأتلو ذكره وحديثهُ   وسمعي به يلتذ في النفل والفرض

وقال مواليا :

لك وجه يحكي فتات السكر المصري   وقدّ يشبه[1] قضيب البان لي يمري
وردف ما ريتْ مثله قطْ في عصري   يا ليته حظ علي بن الَبردة المقري

وأنشدني لنفسه من موشح :

أيها النائم كم هذا الرقاد   انتبه كم نومْ
انتبه من ذا الكرى يا ذا الجماد   تلتحقْ بالقوم
وتأهب لغدٍ يوم المعاد   يا له من يوم

---

[1] ر : شبه .

وافعل الخير لتحظى بـالنجاح لا تكن كسلان
واجتهد فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ ويرى الإحسان

قد تـقضّى العمرُ دعْ لهوَ الصبا أيها الغافل
لا تكن ممن إلى الجهل صبَا تعسَ الجـاهل
كل شيء تهب الدنيا هـبَـا ليس بالطائل

كم حريص خلّـفَ الدنيا وراح لابس الأكفان
وأخو الفقر توفي فـاستراح قلبُـه التعبـان

مجتويات الكتاب

ش

ص

ض

ط